

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى  
كلية اللغة العربية  
قسم الدراسات العليا العربية  
فرع الأدب



# الشواهد الشعرية في كتاب

دلائل الإعجاز

## للشيخ عبد القاهر الجرجاني

توثيق وتحليل ونقد

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة العربية

إعداد الطالبة:

نجاح أحمد عبد الكريم الظاهر

٢٩٤٠

إشراف:

سعادة الأستاذ الدكتور بحلي محمد حسن العماري



١٤٠٧ هـ - ١٤٠٨ هـ  
١٩٨٧ م - ١٩٨٨ م

# الفرد ..

إلى من غرس في نفسي حب العلم .. ومهد لي دروبه  
وعلمني أن لذة الحياة الحقيقية في العلم وبخاصة ما كان مستمداً  
من الشريعة الفراء ، أو ذائلة بلا .. فسبق الأجل قبل  
أن يتحقق أمله ويرى ثمرة جوده .. حمد الله وجعل الجنة  
مساواة .

إلى من وقفت عمرها على تربية سبيل الراحة والهدوء  
لي ، فكشنتني من ورود منزل العلم والعرفان .. إلى  
منبع الحنان ، وفيض العطاء بلا امتنان ..  
إلى والديّ الجسيبه أهدي أجمل هذا العمل .

# شكر وتقدير ...

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكر له أن وفقني بإتمام هذا العمل  
التواضع .. وأصلي وأسلم على من أوفى جوامع الكلم النبي الأبي  
الذي أرسل رحمة للعالمين ، فجزاه الله عنه أتمه خير الجزاء .

ثم أتقدم بالشكر والتقدير إلى والدي الكريمين اللذين غرسا  
في أعماقي حب العلم ، وأنارا لي دروبه ، وفتحوا لي أبواب النجاح .

وإلى أستاذي المشرف الذي رباني فكرياً ومعنوي خالص  
نصحه وسيد توجيهاته فكان - وبجود - نعم المرشد ونعم الموجه .

وإلى أستاذتي الأفاضل اللذين قدموا لي كل نقد بناء ،  
وتوجيه صادق هادف .

وإلى كل من أولاني رعاية وسعى في تقييم العون لي من

قريب أو بعيد .

نجاح  
س

# المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم النبي الأمي ما فصح  
الثقلين لساناً، وأعدبهم بياناً، وعلى آله وصحبه الأبرار وعلى الأئمة الأطهار  
الذين جندوا أوقاتهم وأنفسهم لحماية آي القرآن، فوضّحوا غريبه، وبيّنوا  
مشكله، وفتقوا أكمام بيانه وعجائبه ومعده :

فإن علم البلاغة من أجلّ العلوم وأشرفها، فبالبلاغة كان تحدّي الثقلين  
"قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله  
ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً" (١)

وهو أرسخ العلوم أصلاً وأسبقها فرعاً، وأحلاها جنياً، وأعدبها ورثاً،  
وأكرمها نتائجاً، وأنورها سراجاً (٢) لأنه قام على أساس شريف، وهو دراسة  
إعجاز القرآن، وإذا كان لعلماء العرب جهودهم المشكورة في الارتقاء بهذا  
العلم فألفوا فيه ما ألفوا من الكتب العظيمة القيمة إلا أن أهم كتابين وأعظم  
رافدين في هذا العلم هما كتابا الشيخ عبد القاهر "أسرار البلاغة" ودلائل  
الإعجاز فهما يمثلان مرحلة النضج النقدي والبلاغي عند العرب، وكل ما ألف  
بعدها من مؤلفات في البلاغة أستقى - ولا شك - من هذين الرافدين بطريق  
مباشر أو غير مباشر.

ولم تخرج البلاغة بعد ذلك عن الصورة التي رسمها الشيخ فكتاب المفتاح  
وكتاب الإيضاح اللذان اتكأ عليهما المتأخرون لم تختلف أفكار مؤلفيهما كثيراً  
عن أفكار الشيخ إلا في التقسيم والتبويب والتعريفات وبعض المسائل

(١) الاسراء : ٨٨

(٢) الدلائل - رضا : ٤ - خفاجي - ٥٥ - ٥٦ - شاكر : ٥

الجزئية ثم تلاه هذين الكتابين كتبّ حفلت بالفكر الفلسفية، ومالت نحو الشروح المعقدة، فَبَعَدَتْ بذلك عن خطة الشيخ التي رسمها، إذ أنه كان يهدف إلى الطريقة التحليلية التذوقية في البلاغة، ولو أنهم ساروا على منواله هذا، وانتهجوا نهجه لارتقت نظرية الشيخ، وطرحت ثمارها، آتت أكلها وبارتقائها يظهر تطور الفكر العربي البلاغي والنقدي وهكذا وجدت في نفسي رغبة دفينّة تليح عليّ أن أوقف وجهاً لوجه أمام بلاغة الشيخ وفكره بدلاً من أخذها عن طريق وسيطٍ المفتاح - والإيضاح\* .

وقد قيض الله لي إتمام دراستي العليا، فقربت قليلاً من نهج الشيخ إلا أن زادي من هذه الدراسة لم يكن يسعفني للقيام برحلتني الشاقّة إلى فكر الشيخ المتعمق الأصيل فأثرت في مرحلة الماجستير أن أختار موضوعاً من موضوعات البلاغة أسير فيه على خطة الشيخ التحليلية، فيكون لي رسماً عملياً، وخطوة أولى تجرّوني على الاطلاع على فكر الشيخ اطلاعاً جدياً من خلال كتابيه فكان موضوعي آنذاك " القصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الأول من القرآن الكريم " وكانت طريقتي فيه طريقة تحليلية ما دفعني إلى الاطلاع المباشر على طريقة الشيخ التحليلية في كتابيه " الدلائل والأسرار " ومن خلال اطلاعي هذا لمست فيهما اعتماد الشيخ على الشواهد الشعرية اعتماداً كبيراً، أكثر من اعتماده على الشواهد القرآنية، وقلّة استشهاده بالأحاديث النبوية ما كان له أثر كبير في نفسي، فرأيت، وأوهكذا بدا لي أن دراسة هذه الشواهد الشعرية دراسة تحليلية نقدية تعيد بلاغة عبد القاهر أو أكثر آرائه البلاغية في شوبٍ جديدٍ ربّما كان موفقاً رائعاً مع ما تظهره من تأريخ لتطور القول في هذه الشواهد سواء عند العلماء والنقاد الذين سبقوا عبد القاهر، أو عاصروه أو جاءوا بعده .

وقد تأملت هذه الشواهد ، فكان ما وضع عندي : -

- ١ . أن منها شواهد لم يحكم عليها عبد القاهر بجودة ولا برداءة فعلي أن أحكم عليها مع بيان سر الحكم .
  - ٢ . ومنها ما حكم عليه عبد القاهر بأحد هذين ، ولكن لم يبين سر حكمه فقلت لعلّي أصل إلى هذا السر .
  - ٣ . ومنها ما حكم عليه ، وبين سر الحكم ، واكتفى بالظواهر النحوية ، فرأيت أن هذه الظواهر غير كافية وغير مقنعة ، فرأيت أن أخطو خطوة إلى الأمام فأبين الأسرار البلاغية التي تكمن في هذه الظواهر .
  - ٤ . ومنها ما حلله عبد القاهر ، وحكم عليه ، فرأيت أن أنظر في هذا التحليل وفي هذا الحكم .
  - ٥ . ومنها ما استحسنته الشيخ ، ورأيت أوراى غيري من النقاد أنه غير حسن فرأيت أن أتعرف على مصدر الاستحسان عند عبد القاهر ، وأبين رأيي في الحكم عليها بعدم الحسن وفي كل ذلك استعنت بما قاله العلماء والنقاد قبل عبد القاهر ومقاله العلماء والنقاد بعده إن كان ورد شيء من هذه الشواهد فيما ألف قبله أو بعده .
  - ٦ . رأيت الشيخ عبد القاهر يميل كثيراً على الأريحية والذوق ، فرأيت أن أفرد هذا الموضوع ببحث أبين فيه مكان الذوق في الحكم على النصوص ، وتطور البحث في هذا الموضوع ، وهل الذوق يعلل أو لا يعلل ، وهل يكفي في الحكم على النص الإحالة على الذوق كما يفعله الشيخ عبد القاهر كثيراً ؟
  - ٧ . كثير من هذه الشواهد لم ينسبها الشيخ ، فرأيت أن أبدل جهدي في نسبه . ويتبع ذلك أن أترجم في الهوامش لمعظم الشعراء تراجم موجزة .
- كما ترجمت لكثير من الأعلام ، وخاصة من قيلت فيه القصيدة التي منها الشاهد . كذلك حاولت ذكر مناسبة القصيدة التي منها الشاهد فإن هذا كله - لاشك - يساعد على فهم الشاهد وتحليله .

٨ . كما حاولت إرجاع هذه الشواهد إلى مظانها ، وتوثيق كل شاهد ،  
فاستعنت بكثير من الدواوين الشعرية ، وكتب الأدب والبلاغة والنقد ،  
والنحو والعروض والتفسير .

٩ . وأحياناً يذكر عبد القاهر بيتاً مفرداً ، وربما اكتفى بشرط بيت وإدراكه ،  
السرّ البلاغي فيه يتوقف على وصل البيت ، أو الشرط بما قبله ، أو بما  
بعده ، فرأيت أن أصل هذه النصوص بما لا بد منه لتحليلها وبيان سرّ بلاغتها .

١٠ . أما بالنسبة لباب السرقات ، وما ورد فيه من شواهد وموازنات سكت الشيخ  
عن تحليل معظمها ، فقد حاولت ، واجتهدت على قدر علمي واستطاعتي  
تحليل تلك الشواهد والموازنة بينها آملّة أن أكون قد أصبت فيها  
بعض الإصابتة ، ولا يذهب عن أحد مدى الصعوبة والمشقة التي يتكبدها  
المتصدّي لهذا العمل .

وقد واجهتني بالفعل صعوبات شتى أولها :-

\* كثرة شواهد الشيخ الشعرية ، مما استنفذ مني وقتاً وجهداً واضطررتني  
إلى إطالة البحث ، فقد وصل عدد الشواهد بعد إسقاط المكررات :-  
• اثنين وثلاثين وثلاثمائة غير أبيات المدخل وعددها : أربعة عشر بيتاً .

وذلك بعد أن جعلت كل بيتين أو ثلاثة عقد بينها الشيخ الموازنة شاهداً  
واحداً إن أن عدد الأبيات الشعرية الواردة في كتاب الشيخ بعد إسقاط  
المكررات - يبلغ :

• ستين وأربعمائة ، هذامع إضافة أبيات المدخل .

\* وثاني هذه الصعوبات هي كيفية تقسيم فصول البحث إذ أنه من المعلوم

أن كتاب الدلائل ينقصه التقسيم والتبويب والتنظيم كما قال عبد القاهر نفسه :  
“ وليس يتأتى لي أن أعلمك من أول الأمر في ذلك آخره ، وأن أسمي لك الفصول التي  
في نيتي أن أحتررها بمشيئة الله عز وجل ، حتى تكون على علم بها قبل موردها عليك  
فاعمل على أن ههنا فصولاً يجي بعضها في إشرعها . ( ١ )



يضاف إلى ذلك أن بعض الشواهد كان يُكرِّرها الشيخ في فصوله عدَّة من البحث ، ويستشهدُ بها على أكثر من مسألة مما اضطرني إلى السير على خطة الشيخ وترتيبه حتى يسهل على قاري هذا البحث الرجوع لكل شاهد في بابه ومعرفة موضعه دون عناء .

\* وثالثها : تشعبُ البحثِ وتفرُّعهُ مما اضطرني إلى الرجوعِ والاطلاعِ على أكثر المؤلفات التي سبقت الشيخ عبد القاهر في البلاغة ، أوفي النقد ، أوفي الأدب ، وعلى أكثر المؤلفات التي عاصرتُه ، أو كتبت بعده في هذه الفنون .

\* ورابعها : أن معظم الكتب التي رجعت إليها لم تكن م فهرسة ، مما اضطرني إلى فهرست الكثير منها حتى أستطيع أن أقف على موضع الشاهد . وأنا أدرك أن هذه الدراسة تحتاج إلى جهود كبيرة وإلى التذرع بالصبر ، وسعة الصدر ، ولكن ثقتي وأملِي كبير في فضل الله تعالى ، وفي عونه وتسيده ، وهو سبحانه الموفق والمستعان .

هذا هو منهجي الذي سرت عليه ، أما عن خطة البحث فتتكون من مقدمة ، وتمهيد ، وبابين ، وخاتمة .

وتتضمن المقدمة : —

\* سر اختياري لهذا الموضوع .

\* أهمية البحث .

\* ظاهرة كثرة استشهاد الشيخ بالشعر ، وقلَّة استشهاده بالآيات

القرآنية ، وقلَّة استشهاده بالحدِيث النبوي الشريف .

ويتضمن التمهيد : —

أ / دراسة موجزة عن الإمام عبد القاهر .

ب / دراسة موجزة عن كتابه دلائل الإعجاز .

ج / معنى كلمة شاهد في اللغة والاصطلاح .

د / بعض الدراسات التي قامت حول الشواهد قد يمها وحد يثها .

أما البابُ الأولُ وعنوانُهُ : شواهدُ دلائلِ الإعجازِ " فيتضمن خمسة عشر فصلاً :

الفصلُ الأولُ : —

أ / أبياتُ المدخلِ .

ب / شواهدُ تحقيقِ القولِ في البلاغةِ والفصاحةِ .

الفصلُ الثاني : —

أ / شواهدُ الكنايةِ والاستعارةِ والتمثيلِ .

ب / القولُ في نظمِ الكلامِ ومكانِ الخومنه .

الفصلُ الثالثُ : —

شواهدُ النظمِ .

الفصلُ الرابعُ : —

شواهدُ التقديمِ والتأخيرِ .

الفصلُ الخامسُ : —

شواهدُ القولِ في الحذفِ .

الفصلُ السادسُ : —

شواهدُ الفروقِ في الخبرِ .

الفصلُ السابعُ : —

شواهدُ الفروقِ في الحالِ .

الفصلُ الثامنُ : —

شواهدُ الفصلِ والوصلِ .

الفصلُ التاسعُ : —

شواهدُ بابِ اللفظِ والنظمِ .

أ / شواهدُ أمورِ شتى في أمرِ اللفظِ والنظمِ .

ب / شواهدُ الكنايةِ والاستعارةِ والتمثيلِ .

ج / شواهدُ إنَّ ومواقعِها .

د / شواهدُ كانَ .

هـ / شواهدُ كلِّ .

- و / شواهدُ المجازِ الحُكْمِيِّ .  
ز / شواهدُ الكِنَايَةِ .  
ح / عودٌ إلى شواهدِ إِنْ وَمَوَاقِعِهَا .

الفصلُ العاشرُ :-

- شواهدُ القصرِ و الاختصاصِ .  
أ / إِنَّمَا وَمَوَاقِعِهَا .  
ب / مَا وَإِلَّا .  
ج / عودٌ إلى مباحثِ إِنَّمَا .

الفصلُ الحادي عشرُ :-

- أ / فصلٌ في بابِ اللفظِ والنظمِ .  
ب / شواهدُ تحريرِ القولِ في الإعجازِ والفصاحةِ والبلاغةِ .

الفصلُ الثاني عشرُ :-

- شواهدُ الأخذِ والسرقةِ  
أ / الموازنةُ بينَ المعنى المتحدِّ واللفظِ المتعددِ .  
ب / الموازنةُ بينَ الشعرينِ والإجادةُ فيها من الجانبينِ .  
ج / وصفُ الشعرِ والإدلالُ بهِ .

الفصلُ الثالثُ عشرُ :-

- أ / عودٌ إلى الاحتجاجِ على بطلانِ مذهبِ اللفظِ .

- ب / شواهدُ الخبرِ وما يتحققُ بهِ الإسنادُ .

الفصلُ الرابعُ عشرُ :-

- شواهدُ إدراكِ البلاغةِ بالذوقِ وإحساسِ النفسِ .

الفصلُ الخامسُ عشرُ :-

- فصولٌ ملحقةٌ بالكتابِ .

## الباب الثاني :-

" قضايا بلاغية ونقدية في الكتاب "

ويتضمن ثلاثة فصول :

## الفصل الأول :-

. قضية الإعجازِ وصلتهِ هذهِ الشواهدِ بِهَا .

## الفصل الثاني :-

. قضية النقدِ الأدبيِ وأثرُ عبدِ القاهرِ فيها .

## الفصل الثالث :-

. قضيةُ الذوقِ .

وأخيراً الخاتمة وتتضمن النتائج والتوصيات التي خرجتُ بها من البحث .

وقد نذلتُ البحثَ بفهارس عديدة :

فهرس الآياتِ القرآنية ، وفهرس الأحاديث ، وفهرس الأبياتِ الشواهدِ ، وفهرس الأشعارِ غيرِ الشواهدِ ، وفهرس الشعراءِ ، وفهرس الأعلام ، وفهرس المصطلحاتِ البلاغية ، وفهرس الأمثال ، وفهرس اللغة ، وفهرس الأماكنِ والبقاع ، وفهرس القبائلِ والدول ، وفهرس الأديانِ والمللِ ، وفهرس الحيواناتِ ، وفهرس المصادرِ والمراجعِ ، وفهرس الموضوعاتِ .

وذلك إيماناً مِنِّي بأهمية هذه الفهارس ودورها الفعّال في مساعدة الباحثِ على كشف كثيرٍ من المسائل مما يضيء طريق البحث أمامه .

هذا خلاصة جهدي المتواضعِ أضعه بين أيدي أساتذتي الأفاضل طامعاً منهم في كل توجيهٍ صادقٍ ، ونقدٍ بناءٍ ، فإن كنتُ فيه على شيءٍ من التوفيق ، فهذا بفضلِ الله وتوفيقه " الذي علّم الإنسانَ ما لم يعلم " (١) وإن كنتُ قد قصرتُ فالتقصيرُ من طبيعة البشرِ .

وفي الختام أقدمُ جزيلَ شكري ووافر امتناني لكل من مدّ لي يدَ العونِ من قريبٍ ، أو بعيدٍ ، وأخصُّ بالشكرِ استاذي المشرف الدكتور علي محمد حسن العماري الذي تلمذتُ على يده ما يقربُ من تسع سنواتٍ وإني لحظيةٌ فخورٌ بهذه التلمذة

التي جعلتني أنهل من بحر معرفته الواسع ، وفيض علمه الأصيل مما كان له  
أثر كبير في تسديدي وتقويني وإصلاح ما أعوج من فكري .  
كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء اللجنة الأجلة الذين نظروا فسي  
بحثي هذا بعين التقويم والتسديد .  
ولا يفوتني أن أشكر جامعة أم القرى التي ربتني ثقافياً وعلمياً وهيأت لي ،  
ولطلاب العلم سبيل التحصيل والمعرفة .

وفقني الله وإياكم لما فيه الخير والمنفعة .

\*\*\*\*\*

## التمهيد

- ١- دراسة موجزة عن الإمام عبد القاهر .
- ٢- دراسة موجزة عن كتاب دلائل الإعجاز .
- ٣- معنى كلمة شاهد في اللغة والأدب .
- ٤- بعض الدراسات التي قامت حول الشواهد قديماً وحديثاً .

١ - دراسة موجزة عن الإمام عبدالقاهر -

إنَّ علم البلاغة من أهم العلوم وأجلّها ، فهو علم نهض من أجل خدمة القرآن ؛  
وذلك عن طريق دراسة إعجازه ، وهذا بلا شك من أشرف الدراسات وأعظمها  
قدراً ، وأرفعها منزلة .

قال الشيخ عبد القاهر منوهاً بفضل هذا العلم :

” ثم إنَّكَ لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً ، وأسبق فرعاً ،  
وأعلى جنياً ، وأعذب ورثاً ، وأكثر نتاجاً ، وأنور سراجاً من  
علم البيان الذي لولاه لم تر لساناً يحوِّك الوشي ، ويصوغ الحلْي ،  
ويلفظ الدرّ ، وينفث السحر ، ويقري <sup>(١)</sup> الشَّهْد ، ويريك بدائع  
من الزهر ، ويجنيك الحلو اليناع من الثمر ، والذي لولا تحفّيه  
بالعلوم ، وعنايته بيها ، وتصويره إياها ، لبقيت كامنة ، مستورة ،  
ولما استبنت لها يد الدهر صورة ، ولا ستمر السرار بأهلتها ،  
وأستولى الخفاء على جمليتها إلى فوائد لا يدركها الإحصاء ،  
ومحاسن لا يحصُّها الاستقصاء ” .  
( ٢ )

ومن هذا المنطلق كان لابد من إلقاء الضوء على أهم شخصية حملت مشعل الدراسات  
البلاغية ، فأنارت دروبها ، وسهدت طرقها ، ونذلت صعابها .  
وسأتحدث في هذه العجالة عن نسبة الشيخ عبد القاهر ، ومكان وزمن نشأته ،  
ثم أتحدث عن أبرز ما يميز حياته وهي الناحية العلمية ، ثم أضعه في ميزان القدماء ،  
ومعاصريه ، والمحدثين ، لتبرز مكانته ، وتثبت في العلم ريادته ، لعلي أكون بهذه  
الدراسة الموجزة قد أضأت بعض الجوانب المهمة في شخصية الشيخ .

( ١ ) أي يجمع الشهد .

( ٢ ) الدلائل رضا : ٤ - ٥ ، خفاجي : ٥٥ - ٥٦ ، شاکر : ٥ - ٦ .



الإمام عبد القاهر الجرجاني (١) :-

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ، وقيل سنة أربع وسبعين وأربعمائة من الهجرة .<sup>(٢)</sup>

لم يذكر المؤرخون سنة مولده ، ولم يتحدثوا عن عمره ، كما لم يتحدثوا عن أسرته ، وعن حياته الاجتماعية ، وهذا يدل على أن حياة الشيخ كانت هادئة لم تطرقها أحداث مهمة تلفت انتباه المؤرخين ، ولعل أبرز ما في حياته شغفه بالعلم والتحصيل .

وكل ما يمكن أن يقال عنه : أنه نحوي مشهور متكلم على مذهب الأشعرية ، فقيه على مذهب الشافعية ، كان شيخاً ورعاً تقياً ، يُروى أن لصاً دخل عليه ، وهو

(١) انظر ترجمته في :-

دمية القصر للباخرزي : ٢ / ١٢ - ١٥ ، نزهة الألباء للأبيـاري : ٣٦٣ ، إنباه الرواة للقفطي : ٢ / ١٨٨ - ١٨٩ ، العبر في خبر من غير للذهبي : ٢ / ٣٣٠ ، فوات الوفيات للكتبي : ٢ / ٣٦٩ ، مرآة الجنان لليافعي : ٣ / ١٠١ ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي : ٣ / ٢٤٢ ، طبقات الشافعية للأسنوي : ٢ / ٤٩١ - ٤٩٢ ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه : ١ / ٢٧١ - ٢٧٢ ، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي : ٥ / ١٠٨ ، بغية الوعاة للسيوطي : ٢ / ١٠٦ ، طبقات المفسرين للداودي : ١ / ٣٣٦ ، روضات الجنات للموسوي : ٥ / ٩٠ ، مفتاح السعادة لطاش كبري زاده : ١ / ١٥٧ ، كشف الظنون لحاجي خليفة : ١ / ٨٣ - ١٢٠ ، ٢١٢ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ١١٦٩ / ٢ ، ١١٧٩ . شذرات الذهب لابن العماد : ٣ / ٣٤٠ ، ٣٤١ ، هدية العارفين للبغدادي : ١ / ٦٠٦ ( م٥ من كشف الظنون ) ، الأعلام للزركلي : ٤ / ٤٨ ، معجم المؤلفين : ٥ / ٣١٠ .

(٢) انظر هذا الاختلاف في :-

العبر في خبر من غير : ٢ / ٣٣٠ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٣ / ٢٤٢ .

في الصلاة فأخذ جميع ما في البيت، وهو ينظر إليه ولم يقطع صلاته (١) .  
ونستطيع أن نضيف دليلاً آخر على ورعه وتقواه ، وعمق إيمانه ، وحسن توكله على  
مولا . من مقدمة كتابه الدلائل حيث قال :

” الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين ، نحمده على  
عظيم نعمائه ، وجميل بلائه ، وتستكفيه نواب الزمان ،  
ونوازل الحدّاثان ، ونرغب إليه في التوفيق والعصمة ، ونبرأ  
إليه من الخول والقوة ، ونسأله يقينا يملأ الصدر ، ويعمر  
القلب ، ويستولي على النفس حتى يكفها إذا تزغت ويردّها  
إذا تطلعت ، وثقة بأنه عز وجل الوزر ، والكالي والراعي ،  
والحافظ ، وأن الخير والشربيد ، وأن النعم كلها من  
عنده ، وأن لا سلطان لأحد مع سلطانه ، نوجه رغباتنا إليه ،  
ونخلص نياتنا في التوكل عليه (٢) .

ولد الشيخ في مدينة جرجان، وهي مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان،  
وعاش في عصر الدولة الزيارية وهي إحدى الدول التي انفصلت عن الدولة العباسية،  
وانتهى حكمها سنة ٤٣٣ هـ في عهد ” أنوشروان بن منوچهر بن قابوس بن وشمكير”  
وانتقل الحكم إلى يد ” طغرل بك (٤) ” فأصبحت في يد السلاجقة ، وتوفي الشيخ وهي  
ما تزال في أيديهم .

وفي ظل هذه الدول عاش الشيخ عبد القاهر بعيداً عن الاضطرابات السياسية  
قاصراً نفسه على الدرس والتحصيل ، فأخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن

(١) انظر: طبقات الشافعية للسبكي : ٣ / ٢٤٢ ، طبقات الشافعية

للأسنوي : ٢ / ٤٩١-٤٩٢ ، شذرات الذهب : ٣ / ٣٤٠ .

(٢) الدلائل رضا : ٢ ، خفاجي : ٥٣ ، شاکر : ٣ .

(٣) معجم البلدان : ٢ / ١١٩ .

(٤) الكامل في التاريخ : ٨ / ٣٠ ، وانظر محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية :

” الدولة العباسية ” : ٣٩٤ ، ٤١٦ .

الحسين الفارسي<sup>(١)</sup> الذي كان من كبار أئمة العربية ، ولم يأخذ عن غيره مجالسة؛ لأنه لم يخرج عن بلده إلا أن ياقوت الحموي يرى أنه درس على يد القاضي الجرجاني<sup>(٢)</sup> وجالسه قال :-

\* وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه، واغترف من بحرهِ ، وكان إذا ذكره في كتبه تبخّخ به ، وشَمَخَ بأنفسِهِ بالانتِماءِ إليه<sup>(٣)</sup> .

وقد شك الدكتور أحمد بدوي فيما رواه ياقوت الحموي وحجته في ذلك أن القاضي الجرجاني توفي سنة ٣٩٢ هـ " فمتى يكون عبد القاهر قد أخذ عنه ؟ . وهذا يتطلب أن يكون الشيخ عبد القاهر قد ولد قبل وفاة القاضي الجرجاني بخمس عشرة سنة على الأقل ، وبذلك يكون الشيخ قد بلغ من العمر ما يقرب التسعين ، والدكتور أحمد بدوي يشك أن يكون الشيخ عبد القاهر قد توفي في هذه السن .

(١) هو أبو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الوارث الفارسي النهوي ، وهو ابن أخت النهوي المشهور " أبو علي الفارسي " أخذ عن خاله علم العربية ، وطوف الآفاق ، وكان خاله قد أوفده على صاحب بن عباد بالري ، فارتضاه وأكرم مشواه ، ووُزِّرَ للأمير غرسيستان ثم اختص بالأمير إسماعيل بن سبكتكن بغيره ووُزِّرَ له إلى أن استوطن جرجان ، وقرأ عليه أهلها ، ومنهم عبد القاهر الجرجاني ، وتوفي محمد بن الحسين سنة ٤٢١ هـ ، / انظر ترجمته :-

نزهة الألباء : ٣٤٣-٣٦٣ ، معجم الأدباء : ١٨٦/١٨ - ١٨٨ ، بغية الوعاة : ١ / ٩٤ ، مفتاح السعادة : ١ / ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني قاضي الري في أيام صاحب بن عباد ، وكان أديباً أريباً كاملاً - له رسائل مدونة وأشعار مغننة ، وكان جيد الخط مليحاً يُشَبَّهُ بخط ابن مقلّة . توفي سنة ٣٦٦ هـ ، وقيل ٣٩٢ هـ . /

انظر ترجمته :

معجم الأدباء : ١٤ / ١٤ - ٣٥ .

(٣) معجم الأدباء : ١٤ / ١٦ .

ويبدو لي أن الاعتماد على تاريخ وفاة القاضي الذي ذكره الدكتور أحمد بسدي ليس بالحجة القوية ؛ لأنه من المحتمل أن يكون الشيخ قد توفي في هذه السن ، ولكن قد تقوى الحجة لو أنه أخذ بأرجح الأقوال في أن وفاة القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني كانت سنة (٣٦٦هـ) .<sup>(١)</sup>

ونقل الدكتور أحمد مطلوب في كتابه : " عبد القاهر الجرجاني " نصاً عن الخوانساري صاحب " روضات الجنات " فهم منه أن الشيخ عبد القاهر قد تلمذ في النحو وغيره على يد ابن جنبي ، والصاحب بن عباد ، ورد قول الخوانساري محتجاً بأن ابن جنبي توفي سنة (٣٩٢هـ) ، والصاحب بن عباد توفي سنة (٣٨٥هـ) .

قال :

" وذكر الخوانساري أن عبد القاهر درس النحو على شيخين آخرين في قراءة النحو " ثم قال بعد أن نقل عن بغية الوعاة إنه أخذ عن ابن أخت أبي علي الفارسي :

" وهو غريب ؛ لأن هذا الأحقر مع قلة بضاعته في هذه

الصناعة قد اطلع على شيخين آخرين له في قراءة النحو وغيره :  
أحدهما ابن جنبي المشهور ، والثاني الصاحب بن عباد الوزير .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) هذا ما رجحه ابن خلكان في وفيات الأعيان قال :

" وذكر الحاكم أبو عبد الله بن البيهقي في " تاريخ النيسابوريين " أنه توفي في سلخ صفر سنة ست وستين وثلثمائة بنيسابور وعمره ست وسبعون سنة ، رحمه الله تعالى ، وقال غيره : إنه كان حسن السيرة في قضاءه صدوقاً ، وردَّ به أخوه محمد نيسابور في سنة سبع وثلثين ، وثلثمائة ، وهو صغير غير بالغ وسمعا من سائر الشيوخ ، ومات بالحري ، وهو قاضي القضاة في سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة ، وحمل تابوته إلى جرجان ، ودفن بها ، ونقل الحاكم أثبت وأصح " . / انظر :

وفيات الأعيان : ٣ / ٢٨١ .

( ٢ ) روضات الجنات : ٥ / ٩٠ .

وهذا غير صحيح؛ لأن ابن جني توفي سنة (٣٩٢هـ) ومات  
الصاحب بن عباد سنة (٣٨٥هـ) وقد تكون دراسة عبد القاهر  
لكتبهما لا عليهما (١)

ويظهر لي أن الخوانساري يقصد بالأحقر وقليل البضاعة والذي قرأ على  
ابن جني والصاحب بن عباد هو محمد بن الحسين الفارسي ابن أخت أبي علي الفارسي  
وأستاذ الشيخ عبد القاهر، وليس المقصود أن الشيخ عبد القاهر هو الذي قرأ  
على ابن جني والصاحب بن عباد كما فهم الدكتور مطلوب.  
والذي يرجح ما ذهبت إليه ما ذكر في ترجمة ابن أخت أبي علي الفارسي من أن خاله  
أوفده على الصاحب بن عباد وهو في الري فأكرمه وأحسن وفادته .  
فالثابت إذناً أنه أخذ عن ابن أخت أبي علي الفارسي مدرسة، ثم اعتمد بعد ذلك  
على شغفه وحبه للاطلاع، فدرس كتب من سبقوه ووعاها، وتأثر بها ونقل عنها .  
مثل سيويه، والجاحظ، والمبرد، وابن جني، والآمدي، والقاضي الجرجاني .  
وكان لإقامة الشيخ بجرجان، وعدم خروجه منها، وعكوفه على كتب العلم أن ذاع ذكره  
وارتفع قدره فشددت إليه الرحال من كل مكان . قال القفطي :

" وقرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء ، وتصدر بجرجان ،

وحثت إليه الرّجال وصنّف التصانيف الجليلة " (٢)

(٣)

فكان من أشهر تلاميذه : علي بن أبي زيد الفصحي ، وأحمد بن عبد الله

(٤)

المهلباني الضرير صاحب شرح كتاب اللمع لابن جني .

(٥)

ومن تلاميذه أيضاً : أبو نصر أحمد بن إبراهيم بن محمد الشجري .

(١) عبد القاهر الجرجاني : ١٥٠ .

(٢) إنباه الرواة : ٢ / ١٨٨ .

(٣) شذرات الذهب : ٣ / ٣٤٠ .

(٤) معجم الأدباء : ٣ / ٢١٩ ، بغية الوعاة : ٣٢٠ ، روضات الجنات : ٥ / ٩٠ ،

الأعلام : ١ / ١٥٨ .

(٥) إنباه الرواة : ٢ / ١٩٠ .

وأكثر مصنفات الشيخ كانت في علم النحو فله :

- ١ كتاب المغني :  
وهو عبارة عن شرح لكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، ويقع في نحو ثلاثين مجلدًا<sup>(١)</sup>.
- ٢ كتاب المقتصد :  
وهو ملخص لكتابه المغني، ويقع في ثلاثة مجلدات<sup>(٢)</sup>، وذكر الحاجي خليفة أنه مجلد واحد<sup>(٣)</sup>. وقد عاب القفطي هذا المؤلف فقال :  
" وهو مقتصد من مثله على ما سماه ، لم يأت في " الإيضاح " بشيء له مقدار<sup>(٤)</sup> "
- ٣ كتاب التكملة :  
وهو كالاستدراك لبعض المسائل التي لم يذكرها صاحب الإيضاح ..  
وهذا المؤلف لم ينبه إليه إلا الوزير القفطي . وأطلق عليه  
الزركلي اسم " التتمة " .<sup>(٥)</sup>

- (١) نزهة الألباء : ٣٦٣ ، العبر في خبر من غير : ٢ / ٣٣٠ ، فوات الوفيات :  
٣٦٩ / ٢ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٣ / ٢٤٢ ، بغية الوعاة : ٢ / ١٠٦ ،  
مرآة الجنان : ٣ / ١٠١ ، مفتاح السعادة : ١ / ١٥٧ ، طبقات المفسرين  
للداودي : ١ / ٣٣٦ ، روضات الجنات : ٥ / ٩ ، كشف الظنون : ١ / ٢١٢ ،  
شذرات الذهب : ٣ / ٣٤٠ ، هدية العارفين : ١ / ٦٠٦ ، معجم المؤلفين :  
٥ / ٣١٠ .
- (٢) إنباء الرواة : ٢ / ١٨٨ ، فوات الوفيات : ٢ / ٣٦٩ ، طبقات الشافعية  
للسبكي : ٣ / ٢٤٢ ، بغية الوعاة : ٢ / ١٠٦ ، نزهة الألباء : ٣٦٣ ،  
طبقات المفسرين : ١ / ٣٣٦ ، معجم المؤلفين : ٥ / ٣١٠ .
- (٣) كشف الظنون : ١ / ٢١٢ .
- (٤) إنباء الرواة : ٢ / ١٨٨ .
- (٥) الأعلام : ٤ / ٤٩ .

- ٤- كتاب الإيجاز :  
وهو مختصر الإيضاح<sup>(١)</sup>.
- ٥- العوامل المائة :  
وهو كتاب مختصر ، مشهور منذ أول كما قال عنه صاحب كشف الظنون ؛  
ولشهرته هذه حظي بعناية الشارحين ، شرحه حاجي بابا الطوسيوي  
والمولى أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبري زاده ، ونظمه بالتركية  
محمد بن أحمد الداعي المعروف بصوفي زاده الأدرنوي ، المتوفى سنة  
١٠٢٤ هـ وترجمه أيضا كمال الدين المدرس.<sup>(٢)</sup>
- ٦- الجمل :  
وهو عبارة عن شرح لكتابه العوامل ، ويسمى الجرجانية<sup>(٣)</sup>.  
وقد طبع عدة طبعات ، وشرح عدة شروح منها :  
\* المرتجل \* لمحمد بن عبد الله الخشاب (٥٦٧ هـ) ، وشرح السيد  
البطلبيوسي (٥٢١ هـ) وشرح أبي عبد الله البلنسي (٥٨٦ هـ) ، وشرح  
أبي الحسن الحضرمي النحوي (٦٠٩ هـ) ، وشرح أحمد الشريشي (٦١٦ هـ)  
وشرح محمد علي الفرناطي (٧١٥ هـ).<sup>(٤)</sup>
- ٧- التلخيص : وهو شرح لكتابه الجمل.<sup>(٥)</sup>
- وله في علم الصرف :
- ٨- كتاب العمدة في التصريف.<sup>(٦)</sup>

( ١ ) كشف الظنون : ٢١٢ / ١ ، هدية العارفين : ٦٠٩ / ١ .  
( ٢ ) كشف الظنون : ١١٧٩ / ٢ ، وهناك شروح كثيرة انظرها في كشف الظنون ،  
نزهة الألباء : ٣٦٣ .  
( ٣ ) إنباء الرواة : ١٨٩ / ٢ .  
( ٤ ) كشف الظنون : ٦٠٢ / ١ - ٦٠٣ .  
( ٥ ) نزهة الألباء : ٣٦٣ ، فوات الوفيات : ٣٦٩ / ٢ .  
( ٦ ) بغية الوعاة : ١٠٦ / ٢ ، شذرات الذهب : ٣٤٠ / ٣ ، معجم المؤلفين :  
٣١٠ / ٥ .

- ٩- وله كتاب في العروض :<sup>(١)</sup>
- " وهو قصيدة تتضمن قواعد الأوزان الشعرية وقد طبعت في ذيل كتاب الإقناع في العروض، وتخرّيج القوافي " للمصاحب بن عباد سنة ١٣٧٩ هـ في بغداد بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين<sup>(٢)</sup> .
- أما في الدراسات القرآنية فله :
- ١٠- كتاب " شرح الفاتحة " ويقع في مجلد واحد .<sup>(٣)</sup>
- ١١- درج الدرر في تفسير الآي والسور .<sup>(٤)</sup>
- ١٢- المعتضد :
- وهو شرح لكتاب إعجاز القرآن للواسطي أطلق عليه السيوطي<sup>(٥)</sup> اسم إعجاز القرآن الكبير.<sup>(٦)</sup>
- ١٣- كتاب إعجاز القرآن الصغير: وهو شرح لكتاب الواسطي<sup>(٧)</sup> .

- 
- (١) فوات الوفيات : ٢ / ٣٦٩ .
- (٢) عبد القاهر الجرجاني ، أحمد مطلوب : ٤٥ .
- (٣) فوات الوفيات : ٢ / ٣٦٩ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٣ / ٢٤٢ ، شذرات الذهب : ٣ / ٣٤٠ ، معجم المؤلفين : ٥ / ٣١٠ .
- (٤) هدية العارفين : ١ / ٦٠٦ .
- (٥) هو محمد بن يزيد الواسطي عالم متكلم من علماء المعتزلة عاش في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة ، وتوفي سنة (٣٠٦ هـ) ، وقيل (٣٠٧ هـ) اشتهر بكتابي : الإمالمة ، وإعجاز القرآن ، انظر ترجمته :
- الفهرست لابن النديم : ٢٤٥ ، شذرات الذهب : ٢ / ٢٩٩ ، كشف الظنون : ١ / ١٢٠ .
- (٦) بغية الوعاة : ٢ / ١٠٦ .
- (٧) نزهة الألباء : ٣٦٣ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٣ / ٢٤٢ ، بغية الوعاة : ٢ / ١٠٦ .



- ١٤ الرسالة الشافية :
- وهي رسالة في إعجاز القرآن مطبوعة ضمن كتاب " ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " وأطلق عليه ابن شاعر الكتبي اسم " إعجاز القرآن " (١).
- وله في البلاغة :
- ١٥ دلائل الإعجاز .
- ١٦ أسرار البلاغة .
- وهما من أعظم مصنفاة وأكبرها فائدة قال عنها طاش كبري زاده :
- " ومن جملة مصنفاة دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة في علمي المعاني والبيان ، وهما الآية الكبرى واليد البيضاء في العلمين المذكورين ، وإليهما ينتهي علم من تأخر في ذمك العلمين " (٢).
- وله كتب متفرقة في الأدب :
- ١٧ المختار من دواوين المتنبي والبحثري وأبي تمام .
- وقد اعتنى بنسخه وتصحيحه ، والتعليق عليه الأستاذ " عبدالعزيز الميني " ونشره ضمن كتاب الطرائف الأدبية (٣).
- ورأى أنه سار فيه على مذهب أستاذة القاضي الجرجاني ، وذلك في تقديم البحتري على أبي تمام (٤).
- ١٨ وذكر البديعي في الصبح المنبي أن لعبد القاهر كتاباً في شرح ديوان المتنبي (٥).
- ١٩ مختار الاختيار: في فوائد معيار النظائر في المعاني والبيان والبديع والقوافي . والذي نبه لهذا الكتاب إسماعيل باشا البغدادي (٦).

(١) فوات الوفيات : ٢ / ٣٦٩ .

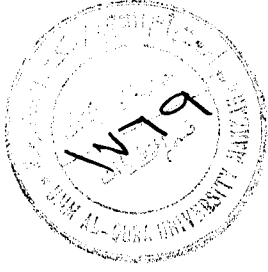
(٢) مفتاح السعادة : ١ / ١٥٧ - ١٥٨ .

(٣) الطرائف الأدبية : ٢٠١ .

(٤) المرجع السابق : ٢٠٠ .

(٥) الصبح المنبي : ٢٦٨ .

(٦) هدية العارفين : ١ / ٦٠٦ .



٢٠- التذكرة :

وأشار إليه القفطي حيث قال :

" وله مسائل منشورة أثبتتها في مجلد ، هو " كالتذكرة " له لم يستوف القول حق الاستيفاء في المسائل التي سطرها (١) .

٢١- المفتاح :

ولم يذكر المترجمون غير اسمه (٢) .

هذا هو تراثه العلمي المتين الذي ورثه للعلماء من بعده ، وهو بحق تراث زاخر بالفوائد الجمة .

أما عن أدب الشيخ وكتابه الشعرية ، فهي لا تعد شيئاً بجانب ذلك التراث الضخم . إنما هي محاولات قام بها الشيخ للتعبير عن بعض ما يعتور في نفسه من إحساس بالتشاؤم والضيق ، وهي محاولات ينقصها الخيال الفني البارع . ومن هذه الأبيات :

هَذَا زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ (٣)

سِوَى النَّذَالَةِ وَالْجَهَالَةِ

لَمْ يَسْرِقْ فِيهِ صَاعِدٌ

إِلَّا وَسُلِمَهُ النَّذَالَةُ (٣)

وهذان البيتان يظهران فلسفة الشيخ في الحياة ، وهي فلسفة متشائمة تدل على ضيق الشيخ ، وتبرمه من ذلك الزمن المليء بالندالة والجهالة ، وعدم تقدير العلم والعلماء والحفاوة بهما ، وتدلل أيضاً على عفة نفسه وسموها ، وترفعها عن الوصول إلى العلا بغير طريق الشرف .

(١) إنباه الرواة : ٢ / ١٨٩ .

(٢) فوات الوفيات : ٢ / ٣٦٩ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٣ / ٢٤٢ ،

شذرات الذهب : ٣ / ٣٤٠ .

(٣) دمية القصر : ١٣ .

ومن هذه الأبيات أيضا :

كَبَّرَ عَلَى الْعِلْمِ يَا خَلِيلِي

وَمِيلَ إِلَى الْجَهْلِ مِثْلَ هَائِمِ

وَعِشْ حِمَارًا تَعِشْ سَعِيدًا

فَالسَّعْدُ فِي طَالِعِ الْبَهَائِمِ (١)

وأنا أشك في نسبة هذين البيتين للشيخ ؛ وذلك لأن شخصيته الورعة ، وشخصيته العلمية الجادة تأتي عليه التلغظ بمثل هذه الألفاظ ، فهو لم يدرس العلم للكسب المادي حتى يضيق كل هذا الضيق ، وهو رجل علم وتعلم سفتته من أمر الجهل في أول كتابه لذا يبعد أن تكون هذه أبياته ، أو لعله قالهما في أيام الشباب .

وهكذا نرى أن للشيخ عبد القاهر مكانة علمية لا يمكن الغرض منها ومن أحسن شهادة من معاصره الباخري الذي أثنى عليه الثناء الحسن فقال عنه :

" اتفقت على إمامته الألسنة وتجملت بمكانه وزمانه

الأمكنة والأزمنة ، وأثنى عليه طيب العناصر ، وثنيت بسبه

عقود الخناصر ، فهو فردٌ في علمه الغزير ، لا بل هو العلم

القرء في الأئمة المشاهير ، وقد أفادني الشيخ أبو عامر

ما ألقاه بحر الفضل على لسانه ، مانطق لسان الدهر

باستحسانه ، ولست فيما فاتني من كريم مشاهدته واشتبار

لذيذ الشهد من مذاكرته ، أيام أسعدتني الأيام منه

بدنو الدار ، ولف أطناب الخيمتين قُربُ الجوار إلا كمن

وتَّع الماء والخضرة وتدرع الشعثة والغبرة ، وواصل الغربة

وفارق الوطن . . . (٢)

(١) فوات الوفيات : ١/٦١٣ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٥/١٥٠ ، مفتاح

السعادة : ١/١٥٨ .

(٢) دمية القصر : ٢/١٢٠ .

كما أشاد السكاكي في كتابه المفتاح بفضل عبد القاهر، فقال عند حديثه عن

الاستعارة :

" . . . ومدار ترويد الإمام عبد القاهر قدّس الله روحه

لهذا النوع بين اللغوي تارة ، وبين العقلي أخرى على هذين

الوجهين جزاء الله أفضل الجزاء ، فهو الذي لا يزال ينور

القلوب في مستودعات لطائف نظره لا يألو تعليماً وإرشاداً (١) .

كما أشاد بفضل عبد حديته عن الذوق فقال :

" وها هو الإمام عبد القاهر قدّس الله روحه في دلائل

الإعجاز كم يعيد هذا (٢) .

واعتبره صاحب الطراز واضح علم البلاغة ، ومؤسسها الأول قال في فاتحة كتابه :

" وأول من أسّس من هذا العلم قواعده ، وأوضح براهينه ،

وأظهر فوائده ، ورتّب أفانينه ، الشيخ العالم النحرير عليم

المحققين عبد القاهر الجرجاني ، فلقد فكّ قيد الفرائس

بالتقيد . وهدّ من سؤر المشكلات بالتسوير المشيد . وفتح

أزهاره من أكامها . وفقّ أزراره بعد استغلاقتها ، واستبهاها

فجزاه الله عن الإسلام أفضل الجزاء . وجعل نصيبه من ثوابه

أوفر النصيب والإجزاء . وله من المصنفات فيه كتابان ، أحدهما

لقبه " بدلائل الإعجاز " والآخر لقبه " بأسرار البلاغة " (٣) .

ولقد تطرق الدارسون قديماً (٤) وحديثاً لهذه الشخصية الكبيرة الفذة ، إلا أنّ

أهم ما يميز الدراساتين أنّ القدماء أبرزوها شخصية نحوية ، ولم يشر معظمهم إلى

مكانتها البلاغية ، وكانت دراستهم موجزة متشابهة . وما يستغرب له إغفال ياقوت

( ١ ) المفتاح : ١٥٧ .

( ٢ ) المفتاح : ٧٤ .

( ٣ ) الطراز : ١ / ٤ .

( ٤ ) لقد ذكرت الكتب التي ترجمت له قديماً في هامش الصفحة الأولى من ترجمة

الشيخ . انظر ص : ٢ .

الحموي للشيخ في كتابه معجم البلدان ، فهو لم يذكره حين ذكر جرجان ، وكذلك أغفله في كتابه معجم الأدباء ، فلم يتطرق إلى ترجمته إنما أشار إلى اسمه عند ترجمة أحمد بن عبد الله الضرير تلميذ عبد القاهر .<sup>(١)</sup>

كذلك أهمله ابن خلدون فلم يذكره في مقدمته الشهيرة ، وكذلك لم يترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان .

أما الدراسات الحديثة فأبرزت شخصية الشيخ شخصية بلاغية نقدية فذة وامتازت دراستهم بالتفصيل والتعمق ، وهذا يدل على أن لهذه الشخصية قدماً راسخاً في كلاً من المجالين النحوي والبلاغي . فمن الدراسات الحديثة التي أفردت الشيخ بالدراسة :

- ١- عبد القاهر والبلاغة العربية للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، وهو من القطع الصغير ويقع في اثنتين وأربعين ومائة صفحة .
- ٢- عبد القاهر الجرجاني للدكتور أحمد أحمد بدوي " ضمن سلسلة أعمال العرب " وهو من الحجم الصغير ، ويقع في تسع وعشرين وأربعمئة صفحة .
- ٣- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده للدكتور أحمد مطلوب وهو من الحجم المتوسط ، ويقع في سبع وأربعين وثلاثمئة صفحة .
- ٤- تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني للدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفه ، وهو من القطع المتوسط ، ويقع في أربع وستين وستمئة صفحة .
- ٥- النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني " دراسة مقارنة " للدكتور أحمد عبد السيد الصاوي ، وهو من القطع المتوسط ويقع في ست عشرة وأربعمئة صفحة .
- ٦- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر للدكتور عبد الفتاح لاشين وهو من القطع المتوسط ويقع في إحدى وستين ومائتي صفحة .
- ٧- مفهوم الجمال عند عبد القاهر الجرجاني للدكتور أحمد عبد السيد الصاوي وهو من القطع المتوسط ، ويقع في ثلاث وتسعين صفحة .

- ٨ - نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني للدكتور وليد محمد مراد .
- ٩ - نظرية العلاقات بين عبد القاهر والنقد الغربي للأستاذ محمد نايل .
- ١٠ - نظرية عبد القاهر في النظم للدكتور د رويش الجندي .
- ١١ - النظم في دلائل الإعجاز للدكتور مصطفى ناصف وهو ضمن حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس يناير سنة ١٩٥٥ م .
- ١٢ - المقاييس الجمالية عند عبد القاهر الجرجاني وهو رسالة ماجستير لسيد حجاب ، وهو في جامعة الأزهر كلية اللغة العربية .
- أما عن الكتب التي أفردت له بعض الفصول فهي كثيرة نذكر منها :-
- ١٣ - قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث للدكتور محمد زكي القشماوي ذكره تحت عنوان :
- " نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني " من ص ( ٣٠٢-٣٧٢ ) ثم ذكره عند حديثه عن منهج الآمدي في الموازنة بعنوان :
- " عبد القاهر والسرقة الشعرية " .
- ١٤ - أثر النحاة في البحث البلاغي للدكتور عبد القادر حسين . وقد أفرد له الباب الرابع من الكتاب ، تحت عنوان :
- " البلاغة في القرن الخامس الهجري " وذلك من ص ( ٣٥٨-٤٠٩ ) . هذا عدا كثير من الإشارات المتكررة في كل موضع من الكتاب تقريباً .
- ١٥ - من الوجهة النفسية للدكتور محمد خلف الله أحمد . تحدث عن الشيخ من ص : ( ٣٢-٣٣ ) تحت عنوان :
- " عبد القاهر الجرجاني ونظريته النفسية " ، ثم أفرد له الفصل الرابع بعنوان :
- " المنزع النفسي في بحث أسرار البلاغة " من ص ( ٩٩-١٥٤ ) .
- ١٦ - البلاغة تطور وتاريخ للدكتور شوقي ضيف تحدث عنه في الفصل الثالث تحت عنوان :-
- " ازدهار الدراسات البلاغية " من ص ( ١٦٠-٢١٩ ) .

- ١٧ - في الميزان الجديد للدكتور محمد مندور  
تحدث عن الشيخ من ص : ( ١٧٣-١٨٨ ) تحت العناوين التالية :-  
" نظرية عبد القاهر الجرجاني " .  
" النظم عند الجرجاني " .  
" الذوق عند الجرجاني " .
- ١٨ - مقالات في تاريخ النقد العربي للدكتور " داود سلوم " أفرد له الفصل  
السادس تحت عنوان :
- " عبد القاهر الجرجاني وكتابه دلائل الإعجاز " من ص ( ٣٧٤-٣٨٧ ) .
- ١٩ - " البلاغة عند السكاكي " للدكتور أحمد مطلوب ذكره في الفصل الأول تحت  
عنوان :
- " أثر عبد القاهر " من ص : ( ٢٠٧-٢٣٣ ) .
- ٢٠ - " من قضايا النقد والبلاغة " للدكتور: توفيق الفيل أفرد له الفصل الثاني  
تحت عنوان :
- " التصوير الفني " من ص : ( ٦٩-١١٤ ) ثم ذكره من ص : ( ٢٠٨-٢١٥ ) .
- ٢١ - " النقد الأدبي الحديث " للدكتور محمد غنيمي هلال ذكره في الفصل  
السادس تحت عنوان :
- " اللفظ والمعنى " من ص : ( ٢٦٨-٢٩١ ) .
- ٢٢ - " نظرية المعنى في النقد العربي " للدكتور مصطفى ناصف ، ذكره في  
الفصل الأول تحت عنوان : " نظام الكلمات " من ص ( ١٠ - ٣٥ ) ، ثم  
ذكره في الفصل الثاني تحت عنوان : " الصورة العادية والصورة المنمقة " من ص ( ٤٣-٥٢ ) ومن ص : ( ٥٩-٦٥ ) إلى غير ذلك من الإشارات  
المتناثرة في ثنايا الكتاب .
- ٢٣ - " تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية " للدكتور : مهدي صالح  
السامرائي ذكره في الفصل الثاني تحت عنوان :
- " نظرية عبد القاهر في وجهها العلمي " من ص : ( ٩٢ - ١٠٧ ) .

- وذكره في فصل المجاز من ص : ( ١٢١-١٢٤-١٣٦ ) .
- ثم ذكره في الفصل الثالث عند حديثه عن التعليل من ص : ( ١٦٦-١٦٢ )
- ثم أفرد به بالحديث في الفصل الثالث من الباب الثاني تحت عنوان :
- " الإعجاز البياني في نظرية عبد القاهر " من ص : ( ٢٤٩-٢٥٧ ) .
- ٢٤ - " دراسات في النقد الأدبي " للدكتور : وليد قصاب ذكره عند حديثه
- عن " فكرة النظم وأثرها في حل مشكلات النقد العربي " من ص : ( ٧١-٨٤ ) .
- ٢٥ - " من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم " للدكتور : عثمان موافي ، أشار إليه في الفصل الرابع عند حديثه عن اللغة وارتباط الألفاظ بعضها ببعض من ص : ( ١٠١-١١٩ ) .
- ٢٦ - " أساليب بلاغية " للدكتور أحمد مطلوب ، ذكره في الفصل الأول تحت عنوان : " الفصاحة والبلاغة " ، وتحدث عنه من ص : ( ٣١-٣٧ ) ، ثم ذكره ص ٥٧ هذا مع الإشارات المتفرقة في الكتاب .
- ٢٧ - " النقد المنهجي عند العرب " للدكتور محمد مندور ، ذكره في الفصل السابع وعنوانه " تحول النقد إلى بلاغة " وتحدث عنه من ص : ( ٣٣٢-٣٣٩ ) .
- ٢٨ - " آراء الجاحظ البلاغية وتأثيرها في البلاغيين العرب حتى القرن الخامس الهجري " للدكتور أحمد أحمد فشل ، ذكره في الفصل الثاني من الباب الثالث عند ذكره قضية اللفظ والمعنى .
- ٢٩ - التفكير البلاغي عند العرب للدكتور حمادي صمود ذكر الشيخ في موضعين :
- ١- في الفصل الأول من القسم الأول من ص : ٨٠-٨٣ عند حديثه عن المؤثرات الأجنبية ، وتكلم عن مدى تأثير الشيخ بالبلاغة الأجنبية .
- ٢- في القسم الثالث تحت عنوان " أهم قضايا التفكير البلاغي إلى القرن السادس " تحدث عن نظرية النظم في الدلائل والأسرار من ص : ٤٩٧-٥٢٩ .
- هذا إلى جانب كثير من الكتب التي لا يمكن حصرها في هذا الموضع وهي مثبتة في ثنايا البحث .



ب - دراسة موجزة عن كتاب -

\* دلائل الاعجاز \*

لقد آثرت أن أضيف إلى خطة البحث هذا البحث ، لأنني وجدت أن الآراء  
قد تضاربت في طريقة ومنهج كتاب الدلائل ، وأيهما أسبق الدلائل أو الأسرار ،  
كما أن بعض الأکسن أخذت تدين أصالته ، فرأيت أنه من الضروري أن أتطرق  
لهذا الموضوع ، لاسيما أنني أعيش هذا الكتاب ، وأعالج موضوعاته من حيث  
الشواهد ، فكل ما قيل فيه من آراء ، ودار حوله من نقاش يمس موضوعي أيّ مساس .  
وسأتوخى في هذه الدراسة الإيجاز الذي يلقي الضوء على الحقائق .

لقد حاول كثير من المحدثين البحث عن أى الكتابين أسبق في التأليف ، ولم يصلوا في ذلك إلى نتيجة حتمية إذ أنَّ الشيخ عبد القاهر لم يصرِّح في كتابيه بأسبقية أحد الكتابين فليس هناك دليل قاطع يحتج به .

ومن رأى أن الدلائل أسبق :

الذكتور تسويحي ضبيث<sup>(١)</sup> ، محمد خلف الله أحمد<sup>(٢)</sup> ، أحمد مطلوب<sup>(٣)</sup> ، أحمد أحمد بدوي<sup>(٤)</sup> ،

وحجتهم في ذلك أن موضوع الدلائل موضوع ذو أهمية كبيرة عند المؤلف ، فقد عُني فيه بالدلالة على إعجاز القرآن ، وكان هذا شغله الشاغل ، فهو كتاب عام في النظرية الأدبية ومدى اتصالها بإعجاز القرآن الكريم .

أما كتاب الأسرار فهو بحث خاص في البيان ، وهو أدق وأوضح من الدلائل ، كما أنه يحتوى على آراء نفسية لم تعرف طريقها في الدلائل ، وهذا يدل على تطور الفكر عند الشيخ .

ومن ذهب إلى أن الأسرار أسبق :

والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي<sup>(٥)</sup> ، حفني محمد شرف الذي قطع وجزم بشأن

دلائل الإعجاز ألف بعد أسرار البلاغة<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) البلاغة تطور وتاريخ : ١٩٠-١٩١-٢٠٤ .

( ٢ ) من الوجوه النفسية : ١٠١ .

( ٣ ) عبد القاهر ، أحمد مطلوب : ٣٣ .

( ٤ ) عبد القاهر أحمد أحمد بدوي : ٦٦ .

( ٥ ) عبد القاهر والبلاغة العربية ، محمد عبد المنعم خفاجي : ٣٥ .

دلائل الإعجاز ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي : ٦٥٥ .

( ٦ ) مقدمة بديع القرآن : ٢٧ .

وحجة هذا الفريق :-

أن في الدلائل إشارات من ألفاظ وُجمل تُحيل على كتاب سابق في البلاغة قد يكون هو كتاب " الأسرار " إلى غير ذلك من الحجج التي لا يمكن القطع والجزم عن طريقها بأسبقية أحد الكتابين .

وللدكتور الفاضل : " على محمد العماري " أدلة يرى أنها تكاد تكون حاسمة في أن " أسرار البلاغة " كان سابقاً للدلائل .

ومن هذه الأدلة أن الشيخ عبد القاهر روى عن الآمدي - في الأسرار - أنه وازن بين بيتين أحدهما للبحثري وهو :

فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنْ تَبْرٍ وَمِنْ وَرِقٍ . . . وَحَاكَ مَا حَاكَ مِنْ وَشْيٍ وَدِيْبَاغٍ

والآخر لأبي تمام ، وهو :

إِذَا الْغَيْثُ غَادَى نَسَجَهُ خَلَّتْ أَنَّهُ . . . خَلَّتْ حِقَبٌ حَرَسَ لَهُ وَهُوَ حَاكُكَ

وقوله في بيت البحثري : " صوغ الغيث ، وحوكه النبات ليس باستعارة ، بل هو

حقيقة ، وقوله في بيت أبي تمام : " إن لفظة حائك خاصة في غاية الركافة ، إذا أخرج على ما أخرج عليه أبو تمام في قوله . . .

وهذا قبيح جداً ، والذي قاله البحثري " وَحَاكَ مَا حَاكَ " حسن مستعمل ، فانظر ما بين الكلامين لتعلم ما بين الرجلين .

قال الشيخ عبد القاهر :

" قد كتبت هذا الفصل على وجهه ، والمقصود منه أن تطلق

الاستعارة على الصَّوْغِ وَالْحَوَكِ ، وقد جعلنا فعلاً للربيع ، واستدلنا على

ذلك بامتناع أن يقال : وكأنه صائغ ، وكأنه حائك ، اعلم أن هذا

الاستدلال كأحسن ما يكون ، إلا أن الفائدة تتم بأن تبين جهته ،

ومن أين كان كذلك (١) .

ثم يبين الشيخ عبدالقاهر جهة استدلال الآمدي ، ومعنى ذلك أنه مؤمن بقوليه بل معجب به غاية الإعجاب .

ثم نراه في الدلائل يذكر نفس الفصل ، ولكنه يخطي " الآمدي " بل يعجب من نفسه أنه ظل زمنًا يعتقد صحة مقاله هذا الناقد ، قال عبدالقاهر :

" ومن ذلك أنك ترى من العلماء من قد تأول في الشيء ، وتأويلًا ، وقضى فيه بأمر ، فتعتقده اتباعًا له ، ولا ترتاب أنه على ما قضى وتأويل ، وتبقى على ذلك الاعتقاد الزمان الطويل ، ثم يلوح لك ما تعلم به أن الأمر على خلاف ما قدر<sup>(١)</sup> "

ثم يذكر البيهقي ، وقول الآمدي فيهما على نحو ما في الأسرار ، ثم يذكر ما ذهب إليه الآمدي ، ويعقب عليه بوجهة نظره الجديدة المخالفة للآمدي ، فعبدالقاهر كان يعتقد رأي الآمدي ولا يرتاب في قضائه بالنسبة لبيت أبي تمام ، وقد مضى عليه في ذلك الاعتقاد الزمان الطويل ، ثم تبين له أن الآمدي وقع في سهو حين قضى بما قضى به .

ومعنى ذلك أن عبدالقاهر ألف الأسرار أولاً ، ثم مضى على ذلك زمن طويل انتهى فيه من تأليف الدلائل ، فمن العجيب أن القصة ذكرت في آخر كل من الكتابين<sup>(٢)</sup> . ومن الأدلة التي أشار إليها الدكتور العماري أن في الدلائل ما يشعر بأن الشيخ ألف الكتاب في زمن متأخر من حياته ، فهو يقول في " المدخل " :

" وقد دخلت بأخرة في كلام<sup>(٣)</sup> من أصغى إليه وتدبره تدبرني دين ، وفتوة دعاه إلى النظر في الكتاب الذي وضعناه ، ويعنه على طلب ما دونناه<sup>(٤)</sup> "

- 
- ( ١ ) الدلائل ، رضا : ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، خفاجي : ٥٠٣ .  
شاكر : ٥٥٣ .
- ( ٢ ) قضية اللفظ والمعنى - مخطوطة بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر : ١١١-١١٢ .
- ( ٣ ) في الدلائل تحقيق شاكر :
- ( ٤ ) الدلائل ، رضا : ٤٥ ، خفاجي : ٤٥ ، شاكر : ٣-٤ .

ويقول في آخره :

" وإنيك لتتنظر في البيت دهرًا طويلًا ، وتفسره ، ولا ترى أن فيه شيئًا لم تعلمه ، ثم بيد ولك فيه أمر خفي لم تكن قد علمته ، مثال ذلك بيت المتنبي :

عَجِبًا لَهُ حَفِظَ الْعَيْنَانَ بِأَنْمَلٍ . : مَا حَفِظَهَا الْأَشْيَاءَ مِنْ عَادَاتِهِمْ  
مضى الدهر الطويل ، ونحن نقرؤه فلا ننكر منه شيئًا ، ولا يقع لنا أن فيه خطأ ، ثم بان بأخيرة أنه قد أخطأ " (١)

فيستنبط الدكتور العماري أن الدهر الطويل ، والزمان الطويل ، وإدراكه الشيء بأخيرة " كل ذلك يدل على أن عبدالقاهر ألف الدلائل في زمن متأخر ربما كان في آخر حياته .

وما يرجح الدكتور أنه دليل على أسبقية الأسرار قول الشيخ في الدلائل :  
" وأما المجاز فقد عول الناس في حده على حديث النقل وأن كل لفظ نقل عن موضعه فهو مجاز ، والكلام في ذلك يطول ، وقد ذكرت ما هو الصحيح من ذلك في موضع آخر " (٢)

وقد ذكر الأستاذ رشيد رضا في هامش الكتاب :

" لعله يريد بالموضع الآخر كتاب " أسرار البلاغة " (٣)

وقد أيد الدكتور العماري ما ذهب إليه الأستاذ رشيد رضا ورجحه بدليلين :  
الأول : لأنه لم يتقدم في الدلائل ، على هذه الكلمة ذكر المجاز ، وقد قال :  
" ذكرت " ، فدل على أنه ذكره في كتاب آخر .

الثاني : أنه حقيقة ذكر حديث نقل المجاز في " الأسرار " وأطال فيه ، وضح أنه مجاز لغوي .

( ١ ) الدلائل : رضا ؛ ٤٢٤ ، خفاجي ٥٠٢ ، شاکر : ٥٥١ .

( ٢ ) الدلائل ، رضا : ٥٥٣ .

( ٣ ) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

ومن الأدلة المرجحة - أيضا - أن عبدالقاهر ، وهو يُعَلِّي من شأن النحو ، قال :  
 " وضربوا له المثل بالملح - كما عرفت (١) .

وكأنه يشير إلى عرضه هذا المثل في " الأسرار " والإطالة في شرحه ،  
 وتصحيح وجه الشبه فيه (٢) ، والتعبير بالفعل الماضي يرجح هذه الإشارة .

ولو كان يريد بـ " عرفت " كلام العرب لعبر بالمضارع وقال : كما - تعرف " ، لأن هذا  
 المقام - حينئذ - له (٣) .

هذا عن أسبقية أحد الكتابين - ولقد أطلت الحديث عن أدلة الدكتور العماري -  
 لعلها تضيء جانبا جديداً في هذا الموضوع .

أما عن موضوع الدلائل : فهو قائم على إثبات نظرية النظم للإرشاد إلى إعجاز  
 القرآن ، فالبلاغة ليست في اللفظ في حال أفراده وأنقطاعه عما يليه ، بل البلاغة  
 تكمن في تلك العلاقات التي تربط كل لفظة بالتي تليها بحيث يأخذ بعض الألفاظ  
 برقاب بعض ، وتكون كل لفظة سبباً في التي تليها .

وليس النظم عنده هو ضم الشيء إلى الشيء على أي حال وكيفما اتفق بل النظم  
 في ترتيب الألفاظ بحسب ترتيب المعاني في النفس مع توخي معاني النحو .

وسار الشيخ في كتابه الدلائل يبرهن ويدلل على صحة ما ذهب إليه . وساقه  
 حماسه لهذه الفكرة إلى التكرار ، وعدم تنسيق أبواب الكتاب .

أما عن منهج الشيخ ، وتناوله للموضوعات وأسلوبه في الكتابة فقد تضاربت الآراء ،  
 ووجهات النظر في ذلك ، فمن قائل بأنه نهج أسلوب المتكلمين والفلاسفة ، ومن قائل  
 بأن أسلوبه أدبي محض لا تعقيد فيه - وسأرجي التفصيل في هذا الموضوع إلى الفصل  
 الثاني " الذوق " من الباب الثاني .

أما عن مصادر الشيخ ، فقد اختلف الباحثون في منبعها ، هل هي ذات جذور

( ١ ) الدلائل ، رضا : ٦ ، خفاجي : ٥٩ ، شاکر : ٨ .

( ٢ ) الأسرار : - هـ ، ريتز - : ٦٥ .

( ٣ ) قضية اللفظ والمعنى : ٢٤٣ - ٢٤٤ .

عربية أصيلة ، أو أنه استقاها من روافد أجنبية .

وهذه النقطة يصعب عليّ تتبعها في هذه العجالة ، لأنها تحتاج إلى بحث متقن يتتبع آراء عبد القاهر مع مقارنتها بآراء كل من سبقوه ، ومقارنتها أيضا بالكتب المترجمة في عصره . وهذا بحث قائم بذاته .

ولكنني أستطيع أن أشير إلى مآراء الباحثون في هذا المضمار .

فمنهم من يجزم بتأثره بالثقافة اليونانية في كثير من أفكاره ، وزعيم هذا الرأي الدكتور طه حسين الذي رأى أن الشيخ عبد القاهر قد استطاع أن يوفق بين البلاغتين العربية واليونانية ، وأنه متأثر في كتابه أسرار البلاغة بما عربه ابن سينا في " العبارة " في كتاب الخطابة لأرسطو ، واعترف بأنه شارح جيد لبلاغة أرسطو ، ورأى كذلك أنه قد تأثر بأرسطو في فصل الحقيقة والمجاز المرسل ، أما المجاز العقلي فنراه يسلم بأنه من ابتكار عبد القاهر .

قال في المقدمة التي قدم بها كتاب نقد النثر عند تحقيقه :

" . . . لم يكن عبد القاهر الجرجاني عندما وضع في القرن الخامس كتاب " أسرار البلاغة " المعتبر غرة كتب البيان العربي إلا فيلسوفاً يجيد شرح أرسطو والتعليق عليه " .

وقال في موضع آخر :

" على أن مجهود ابن سينا لم يكن ليذهب عبثاً ، لقد عرب كتاب " الخطابة " إذا صح هذا التعبير ، وجعله في متناول الفكر العربي ، وبذلك هيأ أسباب التوفيق بين البيانيين اللذين عاشا متجاورين دون أن يتلاقيا ويتآلفا . وقد تحقق هذا التوفيق في القرن الخامس على يد عبد القاهر الجرجاني الذي سبق ذكره . صنف عبد القاهر كتابين يعتبران بحق أنفس ما كتب في البيان العربي . هما " أسرار البلاغة " و " دلائل الاعجاز " فعندما نقرأ أولهما نكاد نجزم بأن المؤلف قرأ الفصل الذي عقده ابن سينا " للعبارة "



وانه فكر فيه كثيرا وحاول ان يدرسه دراسة نقد وتمحيص . . . فمجاز ارسطو هذا هو ما يسميه عبد القاهر " مجازا مرسلًا" <sup>(١)</sup> واما المجاز الذي يقوم على التشبيه والذي يسميه ارسطو "صورة" فيسميه عبد القاهر " استعارة " وهو لفظ كان القدماء يطلقونه على المجاز بكافة

انواعه . . . اما المجاز العقلي " فهو من ابتكار عبد القاهر " . . . " (٢) وكذلك رأى الاستاذ محمد خلف الله ان عبد القاهر تأثر بـ ارسطو في المنزع النفساني

العام وفي بعض الأسرار التي اهتدى اليها . قال :

" . . . ان عبد القاهر تأثر - على نحو ما - بالبحوث الاغريقية المترجمة ، وانتفع بها

انتفاعا ظاهرا في دراسته لآثار البلاغة ، وهذا التأثر اظهر ما يكون في النواحي

التفريعية والتحقيقية . . . ولكنه باد ايضا في المنزع النفساني العام عند عبد القاهر

وفي بعض الأسرار التي اهتدى اليها في كتابه " <sup>(٣)</sup> .

وبعد ان اثبت هذا التأثر حاول ان يثبت أصالة الشيخ عبد القاهر ، وان هذا التأثر

لا ينفى عنه صفة العالم المبتكر . (٤)

وممن جزم بهذا التأثر ايضا الدكتور احمد مطلوب ، فبعد ان قلب آراء الباحثين في

تأثر عبد القاهر بأرسطو قال :

" لقد حاولنا ان نربط بين عبد القاهر وسابقه ، وقد اتضح انه أفاد مما كتب العرب

وانه لابد قداطلع على ما كتب ابن سينا في الخطابة ، ولكن ليس معنى ذلك انه صدر فيما

كتب عن ارسطو ، لأن الفرق بين الرجلين عظيم " <sup>(٥)</sup> .

وممن ذهب الى هذا الرأي الأستاذ أمين الخولي <sup>(٦)</sup> . الذي استبدل على هذا التأثر

(١) في الحقيقة ان عبد القاهر لم يسم المجاز مجازا مرسلًا ولكن الذي حصل انه وجد في اواخر كتابه اسرار البلاغة تحقيق " رشيد رضا " فصلا تحت عنوان " هذا كلام في ذكر المجاز وفي بيان معناه وحقيقته وفيه بيان المنقول والمشارك والمجاز المرسل وعلاقته " وهذا العنوان يوحى بان عبد القاهر هو الذي وضع المصطلح اذ لم توجد هذه التسمية قبله وبالبحث تحت هذا العنوان نجد مادة هذا المجاز ومعناه ، ولكنه لم يسمه في اثناء الشرح ، والراجح ان محقق الكتاب هو الذي سماه لما رأى مناسبة للمضمون .

(٢) نقد النثر - سابقا - : ٣٨ - ٣٩ .

(٣) من الوجهة النفسية : ١٥٢ .

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٥) عبد القاهر الجرجاني ، احمد مطلوب : ٣٠٥ .

(٦) مناهج تجديد : ١٥٤ / ١٥٥ .

بإشارة عبدالقاهر إلى أهل الخطابة ونقد الشعر.

قلت : وقد ذكر الشيخ عبدالقاهر أهل الخطابة ونقد الشعر في موضعين : الأول

عند حديثه عن المجاز حيث قال :

" ولهذا الموضوع تحقيق لا يتم إلا بأن يوضع له فصل مفرد ، والمقصود

الآن غير ذلك ، لأن قصدي في هذا الفصل أن أبين أن المجاز أعم من

الاستعارة ، وأن الصحيح من القضية في ذلك أن كل استعارة مجاز ،

وليس كل مجاز استعارة ، وذلك أننا نرى كلام العارفين بهذا الشأن ، أعني

علم الخطابة ، ونقد الشعر ، والذين وضعوا الكتب في أقسام البديع<sup>(١)</sup>.

ف قوله الأخير " والذين وضعوا الكتب في أقسام البديع " ، وهو يريد به العارفين

بهذا الشأن يدل دلالة قاطعة على أنه لا يريد فلاسفة اليونان ، لأنه لا يُعرف أن هؤلاء

وضعوا الكتب في أقسام البديع .

والموضع الثاني عندما تحدث عن صنيع ابن دريد ، وكلامه عن الاستعارة حيث قال :

" فالوجه في هذا الذي رأوه من إطلاق الاستعارة على ما هو تشبيه كما هو

شرط أهل العلم بالشعر ، وعلى ما ليس من التشبيه في شيء<sup>(٢)</sup>.

وفي الرد على الأستاذ أمين الخولي ومن سار في إثره يقول الدكتور حمادي صمود :

" فأمين الخولي ، ومن لقلفه حاول لإثبات التأثر ، الوقوف في مؤلفات

الرجل - يعني عبدالقاهر - على الدليل المادي ، فرأى أن إشارته مرتين

متتاليتين إلى " أهل الخطابة ونقد الشعر " دليل على أنه ينسب الطريقة

البلاغية لأهل الخطابة " ويعتبرهم العارفين بهذا الشأن " ، وليس فسي

هذه الإشارة ما يدل على أن المعنى كتاب أرسطو .

والقصد من السياقين المذكورين التفريق بين منهجين في دراسة الاستعارة ،

منهج الأدباء والعالمين بالشعر ، ومنهج اللغويين ، مع أننا لانعدم فسي

( ١ ) أسرار البلاغة - هـ ، ريتز - : ٣٦٨ .

( ٢ ) المصدر السابق : ٣٦٩ .

التراث السابق واللاحق عند الحديث عن أصناف المتعاملين مع النص الأدبي بإشارات من هذا القبيل (١) .

ثم ذكر الدكتور حمادي صمود في الهامش أن المبرد في " الكامل " استعمل في موضعين قوله : " العلم بجواهر الكلام " (٢)

وكذلك ذكر الآمدي في الموازنة : " أهل المعاني ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام " (٣)

أضف إلى ذلك قول قدامة :

" والفلو عندني أجود المذهبيين ، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً ، وقد بلغني عن بعضهم أنه قال :  
" أحسن الشعر أكذبه " .

وكذا يرى فلاسفة اليونان في الشعر على مذهب لغتهم (٤) .

ويبدو لي أن المراد بأهل الفهم في هذا الكلام هم غير فلاسفة اليونان بدليلين :

الأول : عطف فلاسفة اليونان عليهم ، والعطف يقتضي المغايرة .

الثاني : أن الشعالي ذكر في بعض كتبه (٥) أن أول من قال :-

" أحسن الشعر أكذبه " هو حجر بن عمرو الكندي والد أمري، القيس،

ولعل هذا ما عناه قدامة بقوله " بعضهم " .

ومن استند إلى رأي الخولي - السابق - الدكتور شكري عياد ، والدكتور شوقي صيف (٧)

(١) التفكير البلاغي عند العرب : ٨١

(٢) الكامل - مكتبة المعارف - : ١ / ٢١ ، ٦٠١ .

(٣) الموازنة : محمد محيي الدين عبد الحميد : ١٠٠ .

(٤) نقد الشعر : ٢٦ .

(٥) ذكر ذلك في كتابه " الإعجاز والإيجاز " : ٦٣ .

(٦) كتاب أرسطو طاليس في الشعر : ٢٤١ .

(٧) البلاغة تطور وتاريخ : ١٩١ .

أما الدكتور أحمد بدوي فإنني أراه شديد التحفظ عند الإدلاء برأيه ، فهو لم يصرح بنفي هذا التأثير نفيًا قاطعاً ، فعبارته التي صاغ بها رأيه ، وقولـه : بأنه يقف موقف الشاك لا يوضح رأيه تماماً ، ثم إن قوله بأن صمت عبد القاهر يثير فيـه الريب في أن الشيخ قد نقل نقلاً مباشراً ، يفهم منه أنه لا يمانع في أن الشيخ نقل من أرسطو نقلاً غير مباشر . قال :

" إن صمت عبد القاهر عن الحديث عن آراء أرسطو يثير في الريب في أن صاحب الدلائل والأسرار قد نقل نقلاً مباشراً عن الفيلسوف الإغريقي ، فإنه حتى في فكرة النظم التي وقف عليها كتابه دلائل الإعجاز قد نقل عن العلماء ما يؤيد ها ، كما نقل عن العلماء كثيراً ما يؤيد أفكاره التي كتبها في أسرار البلاغة فإذا كان قد نقل عن أرسطو ، فلم يكن الفيلسوف اليوناني بمن يستر عبد القاهر الأخذ عنه ، ولذلك أقف في ريبة من أمر دراسة عبد القاهر للثقافة الإغريقية المرتبطة بالبلاغة والنقد الأدبي (١) .

أما الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي فإنه يرى أن الشيخ عبد القاهر قد تأثر بطريق غير مباشر ببلاغة اليونان قال :

" ويظهر في الأسرار والدلائل أثر بلاغة اليونان المترجمة في الخطابة والشعر لأرسطو الذين ترجمهما ابن سينا في الشفاء ، وترجمهما غيره ، وقد اقتبس عبد القاهر من هذه الترجمات وتأثر بها (٢) .

أما عن تأثره بمن سبقه من النقاد العرب ، فهذا أمر لم يرفضه أحد من الدارسين ؛ لأن عبد القاهر نفسه قد صرح بهذا الأخذ ، وذلك بذكر أسماءهم في كثير من المواضع ، فنراه يصرح بأخذه من سيويه ( ت : ١٨٠ هـ ) في باب التقديم والتأخير ، وبسبب الحذف (٣) ، كما تأثر بالجاحظ ( ت : ٢٥٥ هـ ) ونقل عنه كثيراً من آرائه وأقواله ، ووافقه

( ١ ) عبد القاهر الجرجاني ، أحمد بدوي : ٣١٢ .

( ٢ ) عبد القاهر والبلاغة العربية ، محمد عبد المنعم خفاجي : ٤٦ .

( ٣ ) الدلائل ، رضا : ٨٤ ، ١١١ ، ١١٢ ، ٢٤٧ .

في بعضها ورد عليه البعض الآخر ، ونقل كلامه في اللفظ والمعنى ، وأخذ ببعض شواهد<sup>(١)</sup> .

ونقل عن ابن قتيبة " ت : ٢٧٦هـ " تقسيمه الشعر إلى أربعة أضرب ، ولكنه لم يصرح بهذا النقل .

كما تأثر الشيخ عبد القاهر بالقاضي الجرجاني صاحب الوساطة في مواضع كثيرة من كتابه ، وأخذ عنه بعض شواهد ، وقد تأثر به أيضاً في باب السرقات ، وقوله بأن المعاني المشتركة المتفقة في الغرض وعموم الدلالة لا تعد سرقة<sup>(٢)</sup> ، وكذلك نقل عبد القاهر عن الآمدي ( ت : ٣٧٠هـ ) كلمته في بيتي الطائيين ، واستدل بهما في الأسرار<sup>(٤)</sup> ، ثم نقدها في الدلائل<sup>(٥)</sup> .

أما نظرية النظم التي بنى عليها كتابه الدلائل فقد أشار إليها كثير من العلماء الذين سبقوا الشيخ من أمثال :

عبد الله محمد بن يزيد الواسطي ( ت : ٣٠٦هـ ) في كتابه " إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه " وخاصة أن الشيخ أهتم به اهتماماً خاصاً فشرحه مرتين<sup>(٦)</sup> .  
ومن أشار إلى قضية النظم أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ( ت : ٣٨٦هـ )<sup>(٧)</sup>  
وأبو سليمان الخطابي ( ت : ٣٨٨هـ )<sup>(٨)</sup> ، والباقلاني ( ت : ٤٠٣هـ )<sup>(٩)</sup> كما تأثر

- 
- (١) الدلائل ، رضا : ٤٦ ، ٧٦ ، ١٩٧ ، ٢٢٦ ، ٢٤٥ ، ٣٨٩ .  
(٢) الدلائل ، رضا : ٢٧٩ ، وانظر الشعر والشعراء : ٧٠ / ١ - ٧٥ .  
(٣) الدلائل رضا : ٣٩٠ ، الأسرار هـ - ريتر : - ٣١٣ - ٣١٤ ، الوساطة : ٢٠٥ .  
(٤) الأسرار : هـ - ريتر : - ٣٥٢ .  
(٥) الدلائل : رضا : ٤٢٥ .  
(٦) أثر القرآن في تطور النقد العربي : ٢٣٤ .  
(٧) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : " النكت في إعجاز القرآن " : ١٠٧ .  
(٨) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " بيان إعجاز القرآن " : ٢٩ .  
(٩) إعجاز القرآن للباقلاني : ١٦٨ وما بعدها .

الشيخ بما كتبه القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسدآبادي ( ت : ١٥٤٥ هـ ) فسي كتابه " المغني في أبواب التوحيد والعدل " (١).

واستبعد الدكتور مهدي السامرائي تأثر الشيخ عبد القاهر بالقاضي عبد الجبار بل ذهب إلى أبعد من ذلك فرأى أن القاضي عبد الجبار لم يرم إلى النظم، ولم يقصده، بل هو يدفعه ويأباه، يقول بعد أن عرض عدة نصوص من كتاب المغني :  
 " بيد ومن مجموعة هذه النصوص أن القاضي عبد الجبار لا يعول على النظم وهو يدفعه ويأباه بكل ما يستطيع، وهو في ذلك يهدف إلى تقويض فكرة النظم التي فشت في بيئة الأشاعرة، إن أساس نظرية عبد القاهر مستمدة من بيئة الأشاعرة، وإن الإمام عبد القاهر وسع مدلولها وأثرها بمواهبه العقلية " (٢).

فهو إن شاء يرى أن هناك فرقاً وبنواً شاسعاً بين نظرة عبد القاهر للنظم وبين نظرة القاضي عبد الجبار، فنظرية عبد القاهر تنطلق من مبدأ الكلام النفسي - المعاني - الذي يؤكد الأشاعرة، أما القاضي عبد الجبار فينتقل من مبدأ الألفاظ الذي يؤكد المعتزلة (٣).

ويرفض الدكتور عبد القادر حسين فكرة تأثر عبد القاهر المطلق بالجاحظ، أو الأمازيغي أو الجرجاني بحجة أنه أشار إليهم في غير موضع من كتابه، أو لأنه نسج على منوال القاضي الجرجاني، أو أنه تأثر بالخطابي، لأنه سبقه إلى الحديث عن النظم أو أنه تأثر بالواسطي، لأنه شرح إعجاز القرآن قبله.

فإن كان القصد أنه انتفع بجهودهم، وأنهم كانوا أشعة أضاءت له الطريق، فهذا أمر لا يتطرق إليه الشك، فما من نظرية تُخلق من العدم، أو تُبنى في الهواء، أما إن كان المراد أنه تأثر بهم تأثراً واضحاً، فهذا رأي مردود، لأن ما أتى به

(١) المغني : ١٦ / ١٩٩٠ .

(٢) تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية : ٩٨ .

(٣) المرجع السابق : ٩٦ .

السابقون هو مجرد إشارات بسيطة ، وأضواء خافتة لاتحدد المعالم ، فلا تعتبر  
 عملاً مدروساً .<sup>(١)</sup>

وأياً ماكان فإن العلماء يأخذ بعضهم عن بعض ، والثقافات تتفاعل ، وتبقى لكل  
 عالم أصالته .

فإن ماذهب إليه الدكتور عبد القادر حسين أمر صحيح يحفظ للشيخ مكانته ،  
 ويعطيه حقه ، وينصفه ممن قد يطعن في أصالته البلاغية بنفي صفة الابتكار عنه ،  
 وينظر إليه على أنه مجرد عارض مجيد لآراء علماء العربية والبيان قبله .

---

( ١ ) أثر النحاة في البحث البلاغي : ٣٦٦ - ٣٦٧ .

ج - معنى كلمة شاهد في اللغة والاصطلاح .



لما كان موضوع هذا البحث دراسة الشواهد كان من الضروري أن أوضح  
 ما المقصود بكلمة شاهد ؟ وأبيّن معناها في اللغة والاصطلاح .

ومن المعلوم أن الاستشهاد بالشواهد الشعرية نهج سار عليه علماء العربية  
 في جميع فروعها ، لتسليمهم بأهميته في ترسيخ القواعد وتوضيحها ، والاحتجاج  
 لصحة المفردات والتراكيب .

وهنا يطراً علينا سؤال :

ما الفرق بين الشاهد النحوي والشاهد البلاغي ؟

وفي هذا البحث أوضحت بعض الفروقات التي ظهرت لي من خلال دراستي  
 لأقوال العلماء فيما يصح الاستشهاد به .

معنى الشاهد في اللغة :-

الشاهد مصدره شهادة ، وهي الخبر القاطع .

- وشَهِدَ كَعَلِمَ وَكَرَّمَ - يقال شَهِدَ الرجل على كذا ، وربما يقال : شَهِدَ الرجلُ بسكون الهاء للتخفيف ، وورد هذا عن الأَخفش ، وقلوبهم أَشْهَدُ بِكُذِّابِ أَحْلِيفَ ،

وَشَهِدَ بِكُذِّابِ يَتَعَدَى بِالْبَاءِ ؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى أَخْبَرَهُ .

وتأتي الشهادة أيضا بمعنى البيان والوضوح ، قال أبو عبيدة : معنى شَهِدَ اللهُ (١)

قَضَى اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . وحقيقته عَظِمَ اللهُ وَيَسَّنَّ اللهُ ؛ لِأَنَّ الشاهد هو العالم

الذي يبين ما علمه ، وقال أبو العباس :

شَهِدَ اللهُ بَيِّنَ اللهِ وَأَظْهَرَ ، وشَهِدَ الشاهد عند الحاكم أَي بَيَّنَّ مَا يَعْلَمُهُ

وَأَظْهَرَ . (٢)

ومن هذا التعريف اللغوي نستطيع أن نقول إن الشاهد البلاغي في الاصطلاح :

هو كل ما يستشهد به البلاغيون من آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، وأقوال

نثرية أو شعرية لتوضيح ، وبيان قاعدة بلاغية .

وما تجدر الإشارة إليه أن هناك فرقا بين الشاهد النحوي ، والشاهد البلاغي .

فالشاهد النحوي يُؤْتَى به لا من أجل توضيح ، وبيان قاعدة ما ، بل للتقعيد والاحتجاج

على قاعدة من القواعد النحوية إطراداً أو شذوذاً .

(١) مشيراً إلى قوله تعالى في سورة آل عمران ، آية (١٨) :

" شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ . . . "

(٢) انظر :

الصحاح : " شهد " : ٤٩٤/٢ ، لسان العرب : " شهد " : ٢٣٩/٢ ،

مختار الصحاح : باب الشين : ٣٤٩ ، المصباح المنير : " شهد " ٣٤٩/١ ،

القاموس المحيط : " شهد " : ٣٥٩/١ ، ٣٦٠ ، تاج العروس :

" شهد " : ٣٩١/٢ .

وهناك فرق آخر :

وهو أن الشاهد النحوي محدد بزمن معين ، فليس كل الشعراء يُحْتَجُّ بأشعارهم .  
فالقاتلون للشعر أربع طبقات : ( ١ )

### الطبقة الأولى :

الجاهليون : وهم الذين لم يدركوا الإسلام كأمريء القيس والأعشى .

### الطبقة الثانية :

المخضرمون : وهم الذين قضا فترة من حياتهم في الجاهلية ثم أدركوا الإسلام  
كلبيد وحسان .

### الطبقة الثالثة :

المتقدمون : ويقال لهم الإسلاميون ، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام  
كجرير ، والفرزدق .

### الطبقة الرابعة :

المؤدّون : ويقال لهم المُحَدِّثُونَ ، وهم من بعد الطبقة الثالثة إلى زماننا هذا  
كبشار بن برد وأبي نواس .

فالطبقة الأولى والثانية يستشهد بشعرهما في جميع علوم الأدب من لغة وصرف  
ونحو، ومعانٍ وبيانٍ وديعٍ وغيرها . وذلك بإجماع العلماء .  
أما الثالثة وهي طبقة الإسلاميين فقد اختلف العلماء في الاستشهاد بكلامها ،  
والصحيح صحة الاستشهاد به .

( ١ ) انظر هذا التقسيم في :

العمدة : ١ / ١١٣ ، المزهر : ٢ / ٤٨٩ ، الخزانة للبغدادي :

تحقيق عبدالسلام هارون : ١ / ٦٥٥

وكان أبو عمرو بن العلاء<sup>(١)</sup>، وعبد الله بن أبي إسحاق<sup>(٢)</sup>، والحسن البصري<sup>(٣)</sup>،  
وعبد الله بن شبرمة<sup>(٤)</sup>، يلحنون الفرزدق والكُميت، وذا الرُّمة، وأضرابهم، وكانوا  
يعدونهم من المولدين، لأنهم كانوا في عصرهم، والمعاصرة حجاب<sup>(٥)</sup>.  
قال ابن رشيق في العمدة :

« كل قديم من الشعراء فهو مُحدَّثٌ في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله،

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول :

(١) هو أبو عمرو زَيَّان بن العلاء المازني من القراء السبعة وإمام البصرة

في اللغة والنحو (ت : ١٥٤ هـ) / انظر ترجمته :

نزهة الألباء : ٣٠-٣٥، إنباه الرواة : ٤ / ١٣١-١٣٩، النجوم

الزاهرة : ٢ / ٢٢، بغية الوعاة : ٢ / ٢٣١، ٢٣٢، المزهر :

٢ / ٤١٨، شذرات الذهب : ١ / ٢٣٧، مراتب النحويين : ٣٣ .

(٢) هو أبو بحر عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، كان قديماً بالعريضة

والقراءة، إماماً فيها . (ت : ١١٧ هـ، وقيل ١٢٧ هـ) / انظر :

نزهة الألباء : ١٨-٢٠، إنباه الرواة : ٢ / ١٠٤، بغية الوعاة :

٢ / ٤٠، أخبار النحويين البصريين : ٤٢-٤٥، طبقات النحويين

واللغويين : ٣١ .

(٣) هو الحسن بن يسار البصري التابعي الأنصاري، إمام أهل البصرة

في القراءة (ت : ١١٠ هـ) / وستأتي ترجمته فيما بعد :

انظر : المعارف لابن قتيبة : ٤٤٠ / ٤٤١، غاية النهاية : ٢٣٥ / ١،

أسماء التابعين للدارقطني رقم (١٨٨) : ١ / ١٠١ .

(٤) هو عبد الله بن شبرمة الضبي، قاضي الكوفة، وشاعرها (ت : ١٤٤ هـ) /

انظر :

أسماء التابعين رقم (٦٠٤) : ٢ / ١٣٤ .

(٥) خزانة الأدب للبغدادي : - تحقيق عبد السلام هارون - : ٦ / ١ .

• لقد أحسن هذا المولد حتى همتُ أن أمر صبياننا بروايته، -يعني بذلك شعر جرير والفرزدق-، فجعله مولداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين.

قال الأصمعي : جلست إليه ثاني حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي (١).  
الطبقة الرابعة : والصحيح عدم الاستشهاد بكلامها مطلقاً . قال السيوطي :  
" أن يكون النقل عمن قوله حجة في أصل اللغة ، كالعرب العاربة ،  
مثل قحطان ومعدّ وعدنان ، فأما إذا نقلوا عمن بعدهم بعد فسَاد  
لسانهم ، واختلاف المولدين فلا (٢) .

وذهب بعضهم إلى إمكانية الاستشهاد بكلام من يوثق به منهم (٣) وهذا الرأي  
الأخير اختاره الزمخشري (٤) وتبعه المحقق الرضي (٥) .

فقد استشهد الزمخشري في كشافه ببعض أبيات لأبي تمام ، وذلك

(١) العمدة : ٩٠ / ١ ، وانظر : المزهري للسيوطي : ٤٨٨ / ٢ .

(٢) المزهري : ٥٨ / ١ .

(٣) خزانة الأدب للبغدادي : " تحقيق عبد السلام هارون " : ٦ / ١ .

(٤) هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الإمام الكبير في

التفسير والحديث والنحو واللغة . من كتبه : " المحاجة بالمسائل النحوية "

" المفرد والمركب " وهو صاحب تفسير الكشاف المشهور ، كان معتزلي

الاعتقاد متظاهراً به ولد سنة ٤٦٧ هـ بزمخشر ، وتوفي سنة ٥٣٨ هـ -

بجرجانية خوارزم . / انظر :

نزهة الألباء : ٣٩١-٣٩٣ ، إنباء الرواة : ٢٦٥ / ٣ ، وفيات الأعيان :

٥ / ١٦٨ ، ١٧٣ ، بغية الوعاة : ٢٧٩ / ٢ ، إيضاح المكنون : ٦٧ / ١ / ٣ ،

٠٨٦ / ٢ / ٤

(٥) هو محمد بن الحسن نجم الملة والدين الإستراباذي صاحب كتاب شرح

الكافية ، وكتاب الشافية - لابن الحاجب - ( ت : ٦٨٦ هـ ) / انظر :

بغية الوعاة : ٥٦٧ / ١ ، مقدمة خزانة الأدب للبغدادي - دار صادر - :

١٢ / ١ ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : ٢٠٧ .

عند تفسيره أوائل سورة البقرة (١).

قال :

" هو وإن كان مُحدّثاً ، لا يُستشهد بشعره في اللغة ، فهو من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى إلى قول العلماء :  
والدليل عليه بيت الحماسة " فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه (٢).  
واعترض عليه بأن قبول الرواية مبني على الضبط والوثوق ، واعتبار القول مبني على معرفة أوضاع اللغة العربية وقوانينها .

ومن الواضح أن إتقان الرواية لا يوجب إتقان الدراية (٣).

جاء في الاقتراح للسيوطي :

" أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة والعربية ، وفي الكشاف ما يقتضي تخصيص ذلك بغير أئمة اللغة ورواتها ، فإنه استشهد على مسألة بقول حبيب بن أوس (٤).

وكذلك قال الزركشي :

" ووقع في كلام الزمخشري وغيره الاستشهاد بشعر أبي تمام ، بل في الإيضاح للفارسي ووجه بأن الاستشهاد بتقرير النّقة كلامهم ، وأنه لم يخرج عن قوانين العرب (٥).

(١) استشهد الزمخشري في تفسيره بأقوال أبي تمام في المواضع التالية :-

١ / ٢٠٥ ، ١ / ٢٢٠ ، ١ / ٢٦٣ .

(٢) الكشاف : ١ / ٢٢٠ ، وذلك عند تفسيره للآية رقم (٢٠) من سورة البقرة

وهي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ ، استشهد ببيت أبي تمام :  
هَذَا أَظْلَمًا حَالِي تَمَّتْ أَجْلِيَا . . . ظَلَامِيهِمَا عَنْ وَجْهِ أَمْرٍ أَشْـَيبِ  
استشهد به على أن " أَظْلَمَ " قد يكون متعدياً منقولاً من ظلم الليل ، ثم ذكر بعد ذلك قوله : " وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره . . . "

(٣) خزانة الأدب للبغدادي - تحقيق عبد السلام هارون - ١ / ٥ - ٧ .

(٤) الاقتراح : ٣٧ .

(٥) الزهر : ١ / ٥٨ .

وكذلك احتج الأُخفش<sup>(١)</sup>، وسيبويه<sup>(٢)</sup> بشعر بشار بن برد<sup>(٣)</sup> - وهو أول الشعراء المحدثين - تقريباً إليه لأنه كان قد هجاها لتركها الاحتجاج بشعره<sup>(٤)</sup> ونقل ثعلب<sup>(٥)</sup> عن الأصمعي<sup>(٦)</sup> أنه قال :

\* ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة وهو آخر الحجج \* .<sup>(٧)</sup>

فالشاهد النحوي إنَّما يرتبط بزمن معين، وهو زمن الجاهليين، والمخضرميين والإسلاميين، أما زمن المولدين والمحدثين، فقد اختلف فيه، والصحيح عدم الاستشهاد بهم .

- 
- (١) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري، وهو المعروف بالأخفش الأوسط، والأخفش أسن من شيخه سيبويه، فقد ولد قبله، ومات بعده، واختلف في سنة وفاته فقيل أنها سنة (٢١٠ هـ أو ٢١١ هـ أو ٢١٥ هـ أو ٢٢١ هـ / انظر ترجمته :
- المعارف : ٥٤٦-٥٤٥، بغية الوعاة : ١ / ٥٩٠، المزهر : ٢ / ٤٦٣ ، طبقات النحويين واللغويين : ٧٢ - ٧٤ .
- (٢) هو عمرو بن عثمان بن قنبر، فارسي الأصل ينتمي بالولادة إلى الحارث بن كعب بن أد وهو إمام النحاة \* ت : ١٦١ هـ / انظر ترجمته :
- المعارف : ٥٤٤، نزهة الألباء : ٥٤، مراتب النحويين : ١٠٦ .
- (٣) هو بشار بن برد بن بهمن ولد ونشأ بالبصرة \* ٩٦ هـ - ١٦٨ هـ / انظر ترجمته :
- الأغاني : ٣ / ١٣٥-٢٥٠، مقدمة شرح ديوانه للطاهر بن عاشور : ١ / ٤٩-٨ .
- (٤) الموشح : ٢٢٤، الاقتراح : ٣٨ .
- (٥) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن سيار المشهور بثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة \* ٢٠٠ هـ - ٢٩١ هـ / انظر ترجمته :
- نزهة الألباء : ١٧٣ - ١٧٤، إنباء الرواة : ١ / ١٣٨، مراتب النحويين : ١٥١، بغية الوعاة : ١ / ٣٩٦، المزهر : ٢ / ٤٦٤ .
- (٦) هو عبد الملك بن قريب بن ياهلة من ولد أصم وهو من أشهر الرواة العرب ولد سنة ٢٢٣ هـ وعمر نيفاً وتسعين سنة / انظر ترجمته :
- المعارف : ٥٤٣-٥٤٤ .
- (٧) هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن هرمة القرشي \* ت : ١٧٦ هـ / انظر ترجمته :
- طبقات ابن المعتز : ٢٠، الشعر والشعراء : ٧٥٧، الأغاني : ٤ / ٣٦٧ ، وستاتي ترجمته فيما بعد .
- العمدة : ٩٠، الاقتراح : ٣٨ .

أما الشاهد البياني ، فلا يرتبط بزمان معين بل يصح الاستشهاد بكلام المولدين ،  
وغيرهم من المتأخرين إلى زماننا هذا .

قال ابن جني :

« يُستشهد بشعر العرب المولدين في المعاني كما يستشهد بشعر  
العرب في الألفاظ » (١)

وأيد ابن رشيق ابن جني فيما ذكره ، وطل صحة الاستشهاد بكلام المحدثين  
في علوم البلاغة ، بأن علوم البلاغة تعتمد على المعاني والمولدون قد حضروا الحواضر ،  
وتغننوا في المشارب ، والمطاعم ، فاتسع الخيال ، وتولدت المعاني .

قال ابن رشيق :

« قال أبو الفتح عثمان بن جني : المولدون يستشهد بهم في المعاني  
كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ ، والذي ذكره أبو الفتح صحيح بَيِّن ، لأن  
المعاني إنما اتسعت لاتساع الناس في الدنيا ، وانتشار العرب بالإسلام  
في أقطار الأرض ، فمَصَّرُوا الأُمصارَ ، وحَضَّرُوا الحواضرَ ، وتَأَنَّقُوا في المطاعم  
والملابس ، وعرفوا بالعيان عاقبة ما دلَّتهم عليه بَدَاهة العقول من فضل  
التشبيه وغيره . . . ومن هنا حكى عن ابن الرومي أن لائماً لاه فقال :

لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ قال : أتشدني شيئاً

من قوله الذي استعجزتني في مثله ، فأنشده في صفة الهلال :

(٢) فَأَنْظَرُ إِلَيْهِ كَزَوْقٍ مِنْ فِضَّةٍ . . . قَدْ أَثَقَلَتْهُ حُمُولَةٌ مِنْ عَنَبٍ (٣)

(١) العمدة : ٢ / ٢٣٦ ، المزهر : ١ / ٥٩ .

ولقد استشهد ابن جني بشعر المولدين في كتابيه الخصائص والمنصف :

انظر : الخصائص : ١ / ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٤٠ ، المنصف : ٢ / ١٩٨ .

(٢) رواية الديوان : « وانظر » .

(٣) ديوان ابن المعتز : ٢٤٧ .



فقال : زدني ، فأشده :

كَانَ أَزْرِيونَ تَهَيَّـا (١) . . . وَالشَّمْسُ فِيهِ كَالِيَمِّ

مَدَاهِنٌ مِنْ نَهَبٍ . . . فِيهَا بَقَايَا غَالِيكَةَ (٢)

فصاح واغوثاه ، يا الله ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ذلك إنما يصف ماعون بيته ،  
لأنه ابن الخلفاء ، وأنا أي شيء ، أصف ؟ (٣)

و كذلك ذكر الحموي في خزانته أن الاستشهاد بأشعار المحدثين في البديع  
لأنقص فيه ثم استشهد على ذلك برأي ابن جنى وابن رشيق السابقين . قال :

• وهنا بحث لطيف، وهو أن الاستشهاد بكلام المولدين، وغيرهم ممن  
المتأخرين ليس فيه نقص، لأن البديع أحد علوم الأدب الستة؛ وذلك أنك  
إذا نظرت في الكلام العربي إما أن تبحث عن المعنى الذي وضع له  
اللفظ، وهو علم اللغة، وإما أن تبحث عن ذات اللفظ بحسب ما يعترسه،  
وهو علم التصريف، وإما أن تبحث عن المعنى الذي يفهم من الكلام المركب  
بحسب اختلاف أواخر الكلم، وهو علم العربية، وإما أن تبحث عن  
مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحسب الوضع اللغوي وهو علم المعانسي،  
وإما أن تبحث عن طرق دلالة الكلام إيضاحاً، وخفاً بحسب الدلالة  
العقلية، وهو علم البيان، وإما أن تبحث عن وجوه تحسين الكلام، وهو  
علم البديع، فالعلوم الثلاثة الأولى يستشهد عليها بكلام العرب نظاماً  
ونشراً؛ لأن المعترف فيها ضبط ألفاظهم، والعلوم الثلاثة الأخيرة يستشهد  
عليها بكلام العرب وغيرهم؛ لأنها راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك  
بين العرب، وغيرهم إذا كان الرجوع إلى العقل . . . ثم ذكر رأي ابن جنى،  
وابن رشيق المشار إليهما سابقاً .

( ١ ) أَزْرِيونَهَا : الأذريون : زهر أصفر في وسطه خمل أسود تعريب آذركون واصل

معناه شبه النار، وأذريون لغة فيه بالفارسية . / معجم الألفاظ الفارسية -  
آدي شير : ٨ .

( ٢ ) لم أجده في ديوانه . ( ٣ ) العمدة - دار بيروت - ٢/ ٢٣٦-٢٣٧ .

( ٤ ) خزانة الأدب للحموي : ٥ .

د - بعض الدراسات التي قامت حول الشواهد قديمها وحديثها .

---

إن دراسة الشاهد أمر ضروري في ترسيخ الأصول والقواعد، وهذه الدراسة تجعل الدارس يقف على كل جوانب القضية وملايساتها مما يساعد على فهمها وثباتها في الأذهان .

وقد تغطَّن العلماء قديماً إلى أهمية دراسة الشواهد - وبخاصة علماء النحو الذين عكفوا على أهم الكتب النحوية يشرحونها تارة، ويدرسون شواهدها تارة أخرى، ومن أهم الكتب التي عكفوا عليها كتاب سيوييه الذي بلغت شروح أبياته ما يقرب من أربعة عشر شرحاً، فمن قام بشرح أبياته :-

- ١- أبو العباس المبرد ( ت : ٢٨٥ هـ ) .
- ٢- أبو إسحاق الزجاج ( ت : ٣١٠ هـ أو ٣١٦ هـ ) .
- ٣- أبو جعفر النحاس ( ت : ٣٣٨ هـ ) .
- ٤- محمد بن علي الملقب بمبرمان النحوي البصري ( ت : ٣٤٥ هـ )
- ٥- أبو سعيد السيرافي ( ت : ٣٦٨ هـ )
- ٦- هارون بن موسى القرطبي ( ت : ٤٠١ هـ ) .
- ٧- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإسكافي ( ت : ٤٢١ هـ )
- ٨- الأعم الشنتمري ( ت : ٤٧٦ هـ )
- ٩- جارالله أبو القاسم محمود الزمخشري ( ت : ٥٣٨ هـ )
- ١٠- ابن هشام محمد بن أحمد اللخمي ( ت : ٥٧٠ هـ )
- ١١- أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ( ت : ٦١٦ هـ )
- ١٢- محمد بن علي الشلوبين الصغير ( ت : ٦٦٠ هـ )
- ١٣- عفيف الدين ربيع بن محمد بن منصور الكوفي ( ت : ٦٨٢ هـ )
- ١٤- أبو بكر محمد بن علي المراغي (١) .

وقد اطلعت على اثنين منها وهما :

(١) كشف الظنون : ٢ / ١٤٢٧، ١٤٢٨، وانظر كذلك : مقدمة محقق كتاب " شرح أبيات سيوييه " لابن السيرافي : تحقيق محمد علي سلطاني .

- ١- شرح أبيات سيوية لأبي جعفر النحاس ( ت : ٣٣٨ هـ ) شرح فيه  
ثلاثة وأربعين وسبعمئة شاهد منها سبعون غير موجودة في كتاب سيويه .
- ٢- شرح أبيات سيويه لأبي سعيد السيرافي ، ويبلغ عدد شواهد سبعة  
وعشرين وستمئة شاهد . وقد توصل إلى معرفة الشاعر في تسعة  
وعشرين ومائة موضع ، وصحح النسبة عند سيويه في واحد وثلاثين موضعاً .  
ودراسة الشواهد في هذين الكتابين فيها بعض أوجه القصور منها عدم  
الاهتمام بالناحية العروضية ، عدم الترجمة للشاعر ، عدم الاهتمام بالأبيات السابقة ،  
واللاحقة ، والتي تساعد على تصور معنى البيت ، شرح الأبيات شرحاً موجزاً مختصراً .  
وهناك كثير من الكتب التي اهتمت بشرح الشواهد النحوية في غير كتاب سيويه  
منها :-

- ١- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ،  
( ٦٠٠ هـ - ٦٧٢ هـ ) .
- ٢- شرح الشواهد للعيني ( ٧٩٢ هـ - ٨٥٥ هـ ) .
- ٣- شرح شواهد المغني لجلال الدين السيوطي ( ٨٤٩ هـ - ٩١١ هـ ) .  
ويبلغ عدد شواهد الكتاب تسعة وسبعين وثمانمئة شاهد .
- ٤- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي  
( ١٠٣٠ هـ - ١٠٩٣ هـ ) .  
ولقد سار في كتابه الخزانة على منهج جعله أعلى وأضخم موسوعة عربية  
في علوم اللغة العربية ، وآدابها إلى كونه كتاب تراجم يضم ترجمة الكثير  
من الشخصيات ، كما جمع كثيراً من النصوص النادرة ، وحفظ فيه كثيراً  
من أسماء المؤلفات الضائعة .

- ٥- شرح شواهد الشافية لابن الحاجب لعبد القادر بن عمر البغدادي .  
 وعدد شواهده تسعة وأربعون ومائتي شاهد .  
 وإن ذكر هو أنها مائة وستة وتسعون بيتاً ، وهو كتاب مختصر في شرح  
 الشواهد ، نهج فيه نهجاً مماثلاً للخزانة مع انتفاعه بالإحالة إلى  
 ما سبق تفصيل له في الخزانة .
- ٦- شرح شواهد ابن عقيل ، للشيخ عبد المنعم عوض الجرجاوي (ت: ١١٩٥هـ)  
 اهتم الشيخ الجرجاوي أكثر ما اهتم بإعراب الشاهد ، ونسبته إلى قائله  
 ما أمكن .
- ٧- فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل .  
 للعلامة محمد قطة العدوي (ت : ١٢٨١هـ) .  
 وهو موجود على هامش شرح الشيخ عبد المنعم الجرجاوي على شواهد  
 ابن عقيل .
- هذا عرض سريع للكتب التي ألفت في شرح الأبيات النحوية ، والذي ساقني لهذا  
 العرض ما لاحظته من اهتمام علماء النحو بهذا الجانب من الدراسة ، على عكس  
 علماء البلاغة ، فلم تحظ الشواهد البلاغية عند هم بذلك الاهتمام ، حيث لم يتعرض  
 لدراستها إلا القليل منهم - على حسب علمي - ، ولا أعلم السرفي اهتمامهم بشرح  
 أبيات الإيضاح ، والتلخيص ، والمطول ، وانصرفهم عن الكتاب الأم " الدلائل " والسذي  
 هو المصدر الأساسي لجميع من كتب بعده ، وأن معظم الشواهد التي جاءت في  
 الكتب اللاحقة مستقاة منه ، وهو كتاب لا يقل أهمية في البلاغة عن كتاب سيويه في  
 النحو . ٤ . !
- وفيا يلي عرض لبعض الدراسات التي اهتمت بالشواهد البلاغية مع دراسة  
 موجزة لمنهج كل دراسة .

١- شرح أبيات الإيضاح :

لغفر الدين الخوارزمي (١)

وهو مخطوط في المكتبة الأزهرية تحت رقم "٤٣" بلاغة وهناك نسخة أخرى في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٢م كما توجد نسخة ثالثة في تركيا في مكتبة فيض الله "ملت" باستانبول تحت رقم ١٨١٦ .  
ويبلغ عدد شواهد المخطوط خمسة وعشرين وستمائة شاهد .

أما عن منهجه في تناول الشواهد فهو كالآتي :

- ١- كان يكتفي بنسبة البيت من غير تعريف بقاؤه .
- كما أنه لم يهتم بنسبة جميع الشواهد إلى قائلها .
- ٢- شرح المفردات معتمداً في أغلب الأحيان على أساس البلاغة ، والصحاح .
- ٣- شرح الأبيات شرحاً مجملاً ، وكثيراً ما يكتفي بشرح المرزوقي للشاهد - إن كان قد ورد في الحماسة - وأحياناً يستغني بشرح المفردات عن شرح البيت .
- ٤- يلجأ أحياناً إلى الإحالة على الإيضاح إن كان هناك تفصيل للبيت .
- ٥- كثيراً ما يأتي بأبيات المفتاح التي تناسب الموضوع .
- ٦- نادراً ما يورد الأبيات التي قبل الشاهد وبعده .
- ٧- لم يهتم بالمعارف العروضية .
- ٨- لم يورد خلاف العلماء في الشاهد إن كان هناك خلاف دائر بينهم .
- ٩- لا يذكر موضع الشاهد البلاغي .
- ٢- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص .

للشيخ : عبد الرحيم بن أحمد العباسي ( ٨٦٢ هـ - ٩٦٣ هـ ) (٢)

(١) لم أقف على ترجمته .

(٢) هو عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد أبو الفتح العباسي عالم بالأدب من

المشتغلين بالحدِيث ، ولد بمصر ورحل إلى القسطنطينية مرتين وتوفي بها

من كتبه : " نظم الوشاح على شواهد تلخيص المفتاح " / انظر ترجمته :

حققه وعلق حواشيه وصنع فهارسه : محمد محيي الدين عبدالحميد ،  
وهو يقع في أربعة أجزاء ، والكتاب يحوي أربعة وعشرين ومائتي شاهد .  
أما منهجه في معالجة الشاهد فهو :

- ١- إيراد الشاهد ونسبته إلى قائلة مع الترجمة للشاعر ترجمة موجزة .
- ٢- الاهتمام بالوزن العروضي .
- ٣- ذكر موضع الشاهد البلاغي .
- ٤- إيراد مطلع القصيدة في الكثير الغالب ، وأحيانا يلجأ إلى ذكرها  
بأكملها ، وأحيانا يذكر المشهور من أبياتها .
- ٥- وضع بيت الشاهد ضمن إطار من الأبيات السابقة ، واللاحقة التي تزيد  
المعنى وضوحاً .
- ٦- ذكر ما يناسب كل شاهد من النظائر الأدبية كلما أمكن ذلك .

وقد وضح هو منهجه فقال :

" . . . وسلكت فيه منهج الاختصار ، ومدرج الاقتصار وتصيت (١) على أبحر  
تلك الشواهد العروضية ، ووضعت في كل شاهد منها ما يناسبه من نظائره  
الأدبية ، وذكرت ترجمة قائله إلا ما لم اطلع عليه بعد التفتيش في كتب  
الأدب والتحريري والاستقصاء في الطلب ، ومزجت فيه الجدد بالهزل ، والحزن  
بالسهل ، وسميته بـ " معاهد التنصيص على شواهد التلخيص " (٢) .

ثم يذكر أن فيه كثيراً من الفضول الذي قد يهمل إلا أنه اعتذر لنفسه بأن هذا  
الفضول فيه فوائد فريدة . فقال :

" . . . وهو وإن كان من جنس الفضول الذي ربما يستمل ، أو هو بقول  
الحسود داخل في قسم المهمل فهو أمنية كان الخاطر يتمناها ، وحاجة

==== الشقائق النعمانية : ٢٤٦-٢٤٧ ، معاهد التنصيص : ٢٧٤ / ٤ ، وفيه نسبة

كما كتبه هو ، كشف الظنون : ١ / ٤٧٧ ، هدية العارفين : ١ / ٥٦٣ ،

الأعلام : ٣ / ٣٤٥ .

(١) أصله : " نصصت " . (٢) معاهد التنصيص : ١ / ٢-٣ .

في نفس يعقوب قضاها ، على أنه لا يخلو من فائدة فريدة ، ونكتة عسـن  
مواطنها شريفة ، وُدرة مستخرجة من قاع البحور ، وشذرة تزين بها قلائد  
النحور (١) .

٣- شواهد المطول المسمي :

" عقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر "

لحسين بن شهاب الدين العاملي " ١٢٠١٢ هـ - ٧٦٠٧٦ هـ ) (٢)

وهو مخطوط بالمكتبة الأزهرية تحت رقم ( ٥٤٦ ) ١١١٥٤ ، ويقع في ثلاثة  
وثمانين لوحة ، تشتمل كل صفحة على ثلاثة وعشرين سطرًا ماعدا الصفحة الأولى  
فتشمل خمسة عشر سطرًا .

وفي جامعة أم القرى جزء من مخطوط مجهول المؤلف تحت عنوان :

" شرح شواهد كتاب في البلاغة "

مخطوط ( ق ١٢ - ) رقم ١٣٠٥ .

وهي اثنتا عشرة لوحة تحوي كل لوحة اثنين وثلاثين سطرًا ، ويبدو أنها جزء من  
المخطوط الأم لشواهد المطول لحسين بن شهاب الدين العاملي ، وذلك  
بمقارنتها بمخطوط المكتبة الأزهرية .

( ١ ) معاهد التنصيص : ١ / ٣ .

( ٢ ) هو حسين بن شهاب الدين بن حسين بن جندار البقاعي الكركسي

العاملي ، وعرفه الحر العاملي في كتابه " أمل الآمل " بالحكيم العاملي

وقال في نسبه هو :

" حسين بن شهاب الدين بن حسين بن محمد بن حسين بن حيدر

العاملي الكركسي الحكيم " كان شاعرًا أدبيًا من الشعراء العلماء ، وكان

متكلمًا حكيمًا ، وكان شعره جيدًا سكن أصفهان ، وانتقل إلى حيدرآباد ،

وأقام فيها إلى أن توفي ( ٧٦٠٧٦ هـ ) . من كتبه :

" شرح نهج البلاغة " ، " هدية الأبرار في أصول الدين " / انظر ترجمته :

أمل الآمل : ١ / ٧٠-٧٤ ، هدية العارفين : ١ / ٣٢٣ ، الأعلام : ٢ / ٢٣٥ .



ويبلغ عدد الشواهد فيه بعد إسقاط المكررات أحد عشر وستائة شاهد، منها  
 في المطول ثمانية وتسعون وخمسة مائة شاهد، والباقي مع بعض ما فيه في غيره .  
 وقد أشار المؤلف إلى ذلك فقال :  
 " . . . وأعلم أن المذكور في الشرحين والحاشية الشريفة صريحاً، وإشارة من  
 الأبيات التامة، والمصارع المفردة يبلغ بعد إسقاط المكررات ستائة وأحد  
 عشر، منها في المطول خمس مائة وثمانية وتسعون ، والباقي مع بعض ما فيه  
 في غيره ، والله أعلم (١) .

أما عن منهج المخطوط في تناول الشاهد، فيمكن تلخيصه في النقاط التالية :-

- ١- الاهتمام بنسبة الشواهد إلى قائلها مع إيراد الاختلافات في ذلك إن وردت .
- ٢- ذكر بعض الأبيات السابقة واللاحقة لبيت الشاهد إن توقف فهم المعنى عليها .
- ٣- ذكر عروض الشاهد .
- ٤- إعراب الشاهد .
- ٥- شرح المفردات .
- ٦- شرح الشاهد شرحاً أدبياً .
- ٧- بيان موضع الشاهد .
- ٨- استخلاص ما يرد في الشاهد من وجوه بلاغية أخرى .

ولقد أشار المؤلف إلى منهجه هذا في مقدمة المخطوط فقال :

" أعلم أنني التزمت في كثير من الأبيات أن أذكر الشاهد أولاً، وبعده اسم ناظمه وعروضه ، وما قبله وما بعده ، إن توقف فهمه عليه ، ثم أذكر اللفظة والإعراب والمعنى ومحل الشاهد ، ثم أشير إلى بعض ما فيه من البلاغة ،

( ١ ) عقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر، لوحة ٨٢-٨٣ - ٢٨٣ .

ليكون تخريجاً للمبتدي ، وتذكرة للمنتهي ، ولم ألتزم ذلك في كلِّ الأبيات خوفاً من الإكثار والتكلف حتى لا أكون كحاطب ليل وطالب رَجُلٍ وخَيْسَلٍ ، وربما خالفت الشراح في بعض الأماكن مصرحاً بالخلاف تارة ، ومقتصراً على ما اخترته أخرى ، إن ليس شأني شين أحد ، بل بيان الصواب ، فتأمل الكلامين ؛ ليظهر لك الحق بلا ميين ، وعلى الله سبحانه الاعتماد ، ومنه طلب السداد (١) .

وهذا مخطوط قيم في الشواهد يخدم علم البلاغة خدمة جليلة ؛ لذا أنسوي - بإذن الله تعالى - تحقيقه مستقبلاً هو ومخطوط شرح أبيات الإيضاح - السابق الذكر - ليستفيد منهما طلاب العلم - أسأل الله العون والثبات .

٤- القول الجيد في :

" شرح أبيات التلخيص وشرحيه وحاشية السيد "

لمحمد زهني " ١٢٦٢ هـ - ١٣٢٩ هـ (٢) .

وهو مطبوع بإستانبول سنة ١٣٠٤ هـ ، ومكتوب باللغة التركية ذات حروف عربية . عدد شواهد التي أوردها ستة وعشرون وستمائة شاهد ، ويتلخص منهجه في النقاط التالية :-

- ١- نسبة الشاهد لقاظه مع الإشارة إلى مناسبة القصيدة .
- ٢- الاهتمام بالناحية العروضية .
- ٣- الإتيان بمطلع القصيدة .
- ٤- إيراد أبيات قبل وبعد الشاهد .
- ٥- الاهتمام بإعراب البيت وشرح مفرداته ، وهو كتاب يميل إلى الاختصار والإيجاز .

( ١ ) عقود الدرر : لوحة : ٥٢ .

( ٢ ) هو محمد زهني بن محمد رشيد الروسي الإستانبولي فقيه حنفي ، أديب بالعربية ،

رومي " تركي " من أهل إستانبول كان من أعضاء مجلس المعارف العثمانية ومن المدرسين بالمكتب السلطاني ، له كتب منها :

" الألفاظ الفقيه - ط " و " الحقائق - ط " في الحديث . / انظر ترجمته : هدية العارفين : ٦ / ٤٠٠ ، الأعلام : ٥ / ١٢٣ .

وهناك كتاب في شرح شواهد التلخيص أشار إليه البغدادي في هديسة

العارفين - لم يقع تحت يدي - واسمه :

" شرح أبيات تلخيص المفتاح " للسيوطي (١).

٥- معجم شواهد العربية :

للأستاذ : عبدالسلام هارون .

وهو معجم لا يختص بشواهد البلاغة فقط، بل يهتم بشواهد العربية عامة من

نحو وصرف وبلاغة ، وقد آثرت ذكره لتطرقه لشواهد البلاغة .

وهو كتاب يقع في مجلد واحد ، رتب صاحبه الشواهد على الحروف الأبجدية

ويقتصر عمله على :

١- نسبة الشاهد ما أمكن .

٢- الاهتمام بالناحية العرضية .

توثيق الشاهد من كتب العربية .

---

(١) هدية العارفين : ٥ / ٥٤٠ .

# البَابُ الْأَوَّلُ

شَوَاهِدٌ دَلِيلُ الْإِعْجَازِ  
الشَّعْرِيَّةِ

# الفصل الأول

أ- أبيات المدخل .

ب- شواهد تحقيق القول في البلاغة والفضاحة

\* أبيات المدخل \*

لقد آثرت أن أطلق على هذا الفصل عنوان :-

**\* أبيات المدخل \***

لأن الشيخ لم يسمه تمهيداً ولا مقدمة . وأطلقت لفظ " أبيات " بدلاً من " شواهد " على الأشعار الواردة فيه ، إن الشاهد يرتبط في الأذهان بالقاعدة ، والشيخ أتى بهذه الأبيات ليس لتوضيح قاعدة بلاغية ، وإنما ساقها في معرض دفاعه عن الشعر والنحو ، إذ هما لبنتان أساسيتان في توضيح فكرة النظم التي بنى عليها الكتاب ويبلغ عدد

أبيات هذا الفصل :-

أربعة عشر بيتاً .

## \* الكلام في الشعر \*

البيت الأول : \* (الكامل)

الْيَوْمَ عِنْدَكَ دَلُّهَا وَحَدِيثُهَا . : . وَغَدَا لِفَيْرِكَ كَفَّتْهَا وَالْمِعْصَمُ (١)

لم يذكر الشيخ قائله ، وإنما ذكر أن الحسن البصري (٢) كان يتمثل به ، وكان من أوجع الأبيات عنده .

والشاهد من أبيات في مذمة النساء ، وقبله :

إِنَّ النَّسَاءَ وَإِنْ ذُكِرْنَ بِعِفَّةٍ . : . فِيمَا يُظَاهِرُ فِي الْأُمُورِ وَيَكْتُمُ  
لَحْمَ أَطَافٍ بِهِ سِبَاعٌ جُوعٌ . : . مَالًا يُذَادُ فَإِنَّهُ يَتَقَسَّمُ  
لَا تَأْمَنَنَّ أَنْتَى حَيَاتِكَ (٣) وَأَعْلَمَنَّ . : . إِنَّ النَّسَاءَ وَمَالَهُنَّ مَقْسَمٌ

وبعدها البيت وبعده :-

كَالْخَانَ تَسْكُنُهُ وَتُصْبِحُ (٥) غَادِيَا . : . وَيَحُلُّ بَعْدَكَ فِيهِ مَنْ لَا تَعْلَمُ

الدلائل ، رضا : ١٠٠ ، خفاجي : ٦٥ ، شاکر : ١٣٠ .  
انظر البيت في :

{\*}  
(١)

أُمالي المرتضى : ١٦٠ / ١ ، بهجة المجالس وأنس المجالس : ٥٢ / ٣ ،

شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١٤٩ / ٣ .

(٢)

هو الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد تابعي ، كان إمام أهل البصرة ،

(٣)

وحبر الأمة في زمنه ، وهو أحد العلماء الفقهاء النساک ، ولد بالمدينة

(٢١٥ هـ) ، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب ، واستكتبه الربيع بن زياد

والي خراسان في عهد معاوية ، وسكن البصرة ، وعظمت هيئته في قلوب

العامة والخاصة ، توفي (١١٠ هـ) / انظر ترجمته :

تهذيب التهذيب : ٢٥٧ / ٢ - ٢٧٦ ، وفيات الأعيان : ٦٩ / ٢ ، ميزان

الاعتدال : ٥٢٧ / ١ ، حلية الأولياء : ١٣١ / ٢ - ١٦١ ، أمالي المرتضى :

١٥٢ / ١ - ١٥٧ .

(٤) رواية بهجة المجالس : " حبتك بودها " .

(٥) رواية شرح ديوان الحماسة للتبريزي : " وترحل " .

ذكر البيت الأول والثالث والرابع والخامس في شرح ديوان الحماسة للتبريزي



ذكر الشيخ البيت في الرد على من زعم أن قول الشعر مرفوض برمته ، وأن رواية الشعر أياً كان فعل مذموم ، وعمل مردود ينتقص من قدر قائله ، ويحط من مكانة راويه ، فرد هذا الزعم محتجاً بأن الراوي هو مجرد حاكٍ ، وليس على الحاكلي وزير إن لم يقصد بروايته نصره الباطل ، واحتج لذلك بأن الله سبحانه وتعالى قد حكى كلام الكفار في كتابه الكريم .

وها هو ذا الحسن البصري - وهو رجل مشهود له بالتقوى والوقار والزهد - قد تمثل بهذا البيت من الشعر ، فأستعان بالباطل في الحق ، فقد نقله من غرضه الذي جاء به الشاعر إلى غرض آخر هو أحق به وأكرم له عند العباد الصالحين ، فالبيت في الأصل من الأبيات الحكيمة التي جاءت في مذمة بعض النساء اللواتي لا يؤمن جانبهن ، إلا أن الحسن البصري جاء به للوعظ والإرشاد ، فيه ذكر الإنسان بقضية الموت ، ومفارقة الأهبة ، وأنه لا وفياً لابن آدم غير عمله الصالح .

وتذكير الإنسان بمفارقة زوجته وما يجده من متعة في دلها وحديثها ، وأنها قد تكون بعد وفاته لغيره من أشد الأمور إيلاماً للنفس ، والغرض من إثارة هذا الألم حث النفس على ترك ملاحية الدنيا ، وعدم الاغترار بمفاتها الزائلة ، والعمل الصادق للأخرة . فلو أن في رواية الشعر حرجاً لكان الحسن البصري أبعد الناس عنه . قال الشيخ :

هذا وراوي الشعر حاكٍ ، وليس على الحاكلي عيبٌ ، ولا عليه تبعة ، إذا هو لم يقصد بحكايته أن ينصّر باطلاً ، أو يسوء مسلماً ، وقد حكى الله تعالى في كلام الكفار . فانظر إلى الغرض الذي له روي الشعر ، ومن أجله أريد ، ولله دؤن ، تعلم أنك قد زغت عن المنهج ، وأنتك مسيء في هذه العداوة ، وهي العصبية منك على الشعر . وقد استشهد العلماء لغريب القرآن وإعرابه بالأبيات فيها الفحش ، وفيها ذكر الفعل القبيح ، ثم لم يعيبتهم ذلك ، إن كانوا لم يقصدوا إلى ذلك الفحش ولم يريدوه ، ولم يترؤوا الشعر من أجله<sup>(١)</sup>

=== ١٤٩/٣ ، وذكر البيت الثالث والرابع في بهجة المجالس : ٥٢/٣ ، وذكر

البيت الرابع في أمالي المرتضي : ١٦٠/١ .

(١) الدلائل ، رضا : ١٠ ، خفاجي : ٦٥ ، شاكر : ١٢ .

البيت الثاني : (\*) ( الطويل )

قول عمار بن الوليد :<sup>(١)</sup>

أَسْرَكَ لَمَّا صَرَخَ الْقَوْمُ نَشْوَةً<sup>(٢)</sup> . . . خُرُوجِي مِنْهَا سَالِمًا غَيْرَ غَارِمٍ<sup>(٣)</sup>  
بَرِيغًا كَأَنِّي قَبْلُ<sup>(٤)</sup> لَمْ أَكُ مِنْهُمْ<sup>(٥)</sup> . . . وَلَيْسَ الْخِدَاعُ مَرْتَضَى فِي التَّنَادِمِ<sup>(٦)</sup><sup>(٧)</sup>

وقبل البيتين :

وَلَسْنَا بِشَرِبِ أُمَّ عَمْرٍو إِذَا انْتَشَوْا<sup>(٨)</sup> . . . شِيَابُ النَّدَامَى عِنْدَهُمْ كَالْغَنَائِمِ<sup>(٩)</sup>  
وَلَكِنَّا يَا أُمَّ عَمْرٍو نَدِيمُنَا . . . بِمَنْزِلَةِ الرَّيَّانِ لَيْسَ بِعَائِمِ<sup>(١١)</sup><sup>(١٢)</sup>

(\*) الدلائل ، رضا : ١١ ، خفاجي : ٦٦-٦٧ ، شاکر : ١٣-١٤ .  
(١) هو عمار بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة بن مرة

ابن كعب بن لؤي بن غالب ، وهو أحد أزواد الركب وهم :

مسافر بن أبي عمرو ، وزمعة بن الأسود ، وأبو أمية بن المغيرة ، وعمار بن  
الوليد . يقال له الوحيد ، وكان أزواد الركب لا يُمرُّ عليهم أحد إلا قسروه ،

وأحسنوا ضيافته ، وزودوه ما يحتاج إليه . / انظر ترجمته :

الأغاني : ١٨ / ١٢٢-١٢٦ ، الدلائل ، رضا : ١١ ، خفاجي : ٦٦ ، شاکر : ١٤ .

(٢) رواية معجم الشعراء : " وانتشوا " .

(٣) رواية الأغاني ، " أن أخرج منها " .

(٤) رواية الأغاني ومعجم الشعراء : " خلياً " .

(٥) رواية معجم الشعراء : " من تصافي " .

(٦) ذكر محقق الأغاني أنه جاء في إحدى مخطوطاته : " مرتضى في الترانم "

(٧) رواية الأغاني : " كأني لم أكن كنت فيهم " .

(٨) رواية معجم الشعراء : " ولست " .

(٩) ذكر محقق الأغاني أنه ذكر في إحدى مخطوطاته : " أم عوف " .

(١٠) رواية معجم الشعراء : " بينهم " .

(١١) رواية معجم الشعراء " بعارم " ، وعاءم من القيمة وهي شهوة اللبن ، عام

الرجل إلى اللبن يعام ويعيم عيماً وعية : اشتهاه ، والعية شدة الشهوة

للبن حتى لا يصبر عنه ، فإذا اشتهى الرجل اللبن قيل قد اشتهى فلان

اللبن فإذا أفرطت شهوته جداً قيل عام إلى اللبن .

(١٢) انظر الأبيات في : الأغاني : ١٨ / ١٢٣ ، معجم الشعراء للمريزبانسي :

والشاهد فيه كسابقه ، فالمتمثل هنا بالشعر هو عمر بن الخطاب ، وهو ثاني الخلفاء الراشدين ، وقد عُرِفَ بتقواه ، وورعه ، وخوفه من الله ، ولم يمنعه هذا من التمثل بقول عمارة بن الوليد ، وهو رجل صاحب خمر مفرم بها ، وأبياته هذه مبنية على ذكر الخمر وتعاطيها ، والانتشاء بها .

فهو هنا يخاطب زوجه التي عاتبته في شرب الخمر<sup>(١)</sup> قائلاً لها :

هل يسرك ويرضيك إذا تنادم القوم وانتشوا أن لا أشاركهم في هذا الانتشاء ، وقد كنت من قبل واحدا منهم ، فإني إن فعلت ذلك ، فأنا مخادع ، وخداع الأحياء والأصحاب أمر مذموم غير مرتضى .

فعمر بن الخطاب تمثل بهذه الأبيات تنبيهاً لزيد بن حارثة - الذي أراد أن يأخذ أجود الحل لابن زوجه ، محمد بن حاطب ، دون صحبه - إلى أن خداع الأحياء والأصحاب أمر قبيح ، فشبه حالة زيد هذه بحالة الشاعر مع صحبه .

جاء في الدلائل : " أُتِيَ عمر رضوان الله عليه بحل من اليمن ، فأناه محمد بن جعفر بن أبي طالب ، ومحمد بن أبي بكر الصديق ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن حاطب ، فدخل عليه زيد بن ثابت رضي الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء المحمدون بالباب يطلبون الكسوة ، فقال : إن دن لهم يا غلام ، فدعا بحل ، فأخذ زيد أجودها حلة ، وقال هذه لمحمد بن حاطب ، وكانت أمه عنده ، وهو من بني لؤي ، فقال عمر رضي الله عنه : أيهات أيهات ! وتمثل بشعر عمارة بن الوليد . . . (٢) "

(١) انظر القصة :

الدلائل ، رضا : ١١ ، خفاجي : ٦٦ ، شاکر : ١٤ .

(٢) المصدر السابق ، رضا : ١٠ ، خفاجي : ٦٥ ، شاکر : ١٣ .

البيت الثالث : - (\*) (الكامل)

قول أبي تمام :<sup>(١)</sup>

وَاللَّهِ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ . : مَثَلًا مِّنَ الْمِشْكَاتِ وَالنَّسْرِاسِ<sup>(٢)</sup>

والشاهد من قصيدة يمدح بها أحمد بن المعتصم ، ومطلعها :<sup>(٤)</sup>

تَمَارِي وَوَقْفِكَ سَاعَةً مِّنْ بَسَاسٍ . : نَقَضِي زِمَامَ الْأَرْبَعِ الْأَنْرَاسِ<sup>(٥)</sup>

(\*) الدلائل ، رضا : ١١ ، خفاجي : ٦٧ ، شاکر : ١٤٠ .

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، ولد في قرية جاسم وهي من قرى دمشق ،

ونشأ بمصر ، وكان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد

ولد سنة (١٨٨ هـ) ، وتوفي سنة (٢٣١ هـ) وقيل ٢٣٢ هـ وقيل ٢٢٨ هـ ،

وقيل ٢٢٩ هـ . / انظر ترجمته :

طبقات ابن المعتز : ٢٨٢-٢٨٦ ، نزهة الألباء : ١٢٣-١٢٤ ، وفيات الأعيان

٢/١١-٢٦ ، تاريخ بغداد : ٨/٢٤٨-٢٥٤ ، تهذيب ابن عساكر : ٤/٢١-

٣٠ ، الأعلام : ٢/١٦٥ .

(٢) رواية تحرير التحبير ووفيات الأعيان ، والمنصف في نقد الشعر : " فالله "

(٣) انظر البيت في :

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٢ / ٢٥٠ .

ديوان أبي تمام - دار صعب - : ١٥٢ ، البيان والتبيين : ٤/٧٩ ،

الموشح : ٢٩٣ ، أخبار أبي تمام للصولي : ٢٣١ ، المنصف في نقد الشعر :

١٥٧ ، العمدة : ١/١٩٢ ، شار القلوب في المضاف والمنسوب : ١/٩٢ ،

تحرير التحبير : ٢/٥٠٧ ، شرح شافيه ابن الحاجب : ٤/٢٩٧ ، وفيات

الأعيان : ٢/١٥٠ .

(٤) جاء في شرح شافية ابن الحاجب أنه مدح بها أحمد بن المأمون بن هارون

الرشيد ، وذكر ابن خلكان قصة لهذا الشاهد ذكر فيها أنه مدح به

الخليفة ، وأنكر ابن خلكان ذلك ، وأورد أنه مدح به أحمد بن المعتصم ،

وأحمد بن المأمون ، قال :

" إن هذه القصيدة ما هي في أحد من الخلفاء بل مدح بها أحمد بن المعتصم ،

وقيل أحمد بن المأمون ، ولم يل واحد منهما الخلافة " الوفيات : ٢/١٦٠ .

(٥) ذكر محقق ديوان أبي تمام بشرح الخطيب أنه روى في إحدى مخطوطات

الكتاب : " هل في وقوفي " .

وقبل الشاهد :

أَبْلَيْتَ هَذَا التَّجْدَ أَبْعَدَ غَايَةٍ . : فِيهِ وَأَكْرَمَ شَيْمَةٍ وَنِحَاسٍ (١)  
 إِقْدَامَ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِيَمٍ (٢) . : فِي حِلْمٍ أَخْتَفٍ (٤) فِي ذَكَاءِ إِيَّاسٍ (٥)  
 لَا تَشْكُرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ . : مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَسِاسِ

(١) النِّحَاسُ : بضم النون وكسرهما الطبيعة والأصل . / اللسان " نحس " : ٢٢٢٧/٦ .

(٢) يقصد بعمره هنا عمرو بن معدى كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي ،

فارس اليمن ، وفد على المدينة سنة ( ٥٩ هـ ) في عشرة من بني زبيد ، فأسلم وأسلموا ، ثم عادوا إلى اليمن ، ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو ثم رجع إلى الإسلام ، وشهد اليرموك والقادسية ، وكان شجاعاً ألباً / انظر ترجمته :

المبجج : ٢٠ ، الشعر والشعراء : ١ / ٣٧٩-٣٨٣ ، الأغاني :

٢٠٨/٥-٢٢٩ ، المؤتلف والمختلف : ١٥٦ ، معجم الشعراء

للمرزياني : ٢٠٨ ، سمط الآلي : ٦٣ ، ٦٤ ، الإصابة : ١٨/٣ ، رقم ( ٥٩٧٢ )  
 خزانة البغدادي : ٤٤٤ / ٢ ، ٤٤٦ .

(٣) ويقصد بحاتم هنا حاتم الطائي ، وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن

الحشرح الطائي القحطاني أبو عدي ، فارس ، شاعر ، جواد ، جاهلي يضرب به المثل في الجود ، كان من أهل نجد ، زار الشام ، وتزوج ماوية بنت حجر الفسانية ، ومات في عوارض جبل طي ، / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ١ / ٢٤٧ ، تهذيب ابن عساكر : ٣ / ٤٢٤-٤٣٢ ، الخزانة  
 للبغدادي - مكتبة الخانجي - : ٣ / ١٢٧ ، الأعلام : ١٥١ / ٢ ، الجليسي  
 الصالح : ١ / ٣٢٠-٣٢١ .

(٤) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرّي السعدي المنقري التميمي

( ٣ ق - ٧٢ هـ ) أحد العظماء الدهاة ، يضرب به المثل في الحلم ، ولد في البصرة ، وأدرك النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يره ، كان صديقاً لمصعب بن الزبير / انظر ترجمته :

نهاية الأرب : ٥٠ / ٦ ، الأعلام : ١ / ٢٧٦-٢٧٧ .

(٥) ويقصد بإيَّاس هنا إيَّاس بن معاوية بن قرّة المزني أبو وائلة ، قاضي البصرة

وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء ، يضرب المثل بذكائه . قال الجاهظ " إيَّاس من مفاخر مضر ومن مقدمي القضاة ، كان صادق الحدس نقاباً عجيب الفراسة ، ملهماً ، وجيهاً عند الخلفاء ، توفي بواسط ( ١٢٢ هـ ) . /

وبعد البيت وعده :

إِنْ تَحْوِ خَصَلَ الْمَجْدِ فِي أَنْفِ الصَّبَا .: يَا بَنَ الْخَلِيفَةِ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ  
فَلَرَبَّ نَارٍ مِنْكُمْ قَدْ أَنْتَجَسَتْ .: فِي اللَّيْلِ مِنْ قَبَسٍ مِنَ الْأَقْبَاسِ

والبيت ذكره الشيخ ؛ ليوضح أن الشعر وإن كان خسيماً ، فقد يتوصل به إلى  
معنى شريف ، فالله سبحانه وتعالى قد شبه نوره العظيم بما هو أقل منه ، إن كان  
المشبه من أبلغ ما يعرفه الناس ضوءاً ، فقال تعالى :

\* اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي  
زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ  
وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورُ عَلِيٍّ نُورٌ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ  
مَنْ يَشَاءُ . (١)

قال الشيخ عبد القاهر :

\* فَإِنْ رُبَّ هَزَلٍ صَارَ أَدَاةً فِي جَدِّ وَكَلَامٍ جَرَى فِي بَاطِلٍ ثُمَّ اسْتَعِينَ بِهِ عَلَى  
حَقٍّ ، كَمَا أَنَّهُ رُبَّ شَيْءٍ خَسِيسٍ تَوَصَّلَ بِهِ إِلَى شَرِيفٍ ، بِأَنَّ ضَرْبَ مِثَالٍ فِيهِ ،  
وَجَعَلَ مِثَالاً لَهُ (٢) .

والبيت أورده المرزباني ، وابن رشيق شاهدأ على سرعة البديهة (٣) ، فيحكى أن

أبا تمام كان ينشد أحمد بن المعتصم قصيدته هذه ، فلما بلغ إلى قوله :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ .: فِي حِلْمٍ أَحْنَفَ فِي تَدَاةٍ إِيتَاسِ

==== انظر ترجمته في : البيان والتبيين : ١/٩٨ ، ١٠١ ، ٢٧٥ - ١٩٥/٢ - ٣١٥

٤/٩١ ، وفيات الأعيان : ١/٢٤٧ ، ٢٥٠ ، شار القلوب : ١/٩٢ ، ميزان

الاعتدال : ١/٢٨٣ ، حلية الأولياء : ٣/١٢٣ ، ١٢٥ ، الجليس الصالح :

١/٥٥٢ ، كتاب الأذكياء : ٦٤/٦٥ - ، الأعلام : ٢/٣٣ .

(١) : ٣٥ .

(٢) : الدلائل ، رضا : ١١ ، خفاجي : ٦٧ ، شاكر : ١٤ .

(٣) : البديهة : هي أن يفكر الشاعر يسيراً ، ويكتب سريعاً إن حضرت آله ، إلا أنه

غير بطيء ولا متراخ ، فإن أطال حتى يفرط أو قام من مجلسه لم يعد بديهاً /

انظر : العمدة : ١/١٩٢ .

قال له الكندي - وهو أحد فلاسفة العرب ، وكان حاضراً ، وأراد الطعن عليه -  
الأمير فوق ما وصفت ، فأطرق أبو تمام قليلاً ، ثم زاد في القصيدة بيتين لم يكونا فيها ،  
وهي قوله :

لَا تُتَكْرَمُوا ضَرْبِي لَهُ . . . . . البيت (١)

وعلق ابن رشيق على بديهة أبي تمام فقال :

" . . . فهذا أيضا وماشاكله هو البديهة ، وإن أعجب ما كان البديهة ، من أبي تمام ،  
لأنه رجل متصنع لا يحب أن يكون هذا في طبعه ، وقد قيل : إن الكندي  
لما خرج أبو تمام قال :

هذا الفتى قليل العمر ؛ لأنه ينحت من قلبه ، وسيوت قريباً ، فكان كذلك (٢)

ذكر ابن وكيع أن بيت أبي تمام أفضل من قول المتنبي :

تَمَثَّلُوا حَاتِمًا وَلَوْ عَقَلُوا . . . لَكُنْتُمْ فِي الْجُودِ غَايَةَ الْمَثَلِ

وذلك لأن المتنبي اقتصر في التشبيه على حاتم في معنى واحد من المدح . ورأى

أن أبا تمام أشعر منه ؛ لأنه أتى في ذلك بأربع صفات حيث ذكر أن الممدوح يساوي  
من فوقه ، ثم لم يرضَ بذلك حتى استدرك ذلك بأن قال :

لَا تُتَكْرَمُوا ضَرْبِي لَهُ مَن دُونَهُ . . . . .

فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِإِنْسُورِهِ . . . . .

وعلق ابن وكيع على بيتي أبي تمام بقوله :

" فهذا كلام فائق ، ومعنى رائع يقع كلام أبي الطيب معه بعيداً ، ورجحانه

لا خفاء به (٣)

(١) انظر:

الموشح : ٢٩٣ ، العمدة : ١ / ١٩٢ .

(٢) العمدة : " باب في البديهة والارتجال " : ١ / ١٩٢ .

(٣) المنصف في نقد الشعر : ١٥٧ .

(الكامل) البيت الرابع (\*)

(١) قول كعب بن مالك :

زَعَمْتُ سَخِينَةَ (٢) ، أَنْ سَتَّغَلِبَ رَبِّيَ (٣) . . . وَلَيَغْلِبَنَّ مَغَالِبُ الْفَسْلَابِ (٤) (٥)

(\*) الدلائل ، رضا : ١٤ ، خفاجي : ٧٠ ، شاكر : ١٧ .

(١) نسبه في العقد الفريد لحسان بن ثابت . جاء في العقد :

" قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : لقد شكر الله لك قولك  
حيث تقول :

زَعَمْتُ سَخِينَةَ أَنْ سَتَّغَلِبَ رَبِّيَ . . . / انظر :

العقد : دار الفكر : ١١١/٦ .

وجاء في طبقات فحول الشعراء أن هذا القول وجهه النبي صلى الله عليه

وسلم لكعب بن مالك ، وليس لحسان ، وذكر البيت غير منسوب فسي :

التثليل والمحاضرة ، وذكر في بقية المراجع لكعب بن مالك .

فالراجع أن البيت لكعب وهو :

كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاري السلمي الخزرجي ، صحابي

من أكابر الشعراء من أهل المدينة اشتهر في الجاهلية ، وكان في الإسلام

من شعراء النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد أكثر الوقائع ثم كان ممن

أصحاب عثمان ، وأنجده يوم الثورة ، وحرّض الأنصار على نصرته ، ولما قتل

عثمان قعد عن نصرته علي ، وعي في آخر عمره ، وعاش سبعاً وسبعين سنة /

انظر ترجمته :

الأغانى : ١٦ / ٢٢٧-٢٤٠ ، الاستيعاب " ضمن الإصابة " : ٣ / ٢٧٤ ، الإصابة :

٣ / ٢٨٥ رقم (٧٤٣٥) ، نكت الهميان : ٢٣١-٢٣٣ ، معجم الشعراء : ٣٤٢ ،

خزانة البغدادي - الخانجي - : ١ / ٤١٧-٤١٨ ، الأعلام : ٢٢٨ .

كان هذا الاسم ما سميت به قريش قديماً ، ذكروا أن قصياً كان إذا ذبحت

(٢)

ذبيحة أو نحيزة بمكة أتى بعجزها ، فصنع منه خزيرة ، وهو لحم يطبخ ببيسر

فيطعمه الناس ، فسميت قريش بها سخينة ، وقيل : إن العرب كانوا إذا

أستوتوا أكلوا العلهز ، وهو الوير والدم ، وتأكل قريش الخزيرة والفتسة ،

فنفست عليهم ذلك فلقبوهم : سخينة ، ولم تكن قريش تكره هذا اللقب ،

ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره ورسول الله - صلى الله عليه وسلم -

منهم ، ولتَرَكَهُ أديباً مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ كان قرشياً ، ولقد

استشهد عبد الملك بن مروان مقاله الهوازني في قريش :



.....

يَلْشِدَّةٌ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَانِ بَسَةً .: عَلَى سَخِينَةَ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ  
 فقال : ما زاد هذا على أن استثنى ، ولم يكره سماع التلقيب بسخينة ،  
 فدل هذا على أن هذا اللقب لم يكن مكروهاً عندهم ، ولا كان فيه تعبير لهم  
 بشيء . / الروض الأنف : ٣٠٠ / ٣ .

وجاء في اللسان أن السخينة طعام يصنع من الدقيق دون العصيدة في  
 الرقة وفوق الحساء ، وكانت تأكل منها في شدة الدهر وغلاء السعر ،  
 وعجف المال ، أو هي دقيق يُلقَى على ماء أولبن فيطبخ ، ثم يؤكل بتمر  
 أو يُحسى ، وقيل إنها تعمل من دقيق وسمن ، وكانت قریش تكثر من أكلها  
 فعُيرت بها حتى سُمُو سَخِينَةَ . / اللسان : " سَخْن " : ٢٠٧ / ١٣  
 وهذا هو الظاهر من بيت كعب ، فهو يقصد التهمك من أن تزعم هذه  
 التي تأكل السخينة أن تغلب ربها ، وقوله " زعمت " يدل على الاستصغار  
 والتحقير .

( ٣ ) رواية الديوان والسيرة : خزانة البغدادي :  
 جَاءَتْ سَخِينَةُ كَيْ تَغَالِبَ رَبَّهَا .: قَلَيْغَلِبَنَّ مَغَالِبُ الْفَالِابِ  
 ورواية اللسان :

( هَمَّتْ سَخِينَةُ أَنْ تَغَالِبَ رَبَّهَا )  
 ( ٤ ) غَلَبَهُ يَغْلِبُهُ غَلْبًا وَغَلْبًا ، وَغَلَبَهُ وَمَغْلَبًا وَمَغْلَبَةً : قهره / اللسان " غلب "

٠٦٥١ / ١

( ٥ ) انظر البيت في :

ديوان كعب بن مالك : ١٨٢ ، السيرة النبوية لابن هشام : ٣ / ١٦١ ،  
 طبقات فحول الشعراء : ٢٢٢ / ١ ، العقد الفريد ، " دار الفكر " : ٦ / ١١١ ،  
 نشر الدر الآبي لمنصور الآبي : ٢ / ١٣٧ ، التمثيل والمحاضرة : ٨ ،  
 الاستيعاب - ضمن الإصابة - ٢٧٤ / ٣ ، الروض الأنف : ٣٠٠ / ٣ ، لسان  
 العرب : " غلب " : ( ١ / ٦٥١ ) ، خزانة الأدب للبغدادي - مكتبة  
 الخانجي - : ١ / ٤١٧ .

والبيت لكعب بن مالك يرد فيها على عبد الله بن الزبير الذي قال يوم

الخندي :

حَتَّى الدِّيَارِ مَحَا مَعَارِفَ رَسْمِهَا .: . طُولُ البِلَى وَتَرَاوُحُ الأَحْقَابِ  
فَكَأَنَّمَا كَتَبَ اليَهُودُ رُسُومَهُمَا .: . إِلاَّ الكَنِيفَ وَمَعْقِدَ الأَطْنَابِ (١)

فأجابه حسان ، ثم أجابه كعب بن مالك ، فقال :

أَبْقَى لَنَا حَدَثُ الحُرُوبِ بَقِيَّةً .: . مِنْ خَيْرِ نَحْلَةِ رَبَّنَا الوَهَّابِ (٢)

وقبل الشاهد :

وَمَوَاعِظٌ مِنْ رَبَّنَا نُهْدِي بِهَا .: . بِلِسَانِ أَزْهَرِ طَيِّبِ الأَثْوَابِ  
عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَهَيْنَا نِكْرَهَا .: . مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَي الأَحْزَابِ  
حِكْمًا يَرَاهَا المُجْرِمُونَ بِزَعْمِهِمْ .: . حَرَجًا وَيَغْفُهَا ذُو الأَلْبَابِ (٣)

وبعد ها البيت وهو آخر بيت في القصيدة .

والبيت ساقه الشيخ ليثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يطلب من أصحابه قول الشعر وسماعه ، فهو هنا قد استشهد أبا بكر قول كعب في مذمة كفار قريش ، إن أن بيت كعب هذا فيه انتصار للإسلام ، وانتقاص من قدر كفار قريش ، فهو يتهم كفار قريش التي زعمت أنها تستطيع مغالبة ربها ، والانتصار عليه بمعاداة نبيه ، وإنكار كتابه ، فرد كعب على هذا الزعم بروح إسلامية قوية تولد عنها أسلوب قوي مؤكد ، فأتى بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة \* وَلِيُغْلِبَنَّ \* واختار من صفات المولى عز وجل صفة \* الغلاب \* على صيغة المبالغة زيادة في التوكيد ، وإلقاء الرهبة في القلوب .

( ١ ) شعر عبد الله بن الزبير : ٢٩ .

( ٢ ) ديوانه : ١٧٨ .

( ٣ ) انظر الأبيات في : ديوانه : ١٨١ ، السيرة النبوية : ٣ / ١٦٠ ، ١٦١ .

البيت الخامس : (\*) ( الطويل )

قول أبي طالب :

وَأَبِيضٌ يَسْتَسْقَى الْغَمَامَ بِوَجْهِهِ . : . شِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ  
مُطِيفٌ بِهِ <sup>(٥)</sup> الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ . : . فَهَمَّ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ <sup>(٦)</sup> وَفَوَاضِلٍ <sup>(٧)</sup>

(\*) الدلائل ، رضا : ١٤ ، خفاجي : ٧٠ ، شاکر : ١٨٠ .  
(١) أبو طالب هو عم الرسول صلى الله عليه وسلم اسمه عبد مناف وقيل شيبة بن

عبد المطلب بن هاشم ، قال ابن عساکر في تاريخه قيل أنه : أسلم ولكن لا يصح إسلامه . مات في السنة العاشرة من البعثة ، وكان عمره بضعا وثمانين سنة . وأخرج الزبير بن بكار وابن عساکر عن إسحاق بن عيسى قال : سمعت بعض المشيخة يقول : لم يكن أحد يسود في الجاهلية إلا بمال ، إلا أبو طالب وعتبة بن ربيعة ، وكان أبو طالب شقيقاً على النبي صلى الله عليه وسلم كفله بعد وفاة جده عبد المطلب ، وكان من مشركي قريش ، وكان أبو طالب شاعراً جيد الكلام ، ومن أبرع ما قال قصيدته التي منها البيت . ومن الغريب ما ذكره ابن عساکر حيث ذكر أن أبا طالب مات ولم يعقب وقد ذكر هو نفسه ص : ٢٥٨ أن أبا طالب كان يحب الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من أولاده ؟ والصحيح أنه عقب أولاداً منهم :

علي بن أبي طالب ، وعقيل ، وأم طالب ، وطالب الذي كني به أبو طالب ، وغيرهم . / انظر ترجمته :

تهذيب تاريخ ابن عساکر : ٢٨٥ / ١ - ٢٩١ ، إنسان العيون : ١ / ١٢٥ ، الإصابة : ١١٥ / ٤ ، خزائن الأدب للبغدادي : ٢ / ٧٥ ، من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني : ٧٩ .

(٢) رواية طبقات فحول الشعراء : " ربيع اليتامى " ومعنى شمال اليتامى : المتولى أمرهم القائم به .

(٣) عصمة للأرامل : أي منعة لهن يمنعهن ويحفظهن . / المصباح المنير

" العين مع الصاد وما يثلثهما " : ٢ / ٦٤ .  
(٤) رواية السيرة : " يلون به الهلاف من آل هاشم " .

(٥) الهلاك : جمع هالك وهو الفقير المعدم . / اللسان " هلك " : ١٠٠ / ٤٠٥ .

(٦) رواية السيرة : " في رحمة " .

(٧) انظر البيتين في :

السيرة النبوية لابن هشام : ١ / ٢٤٨ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٢٤٤ ،

والبيتان من قصيدة<sup>(١)</sup> قالها في معادة خصومه<sup>(٢)</sup>.

ومطلعها :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وَتَّ مِنْهُمْ . . . وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ

وقبل الشاهد :

وَمَا تَرَكُ قَوْمٌ لَّا أَبَاكَ سَيِّدًا . . . يَحَوِّطُ الذَّمَّارَ غَيْرَ ذَرْبِ مُوَائِلِ

ولقد امتدح ابن سلام هذه القصيدة ، ورأى أنها أبرع ما قال .

قال ابن سلام :

\* وكان أبوطالب شاعراً جَيِّدَ الكلام أبرع ما قال قصيدته التي مدح فيها

النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup>.

دلائل النبوة : ٢٢٣/١ ، حماسة ابن الشجري : ١٨ ، الإصابة : ١١٥/٤ ،

مغنى اللبيب : ١٣٥/١ ، شرح شواهد المغني : ٢٩٦/١ ، خزانة الأدب

للبيفدادي : - الخانجي - : ٦٧/٢ .

ذكر ابن سلام أن هذه القصيدة قد زيد فيها وطولت حتى لا يُعرف منتهاها

قال :

\* وقد زيدَ فيها وطوّلت . ورأيتُ في كتابِ يُوْسُفَ بنِ سَعْدِ صاحبنا مُنْذُ

أكثر من مائة سنة ، وقد علمتُ أن قد زاد النَّاسُ فيها ، ولا أدري أيُّ

منتهاها ؟ وسألني الأصبهاني عن ذلك ، فقلتُ صبيحةً جيدةً ! قال : أتدري أين منتهاها ؟ قلت : لا .

ذكر ابن هشام في سيرته : طبقات ابن سلام : ٢٤٤ - ٢٤٥ .

\* فلما خشي أبوطالب دهماً العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته

التي تعودتُ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودد فيها أشرف قومه ،

وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مُسلم رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه \* /

السيرة : ١ / ٢٤٥ .

طبقات ابن سلام : ١ / ٢٤٤ . (٣)

البيت السادس : ( \* )  
( الطويل )

قول أبي طالب :

كَذَّبْتُمْ وَيَتَّيَّ اللَّهُ إِنَّ جَدَّ مَا أَرَى . . . لَتَلْتَبَسْنَ أَسْيَافُنَا بِالْأَنَامِ (٢) لِي  
وَيَنْهَضَ قَوْمٌ فِي الدُّرُوعِ إِلَيْهِمْ (٤) . . . نَهَوْهُ الرِّوَايَا (٥) فِي طَرِيقِ حَلَا حِلِ (٧)

البيتان من قصيدته المشار إليهما في البيت السابق

الأبيات بحسب ترتيب السيرة مع ذكر ما قبل البيتين وما بعدهما :

كَذَّبْتُمْ وَيَتَّيَّ اللَّهُ نَبِيَّ مُحَمَّدًا . . . وَلَمَّا نَطَّاعِنُ دُونَهُ وَنَنَاضِلِ  
وَنُسَلِّمُهُ حَتَّى نَصْرَعَ حَاسِلُهُ . . . وَنَذْهَلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ

( \* ) الدلائل ، رضا : ١٥ ، خفاجي : ٧١ ، شاکر : ١٨ .  
( ١ ) رواية السيرة :

" وإما لعمر الله " .

والبيت الذي فيه كذبتهم هو قوله :

" كذبتهم وبيت الله نترك مكة "

وقوله : " كذبتهم وبيت الله تَبْرِي مُحَمَّدًا "

( ٢ ) رواية السيرة : " بالأماثل "

والبيت الذي فيه بالأنامل هو قوله :

وقد خَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظْنَسَةً . . . يَعْضُونَ غِيظًا خَلَفْنَا بِالْأَنَامِ لِي

( ٣ ) رواية السيرة وخزانة الأدب : " في الحديد " .

( ٤ ) رواية السيرة : " إليكم " .

( ٥ ) الرِّوَايَا : جمع رواية وهو ما يستقي عليه من بعير وغيره ، / اللسان " روى : ١٤ / ٣٤٧ .

( ٦ ) رواية السيرة : " تحت ذات الصلاصل " ، والصلاصل : بقية الماء . / اللسان

" صل : ١١ / ٣٨٤ .

والبيت الذي فيه كلمة حلا حل :

وَسَاءِطُ كَانَتْ فِي لُؤْيِ بْنِ غَالِبٍ . . . نَفَاهُمْ إِلَيْنَا كُلُّ صَقَرٍ حُلَا حِلِ

( ٧ ) انظر : السيرة النبوية لابن هشام : ١ / ٢٤٧ ، خزانة الأدب للبغدادي

- الخانجي : ٢ / ٦٣ - ٦٤ .

وَيَنْهَضُ قَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ . . . نَهَضَ الرَّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاحِ  
 وَحَتَّى تَرَى ذَا الضَّفْنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ . . . مِنَ الطَّعْنِ فِعْلَ الْأَنْكَبِ الْمُتَحَامِلِ  
 وَإِنَّمَا لَعَمْرُ اللَّهِ إِنْ جَدَّ مَا أَرَى . . . لَتَلْتَبَسَنَّ أَسْيَافَنَا بِالْأَنَا مِيسَلِ  
 يَكْفِي فَتَى مِثْلَ الشُّهَابِ سَمِيدَعٍ (١) . . . أَخِي ثِقَّةٍ حَامِي الْحَقِيقَةِ بِأَسِيسَلِ

أورد الشيخ عبد القاهر قول أبي طالب الأول :

وَأَبْيَضَ يَسْتَسْقَى الْغَمَامَ بِوَجْهِهِ

وقول الثاني :

كَذَبْتُمْ وَبَيَّتَ اللَّهُ إِنْ جَدَّ مَا أَرَى

مثالاً على استنشاد النبي صلى الله عليه وسلم للشعر فالقول الأول استنشده

حين استسقى فسقى ، والثاني استنشده حين نظر في يوم بدر إلى القتلى مصرعسين

فقال لأبي بكر لو أن أباطالبي حي لعلم أن أسيافنا قد أخذت بالأنامل .

(١) السَّمِيدَعُ : بالفتح : الكرم ، السَّيْدُ الجميل الجسم الموطأ الأكناف ،

وقيل هو الشجاع ، ولا يقال سُمِيدَعُ بالضم / اللسان "سمع - سمدع" :

(\*) البيت السابع :  
(السريع )

قول الأعشى :  
(١)

عَلَّمْتُ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرٍ . . النَّاقِضِ الْأَوْتَارِ وَالْوَائِيْرِ (٢) (٣) (٤)

وهو من قصيدة قالها في هجاء علقمة بن علاثة (٥) ، ويمدح عامر

(\*) الدلائل ، رضا : ١٦ ، خفاجي : ٧١ ، شاکر : ١٩ .

(١) الأعشى ( . . - ٧٧ هـ ) هو ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بسن

شعلبة الواثلي ، كنيته أبو بصير ، ويعرف بأعشى قيس ، ويقال له أيضا

الأعشى الكبير ، وأعشى بكر بن وائل ، ولد وتوفي في قرية منغوحة باليمامة ،

وهو من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، وأحد أصحاب المعلقات ،

كان كثير الوفود على ملوك العرب والفرس ، غزير الشعر لم يعرف أحد

قبله أكثر شعراً منه ، وكان يغتني بشعره فسمي " صناجة العرب " ، أدرك

الإسلام ولم يسلم . / انظر ترجمته :

جمهرة أشعار العرب : ١١٩-١٢٨ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٦٥ ،

الشعر والشعراء : ٢٦٣-٢٧٣ ، الأغاني : ١٠٨-١٢٩ ،

المؤلف والمخلف : ١٢ ، معجم الشعراء للمرزياني : ٤٠١ ، النقائض :

١ / ٤٧٨ ، ٢ / ٦٤٤ ، معاهد التنصيص : ١ / ١٩٦-٢٠٢ ، خزانة البغدادي

" دار صادر " : ١ / ٨٤-٨٦ ، شعراء النصرانية : ١ / ٣٥٧-٣٩٩ ،

الأعلام : ٧ / ٣٤١ .

(٢) الأوتار : جمع وتر وهو الثأر . / اللسان " وتر " : ٥ / ٢٧٤ .

(٣) الواتر : الغالب الذي يترك ثأره في الأعداء ولا يستطيعون الأخذ به . /

اللسان " وتر " : ٥ / ٢٧٤ .

(٤) انظر البيت في :

ديوانه - شرح وتعليق : محمد محمد حسين : ١٩١ قصيدة رقم ١٨ ،

ديوانه - دار بيروت - : ٩٣ ، العمدة : ١ / ٥٣ ، شرح نرج البديعة ، ابن أبي الحديد :

١ / ١٦٦ شرح نزهة المفحج : ٢ / ٩٦

(٥) هو علقمة بن علاثة بن عوف الكلابي العامري ، وهو صاحب جليل من بني عامر

ابن صعصعة ، كان في الجاهلية من أشرف قومه ، وفد على قيصر ، ثم أسلم

وارتد في أيام أبي بكر ، فانصرف إلى الشام ، فبعث إليه أبو بكر القعقاع

ابن عمرو ، ففقر علقمة منه ، ثم عاد إلى الإسلام ، وولاه عمر بن الخطاب

حوران فنزلها إلى أن مات ، ولقد كان جواداً كريماً ، روى عن النبي صلى الله

عليه وسلم حديثاً واحداً ، توفي سنة ( ٢٠ هـ ) / انظر ترجمته :

ابن الطفيل<sup>(١)</sup> في المنافرة التي جرت بينهما وأولها :

شَاقَّتْكَ مِنْ قَتْلَةِ أَطْلَالِهَا . . . بِالشَّطِّ فَالْوَتْرِ إِلَى حَاجِرِ

وقبل الشاهد :

دَعَمَهَا فَقَدْ أَعْدَرْتَنِي جِبَّهَا . . . وَأَنْكُرُ خَنَا عِلْقَةَ الْفَاجِرِ

وبعد الشاهد وبعده :

وَاللَّابِسِ الْخَيْلَ يَخِيلُ إِذَا . . . تَارَ غِبَارُ الْكَبَّةِ<sup>(٢)</sup> النَّائِرِ

سُدَّتْ بَنِي الْأَخْوَصِ لَمْ تَعُدُّهُمْ . . . وَعَامِرٌ سَانَ بَنِي عَامِرِ

والبيت جاء به الشيخ دليلاً على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يئنم أصحابه

عن قول الشعر وإنشاده ، وإنما أراد تعليمهم العبادي ، والقيم الفاضلة التي لا يسد

أن يتحلوا بها حتى في قولهم الشعر ، فللشعر أخلاق ومثل وآداب يجب الالتزام بها

الإصابة : ٤٩٦/٣ رقم (٥٦٧٧) ، الأعلام : ٢٤٧/٤ - ٢٤٨ .

هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري من بني عامر بن صعصعة

(١)

ولد سنة (٧٠) قبل الهجرة ، وتوفي سنة (١١١هـ) ، وكان فارس قومه ،

وأحد فتاك العرب وشعرائهم ، وكنيته أبو علي ، ولد ونشأ ببنجد ، أدرك

الإسلام شيخاً ، ووفد على الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة بعمد

فتح مكة ، وكان يريد الغدربه ، فدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى

الإسلام ، فطلب من الرسول أن يجعل الأمر له من بعده ، فرده فعد

حنقاً ، ومات في طريقه قبل أن يبلغ قومه مصاباً بالطاعون في عنقه ، وكان

أعور أصيبت عينه في إحدى الوقائع ، عقيماً لا يولد له ، وهو ابن عم لبيد

الشاعر ، وله ديوان شعر من رواية أبي بكر الأنباري . / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٣٤١/٦ ، معجم الشعراء للمرزباني : ١٥٤ - ٢٢٢ ،

الإصابة : ١٢٥/٣ (٦٥٥٨) ، خزانة الأدب للبيدادي : تحقيق

عبد السلام هارون - ٨٠ / ٣ ، الأعلام : ٢٥٢ / ٣ .

الدفعة والجماعة من الخيل / اللسان " كيب " : ١ / ٦٩٦ .

(٢)



حتى في باب الهجاء الذي يجد الشاعر فيه متفلساً للنيل ممن يريد ، فالرسول صلى الله عليه وسلم نهى أصحابه عن إنشاد الشعر الذي فيه نيل وطمع فيمن كان كريم الأخلاق ، وإن كان مشركاً ، فعلقمة بن علاثة الذي هجاه الأعشى ، وحط من قدره - بقوله : إنك يا علقمة لا يمكن أن تقاس بعامر ، فأنت لا تدانيه منزلة وشرفاً فهو الآخذ ثأره من الخصم لا يتركه أبداً ، وهو التارك الثأر فيهم لا يستطيعون الأخذ به - ، كان كريم الخلق حيث أحسن القول في النبي صلى الله عليه وسلم حين ذُكر عند قيصر .  
جاء في الدلائل :

” . . . كنا يوماً عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لحسان بن ثابت :  
أنشدني قصيدة من شعر الجاهلية ، فإن الله تعالى قد وضع عنا آثامها  
في شعرها وروايتها ، فأنشده قصيدة للأعشى هجا بها علقمة بن علاثة . .  
فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

يا حسان لا تعد تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسك هذا ، فقال :  
يا رسول الله تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :  
” يا حسان أشكرُ الناس للناس أشكرهم لله تعالى ، وإن قيصر سأل أباسفيان  
ابن حرب عني فتناول مني وفي خبر آخر فشعث<sup>(١)</sup> مني ، وأنه سأل هذا عني  
فأحسن القول ، فشكره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك<sup>(٢)</sup> .

(١) أي عاب وانتقص . / اللسان ” شعث ” : ١٦١/٢ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٦ ، خفاجي : ٧١-٧٢ ، شاکر : ١٩ .

البيت الثامن : ( \* ) ( الكامل )

(١) أَرْفَعُ ضَعِيفَكَ لَا يَحْرَهُ بِكَ ضَعْفُهُ . . . يَوْمًا فَتَدْرِكُهُ الْعَوَاقِبُ قَدْ نَسِيَ  
يَجْزِيكَ أَوْ يَنْتِي عَلَيْكَ وَإِنَّ مَسْنً . . . أَشْتَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ (٨) (٧) (٦) (٥) (٤) جَزَى

والبيتان ذكرهما الشيخ من غير نسبة وهما لغريض اليهودي (١٠) .

- ( \* ) الدلائل ، رضا : ١٦ ، خفاجي ، ٧٢ ، شاکر : ١٩ .  
( ١ ) رواية الطبراني : " ادفع " .  
( ٢ ) أي لا يثنيك ويرجعك ضعفه عن تقديم المساعدة له .  
( ٣ ) رواية العقد الفريد ، " فتدركه عواقب ما جنتي " .  
( ٤ ) رواية ابن عساكر : " ما جئنا " .  
( ٥ ) رواية العقد الفريد : " فإن " بالفاء بدل الواو .  
( ٦ ) رواية الوحشيات : " يئنني " .  
( ٧ ) رواية مجموعة المعاني : " بما صنعت " .  
( ٨ ) رواية عيون الأخبار والعقد الفريد والطبراني : " كمن جزی " .  
( ٩ ) انظر البيتين في :

الوحشيات : ١١٠ ، عيون الأخبار : ٣ / ٨ / ١٦٢ ، العقد الفريد : ١ / ١٩٢ ،  
الأغاني : ٣ / ١١٤ - ١١٧ - ١١٨ ، سبط اللآلي : ١ / ٢٠٦ ، المعجم  
الصغير للطبراني : ١ / ١٦٣ ، تاريخ ابن عساكر : ٥ / ٣٩٠ ، مجموعة  
المعاني : ١٢٨ .

( ١٠ ) والبيت في الوحشيات ورد منسوبا لسعية بن غريض اليهودي ، وفي  
العقد الفريد وتاريخ ابن عساكر لزهير بن جناب وهو شاعر جاهلي من  
سادات كلب ، وفي الأغاني والسبط ذكر أنهما لورقة بن نوفل ، وجاء  
في الأغاني : " الشعر لغريض اليهودي ، وهو السموأل بن عاديساء ،  
وقيل إنه لابنه سعية بن غريض ، وقيل إنه لزيد بن عمرو بن نفيل ، وقيل  
إنه لورقة بن نوفل ، وقيل إنه لزهير بن جناب ، وقيل إنه لعامر بن  
المجنون الجرهمي الذي يقال له تد رج الرياح ، والصحيح أنه لغريض  
أولابنه " / انظر : الأغاني : ٣ / ١١٥ .

وغريض اليهودي من ولد الكاهن بن هارون بن عمران ، وذكر فسي

الوحشيات أنه رجل من أهل وادي القرى يهودي ، وذكر في الأغاني =====

والبيتان من قصيدة أولهما :

وَإِذَا رَأَيْتَ مُفَمَّرًا فَتَعَسَّلَمَنَّ . . . أَنْ سَوْفَ تُدْرِكُهُ الْخُطُوبُ فَيَنْطَلِقُ (١)

وقبل البيتين :

إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا أَرَدْتُ إِخَاءَهُ . . . لَمْ تُغْفِ حَبْلِي وَاهِيَا رَثَّ الْقُسْوَى  
أَرْغَى أَمَانَتَهُ وَأَحْفَظُ عَهْدَهُ . . . عِنْدِي وَيَأْتِي بَعْدَ نَزْلِكَ مَا أَتَى (٢)

والبيتان ساقهما الشيخ مثالا على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يهيب بالمسلم أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة ، وأنه كان يحب سماع الأبيات التي تحث على مكارم الأخلاق وتنطوي على معانٍ سامية . فكان كثيرا ما يطلب من عائشة رضي الله عنها إنشاده هذين البيتين لما فيهما من الحث على رفع الضعيف ، والأخذ بيده ، ومساعدته ، وعدم التقاعس عن نصرته لضعفه وقلة حيلته ، فقد تدور الأييام ويعلو شأنه ، ويرتفع قدره ، فينال المساعد منه الشكر والجزاء ، فإن من شكر واعترف بالجميل ، فقد وفى وجزى ، فأشكر النامس للنامس أشكرهم لله .

والبيتان دليل على حرصه صلى الله عليه وسلم على أن يعلم نساءه التمثل بالشعر الجيد الذي يُقَوِّمُ الأخلاق ، ويربي النفس .

جاء في الدلائل :

". . . ومن المعروف في ذلك خبر عائشة رضوان الله عليها أنها قالت :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول : " أبيتك "

فأقول :

=== أنسه السؤال ، - والمذكور في ترجمة السؤال أنه السؤال بن

عريض بن عادي بن حباء ، وبعضهم يقول هو السؤال بن عادي من غير ذكر عريض - وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء المشهور بالوفاء ، وقيل : بل هو ولد الكاهن بن هارون بن عمران ، وكان هذا الحصن لجده عادي احترفه بثرًا زوينة عذبة / انظر :

الوحشيات : ١١٠ ، الأغاني : ١١٧/٢٢ - ١١٥/٣ .

(١) ذكر في الأغاني أن أول القصيدة :

رَحَلْتُ قَتِيلَةَ عَيْرِهَا قَبْلَ الضَّحَى . . . وَأَخَالَ أَنْ شَحَطَتِ بِجَارَتِكَ النَّسْوَى

(٢) الوحشيات : ١١٠ .

ارفع ضعيفك لا يحتر... .

قالت فيقول عليه السلام : " يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبده : صنع  
إليك عبدي معروفا فهل شكرته عليه ؟ فيقول : يارب علمت أنه منك فشكرتك  
عليه . قال فيقول الله عز وجل : لم تشكرني إذا لم تشكر من أجرته على  
يده (١) .

### البيت التاسع : - ( \* ) ( الطويل )

وهو لقيس بن معدان الكلبي : (٢)

فَحَالِفٌ وَلَا وَاللَّهِ تَهَيَّبُ تَلْعَمَةٌ (٣) . . . مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا أَنْتَ لِلذَّلِّ عَسَارُفُ  
أَلَا مَنْ رَأَى الْعَبْدَيْنِ أَوْ ذَكَرَا لَهُ (٤) . . . عَدِيٌّ وَتِيمٌ تَبْتَغِي مَنْ تُحَالِفُ (٥) (٦) (٧) (٨)

- (١) الدلائل ، رضا : ١٧ ، خفاجي : ٧٢ ، شاكر : ٢٠ .
- ( \* ) الدلائل ، رضا : ١٧ ، خفاجي : ٧٣ ، شاكر : ٢٠ .  
لم أقف عليه بهذا اللفظ ، جاء في مسند الإمام أحمد :  
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لم يشكر  
الناس لم يشكر الله عز وجل " . / انظر :
- (٢) مسند الإمام أحمد : ٢ / ٢٥٨ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ ، ٣٨٨ ، ٤٦١ ، ٤٩٢ ، ٣ / ٣٢٢ .  
ذكر البيتان في طبعة رشيد رضا وطبعة خفاجي غير منسويين ، وذكرهما  
منسويين لقيس بن معدان الكلبي في طبعة شاكر . ولم أقف لقيس هذا على  
ترجمة .
- (٣) رواية فرحة الأديب والمخصص : " فلا والله " .
- (٤) التلعة من الأضداد يقال لما انحدر من الأرض ولما ارتفع منها . / اللسان  
" تلع " : ٣٦ / ٨ .
- (٥) رواية فرحة الأديب : " إن ذكرا له " .
- (٦) عدي وتيم ابنا عبد مائة بن أد بن طابخة / جمهرة أنساب العرب : ١٩٨ -  
١٩٩ - ٢٠٠ ، الأعلام : ٢ / ٩٥ ، ٤ / ٢٢١ .
- (٧) ويريد بحالف " الحي " لذلك ذكره وأفرد .
- (٨) ذكر البيتان في شرح أبيات سيويه للسيرافي : ٢ / ١٣٣ مع جعل البيت  
الأول هو الثاني ، والثاني هو الأول .  
وذكر البيت الثاني فقط في : الكتاب : ٣ / ١٠٥ ، شرح أبيات سيويه  
للنحاس : ٢٢٩ ، رقم ( ٦٢٧ ) ، المخصص : ٥ / ١٧ ، ٦٤ ، ٦٥ ، فرحة الأديب :  
٠٧٧

وقيل هو للقيط بن زُرارة<sup>(١)</sup>.

وذكر الأسود الغندجاني بيتاً ثالثاً هو :

وَصِيَّةَ عَجْدٍ ثَالِثٍ لَا أَخَالَهُ . : كَمَا زَيْفَ النَّعِيِّ بِالْكَفِّ صَارِفٍ<sup>(٢)</sup>

والبيتان ذكرهما الشيخ لبيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان خبيراً بالشعر عالماً بدقيق معانيه ، فحين أنشدت سورة<sup>(٣)</sup> الشهر الأخير من البيست الثاني ظنت عائشة وحفصة رضي الله عنهما أنها عرضت بهما ، وجرى بينهما كلام ، فبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك ، فدخل عليهن ، وقال : " يا ويلكن ليس في عدتيكن ولا تبيكن قبي هذا ، وإنما قبي هذا في عدي تيم وتيم تيم<sup>(٤)</sup> .

فالبيتان فيهما انتقاص من قدر وهيبة وشجاعة عدي وتيم فالمعنى : حالف من تعز وتفتخر بحلفه ، والآءرفت الذل والضم حيث توجهت من الأرض ، وعدي وتيم

(١) نُسب البيتان في شرح أبيات سيويه للسيرافي ، والمخصص ، وفرحة الأديب للقيط بن زُرارة ، ووردا في الكتاب لسيويه ، وشرح أبيات سيويه للنحاس من غير نسبة .

ولقيط هو : لقيط بن زُرارة بن عدس من تميم وكنيته أبو قختوس وأبو نهشل وهو شاعر جاهلي فارس مقدم من أشرف تيم قتل يوم جيلة عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يرأس قومه / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٢ / ٧١٤ ، المؤلف والمختلف : ١٧٥ .

(٢) فرحة الأديب : ٧٧ .

(٣) هي أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس من لؤي ، من قريش ،

كانت في الجاهلية زوجة السكران بن عمرو بن عبد شمس ، وأسلمت ثم أسلم زوجها ، وهاجرا معاً إلى الحبشة في الهجرة الثانية ، ثم عادا إلى مكة وتوفي السكران ، فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد السيدة خديجة ، وتوفيت في المدينة المنورة في آخر زمان عمر بن الخطاب . / انظر ترجمتها :

الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨ / ٥٢-٥٧ ، الإصابة : ٤ / ٣٣٠ رقم (٦٠٦) ،

الأعلام : ٣ / ١٤٥ .

(٤) الدلائل ، رضا : ١٧ ، خفاجي : ٧٣ ، شاكر : ٢٠ .

ابنا عبد مناة بن أد جعلها بمنزلة العبدین لا بتفائهما من يحالفهما ، وأفسرد  
 "تبتغي" ، لأنه رجع إلى جملة القبيلة ، فعمدي وتيم تبتغي من يعاهد ها ، ويناصرها  
 ويعينها إن قصدها قوم . (١)

البيت العاشر : ( \* ) (الكامل)

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ . هَلَّا تَوَلَّتْ يَأَلِ عَبْدِ الْمَنَافِ

والصحيح :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ . هَلَّا سَأَلْتَ (٣) عَنْ آلِ عَبْدِ مَنَافِ (٤)

والبيت ذكره الشيخ من غير عزو، وهو لمطروود بن كعب الخزاعي (٥) ، في

- (١) شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ١٣٣ / ٢ ، ٧١ : ٢١ .  
 (٢) سمط اللآلي : ٥٤٧ / ١ .  
 (٣) رواية أمالي المرتضى : " ألا تزلت " ورواية معجم الشعراء : " هلا حلت " .  
 (٤) انظر البيت في :  
 السيرة النبوية لابن هشام : ١٦٣ / ١ ، أمالي القالي : ٢٤١ / ١ ، الروض  
 الأنف : ٢٠٣ / ١ ، أمالي المرتضى : ٢٦٨ / ٢ ، ٨ / ٢ ، معجم  
 الشعراء للمرزباني : ٣٧٥ ، سمط اللآلي : ٥٤٧ ، أنباء نجباء الأبناء :  
 ٦٣ ، اللسان : باب الفاء فصل الجسيم (١١٣ / ٩) .  
 (٥) مطروود بن كعب الخزاعي شاعر جاهلي فحل لجأ إلى عبد المطلب بن  
 هاشم بن عبد مناف لجناية كانت منه فحماه ، وأحسن إليه ، فأكثر  
 مدحه ومدح أهله ، ويقال انه صاحب هذه الأبيات .  
 وينسب بعض أبيات هذه القصيدة لعبد الله بن الزبير كما في  
 اللسان ، وهو قوله :  
 كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَفَلَّقَتْ . فَالْمَحْ خَالِصَهَا لِعَبْدِ مَنَافِ  
 اللسان " مح " : ٥٨٩ / ٢ انظر ترجمة مطروود فيج :  
 معجم الشعراء للمرزباني : ٣٧٥ ، أنباء نجباء الأبناء : ٦٣ - ٦٥ ، الأعلام :

رثاء عبدالمطلب، وبنى عبد مناف. (١)

وبعد البيت :

هَبَلَتْكَ أُمُّكَ لَوْ حَلَلَتْ يَدَا رِهِمْ (٢) . ضَمِنُوكَ (٤) مِنْ جَزْمٍ وَمِنْ إِقْسِرَافٍ (٦)  
الْخَالِطِينَ غَنِيَهُمْ بِفَقِيرِهِمْ (٣) . حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِرِ (٧)

والبيت كسابقه ساقه الشيخ مثلاً على خبرته صلى الله عليه وسلم ومعرفته—  
بالشعر، فحين سمع الرجل يروي البيت على غير وجهه سأل أبا بكر سؤال المستنكر  
لِئَمَا سَمِعَ طَالِبًا مِنْهُ تَصْحِيحَ الْبَيْتِ ، وَإِزَالَةَ مَا لَحِقَهُ مِنْ خَطَأٍ فِي الرَّوَايَةِ .

قال الشيخ :

\* وروى الزبير بن بكار قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه

أبو بكر رضي الله عنه برجل يقول في بعض أزقة مكة :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَطَّلُ رَحَّلَهُ . هَلَّا نَزَلْتَ بِأَلِ عَبْدِ الْوَدَّارِ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ، أهكذا قال الشاعر؟

قال : لا يا رسول الله ، ولكنه قال :

(١) هذا ماجاء في سيرة ابن هشام :

\* رثاء مطرود الخزاعي لعبدالمطلب . قال ابن اسحاق : وقال

مطرود بن كعب الخزاعي يبكي عبدالمطلب وبنى عبد مناف \* ١٦٣/١٠ .

وكذلك جاء في اللسان أنها في رثاء عبدالمطلب . / ١١٣/٩ .

(٢) رواية أمالي القالي وأنباء نجباء الأبناء : \* لو نزلت \* .

(٣) رواية أنباء نجباء الأبناء : \* إليهم \* .

(٤) رواية أمالي القالي : \* منعوك \* .

(٥) رواية أمالي القالي : \* من عدم \* ورواية أنباء نجباء الأبناء \* من جوع \* .

(٦) إحدى روايات أمالي القالي : \* ومن اقتار \* .

(٧) رواية أمالي المرتضى الخالطون \* ، وذكر المرتضى في أماليه أبياتاً

عدة قبل هذا البيت .

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ . . . هَلَا سَأَلْتَ عَنَّا أَلِ عَيْدٍ مَنَافٍ

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : هكذا كنا نسمعها (١).

البيت الحادي عشر : ( \* ) ( الطويل )

قول النابغة الجعدي :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا . . . وَوَجَدْنَا (٢) . . . وَإِنَّا لَنَرْجُو (٤) فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

( ١ ) الدلائل ، رضا : ١٧ ، خفاجي : ٧٣ ، شاكر : ٢١ .

( ٢ ) الدلائل رضا : ١٨ ، خفاجي : ٧٤ ، شاكر : ٢١ .

وانظر الخبرني : أمالي القالي : ١ / ٢٤١ .

والهاء في قوله " نسمعها " يعود إلى الرواية ، والظاهر " نسمعه " عوداً على البيت .

( ٢ ) هو الصحابي قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة وقد

اختلف في اسمه فقيل ( قيس ) وقيل " حبان " ، وهو شاعر مشهور عاش في الجاهلية والإسلام وحسن إسلامه ، وقيل أنه هجر مائتين وعشرين سنة ، ومات بأصبهان ، وهو أحد نعت الخيل ، وهو الذي دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لا يقض الله فاه ، فبلغ عشرين ومائة سنة لم تسقط له سن / انظر ترجمته :

الاستيعاب : ٣ / ١٢٩٧ ، ٤ / ١٥١٤ - ١٥٢١ ، الإصابة : ٣ / ٥٠٨ ، رقم ( ٨٦٤١ ) ، طبقات فحول الشعراء : ١٢٣ - ١٢٥ ، معجم الشعراء :

٣٢١ .

( ٣ ) رواية الديوان ورسائل الجاحظ والصناعتين وشرح الأشموني :

" بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَسَنَاؤُنَا " .

ورواية جمهرة أشعار العرب :

" بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدًا وَجُودًا وَسُودًا " .

ورواية عيار الشعر :

" بَلَّغْنَا السَّمَاءَ نَجْدَةً وَتَكْرَمًا " .

( ٤ ) رواية رسائل الجاحظ : " وَإِنَّا لَنَبْفِي " .



(١) وَلَا خَيْرَ فِي حَلِيمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ . . . بَوَادِرُ تَحِيْبِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْسِرَا  
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ . . . حَلِيمٌ إِذَا مَا أوردَ الأَمْرَ أَضْدَادًا (٣)

والأبيات من قصيدة مطلعها :

خَلِيلِي عَوْجًا سَاعَةً وَتَهَجَّسْرًا . . . وَلَوْ مَا عَلَيَّ مَا أَحَدَتْ الدَّهْرُ أَوْ ذَرَا

وقبل الأبيات :

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى . . . وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجَسَّرَةِ نَسِيرًا (٤)

(١) رواية معجم الشعراء : " فلا خير " .

(٢) رواية الاستيعاب : " إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ " بالياء وليس بالتاء .

(٣) انظر الأبيات في :

ديوان النابغة الجعدي : ٧٣ ، جمهرة أشعار العرب : ٢٨٠ - ٢٨١ ، رسائل

الجاحظ : ١ / ٣٦٣ - ٣٦٤ ، عيون الأخبار : ١ / ٢٨٥ ، عيار الشعر :

٥١ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٢١ ، الصناعتين : ٩٤ البيت الأول فقط ،

بهجة المجالس : ٢ / ٦٠٨ ، البيتان الثاني والثالث ، الاستيعاب - تحقيق

البيجاوي - : ٤ / ١٥١٤ - ١٥٢١ ، العمدة : ١ / ٥٣ ، سبط اللاكسي :

٢ / ٧٧٢ ، نهاية الأرب : ٦ / ٥٦ ، شرح الأشموني مع الشواهد للعيني :

٢ / ١٣٢ ، خزانة الأدب للبغدادي - دار صادر - : ١ / ٥١٣ - ٥١٤ ، الإبانة

عن سرقات المتنبي : ١٩٦ .

(٤) جاء في جمهرة العرب قبل البيت الأول :

وَنَحْنُ أَنَا سٌ لَا نَعُوذُ خَيْلِنَا . . . إِذَا مَا التَّقِينَا أَنْ تَحِيدَ وَتَنْفُرَا

وَمَا كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا . . . صِحَا حَا وَلَا مُسْتَكْرَا أَنْ تُعَقَّرَا

وبعده :

وَكُلُّ مَعَدٍّ قَدْ أَحَدَتْ سَيُوفُنَا . . . جَوَانِبَ بَحْرِي غَوَارِبَ أَخْضَرَا

ثم ذكر بعده عدة أبيات ثم أتى

وَحَيَّ أَبِي بَكْرٍ وَلَا حَسِيٍّ مِثْلَهُمْ . . . إِذَا بَلَغَ الأَمْرُ العِمَاسَ المَدَّسَرَا

وبعده البيتان وبعدهما :

إِذَا افْتَخَرَ الأَزْدِيُّ يَوْمًا فَقُلْ لَهُ . . . تَأَخَّرَ فَلَمْ يَجْعَلْ لَكَ اللّهُ مَفْخَرَا

وبعد الأبيات .

والأبيات ذكرها الشيخ مثلاً على استحسان الرسول صلى الله عليه وسلم وارتياحه للجيد من الشعر ، فحين أنشد النابغة البيت الأول قال له النبي صلى الله عليه وسلم أين المظهر يا أبا ليلى ، فقال النابغة الجنة يا رسول الله ، فقال أجلس إن شاء الله ، ولما أنشده البيتين الآخرين استحسنتهما صلى الله عليه وسلم بقوله : " أجدت " ، ثم دعا له بقوله : " لا يفضى الله فاك " (١) .

### الأبيات الثانية عشرة : ( \* ) ( البسيط )

( ٢ )  
وأشده كعب بن زهير :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول . . . متيم إثرها لم يفد ( ٣ ) مغلول  
وما سعاد غداة البين إذ رحلت ( ٤ ) . . . إلا أغن ( ٥ ) غيض الطرف مكحول  
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسنت ( ٦ ) . . . كأنه منهل ( ٧ ) بالراح مغلول ( ٨ )

( \* ) الدلائل ، رضا : ١٨ ، خفاجي : ٧٤ ، شاكر : ٢٢ .

( ١ ) الدلائل ، رضا : ١٩ ، خفاجي : ٧٥ ، شاكر : ٢٢ - ٢٣ .

( ٢ ) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني ، أبو المضرب ، وهو شاعر مجيد

من أهل نجد ، وكان ممن اشتهر في الجاهلية ، ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه وسلم ، وشيب بنساء المسلمين فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه ، فأسلم وطلب الأمان من الرسول صلى الله عليه وسلم وأنشد بين يديه لاميته المشهورة التي مطلعها :

" بانت سعاد . . . فخلع عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بردته . توفي سنة ٤٦ هـ / انظر ترجمته :

طبقات فحول الشعراء : ١ / ٩٩ - ١٠٣ ، الشعر والشعراء : ١٦٠ - ١٦٢ ، سبط اللآلي : ١٦٠ - ١٦٢ ، عيون الأثر : ٢ / ٢٠٨ - ٢١٥ ، خزنة الأدب للبغدادي :

( ٣ ) - دار صادر : ٤ / ١١٢ - ١١٣ ، لم يجز مكبول . ( ٤ ) رواية الديوان : " إذ رحلوا " .

( ٥ ) الأغن : الذي في صوته غنّه . / اللسان " غنن " : ٣١٤ / ١٣ .

وغضيف الطرف : فاطر الطرف . / اللسان " غضض " : ١٩٧ / ٧ .

( ٦ ) العوارض : الأسنان وهي ما بين الثنية والضرس ، والظلم ماء الأسنان . / اللسان " عرض " : ١٨٠ / ٧ .

( ٧ ) منهل : النهل أول الشرب . / اللسان " نهل " : ٦٨٠ - ٦٨١ .

( ٨ ) والعلل : الشرب الثاني . / اللسان " علل " : ٤٦٧ / ١١ .

سَحَّ السَّقَاةَ عَلَيْهَا مَاءَ مَحْنِيَةٍ .: مِنْ مَاءٍ أَبْطَحَ أَضْحَى وَهُوَ مَشْهُولٌ<sup>(١)</sup>  
 وَيَلْتَمِثُهَا خَلَّةٌ لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ .: مَوْعِدَهَا أَوْ لَوْ أَنَّ النَّصْحَ مَقْبُولٌ<sup>(٢)</sup>  
 إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ<sup>(٣)</sup> يُسْتَضَاءُ بِهِ .: مَهْتَدٌ مِنْ سَيُوفِ اللّهِ مَسْئُولٌ  
 فِي فِتْنَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَاظِلُهُمْ .: بِيْطِنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُلُومًا  
 زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَامٌ وَلَا كُشْفٌ .: عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا يَمِيلُ مَعَارِيضُ  
 لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ .: وَمَا بِهِمْ عَنْ حِيَاضِ التَّوْتِ تَهْلِيلٌ  
 شَمُّ الْعَرَايِينِ أَبْطَالٌ لِبُوسِهِمْ .: مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلٌ<sup>(٤)</sup>

والأبيات ساقها الشيخ لإثبات استحسانه صلى الله عليه وسلم وارتياحه للشعر

الجيد ، فقد بلغ من استحسانه لهذه الأبيات أن ألقى على كعب برده .

كما أن في إشارته صلى الله عليه وسلم إلى خلق أصحابه بأن اسمعوا دليل

على سلامة هذه الأبيات وحسنها .

- 
- ( ١ ) رواية الديوان :  
 شَجَّتْ بِيْذِي شَبِيْمٍ مِنْ مَاءٍ مَحْنِيَةٍ .: صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهُوَ مَشْهُولٌ  
 ( ٢ ) بداية الديوان :  
 يَا وَيْحَهَا خَلَّةٌ لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ .: مَا وَعَدَتْ أَوْ لَوْ أَنَّ النَّصْحَ مَقْبُولٌ  
 ( ٣ ) رواية جمهرة أشعار العرب ، وعيون الأثر ، والسيرة لابن هشام ، وشرح  
 شواهد المغني " لنور " .  
 ( ٤ ) وبعض هذه الأبيات في :-  
 شرح ديوان كعب للسكري : ٦ - ٢٥ ، جمهرة أشعار العرب : ٢٨٢ - ٢٨٧ ،  
 طبقات فحول الشعراء : ١ / ٩٩ - ١٠٣ ، الشعر والشعراء : ١٦٠ - ١٦٢ ،  
 مجالس ثعلب : ٣٤٢ / ٨ / ٢ ، المصون : ١٩٥ - ١٩٧ ، سبط اللاكسي :  
 ٤٢١ ، أراجيز العرب : ٥٠ ، حساسة ابن الشجري : ٩٧ ، عيون  
 الأثر : ٢ / ٢٠٨ - ٢١٥ ، السيرة لابن هشام : ١٠٩ / ٤ - ١١٦ ،  
 مغني اللبيب : ٢ / ٤١١ - ٤٣٨ ، شرح قصيدة كعب بن زهير :  
 ٢٣ - ٢٨ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٥٢٥ ، خزانة الأدب للبغدادى :  
 دار صادر - : ١١ / ٤ - ١٢٠ .

جاء في الدلائل :-

"... روى أن كعباً وأخاه بجيراً خرجا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا أبرق العزاف فقال كعب لبجير: الق هذا الرجل ، وأنا مقيم ههنا ، فانظر ما يقول ، وقدم بجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فأسلم ، وبلغ ذلك كعباً فقال في ذلك شعراً ، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه ، فكتب إليه بجير يأمره أن يسلم ، ويقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول : إن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قَبِلَ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسقط ما كان قبل ذلك ، فقدم كعب وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته المعروفة . . . فتأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحلق أن اسمعوا . قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من أصحابه مكان المائدة من القوم يتحلقون حلقة دون حلقة ، فليفت إلى هؤلاء وإلى هؤلاء (١) ."

الكلام في النحو:-

البيت الثالث عشر: (\* ) (الوافر)

وَالْإِذَا ظَنَّمُوا أَنَّا وَأَنْتُمْ .: بَغَاةٌ مَابِقِينَا فِي شَيْءٍ قَاقٍ (٢)

(١) الدلائل ، رضا: ١٨-١٩ ، خفاجي: ٧٤-٧٦ ، شاكر: ٢٢-٢٣ .

(٢) الدلائل رضا : ٢٦ ، خفاجي : ٨٣ ، شاكر : ٣٢ .

وانظر الخبر في :

طبقات فحول الشعراء : ٩٩-١٠٣ ، الشعر والشعراء : ١٦٠/١-١٦٢ ،

عيون الأثر : ٢٠٨-٢١٢ ، السيرة لابن هشام : ١٠٧/٤-١١٨ ، خزانة

الأدب للبغدادي - مكتبة الخانجي - : ١٢/٤ .

(٢) رواية الديوان ومعاني القرآن للفراء : \* ما حيينا \* .

(٣) انظر البيت في :

ديوانه : ١٦٥ ، الكتاب : ١٥٦/٢ ، شرح الكافية : ٥١٣/١ ، شرح المفصل :

٢/٨/٦٩ ، الإنصاف : ١٩٠ ، شرح التصريح على التوضيح : ٢٨٨/١ ، معاني

القرآن : ٣١١/١ ، غير منسوب . خزانة الأدب للبغدادي - دار صادر :-

ذكره الشيخ من غير عزو ، وهو لبشر بن أبي خازم الأسدي (١) من قصيدة

مطلعها :

أَهَمَّتْ مِنْكَ سَلْمَى بِأَنْطِلَاقٍ . . . وَلَيْسَ وَصَالُ غَانِيَةٍ بِبَاقِي (٢)

وقبله :

فَإِذَا جَزَّتْ (٣) نَوَاصِي آلِ بَسْدَرٍ . . . فَأَدَّ وَهًا وَأَسْرِي فِي الْوِثَاقِ (٤)

والببيت أورده الشيخ في معرض رده على من زهد في النحو، واحتقره ، وصغر

أمره ، وتهاون به ، فهو علم يحتاجه العلماء لفهم آيات القرآن الكريم ، فكلمة

« الصابئون » من قوله تعالى :

« وَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ ، وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٥) »

(١) هو شاعر من بني أسد جاهلي قديم ، شهد حرب أسد وطى ، وشهد

هو وابنه نوفل بن بشر الحطيف بينهما ، وكان بشر في أول أمره يهجو

أوس بن حارثة الطائي ، فأسرت بنو نبيهان من طى ، فركب أوس إليهم

فاستوهبهم منهم ، وكان قد نذر ليحرقنّه إن قدر عليه ، فوهبوه له ،

فقال له أمه سَعْدَى : قبح الله رأيك أكرم الرجل وخلص عنه ،

فإنه لا يمحوا ما قال غير لسانه ففعل ، فجعل بشر مكان كل قصيدة

هجاء قصيدة مدح ، وقد جعله ابن سلام في الطبقة الثانية

من فحول الشعراء الجاهليين . / انظر :

الشعر والشعراء : ١ / ٢٧٧ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٩٧ .

(٢) ديوانه : ١٦١ ، خزانة الأدب - دار صادر - : ٤ / ٣١٦ .

(٣) رواية خزانة الأدب :

« فَإِذَا جَزَّتْ »

(٤) ديوانه : ١٦٥ .

(٥) المائدة : ٦٩ .

جاءت مرفوعة ، ولا يمكن معرفة وجه الرفع فيها إلا عن طريق علم النحو، فهو عظم  
يخدم القرآن أولاً وأخيراً، فوجه الرفع فيها أنها عطفت على محل الذين آمنوا  
قبل استكمال الخبر، وهو قوله تعالى : " مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ " وسباق  
الشيخ البيت الشعري الذي نحن بصدده تنظيراً لوجه الرفع في الآية ، فالبيت  
فيه عطف " أنتم " وهو ضمير مرفوع على محل ضمير المتكلم المعظم نفسه ، أو المشارك  
لغيره قبل استكمال الخبر .

وأصل الكلام : وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنَا بِنَاءٍ وَأَنْتُمْ بِنَاءٍ .

وحذف خبر الثاني لدلالة الأول عليه .<sup>(١)</sup>

البيت الرابع عشر : ( \* ) ( الصواب )

يَقُولُونَ أَقْوَالًا وَلَا يَعْلَمُونَهَا <sup>(٢)</sup> . . وَلَوْ قِيلَ هَاتُوا حَقَّقُوا لَمْ يَحَقِّقُوا <sup>(٤)</sup>

ذكره الشيخ بن غيرنسية وهو لأبي الأسود الدؤلي <sup>(٥)</sup> .

(١) شرح التصريح على التوضيح : ٢٢٧ / ١ - ٢٢٨ ، وانظر : الكتاب :

١٥٦ / ٢ ، خزنة اليفدادي - دار صادر - : ٤ / ٣١٥ .

(\*) الديوان ، رضا : ٣٣ ، حفاصي : ٩٠ ، شاعر : ٤٠ .

(٢) رواية الديوان والأغاني ومعجم البلدان : " بظن وشبهة " .

ورواية زهر الآداب : " بظن وتهمة " ، ورواية العقد الفريد :

" ولا يحكمونها " ، ورواية الحيوان : " ولا يعرفونها " .

(٣) رواية الديوان : " فإن قيل " ، ورواية الشعر والشعراء : " وإن قيل " .

(٤) انظر البيت في :

ديوان أبي الأسود : ١١٨ ، الحيوان : ١١٦ / ٣ ، عيون الأخبار : ١ / ٥٩ ،

الشعر والشعراء : ٢ / ٧٤٢ ، الكامل - المعارف - : ١ / ١٨٥ ، العقد الفريد :

٢ / ٣٧٤ ، الأغاني : ٨ / ٤٠٦ ، أمالي المرتضى : ١ / ٣٨٥ ، زهر الآداب :

٤ / ٩٨٦ ، معجم البلدان : ٣ / ٢١٤ .

(٥) نسب البيت لأبي الأسود الدؤلي في :

ديوانه ، العقد الفريد ، الأغاني ، زهر الآداب ، معجم البلدان ،

ونسب في بقية المراجع لأنس بن أبي أناس .

وأبو الأسود هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل ، وقيل هو ظالم بن عمرو

وينسب أيضا لأنس بن أنيس الدؤلي<sup>(١)</sup>، والبيت أحد أبيات قيلت في حارثية  
ابن بدر الغداني<sup>(٢)</sup> حين ولي كورة "سُرِق" من أعمال الأهواز، وأول الأبيات:  
أَحَارِبِينَ بَدْرٍ قَدْ وُلِّيتَ وَلَا يَمَّةُ<sup>(٣)</sup> .: فَكُنْ جَزْدًا فِيهَا تَخُونُ وَتَسْرِقُ

وقبل الشاهد :

فَلَا تَحْقِرَنَّ يَا حَارِ شَيْئًا تَصِيهُ<sup>(٤)</sup> .: فَحَظَّكَ مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقِينَ سُرِقُ<sup>(٥)</sup>

====  
ابن جندل بن سفيان ( ا ق هـ - ٦٩ هـ ) يعد من شعراء الطبقة الأولى  
من تابعي البصرة ، ويعد أيضا من المحدثين والبخلاء ، والمفاليج ، والفُرج ،  
وهو يعد من أول النحويين لأنه أول من عمل في النحو كتاباً ، وقد أمره  
زياد بن أبيه بتنقيط المصحف فنقطه ، أخذ حدود النحو من علي بن أبي  
طالب وشهد معه صفين وولي البصرة ، توفي سنة تسع وستين وله خمس  
وشاتون سنة / انظر ترجمته :

طبقات ابن سعد : ٩٩ / ٧ ، المعارف : ٤٣٤ - ٤٣٥ ، الشعر والشعراء :

٢ / ٧٣٣ ، الأغاني : ١٢ / ٢٩٧ - ٣٣٤ ، الأنساب للسمعاني : ٥ / ٣٦٤ - ٣٦٧

معجم الأدباء : ١٢ : ٣٤ - ٣٨ ، نزهة الألباء : ١٨ - ٢٤ ، إنباه السرواة :

١ / ٤٨ - ٥٨ ، النجوم الزاهرة : ١ / ١٨٤ ، تهذيب التهذيب : ٥ / ٣٧ ،

بغية الوعاة : ٢ / ٢٢ - ٢٣ ، المزهرة : ٢ / ٣٩٧ ، ٤١٨ ، ٤٦١ ، الإصابة :

٢ / ٢٣٢ - ٢٣٣ رقم ( ٤٣٢٩ ) ، والضائع من معجم الشعراء للمرزباني : ٨٣ .

( ١ ) هو أنس بن أبي أناس ويقال " إياس " ويقال " أنيس " بن زُئيم الكناني الدؤلي ،

وهو من رهط أبي الأسود الدؤلي ، وكان أعور ، وأبوه أبو أناس شاعر شريف ،

وأخو أنس سارية بن زئيم الذي قال له عمر بن الخطاب ياسارية الجبل الجبل . /

انظر : الإصابة : ١ / ٨٢ - ٨٣ ، الخزانة : ٣ / ١١٩ - ١٢٢ .

( ٢ ) وكان حارثة ذا بيان وجهارة وأدب ، وكان شاعراً عالماً بالأخبار ، والأنساب ،

وكان مشهوراً في الشراب . / انظر :

الأغاني : ٨ / ٣٨٤ - ٤٢٥ ، زهر الآداب : ٤ / ٩٨٥ .

( ٣ ) رواية الشعر والشعراء والكامل والأغاني وأمالى المرتضى " إمامة " .

( ٤ ) رواية الحيوان ، وعيون الأخبار ، والكامل ، والأغاني ، وأمالى المرتضى " وَلَا تَحْقِرَنَّ " .

( ٥ ) رواية الحيوان " مَلَكْتَهُ " ، ورواية الشعر والشعراء : " أَصَبْتَهُ " ، ورواية الكامل

وأمالى المرتضى : " وَجَدْتَهُ " .

( ١ )  
فَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ إِذَا مَكَدَبُ . . . يَقُولُ بِمَا يَهْوَىٰ وَإِنَّمَا مُصَدِّقُ

وبعد الشاهد :

( ٢ )  
وَلَا تَعْجَزَنَّ فَالْعَجْزُ أَخْبَثُ مَرْكَبٍ . . . فَمَا كُلُّ مَدْفُوعٍ إِلَى الرَّزْقِ يُرْزَقُ  
( ٣ )  
وَيَارِزُ تَيْمِيًّا بِالْغِنَىٰ إِنَّ لِلْغِنَىٰ . . . لِسَانَ بِهِنَّ الْمَرْءُ<sup>(٤)</sup> الْهَيْبُوتَةُ يَنْطِقُ

وقد أورده الشيخ في معرض حديثه عن إعجاز القرآن ، وأنه من المحتم على المرء أن يبحث عن أسرار الإعجاز ويبحث عن الطرق والخصائص التي تكشف له هذه الأسرار ، فإن اكتفى بظاهر الكلام من غير فحص ولا تحصيل ، كان كمن يردد القول وهو يجهل المراد به ، فلو طلب منه الدليل والحجة على ما يقول عجز عن ذلك .

قال الشيخ :

" . . . فبنا أن ننظر أيُّ أشبه بالفتى في عقله ودينه ، وأزيد له في علمه ويقينه ، أن يقلد في ذلك ، ويحفظ متن الدليل وظاهر لفظه ، ولا يبحث عن تفسير المزايا والخصائص ماهي ؟ ومن أين كثرت الكثرة العظيمة ، واتسعت الاتساع المجاوز لوسع الخلق وطاقة البشر؟ وكيف يكون أن تظهر في ألفاظ محصورة ، وكلم معدودة معلومة ، بأن يؤتى ببعضها في إثر بعض ، لطائف لا يحصرها العدد ، ولا ينتهي بها الأمد ؟ أم أن يبحث عن ذلك كله ، ويستقصي النظر في جميعه ، ويتتبعه شيئاً فشيئاً ، ويستقصيه باباً فباباً ، حتى يعرف كلاً منه بشاهده ودليله ، ويعلمه بتفسيره وتأويله ويوثق بتصويره وتمثيله ، ولا يكون كمن قيل فيه :

يَقُولُونَ أَقْوَالًا وَلَا يَعْلَمُونَهَا . . . وَلَوْ قِيلَ هَاتُوا حَقَّقُوا لَمْ يَحَقِّقُوا<sup>(٥)</sup>

==== وروى البيت في العقد الفريد : " فدع عنك ما قالوا ولا تكثرت بهم . "

ورواية زهر الآداب : " ولا تدعن الناس شيئاً تصيبه . "

( ١ ) رواية العقد : " وَمَا النَّاسُ إِلَّا اثْنَانِ إِذَا مَكَدَبُ . "

ورواية زهر الآداب : " فَمَا النَّاسُ إِلَّا قَائِلٌ فَمَكَدَبُ . "

( ٢ ) رواية الأغاني : " ولا تحقرن يا حار شيئاً تصيبه . . . فحظك من ملك العراقين سرق "

( ٣ ) رواية الحيوان والشعر والشعراء والكامل والعقد : " وَيَاه . . . ورواية عيون الأخبار "

" وَيَار . . . ورواية الأغاني : " وكأثر . "

وهذا البيت ذكره بعد قوله : " أحار بن بدر قد وليت . . . "

وذكروا خمسة أبيات فقط ولم يذكروا قوله - ماعدا الأغاني - :

( ٤ ) رواية الأغاني : " به يمشطوالقيني " ، ورواية أمالي المرتضى : " العي . "

( ٥ ) الدلائل ، رضا : ٣٣ ، خفاجي : ٩٠ ، شاكر : ٤٠ .



ب - شواهد تحقيق القول في الفصاحة  
والبلادة .

( الطويل )

الشاهد الأول (\*) :

تَلَفَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُي . . وَجِئْتُ مِنَ الْإِصْفَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعًا

لم يذكر الإمام عبد القاهر قائل هذا البيت ، وإنما ذكر أن البيت من أبيات

الحماسة ، ووجدت - فيما رجعت إليه من مصادر - أن البيت - في المشهور - للصمة

أبن عبد الله القشيري .<sup>(٥)</sup>

(\*) الدلائل ، رضا : ٣٨ ، خفاجي : ٩٦ ، شاكر : ٤٧ .

(١) رواية الأشباه والنظائر :

" تشكيت للإصفاء ليتها وأخدعا " ، وذكر المحقق أنه جاء في نسخة " تنكبت " وأن الرواية " رجعت من الإصفاء " .

(٢) اللئيت بالكسر : صفحة العنق : وقيل الليتان صفحتا العنق ، وقيل :

أدنى صفحتي العنق من الرأس عليهما ينحدر القرطان . / اللسان " ليت " : ٨٧ / ٢ .

(٣) الأخدع : عرق في موضع المحجمتين ، وهما أخدعان .

والأخدعان : عرقان خفتيان في موضع الحجامه من العنق . / اللسان " خدع " : ٦٦ / ٨ .

(٤) وفي رواية الأغاني التي ذكر فيها أن مطلع القصيدة :

أَمِنْ ذِكْرِ دَارِ بِالرَّقَاشِينَ أَصْبَحَتْ . . بِهَا عَاصِفَاتُ الصَّيْفِ يَدُءٌ أَوْرَجَمَا

لم يذكر ضمن الأبيات بيت الشاهد ، وكذلك في بهجة المجالس ذكر بعض

أبيات القصيدة دون ذكر بيت الشاهد / ٨٢٦ / ٢ ، وكذلك العقد الفريد

ذكر ثلاثة أبيات لم تتضمن بيت الشاهد ، انظر البيت في :

الحماسة - تحقيق عبد الرحيم عسيلان : ٤ / ٢ رقم ٤٦٠ ، الأمالي لليزيدي :

١٤٩ ، الأمالي لأبي علي القالي : ١٩٠ - ١٩١ ، الأغاني - دار الكتب :

٢٠٨٥ / ٦ ، الأشباه والنظائر : ٢٨ / ٢ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي :

١٢١٦ / ٣ ، سمط اللآلي : ٤٦٢ / ١ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١١٤ ،

المثل السائر : ٣٨٤ / ١ ، الطرائف الأدبية : ٧٦ ، ٧٧ .

(٥) لقد نسبت بعض أبيات قصيدة الصمة إلى قيس بن ذريح ، وللمجنون ، ونسبت

في وفيات الأعيان : ٥ / ٤١٣ ، وفي مصارع العشاق : ٣٧٨ لابن الطثرية ،

ونسبت بعض الأبيات في العقد الفريد لابن الدمينه .

جاء في الأغاني : " وهذه الأبيات التي أولها " حننت إلي ريا " تروى ===

والشاهد من قصيدة مطلعها :

حَنَنْتُ إِلَى رِيًّا وَنَفْسِكَ بَاعَسَدَتِ . . . مَزَارَكَ مِنْ رِيًّا وَشَعْبَاكَمَا مَعَا (١)

وقبل الشاهد :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ (٢) أَعْرَضَ (٣) دُونَنَا . . . وَحَالَتْ بَنَاتُ الشُّوقِ يَحْنِنُ نَزْعًا (٤)

====  
لقيس بن زريح في أخباره ، وشعره بأسانيد قد ذكرت في مواضعها ، ويروى بعضها للمجنون في أخباره بأسانيد قد ذكرت أيضا في أخباره . . . \*

٢٠٨٥/٦ - ٢٠٨٦

وجاء في بهجة المجالس : \* ومنهم من ينسبها إلى قيس بن زريح ، وللمجنون أيضا تنسب ، والأكثر أنها للصمة : ٠٨٢٦/١/٢

والصمة القشيري هو الصمة بن عبد الله بن طفيل بن مرة بن هبيرة بن عامر ابن سلمة الخير بن قشير بن كعب ، شاعر غزل ، وهو شاعر إسلامي بسدي مقل من شعراء الدولة الأموية ، ولجده مرة بن هبيرة صحبة بالنسبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه صلى الله عليه وسلم ، وتوفي الصمة في بلاد طبرستان ، وقد ذكر التبريزي أنه كان أعور انظر ترجمته :

الأغانسي : ٦ / ١ - ٩ ، المؤلف والمختلف : ١٤٤ - ١٤٥ ،

جمهرة أنساب العرب : ٢٨٩ ، سبط اللالكلي : ١ / ٤٦١ ، ٤٦٢ ،

شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣ / ١١٢ - ١١٤ .

(١) ذكر صاحب الطرائف الأدبية أن أول القصيدة :

أَرَيْتُ بِهَا الْأَزْوَاحَ حَتَّى تَسَّفَتْ . . . مَعَارِفَهَا إِلَّا الصَّفِيحَ الْمَوْضِعَا

انظر الطرائف : ٧٧ ، وذكر اليزيدي في أماليه : ١٤٩ ، أن مطلع القصيدة :

أَمِنْ أَجْلِ دَارِ الرَّقَاشِينَ أَصْبَحَتْ . . . بِهَا بَارِحَاتُ الصَّيْفِ بَدَأٌ وَرَجَعَا

وكذلك ذكر في الأغاني في إحدى الروايات (٢٠٨٧/٦) أن مطلع القصيدة :

أَمِنْ نِكْرٍ دَارِ الرَّقَاشِينَ أَصْبَحَتْ . . . بِهَا عَاصِفَاتُ الصَّيْفِ بَدَأٌ وَرَجَعَا

(٢) البشر : جبل في أطراف نجد من جهة الشام . / معجم البلدان : \* بشر : ١ / ٤٢٧ .

(٣) وفي الأغاني : ٦ / ٥ : \* وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ قَدْ حَالَ بَيْنَنَا . \*

(٤) رواية الأغاني : \* وجالت \* وكذلك رواية الأمالي .

بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى فَلَمَّا زَجَرْتُهُمَا . . . عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلْنَا مَعَا

وبعد الشاهد : ( ٢ )

وَأَذْكَرُ أَيَّامِ الْحِمَى ( ٣ ) ثُمَّ أَنْشَرَنِي . . . عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا

( ١ ) ذكر في الأغاني روايتين ( بكت عيني اليمنى . بكت عيني اليسرى \*  
 وذكر في أمالي اليزيدي : ١٤٩ ، ومعاني أبيات الحماسة : ١٦٣ ، وبهجة  
 المجالس : ١ / ٢ / ٨٢٦ ، وشرح الحماسة للتبريزي : ١١٤ / ٣ ،  
 " بكت عيني اليسرى " ، قال البكري قال ابن القزاز العين اليسرى أضعف  
 وأقل إمساكاً من اليمنى ، فلذلك صارت أسرع بالدمع ، وكذلك الميامن أقوى  
 من المياسر في كل شيء ، إلا في اللمس خاصة ، فإن اليد اليسرى فيه أقوى  
 حاشية ، والقول الصحيح الصادر في معناه أن الصمة قائل البيت كان  
 أعور العين اليمنى والدليل على عوره قوله :  
 تَوَاهَسَ أَصْحَابِي حَدِيثًا لَقَيْتُهُ . . . خَفِيًّا وَأَعْضَادُ التَّطِيِّ حَسَوَانِ  
 كَانَ قَدِّي بِالْعَيْنِ قَدْ مَرَجَتْ بِهِ . . . وَمَا حَاجَةُ الْأُخْرَى إِلَى الْمَرْجَسَانِ  
 عَذْرَتِي يَا عَيْبِي الصَّحِيحَةَ بِالْبُكََا . . . فَمَا أَوْلَعَ الْعَوْرَاءَ بِالْهَمَلَانِ /  
 انظر هامش سبط اللاكبي : ١ / ٤٦٢ .

( ٢ ) ذكر صاحب الطرائف الأدبية أن القصيدة ستون بيتاً ، وذكر فيها أبياتاً  
 لم تذكرها المراجع الأخرى ، وذكر قبل الشاهد :  
 وَسِرْبٌ بَدَتْ لِي فِيهِ بِيضٌ تَوَاهِدُ . . . إِذَا سُمْتِهِنَّ الْوَصْلَ أَمْسَيْنَ قَطْعًا  
 وذكر بعد الشاهد :

فَإِنْ كُنْتُمْ تَرْجُونَ أَنْ يَذْهَبَ الْهَسْوَى . . . يَقِينًا وَتَرَوَى بِالشَّرَابِ فَتَنْقَعَا  
 وفي الأمالي لليزيدي ذكر قبل الشاهد :

لَمُفْتَصَّبٍ قَدْ عَزَهُ الْقَوْمُ أَمْرَهُ . . . يُسِرُّ حَيَاءً عِبْرَةً أَنْ تَطْلَعَا

وذكر البكري بيتين بعد الشاهد ، وأشاد بحسنهما ، وأنه لا ينبغي أن  
 يحدفا لوجودتها ، وانتظام الكلام بهما وهي :

أَلَا يَا خَلِيلِي اللَّذَانِ تَوَاصِيَا . . . بِلُومِي إِلَّا أَنْ أُطِيعَ وَأَسْمَعَا  
 قَفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى . . . وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَعَا

( ٣ ) الحمى : موضع فيه ماء وكلاً يُمنع منه الناس ، ويقال : أحميت المكان إذا  
 جعلته حمى . / اللسان " حما " : ١٤ / ١٩٩ .

ومناسبة القصيدة التي منها البيت أن الصمة هوى ابنة عم له يقال لها  
 العامرية<sup>(١)</sup> بنت غطيف بن حبيب بن قرّة<sup>(٢)</sup> بن هبيرة ، فخطبها من أبيها ، فرفض  
 أن يزوجه إياها ، وزوجها من عامر بن بشر بن براء ، فلما بنى بها زوجها وجد  
 الصمة بها وجداً شديداً ، فزوجه أهله امرأة منهم يقال لها جبرة بنت وحشي بن الطفيل ،  
 فمكث معها مدة قصيرة ثم رحل إلى الشام<sup>(٣)</sup> .

ولقد شرح المرزوقي بيت الشاهد بقوله :

” يقول : أخذت في مسيرى لما أبصرت حال نفسي في تأثير الصباة فيها  
 ملتفتاً إلى ما خلفته من الحيّ وأرض نجد ، حتى وجدتني وجع اللبت - وهو عرق  
 فيها - لطول أصغائي ، ودوام التفاتي كل ذلك تحسراً في إثر الفات من  
 أحبائي وديارها ، وتذكراً لطيب أوقاتي معهم فيها ، وقد قيل فيه :  
 إن من رموزهم أن من خرج من بلد ، فالتفت وراءه رجوع إلى ذلك البلد ،  
 وأنشد فيه أبيات منها قوله :

عَيْلَ صَبْرِي بِالشَّعْبِيَّةِ لَمَّا . : طَالَ لَيْلِي وَقَلْبِي قُرْنَائِي  
 كَلَّمَا سَارَتْ الْمَطَايَا يَنَامِي . : لَأَتَنَفَّسْتُ وَالتَّفْتُ وَرَائِي  
 قالوا التفت لكي يقضى له الرجوع ، لكونه عاشقاً<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) وفي الأمازي للبيدي أن اسمها ” رَيَا ” وهو الاسم المذكور في مطلع

القصيدة ، ولعل العامرية لقب لها .

( ٢ ) يروي في معجم الشعراء : ” مرة ” .

( ٣ ) انظر : الأغاني : ٦ / ٢ ، وذكرت القصة فسي

شرح الحماصة التبريزي برواية أخرى ربما تكون مكملة لهذه الرواية :

١١٣ / ٣ ، وكذلك في الأمازي للبيدي : ١٤٨ - ١٤٩ ، وكذلك

رواية أخرى في الأغاني : ٦ / ٧ .

( ٤ ) شرح الحماصة للمرزوقي : ٣ / ١٢١٨ - ١٢١٩ .

ويبدو لي أن هذا الشرح لم يبرز لنا عاطفة الشاعر على حقيقتها ، ولم يكشف لنا عن ذلك الشوق الذي يعصف في جنبات نفسه ، وإني لألمح وراء هذا البيت معاني غزيرة وأسراراً لطيفة ، فالقصيدة من بدايتها يشيع فيها الحنين الصادق ، والتألم المحرق من كثرة الشوق ، وبیت الشاهد صور لنا لونا من ألوان هذا الحنين ، الذي يضطرم في نفس المحب ، وقد نجح الشاعر في تصوير هذا الإحساس تصويراً حركياً دقيقاً ، فهو عندما رأى جيل " البشر " قد اعترض طريقه ازداد إحساسه بألم الفراق ، وصاحت نوازع الشوق توقظ كوامن إحساسه وتفرع ما تبقى في نفسه من الصبر ، حتى أن عينه العمراء قد خرجت عن نطاق العرف والعادة ، فأخذت تشارك أختها الصحيحة في البكاء ، وأخذ الحنين يسيّر أعضاء جسمه ، فأخذ أخدعه يتلفت ويطيل التلفت من غير أن يشعر فلما طال تلفته استيقظ على ألم في ليته وأخذ عسه . . .

فقوله : " حتى وجدتني " يظهر أنه أثناء تلفته لم يكن يشعر بوخز ألم التلفت لشدة وجدده ، وأن تلفتة هذا جاء تبعاً لشعوره ، ورغماً عن إرادته ، فقد كان أسلوب الإرادة يتحكم فيه شوقه وحنينه .

ولقد كان الشاعر دقيقاً في انتقاء عباراته ، انظر كيف اختار لفظ " تلفتت " بدلاً من " التفتت " ؛ وذلك لأن التلفت يدل على كثرة واستمرار الحركة ، فهو أعمق دلالة على الشوق . جاء في اللسان :

" لَفَتَ وَجْهَهُ عَنِ الْقَوْمِ : صَرَفَهُ ، وَالتَّفَتَ الرِّغَاتَا ، وَالتَّلَفَتَ أَكْثَرَ مِنْهُ .

وَتَلَفَّتْ إِلَى الشَّيْءِ ، وَالتَّفَتَتْ إِلَيْهِ : صَرَفَتْ وَجْهَهُ إِلَيْهِ (١) .

ثم إنه قال : " حتى وجدتني وجعت من الإصفا " (٢) ولم يقل من التلفت وهي

(١) اللسان : " لفت " : ٢ / ٢٨٤ .

(٢) صَفَا إِلَيْهِ يَصْفِي وَيَصْفُو صَفْوًا وَصَفْوًا وَصَفَاءً : مَالٌ ، وَكَذَلِكَ صَافِي بِالْكَسْرِ يَصْفِي صَفِيًّا وَصَفِيًّا .

قال ابن السكيت : صَفَيْتُ إِلَى الشَّيْءِ أَصْفِي صُفْيًا إِذَا مَلْتَ .

وَأَصَفْتُ النَّاقَةَ تُصْفِي إِذَا أَمَالَتْ رَأْسَهَا إِلَى الرَّجْلِ كَأَنَّهَا تَسْتَمِعُ شَيْئًا

حين يشد عليها الرجل . / اللسان : " صفا " : ١٤ / ٤٦٠-٤٦١ .

اللفظة التي ابتداءً بها البيت ، ولعل السرفي ذلك أن الشاعر يريد أن يقول أنه كان لا ينظر النظرة العابرة ، يدبر وجهه ثم يعود بسرعة إلى حالته الطبيعية ، وإنما كان يتلفت ثم يظل على هذا الوضع زمناً طويلاً يتسمع فيه بأذنه ، ويصفي بقلبه ، علّه يسمع خبراً من الحي ، أو يرد عليه ما يهدي من لوعته ، ويخفف من حنينه وشوقه ، وهذا الوضع هو الذي ينشأ عنه الوجد الشديد .

وكان الإصغاء عنده يكون بالقلب ، فهو أشد من التلفت دلالة على التلهف والحنين ، فلفظ " الإصغاء " في هذا الموقف كان له وحي خاص ، فقد دلّ على التطور الشعوري عند الشاعر ، وأنه قد بلغ مداه .

وقد ورد معنى الإصغاء هذا في قول الشاعر :

مَنْ لِي بِإِنْسَانٍ إِذَا أَغْضَبْتَهُ . . . وَجَهَلْتُ كَانَ الْحِلْمُ رَدًّا جَسَوَاهِ  
وَإِذَا صَبَوْتُ إِلَى الْمَدَامِ شَرِبْتُ مِنْ . . . أَخْلَاقِهِ وَرَوَيْتُ مِنْ آدَابِهِ  
وَتَرَاهُ يُصْفِي لِلْحَدِيثِ بِسَمْعِهِ . . . وَيَقْلِبُهُ وَلَعَلَّهُ أَدْرَى بِسَمْعِهِ (١)

وقد ورد لفظ الإصغاء في القرآن مع " القلب " قال تعالى : ﴿ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ

أَفئِدَةٌ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ (٢)

أَيُّ وَلِتَمِيلَ إِلَيْهِ . (٣)

وقال تعالى : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ (٤)

وإذا صح هذا كان معنى الصمة هذا مصدراً لمعنى الشريف الرضي الذي

أعجب به النقاد في قوله :

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَىٰ دِيَارِهِمْ . . . وَطَلُّهَا بِيَدِ الْبَيْلَىٰ نَهَسَبُ

(١) لم أقف على قائله .

(٢) الأنعام : ١١٣ .

(٣) اللسان : " لفت " : ٢ / ٢٨٤ .

(٤) التحريم : ٤ .

فَوَقَّعْتُ حَتَّى ضَجَّ مِنْ لَغَبٍ . نِضْوَى وَلَجَّ بِعَذْلِي الرُّكْبُ  
 وَتَلَفَّتْ عَيْنِي فَمَدَّ خَفِيَّتْ . عَنْهَا الطُّلُوبُ تَلَفَّتْ الْقَلْبُ (١)

فتلفت القلب هذا - وهو معني رائع حقاً - هو الإصغاء بالقلب في بيت الصمة .

( الطويل )

الشاهد الثاني : ( \* )

( ٢ )  
 بيت البحري :

وَإِنِّي وَإِنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الْغِنَى . وَأَعْتَقْتُ مِنْ رِقِّ الْمَطَامِعِ أَحَدًا عَسِي (٦)

( ١ ) ديوانه : دار صادر - : ١ / ١٨١ .

( \* ) الدلائل ، رضا : ٣٨ ، خفاجي : ٩٦ ، شاكر : ٤٧ .

( ٢ ) هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي ، أبو عباد ( ٢٠٦ هـ - ٢٨٤ هـ ) ، شاعر

كبير ، يقال لشعره " سلاسل الذهب " وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر

أبناء عصرهم : المتنبي ، وأبو تمام والبحري ، ولد بمنبج ، ورحل إلى العراق ،

فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل ، ثم عاد إلى الشام وتوفي بمنبج ، له

كتاب " الحماسة " و " عبت الوليد " ، / انظر ترجمته :

أخبار البحري للصولي ، الأغاني : ٢١ / ٣٧ - ٥٣ ، تاريخ

بغداد : ١٣ / ٤٧٦ - ٤٨١ ، معجم الأدباء : ١٩ / ٢٤٨ - ٢٥٨ ، عبر الذهبي :

١ / ٤٠٩ ، وفيات الأعيان : ٦ / ٢١ - ٣٦ ، الشذرات : ٢ / ١٨٦ ، الأعلام :

٨ / ١٢١ ، سير أعلام النبلاء : ١٣ / ٤٨٦ .

( ٣ ) رواية الديوان : " شرف العلي " ، ورواية أخرى هي " شرف العلي " بعد هجاءه . وأعتقت من رِقِّ المطامع ،

الشاعر يتحدث عن العطاء والنوال الذي يكون بهما الإنسان غنياً .

( ٤ ) رواية الموازنة وإعجاز القرآن للباقلاني : " من دل " .

( ٥ ) الأخدع : عرق بالعنق ، وهنا أراد العنق كله ، فاستعمل الجزء فسي

الكل .

( ٦ ) انظر البيت في :-

ديوانه : ١ / ١٠٦ ، الموازنة : ٢٣٩ ، إعجاز القرآن للباقلاني :

٢٣٦ ، المثل السائر : ١ / ٣٨٤ .



وهو من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان<sup>(١)</sup>، ومطلعها :

سَقَيْتِ الْغَوَادِي مِنْ طُلُولٍ وَأَرْبَعٍ . . . وَحَيِّتِ مِنْ دَارِ لَأَسْمَاءَ بَلْقَعِ<sup>(٢)</sup>

وقبل الشاهد :

لَكَ الْخَيْرُ إِنِّي لَأَحِقُّ بِكَ فَاتَّقِدُ . . . عَلَيَّ وَإِنِّي قَائِلٌ لَكَ فَاسْمَعِ  
مَكَانِي مِنْ نَعْمَاكَ غَيْرَ مُؤَخَّرٍ . . . وَحَظِّي مِنْ جَدِّ وَآكَ غَيْرَ مُضَيِّعِ<sup>(٣)</sup>

وبعد الشاهد :

فَمَا أَنَا بِالْمَغْضُوفِ عَمَّا أَتَيْتَهُ . . . إِلَى وَلَا الْمَوْضِعِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِي<sup>(٥)</sup>

جاء بيت الشاهد ضمن قصيدة مدح تشيع في نفس صاحب السعادة والحبور

والولاء ، وقد ابتدأها بمطلع غزلي على عادة الشعراء في ذلك العهد يدعوفيه

لديار محبوبته وأطلالها بالسقيا .

(١) هو الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج ، أبو محمد ( . . . - ٢٤٧هـ ) فارسي

الأصل من أبناء الملوك اتخذوه المتوكل أخاً له واستوزره وجعل له إمارة

الشام على أن ينيب عنه ، وكان يفضلهم على جميع أهلهم وولده ، وهو

شاعر ، أديب ، فصيح ، فطن ذكي ، جمع خزانة كتب تعد من أعظم

الخزائن وألف عدة كتب منها :-

" اختلاف الملوك " ، " الصيد والجوارح " ، " الروضة والزهر " ،

قتل مع المتوكل . / انظر ترجمته :

الفهرست : ١ / ١٦٩ - ١٧٠ ، معجم الشعراء للمريزاني : ٣١٨ ،

فوات الوفيات : ٣ / ١٧٧ ، معجم الأدياء : ١٦ / ١٧٤ - ١٨٦ ،

الأعلام : ٥ / ١٣٣ .

(٢) الديوان : ١ / ١٠٣ .

(٣) الديوان : ١ / ١٠٥ - ١٠٦ .

(٤) المغضوف : وهو من غَضَّ الشئ ، يَغْضُهُ أَي وضع ونَقَص من قدره ،

ولا أَغْضُكَ درهماً أَي لا أنقصك . / اللسان : " غَضُّ " : ١٩٨ / ٧ .

(٥) الديوان : ١ / ١٠٦ .

ونرى الشاعر في قصيدته متفائلاً فرحاً واثقاً من مكانته لدى المدوح ، وأنه المقدم  
عنده في العطاء المذكور دائماً في النوال ، ثم يؤكد للمدوح ولأهله التام بقوله :  
فِرَانِي وَإِنْ أَبْلَغْتَنِي شَرَفَ الْغِنَى . . . وَأَعْتَقْتَ مِنْ رِقِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي .  
حيث استعمل " إن " التي هي للتوكيد ، وجاء بصورة : " الطمع والرق والعتق " فصور ما يفعله الطمع في الإنسان ، فهو يمتلك لبه وتفكيره ، ويجعله دائب العسل للحصول على ما يريد ، لا يكفيه القليل ولا يرضيه الكثير ، باذلاً في ذلك كرامته ، مريقاً ماء وجهه ، فيكون بذلك عبداً مطوفاً للدرهم والدينار .  
وقوله " اعتقت " اعتراف من الشاعر لمدوحه بالولاء الكامل ؛ لأنه رفعه عن تلك النقائص ، وكفاه مشقة الطلب ، ببذله العطاء من غير منة ولا إنزال ، وهذا هو الكرم الحقيقي .

ثم يذكر له أنه مهما بلغ من الغنى والدرجات العلى - وهما من حياة المدوح وفضله - فلن يكون له غنى عن مدوحه ، ولن يتخطاه في الفضل والمكانة ، فمكانة كل منهما معروفة واضحة .

ويبدو لي أن هناك ارتباطاً قوياً بين موضوع القصيدة ، وبين مطلعها الذي ابتدئ به بالدعاء بالسقيا ، وبين قوله : " وإني وإن أبلغتني . . . فكأنه يشير إلى أن فضله عليه في إغداق العطاء مثل فضل تلك السحب على الطلول والأربع .  
وفي البيت عيب عند علماء البديع يسمونه التضمين .<sup>(١)</sup>  
فقد فصل أداة وفعل الشرط عن الجواب فذكر الأداة والفعل في البيت الأول ، ثم جاء بالجواب في البيت الثاني .

( ١ ) التضمين في الشعر : هو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقاً لا يصح إلا به . / كتاب التعريفات : ٦٠ .

الشاهد الثالث : ( \* ) ( المنسرح )

بيت أبي تمام ( ١ ) :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِّنْ أَخْدَاعِيكَ فَقَدْ . : أَضَجَّتْ هَذَا الْأَنَامَ مِّنْ خُرْقِيكَ ( ٢ ) ( ٣ )

والشاهد من قصيدة قالها في مدح أبي الحسين محمد بن الهيثم بن شيبانة ( ٤ )

ويهنئه بالعافية ، ومطلعها :

كَانَتْ صُرُوفَ الزَّمَانِ مِّنْ فَرْقِيكَ ( ٥ ) . : وَآكُتْنِي ( ٦ ) أَهْلُ الْإِعْدَامِ فِي وَرْقِيكَ

وبعد ، بيت قبل الشاهد :

مَا السَّبْقُ إِلَّا سَبَقُ يَحَازُ عَلَيَّ ( ٧ ) . : جَوَادٍ قَمِيمٍ لَمْ يَجْرُ فِي طَلْقِيكَ

وبعد بيت الشاهد :

سَأَلْتُ لِيَالِيكَ فَهَيَّ عَالِمَةً . : أَيُّ كَرِيمٍ أَرْسَفْنِي ( ٨ ) فِي حَلْقِيكَ ( ٩ )

( \* ) الدلائل ، رضا : ٣٩ ، خفاجي : ٩٦ ، شاكر : ٤٧ .

( ١ ) سبقت ترجمته : ص : ٥٥ .

( ٢ ) الخُرْقُ : بالضم الجهل والحق ، وعدم إحسان العمل / اللسان " خرق " : ٧٥ / ١٠ .

( ٣ ) انظر البيت في : ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٤٠٥ / ٢ ، ديوانه

- دار صادر - : ١٨٦ ، الوساطة : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣٢ ، الموازنة : ٢٢٨ - ٢٤٠ ،

الصناعتين : ٧٥ ، سر الفصاحة : ١١٦ ، المثل السائر : ١ / ٣٨٤ .

( ٤ ) ستأتي ترجمته : ١٠٢٣ .

( ٥ ) رواية الديوان - دار صادر - :

" قَدْ مَاتَ مَحَلُّ الزَّمَانِ مِّنْ فَرْقِكَ " .

( ٦ ) آكُتْنُ : استتر / اللسان " كتن " : ١٣ / ٣٦٠ .

( ٧ ) ذكر التبريزي أن هناك رواية أجود وهي :

" السَّتْرُ إِلَّا سَتْرُ يَحَازُ عَلَيَّ " وذكر أنه يروى أيضا " يَمُدُّ عَلَيَّ " وأن المعنى :

أن جواد القوم وعناقهم إذا طلبوا شأوا هذا المدح وجروا في ميدانهم

افتضحوا .

( ٨ ) أرسفن : قيدن . / اللسان " رسف " ١١٨ / ٩ .

( ٩ ) وجاء في الديوان طبعة - دار صادر - بعد الشاهد :

لَا بَحْرُهُ فِي النَّدَى إِلَى رَنْقِكَ . : وَلَا ضَحَى شَمْسِهِ إِلَيَّ شَمْسُ فَيْقِكَ

والمقصود " بالرئق " : الكرر .

إِقْبِضْ يَدَا عَن أَبِي الْحُسَيْنِ تَجِدُ .: جَدِيدُهُ عَائِدًا عَلَى خَلْقِكَ  
يُلمح أن أبا تمام في هذا البيت ذن ونفسية غاضبة ، فقد ضج من الدهر وأيامه  
التي مالقي فيها إلا العناء والتعب ؛ لذا ابتداء البيت بياء النداء للزجر واللوم ،  
ونكر لفظ الدهر تحقيراً له ، ثم غَطَّ في مخاطبته حيث خاطبه مخاطبة الأمر المتضجر  
بأن يستقيم ، ويصلح حاله مع الناس ، فاستعمل لفظ " قَوْمٌ " وفي هذا كله جعله وكأنه  
شخص يسمع ويعي ، فاستعار له لفظ الأَخَدَ عَيْنَ ، ثم بين له أن ضجر الناس منه ،  
ومن جهله أمر محقق ، فاستعمل " الفاء " مع حرف التحقيق " فقد " .  
وهذه الأبيات الثلاثة استشهد بها الإمام عبد القاهر ، لإثبات أن الكلمات المفردة  
لا تتفاضل من حيث هي كلم مفردة ، والألفاظ مجردة ، وإنما تكون لها الفضيلة وخلافها  
بحسب وضعها في الجملة ، وملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها . قال :

" . . . إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي  
كلم مفردة ، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها ، في ملاءمة معنى اللفظة  
لمعنى التي تليها ، وما أشبه ذلك ، مما لا تعلق له بصريح اللفظ .

وما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها  
تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفظ " الأخدع " في بيت الحماسة :  
تَلَفَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَسَّدْتِنِي .: وَجِعْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعًا  
وبيت البحري :

وَإِنِّي وَإِنْ بَلَّغْتِنِي شَرَفَ الْفِسْنِي .: وَأَعْتَقْتُ مِنْ رِقِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي  
فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن ، ثم إنك تتأملها في بيت  
أبي تمام :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِّنْ أَخْدَعِيكَ فَقَسِدُ .: أَضَجَّجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ  
فتجد لها من الثقل على النفس ، ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدتها

هناك من الروح والخفة . (١) والإيناس والبهجة . (٢)

( ١ ) وفي الدلائل ، تحقيق شاكر : " ومن الإيناس والبهجة " .

( ٢ ) الدلائل ، رضا : ٤٦ ، خفاجي : ٩٦ ، شاكر : ٤٧ .

ومن نص الإمام عبد القاهر يتضح أنه استحسن لفظ الأُخْدَع في بيت الصِّمَّة  
القشيري ، وفي بيت البحتري ، واستهجنه في بيت أبي تمام ، ولكنه لم يبين  
سبب الاستحسان والاستهجان ، وإنما اكتفى بقوله في الاستحسان :

" فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن " .

وقال في استهجان لفظ أبي تمام " أُخْدَعِيكَ " :

" فتجد لها من الثقل على النفس ، ومن التنغيس والتكدير أضعاف ما وجدت  
هناك من الروح والخفة ، والإيناس والمهجة " .

فقد اعتد على ما يظهر على الذوق الشخصي ، والشعور النفسي بدليل قوله :

" فتجد لها من الثقل على النفس " .

هذا هو رأى الشيخ في الأبيات الثلاثة ، فماذا عن رأى طماء البلاغة فيها ؟  
ذهب القاضي الجرجاني إلى القول بقبح الاستعارة في بيت أبي تمام ، قال :

" فإذا سمعت بقول أبي تمام :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِّنْ أَخْدَعِيكَ فَقَدْ . . . أَضَجَّجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِيكَ

فاسدد سامعك ، واستغش ثيابك ، وإيّاك والإصغاء إليه ، واحذرا الالتفات  
نحوه ، فإنه ما يصدى القلب ويعميه ، ويطمس البصيرة ، ويكد القريحة (١) .

ثم ذكر أنه ربما حدا بأبي تمام إلى استعارة الأُخْدَع أنه جارئ القدماء في  
ذلك ، وهذا خطأ منه ، لأن مجازة القدماء لا تصح إلا فيما قرب وعُرف وظهر ووضح .

قال :

" وإن ا قال أبو تمام :

" يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِّنْ أَخْدَعِيكَ "

فإنما يريد : اعدل ولا تجر ، وانصف ولا تحف ، لكنه لما رام قد استجازوا أن  
ينسبوا إليه الجور والميل ، وأن يقذفوه بالعسف والظلم ، والخرق والعنف ، وقالوا :

قد أعرض عَنَّا ، وأقبل على فلان ، وقد جفانا وواصل غيرنا ، وكان الميل والإعراض  
 إنما وقع بانحراف الأخدع وَزَوْرَارِ المنكب ، استحسن أن يجعل له أخدعا ،  
 وأن يأمر بتقويمه ، وهذه أمور متى حُطت على التحقيق ، وطلب فيها محض  
 التقويم أخرجت عن طريقة الشعر ، ومتى اتبع فيها الرخص ، وأجريت على  
 المسامحة ، أدت إلى فساد اللغة ، واختلاط الكلام ، وإنما القصد فيها  
 التوسط والاجتزاء بما قَرَبَ وعَرَفَ ، والاقتصار على ما ظهر ووضح (١) .

والى تقبيح الاستعارة في بيت أبي تمام ذهب الآمدي ، فذكرها في مرزول ألفاظ  
 أبي تمام وقبيح استعاراته ، وعلل سبب القبح أن أبا تمام استخدم لفظ "الأخدع"  
 على سبيل الاستعارة ، ولم يأت به على الحقيقة كما فعل البحري ، وليست هناك  
 ضرورة تدعوه إلى استخدام هذه اللفظة ، فكان بإمكانه أن يقول "قوم من أعوجاجك"  
 قال الآمدي :

" فقد تراه كيف يخطط الحسن بالقبيح ، والجيد بالردي ، وإنما قبح الأخداع  
 لما جاء به مستعاراً للدهر ، ولو جاء في غير هذا الموضع أو أتى به حقيقة ،  
 ووضعه في موضعه ما قبح ، نحو قول البحري :

" وَأَعْتَقْتِ مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي "

ثم قال :

" . . . أي ضرورة دعت إلى الأخدعين ؟ وكان يمكنه أن يقول : " من أعوجاجك "  
 أو " قوم ما تتعوج من صنعك " أي : ياد هر أحسن بنا الصنيع ؛ لأن الأخرق  
 هو الذي لا يحسن العمل ، وضده الصنع (٢) .

وذهب إلى ما ذهب إليه القاضي الجرجاني من أن أبا تمام رأى في بعض أشعار  
 القدماء شيئاً من بعيد الاستعارة ، فاحتذاها ، واشتط في ذلك ، قال :

( ١ ) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ٤٣٢ .

( ٢ ) الموازنة - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - : ٢٣٩ - ٢٤٠ .

" وإنما رأى أبو تمام أشياء يسيرة من بعيد الاستعارات متفرقة فسي  
 أشعار القدماء... لا تنتهي في البعد إلى هذه المنزلة، فاحتدأها،  
 وأحب الإبداع، وأغرق في إيراد أمثالها، واحتطب، واستكثر منها (١)  
 وكذلك كره وعاب أبو هلال العسكري لفظة "الأخدع" في بيت أبي تمام، فذكر  
 في باب " تمييز الكلام جيد من رديئه ونادره من بارد" أن أحسن الشعر  
 ما تلامس نسجه وحسن لفظه، ولم يستعمل فيه الغليظ من اللفظ، ودلل على قوله  
 هذا بكلمة "الأخدع" لأبي تمام، قال :

" والشعر كلام منسوج، ولفظ منظم، وأحسنه ما تلامس نسجه ولم يسخف،  
 وحسن لفظه ولم يهجن، ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام، فيكون جلفاً  
 بغيضاً، ولا السوقي من الألفاظ، فيكون مهلهلاً دوناً... فالبغيفض كقول  
 أبي تمام :

(٤) (٥)  
 جعل<sup>(٢)</sup> القنا الدرجات للكذجات<sup>(٣)</sup> ذاً . : ت الغليل والحرجات والأدحال<sup>(٦)</sup> (٧)  
 من<sup>(٨)</sup> كان حزن الخطب في أجزائه . : فدعاه داعي الحين للإسهال<sup>(٩)</sup>

- (١) الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد - : ٢٤٠ .  
 (٢) رواية الديوان - دار صادر - : " جعلوا " وكذلك رواية الديوان بشرح  
 الخطيب التبريزي .  
 (٣) الكذجات : جمع الكذج وهو المأوى / اللسان " كذج " : ٣٥١ / ٢ ،  
 (٤) الغيل : كل موضع فيه ماء من واد ونحوه / اللسان " غيل " : ٥١٢ / ١١ ،  
 (٥) الحرجات : مجتمع الشجر / اللسان : " حرج " : ٢٣٤ / ٢ - ٢٣٥ ،  
 (٦) الأدحال : جمع دحل وهو نقب ضيق الفم وأسفله واسع يجتمع فيه الماء /  
 اللسان " دحل " : ١١ / ٢٣٧ .  
 (٧) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ١٣٨ . ديوانه - دار صادر - : ٢٣٢ .  
 (٨) رواية الديوان : - دار صادر - : " قد كان " . وكذلك رواية الديوان  
 بشرح الخطيب التبريزي .  
 (٩) ديوانه : - دار صادر - : ٢٣١ ، ديوانه بشرح الخطيب التبريزي :

وقوله :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِّنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ . : . أَضَجَّجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ  
 ولا خير في المعاني إذا استكرهت قهراً ، والألفاظ إذا اجترت قسراً ،  
 ولا خير فيما أُجيد لفظه إذا سخف معناه ، ولا في غرابة المعنى إلا إذا شرف  
 لفظه مع وضوح المغزى ، وظهور المقصد ، وقد غلب الجهل على قوم فصاروا  
 يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلا بكدي ، ويستفصحوه إذا وجدوا  
 ألفاظه كزّة غليظة ، وجاسية غريبة ، ويستخفون الكلام إذا رأوه سلساً عذياً ،  
 وسهلاً حلواً ، ولم يعلموا أن السهل أضعف جانباً ، وأضعف مطلباً ، وهو أحسن  
 موقعاً ، وأعذب مستمعاً ، ولهذا قيل أجود الكلام السهل المستمع (١) .

فيظهر أن أبا هلال العسكري قد عاب بيت أبي تمام ليس من أجل استعارة  
 لفظ الأخدع للدهر فقط بل لأنه رأى أن هذه اللفظة كزّة غليظة في ذاتها .  
 وتبعه الباقلاني من حيث استهجان لفظة "الأخدع" من حيث هي لفظة ، فعابها  
 في بيت البحتري ، مخالفاً بذلك الأمدى ، والإمام عبد القاهر اللذين استحسنا لفظة  
 "الأخدع" في بيت البحتري وامتدحا موضعها .

ونذكر أن الذي حدا بالبحتري إلى استخدامها ولوعه باتباع أبي تمام . قال :

" . . . كما عيب على أبي تمام قوله :

فَضَرَبْتُ الشَّتَاءَ فِي أَخْدَعَيْهِ . : . ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْدًا رُكُوبًا

وقالوا : يستحق بهذه الاستعارة أن يصفع في أخدعيه ، وقد اتبعه البحتري  
 في استعارة الأخدع ، ولوعاً باتباعه ، فقال في الفتح بن خاقان :

وَلِيْنِي وَلِيْنٌ أَبْلَغْتَنِي شَرْفَ الْعَلَا . : . وَأَعْتَقْتَنِي مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي

إن شيطانه حيث زين له هذه الكلمة ، وتابعه حين حسن عنده هذه اللفظة  
 - لخبث مارد ، ووردي معانيد ، أراد أن يطلق أجنة الدم فيه ، ويسرح جيوش

العتب إليه . . . (٢) .

(١) الصناعتين : ٧٤ - ٧٥ .

(٢) إعجاز القرآن : ٢٣٦ .



وكذلك ذهب ابن سنان الخفاجي إلى القول بقبح الاستعارة في بيت أبي تمام لما فيها من بُعد وإغراب ؛ لأنه لا بد لكل استعارة من حقيقة يرجع إليها ويكون بينهما شبه ظاهر وتعلق وكيد (١) .

قال :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِّنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ . . . أَضَجَّجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ

وقوله :

فَضَرَبْتَ الشِّتَاءَ فِي أَخْدَعَيْهِ . . . ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْلُ (٢) رُكُوبِ (٣) (٤)

وقوله :

سَأَتُكْرِمُ فَرْجَةَ اللَّيْلِ (٥) الرَّحِيَّ . . . وَلَيْمَنَ أَخَادِعِ الدَّهْرِ (٦) الْأَبْيَّ (٧)

فإن أخادع الدهر والشتاء من أقبح الاستعارات ، وأبعدها ما استعيرت له ، وليس بقبح ذلك خفاء ، ولا يعرف أبو تمام الوجه الذي لأجله جعل للشتاء والدهر أخادع إلا سوء التوفيق في بعض المواضع (٨) . ولقد استحسّن ابن الأثير بيت الصمة القشيري (٩) واستهجن بيت أبي تمام ،

(١) سر الفصاحة : ١٢٤ .

(٢) العود : المسن من الإبل / اللسان " عود " : ٣ / ٣٢١ .

(٣) الركوب من الإبل السهل المنقاد / اللسان " ركب " : ١ / ٤٣٢ .

(٤) ديوانه : - دار صادر - : ٣٠ ، شرح ديوان أبي تمام - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - : ٦٧ .

(٥) رواية الديوان - دار صادر - : " الليت " ، والفرجة ما انفرج بين الشيتين

واتسع / اللسان " فرج " : ٢ / ٣٤١ ، ٣٤٢ .

(٦) رواية الديوان - دار صادر - : " الزمن " .

(٧) ديوانه - دار صادر - : ٣٠٦ .

(٨) سر الفصاحة : ١١٦ .

(٩) وهو الشاهد الأول :

تَلَفَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي . . . البيت .

ونذكر أن العدة في مجي كلمة " الأخدع " مستحسنة في بيت الصمة ، مستهجنة في بيت أبي تام ، إنما ترجع لتركيب اللفظة فقد جاءت موحدة في بيت الصمة ، مشاة في بيت أبي تام .

قال عند حديثه عن أنواع تأليف الألفاظ - " النوع السادس " - وفي اختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها :

" وها هنا فلينع الخاضون في هذا الفن نظرهم ، ويعلموا أن في الزوايا خبايا ، وإذا أنعموا الفكر في أسرار الألفاظ عند الاستعمال ، وأغرقوا في الاعتبار والكشف ، وجدوا غرائب وعجائب .

ومن هذا النوع لفظة " الأخدع " فإنها وردت في بيتين من الشعر وهسي في أحدهما حسنة رائقة ، وفي الآخر ثقيلة مستكرهة ، كقول الصمة بن عبد الله من شعراء الحماسة :

تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُ نِي . . وَجِئْتُ مِنَ الْإِصْفَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعًا

وكقول أبي تام :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِّنْ أَخْدَعِيكَ فَقَدْ . . أَضْجَعْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ

ألا ترى أنه وجد لهذه اللفظة في بيت أبي تام من الثقل على السمع ، والكراهة في النفس أضعاف ما وجد لها في بيت الصمة بن عبد الله من الروح والخفة ، والإيناس والبهجة ؟ وليس سبب ذلك إلا أنها جاءت موحدة في أحدهما مشاة في الآخر ، وكانت حسنة في حالة الأفراد مستكرهة في حالة التثنية ، وإلا فاللفظة واحدة ، وإنما اختلاف صيغتها فعل بها ما ترى (١) .

ويلاحظ أن ابن الأثير متأثر بالشيخ عبد القاهر ناقل عنه تعليقه على البيتين مستعملاً أكثر ألفاظه ، ومازاده عليه هو تعليقه الثقل والخفة الذي أرجعه إلى صياغة اللفظة .

ويظهر مما سبق أن سبب استحسان بيت الصمة وبيت البحري ، واستهجان بيت أبي تام يرجع كما أشار عبد القاهر إلى الذوق الشخصي ، والشعور النفسي .

ويرجع أيضا - كما أشار آبن الأثير - إلى صياغة اللفظ فحيث جاء مفرداً كان مستحسنًا ، وحيث جاء مثنى كان مستهجنًا .

ويبدو لي أنه يرجع أيضاً إلى غرض القصيدة ، وماله من تأثير في اختيار الألفاظ . فحين كان الغرض " الغزل " ، وشاع في جو القصيدة وألفاظها التحسر والألم والحنين رقت الألفاظ ، فكانت موسيقى البيت كلها في رتبة واحدة ، ومن ثم استعدت لفظة " الأخدع " .

وعندما كان الغرض المدح كما في بيت البحري خفت الألفاظ أيضا ورقست فاستحسن لفظ " الأخدع " .

ولما كان الغرض الزجر والذم ثقلت ألفاظ البيت وموسيقاه على النفس ، فكأنك تسمع لها جلبة ورنيناً شاع في ألفاظ البيت كله حيث استعمل أبو تمام ألفاظاً غليظة مثل :

" اخدعك - أضججت - خرقت "

وهناك وجه آخر للحسن والقبح يظهر في أثر الحقيقة في البيتين الأول والثاني وأثر الاستعارة في بيت أبي تمام فلا شك أن لكل من الحقيقة والاستعارة أثره في نفس السامع ولكن بشرط أن تكون حسنة لطيفة ، وأن يكون هناك ارتباط وثيق وواضح بين المستعار منه والمستعار له ، فإذا تم لها ذلك كانت أوكد للنفس وأطرب ، وإن كان وجه الشبه بعيداً بحيث يكد العقل في إدراكه ، كانت الحقيقة آنسى للنفس ، وأقرب للعقل ، وأوكد فبيت أبي تمام أفقد القاري لذة الاستعارة ، لأنه أغرب فيها فليس هناك وجه شبه ظاهر بين الدهر والأخدع .

ومن هنا كان استعمال اللفظة على حقيقتها في بيت الصمة والبحري العطف وأعذب . ثم إن في بيت أبي تمام قضية عقائدية ينبغي الإشارة إليها ، وهي أنه لا يجوز لوم الدهر ، ولا زجره ولا سبه ، لأن الله هو الدهر .

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" لَا يَسُبُّ أَحَدَكُمْ الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ ، وَلَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ لِلْعَنْبِيَةِ

الكَرَمَ، فَإِنَّ الْكَرَمَ هُوَ الرَّجُلُ السَّالِمُ<sup>(١)</sup>.

الشاهد الرابع : ( \* ) ( الطويل )

قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي<sup>(٢)</sup> :

وَمِنْ مَالِي وَعَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ<sup>(٤)</sup> . . . إِذَا رَاحَ تَحَوَّ الْجَمْرَةَ الْبَيْضُ كَالدَّمِي<sup>(٥)</sup>

( ١ ) انظر الحديث في :

مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٢ / ٢٣٨ ، ٢٧٢ ، صحيح مسلم "كتساب الألفاظ" باب النهي عن سب الدهر " : ٤ / ١٧٦٣ .

( \* ) الدلائل : رضا ، ٣٩ ، خفاجي : ٩٦ ، شاكر : ٤٧ . ( ٢ ) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، واسم أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة بن

عبد الله بن عمر بن مخزوم ( ٢٣ هـ - ٩٣ هـ ) ويكنى عمر بن أبي ربيعة ، "أبا الخطاب" ، أرق شعراء عصره من طبقة جرير والفرزدق ، ولم يكن في قريش أشعر منه ، كان كثير التشبيب بالنساء ، وقد بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فنفاه ، ثم غزا في البحر ، فاحترقت السفينة به ومن معه فمات فيها غرقاً / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٢ / ٥٥٧ - ٥٦٢ ، الأغاني : ١ / ٦١ - ٦٤٨ ، ١١ / ١٦٩ - ١٧٥ ، الموشح : ١٨٢ - ١٨٧ ، زهر الآداب : ١ / ١٠٢ - ١٢١ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٤٣٦ - ٤٣٩ ، شرح شواهد المغني : ١ / ٣٩ - ٤٢ ، شذرات الذهب : ١ / ١٠١ ، خزانة البغدادي - دار صادر - : ١ / ٢٤٠ ، الأعلام : ٥٢ / ٥ .

( ٣ ) وفي رواية الكامل والموشح للمريزاني ، والجميل للزجاجي :

" وكم مالي وعينيه من شيء غيره "

( ٤ ) وذكر محقق الأغاني أنه ورد في إحدى المخطوطات " من سيء عجرة "

يريد : من فيض عجرة : ١ / ١٤٥ ، ويبدو لي أنه تصحيف .

( ٥ ) ذكر الدكتور عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية : ص ٣٣٠ أن

البيت غير موجود في ديوان عمر بن أبي ربيعة - طبعة دار صادر - ، وقد وجدت القصيدة فيه . / انظر البيت في :

ديوانه - دار صادر - : ١٨ ، الكتاب : ١ / ١٦٥ ، شرح أبيات سيويه للنحاس :

١٠٠ ، رقم الشاهد ( ٢٠٩ ) ، الكامل - دار الفكر - : ٢ / ١٦٧ ، الجميل

للزجاجي : ٨٢ ، الأغاني : ١ / ١٤٥ ، الموشح : ١٨٤ .

ومطلع القصيدة التي منها البيت :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَا يَبَاءُ<sup>(١)</sup> بِسِهِ دَمٌ . . . وَمِنْ غَلِقٍ<sup>(٢)</sup> رَهْنًا إِذَا ضَمَّ<sup>(٣)</sup> مِسْنَى<sup>(٤)</sup>

ويعده بيت الشاهد ويعده :

يَسْتَحَبُّنَ أَذَى يَالِ الْمَرْوِطِ<sup>(٥)</sup> بِأَسْوَقٍ<sup>(٦)</sup> . . . خِدَالٍ<sup>(٧)</sup> وَأَعْجَازٍ مَأْكُمَهَا<sup>(٨)</sup> رَوَى<sup>(٩)</sup>

أَوَانِسُ يَسْأَلُنِ الْخَلِيمَ فَوَادَهُ . . . فَيَأْطُولُ مَاشِقُ وَيَا حَسَنَ مُجْتَظَى

مَعَ اللَّيْلِ قَصْرًا<sup>(١٠)</sup> رَمِيهَا بِأَكْفَمَهَا . . . ثَلَاثَ أَسَابِيحٍ تُعَدُّ مِنَ الْحَصَى

فَلَمْ أَرَ كَالْتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاطِرٍ . . . وَلَا كَلِّيَالِي الْحَجِّ أَقْتَنَ<sup>(١١)</sup> ذَا هَوَى

(١) رواية الأغاني : فكم من قتيل ما يباء به دم .

(٢) باء فلان بفلان بواء ، وأبائه ، وبأواه : إذا قتل به ، وصار دمه بدمه ،

وباءه : قتله به . والمراد هنا : فكم من قتيل ذهب دمه ، ولم يؤخذ

له بثأر / اللسان : " باء " : ١ / ٣٨ .

(٣) غلق الرهن في يد المرتهن يفلق غلقا : لم يقدر الراهن على افتكاكه في

الوقت المشروط ، والمعنى هنا : وكم من قلوب أسيرة مرهونة لم يقدر أصحابها

على افتكاكها . / اللسان " غلق " : ١٠ / ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٤) رواية الأغاني : " إذا لفه " .

(٥) المرُوط : جمع مرط وهو كساء من خز أو صوف أو كتان ، وقيل هو الثوب

الأخضر / اللسان " مرط " : ٧ / ٤٠١ .

(٦) الأسوق : جمع ساق . / اللسان " سوق " : ١٠ / ١٦٨ .

(٧) الخُدل : العظيم الممتلي ، والخدلة من النساء الغليظة الساق ،

وخدلاء منثلة الساقين والذراعين / اللسان " خدل " : ١١ / ٢٠١ .

(٨) المأكم جمع مأكمة ، والمأكمتان هما لحمتان وصلتا مابين العجز ،

والممتين ، وقيل هما اللحمتان على رؤوس الوركين . / اللسان " أم " ،

١٢ / ٢٠ - ٢١ .

(٩) روى : أي فيها ري كثير . / اللسان : " روى " : ١٤ / ٣٤٦ .

(١٠) قصرا : حبساً / اللسان ( قصر ) : ٥ / ٩٩ .

(١١) رواية الموشح : " أقطن " .

عُرف الشاعر عمر بن أبي ربيعة بتعرضه للنساء في الحج ، فكان يقدم فيعتمر في  
ذي القعدة ، ويحل ويلبس الخلل والوشي ، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء ،  
عليها القطوع والديباج ويسبل لمتته ، ويلقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق  
محرمات ، ويتلقى المدنيات إلى هنزٍ ويتلقى الشاميات إلى الكديد (١) .

وهذه الأبيات التي منها بيت الشاهد قالها - فيما يبدو - في عائشة بنت طلحة (٢)  
حين رآها وهي ترمي الجمار حاسرة الوجه ، وقد كانت تحرص كل الحرص على أن لا يراها

(١) الأغاني : ١ / ٢٢١ .

(٢) ذكر الدكتور جبرائيل جبور في كتابه " عمر بن أبي ربيعة " رواية فهم منها

أن الأبيات قيلت في " فاطمة بنت مروان بن عبد الملك " ، فذكر أنه لما حجج

سليمان بن عبد الملك أرسل وراء عمر وقال له : ألسنت العاقل :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَأَيَّاءِ بِسِهِ دَمٌ . . . وَبِئْسَ عَقْبِي رَهْنًا إِذَا ضَمَّهُ مِنِّي

والله لا تحج مع الناس هذا العام ، وأخرجه إلى الطائف حتى قضى الناس

حجتهم . / الموشح : ١٨٤ .

ثم ذكر في الهامش أن هناك رواية أخرى في الأغاني تذهب إلى أن عمر بن

عبد العزيز هو الذي أنبّه على قوله هذا ، وأن الشعر في امرأة هي فاطمة

بنت مروان .

ولقد بحثت طويلاً في الأغاني عن هذه الرواية الأخيرة ، فلم أشر عليها ،

ولعله يقصد بالرواية الأخيرة ما جاء في الأغاني أنه " لما قدمت فاطمة

بنت عبد الملك بن مروان مكة جعل عمر بن أبي ربيعة يدور حولها ، ويقول

فيها الشعر ، ولا يذكرها باسمها فرقاً من عبد الملك بن مروان ، ومن الحجاج ،

لأنه كان كتب إليه يتوعده إن ذكرها أو عرض باسمها .

ويبدو لي أن الأبيات قد قيلت في عائشة بنت طلحة ، لأن هناك رواية

في الأغاني توافق وتساير معاني الأبيات ، فما جاء فيها :

" ولم يزل عمر ينسب بعائشة أيام الحج ، ويطوف حولها ويتعرض لها ، وهي

تكره أن يرى وجهها حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرة ، فنظر إليها

فقالمت :

أما والله لقد كنت لهذا منك كارهة يافاسق \* / انظر الأغاني : ١ / ١٩٥ ، ٢٠٠ .

عمر بن أبي ربيعة فيشيب بها ، فلما صدف وآها ، وفاز بمبتغاه انتشت نفسه سروراً  
وغبطة ، فأخذ يصور ذلك الموقف وروعته ، وأثره في نفسه ، فهو كثيراً ما يتمتع برؤيصة  
الأوانس البيض اللواتي هن مثل الدمي في بياضهن وجمالهن إذا وقف عند الجمار ،  
هذا على رواية " من مالي " أما على رواية " كم مالي " فإن الشاعر شعر بحُرمته  
هذا الموقف ، فأراد أن يعتذر لنفسه ، بأنه ليس وحده الذي يتخذ من موسم  
الحج مرتعاً للهواه وتغزله وتعرضه للحرائر ، فالكثرة الكاثرة من الحجيج يلدثون عيونهم  
من نساء غيرهم ، وهذه مسألة معروفة في علم النفس ، فكل من كان على خلق يحسب  
أو يحاول أن يثبت أن كل الناس على هذا الخلق .

ولم يشر الشيخ عبد القاهر إلى سراستحسان لفظة " شيء " في بيت عمر بن أبي  
ربيعة ، ويبدو لي أنها جاءت هنا حسنة مقبولة ؛ لأنه كنى ورمز بها إلى " المرأة " .  
وأضافها إلى لفظ " غيره " ؛ ليدل على أن المتحدث عنه من " الحُرَمَات " ، وأن المتحدث  
عنه صراحة فيه تعدٍ على هذه الحُرمة .

أو أنها حسنت هنا ؛ لأن المقام الذي جاء فيه الحديث عن المرأة مقام عبادة  
- وهو الحج - وهو مقام لا يجوز فيه التشبيب بالنساء والتغزل بهن ، فكان لابد من  
التحفظ في الألفاظ تأدياً مع الموقف . وهذا له تأثيره في نفس السامع .  
وربما حسّن هذا اللفظ ؛ لأن الشعر شعر غزل فأراد الشاعر أن يلف المتغزل به  
في ثوب من الغموض ليحرك في النفوس الشوق إليه .

==== وانظر كذلك : عمر بن أبي ربيعة جبرائيل جبور : ٣ / ١٤١ .  
وذكر المبرد في الكامل أن الأبيات قيلت في أم عمر بنت مروان بن الحكم قال :  
" وقال عمر بن أبي ربيعة ونظر إلى أم عمر بنت مروان بن الحكم وكانت صارت  
إليه متنكرة فرأته وقضت من محادثته وطراً ثم انصرفت فلما رجعت من منى  
عرفها ، فعلمت ذلك ، فبعثت إليه لا ترفع بي صوتاً ، وأهدت له ألف دينار  
فاشترى بها عطراً ووزاً وأهداه لها فأبته أن تقبله فقال : إذا والله أنهبه  
فيكون أذيع له فقبلته وفي ذلك يقول :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَا يَسَاءُ بِهِ نَمٌّ . . . وَمِنْ غَلَقِي رَهْنًا إِذَا ضَمَّهُ مِثْنِي

( الطويل )

الشاهد الخامس : (\*)

قول أبي حية :<sup>(١)</sup>إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمَ وَيَلِيَهُ . . . تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا<sup>(٢)</sup>

ومطلع القصيدة :

أَلَا حَيٌّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمُقَانِيَا<sup>(٤)</sup> . . . لَيْسَنَّ الْبِلَى مِثْلًا لَيْسَنَّ اللَّيَالِيَا<sup>(٥)</sup>

وَكَمْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ . . . إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدَّمَسِي

\* الكامل - دار الفكر - : ١٦٦ / ٢ - ١٦٧ - ١٦٨ .

(\*) الدلائل ، رضا : ٣٩ ، خفاجي : ٩٧ ، شاكر : ٤٨ .  
(١) هو أبو حية النعميري ، واسمه الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كبير بن

جناب بن مالك بن عامر بن نعيم ، ويقال : هو أحد بني عبد الله بن الحارث

ابن نعيم ، جاء في المبهج في تفسير كنيته :

أنه يجوز أن يكون كُتِّي بواحدة الحيات ، ويجوز أن يكون كُتِّي بحية

تأنيث حي من قولهم رجل وامرأة حية في هذا كعائشة ، وحي منه

كعمرو ويحيى اسمي رجلين ، وجاء في العقد الفريد أنه كان من الشعراء

المجانين ، وكان من أشعر الناس / انظر ترجمته في :

المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة : ٥٧ ، العقد الفريد

- دار الفكر - : ١٥٧ / ٧ ، المؤلف والمختلف : ١٠٣ .

(٢) وفي رواية العقد الفريد : " تقاضاه أمر "

(٣) انظر البيت في :

البيان والتبيين : ٢٢٩ / ٢ ، الكامل - دار الفكر - : ١٤٨ / ١ ، العقد الفريد

- دار الفكر - : ١٥٧ / ٧ ، أمالي القالي : ١٨٥ / ٢ ، المؤلف والمختلف :

١٠٣ ، زهر الآداب : ١ / ٢٦٧ ، الحماسة البصرية : ٢ / ٤٢٤ .

(٤) هذه رواية الحماسة والكامل ، أما رواية البيان والتبيين ، والعقد الفريد :

" الْأَحْيَى أَطْلَالَ الرَّسْمِ الْبَوَالِيَا " .

والمعاني جمع مغنى ، وهو المنزل الذي غني به أهله ثم ظعنوا عنه ، أو هو

المنزل عامة / اللسان " غنا " : ١٥ / ١٣٩ .

(٥) رواية الأمالي :

" لَيْسَنَّ الْبِلَى لَمَّا لَيْسَنَّ اللَّيَالِيَا " .



وبعدہ أبيات قبل الشاهد :

فَإِنْ أَلْهُ وَدَعَتْ الشَّجَابَ فَلَمْ أَكُنْ .: عَلَيْهِ مَعَاذَ اللَّهِ ذَلِكَ زَارِيَا  
حَنْتِي اللَّيَالِي بَعْدَ مَا كُنْتُ مَرَّةً .: قَوْمِ الْعَصَا لَوْ كُنَّ يُبْقِينَ بَاقِيَا<sup>(١)</sup>

وبعدهما الشاهد وبعدہ :

وَإِنِّي لَيَنْهَانِي عَنِ الْجَهْلِ أَنِّي .: أَرَى وَضَحًا مِنْ لَمْتِي قَدْ بَدَا لِيَا  
وَطُولُ تَجَارِيِبِ الْأُمُورِ وَلَا أَرَى .: لِذِي نَهْيَةٍ مِثْلِ التَّجَارِيِبِ نَاهِيَا<sup>(٢)</sup>

لم تشر المراجع التي رجعت إليها في تخريج البيت إلى استهجان البيت

أو استحسانه ؛ إلا ما يفهم من قول ابن عبد ربه - " وهو القائل " - قيل ذكره بيت

الشاهد ، والذي صاغه بأسلوب القصر عن طريق تعريف الطرفين فدلّت العبارة بهذا

الأسلوب على نوع من الاستحسان .

جاء في العقد الفريد : تحت عنوان " شعراء المجانين " :

" منهم أبو ياسين الحاسب ، وجعيفران ، وجرنفش ، وأبو حية النميري . . .

وكان أبو حية أجن النام وأشعر الناس ، وهو القائل :

أَلَا حَيَّ أَطَّلَالَ الرَّسُومِ الْبَوَالِيَا .: لَيْسَنَّ الْبَلَى مِمَّا لَيْسَنَّ اللَّيَالِيَا  
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرَّةَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ .: تَقَاضَاهُ أَمْرًا لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا<sup>(٣)</sup>

الشاعر في هذا البيت يتألم ، ويتحسر على عمر الإنسان الذي يفنى ويلى من

شدة ما يلقاه من عنّت الأيام ، وعسف الليالي ، فإذا كانت الأيام والليالي هي التي

( ١ ) رواية الأمازي وزهر الآداب :

حَنْتِكَ اللَّيَالِي بَعْدَ مَا كُنْتُ مَرَّةً .: سَوِيَّ الْعَصَا لَوْ كُنَّ يُبْقِينَ بَاقِيَا .

( ٢ ) هذه الأبيات بهذا الترتيب انفرد بها صاحب الحماسة البصرية : ٢ / ٤٢٤ ،

وبقية المراجع التي أشرت إليها في تخريج البيت لم تذكر سوى بيتين وهما

مطلع القصيدة وبيت الشاهد ، مع اختلاف في رواية صدر البيت الأول - كما

أشرت - وفي التمثيل والمحاضرة لم يذكر سوى بيت الشاهد .

( ٣ ) العقد الفريد - دار الفكر - : ٧ / ١٥٧ ، كذلك انظر الخبر في البيان

والتبين : ٢ / ٢٢٩ .

تقاضيه ، فلن تمل حتى تغنيه ، ولن يعيقها شيء حتى تفتك به ، والشاعر قد قال قصيدته هذه ، وقد ودع الشباب وحنته الليلي ، وظهر الشيب في لِمَتِهِ ، وقد كان شبابه محموداً لديه، وهذا هو مصدر الحسرة في البيت .  
وبين الشاهد ، ومطلع القصيدة مناسبة قوية حيث جعل فناء الأطلال رمزاً لفناء الإنسان .

وقوله : " لبسن البلى ما لبسن الليلية " استعارتان رائعتان تصوران سرعة فناء الإنسان ، فقوله " لبسن البلى " يدل على أن الفناء قريب من الإنسان لاصق به ، وكأنه إزار يلاصق جسده ، وجعل الليلية كاللباس دليل على سرعة انصرام تلك الليلية ، فهي دائما ما تغطي تلك المغاني ، وكأنها لباس لها دائم .

ويبدو أنه خص الليلية بالذكر وأنها سبب الفناء ؛ لأن الليلية معنى خاصاً فهي نفس الشاعر ، فهي تثير فيه ذكريات الشباب كيف لا وهي مرتع لهوهِ وتصابيه .  
ثم انظر إلى قيمة التذكير في قوله : " يوم وليلة " حيث أراد به " الشدة " أي يوم شديد ، وليلة قاسية ، ثم إنه لم يقل " الزمن " بل قال يوم وليلة ؛ ليدل على التتابع ، وعلى أن الإنسان يقاسي في كليهما من الشدائد ما يعجل بفنائه .

وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذا المعنى :

" كَفَى بِالسَّلَامَةِ نَاءً (١) "

وقال عمرو بن قتيبة (٢) في هذا المعنى :

( ١ ) لم أقف عليه ، وأعتقد أنه مثل وليس بحدِيث .

( ٢ ) هو شاعر جاهلي ، نشأ يتيماً ، وأقام في الحيرة مدة ، ثم خرج مع امرئ القيس حين توجه إلى قيصر ، فمات في الطريق ؛ ولذا سمته العرب " عمراً الضائع " / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ١ / ٣٨٣ - ٣٨٥ ، المؤلف والمختلف : ١٦٨ ، معجم الشعراء : ٢٠٠ ، الأعلام : ٥ / ٨٣ ، ونسب البيتان في مجموعة المعاني لعبد الرحمن بن سويد المرزي .

كَانَتْ قَنَاتِي (١) لَا تَلِينُ لِغَايِزِ (٢) . . . فَلَا نَهَا إِلَّا صَبَاحُ وَإِلْمَسَاءُ

وَدَعَوْتُ رَبِّي فِي السَّلَامَةِ جَاهِدًا . . . لِیُصِحِّحَنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءٌ

وَقَالَ الثُّرَيِّبُ بْنُ تَوَلَّبٍ (٣) :

يَسْرُرُ (٤) الْفَتَى طُولُ السَّلَامَةِ وَالْبَقَا . . . فَكَيْفَ يَرَى طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ

يُرَدُّ (٥) الْفَتَى بَعْدَ اعْتِدَالِ (٦) وَصِحَّةٍ . . . يَنْوُو إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ (٧)

قَالَ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ (٨) :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ . . . وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسَلَّمَ

وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمَ وَلِيَّةٍ . . . إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكََا مَا تَيْمَسَا (٩)

الشاهد السادس : \* ( الطويل )

( ١٠ ) بيت المتنبي :

- ( ١ ) يريد جميع جسمه .
- ( ٢ ) الغمز : العصر والكبس باليد . / غمز \* : ٣٨٩ / ٥ .
- ( ٣ ) شاعر مخضرم من شعراء الطبقة الثانية في الجاهلية . أدرك الإسلام وهو كبير السن ، كان جواداً واسع القربى . / انظر ترجمته :
- الشعر والشعراء : ١ / ٣١٥ - ٣١٧ ، خزنة البغدادي - دار صادر - ١ / ١٥٦ .
- ( ٤ ) رواية زهر الآداب : " يود الفتى " .
- ( ٥ ) رواية زهر الآداب : " يعود الفتى " .
- ( ٦ ) رواية زهر الآداب : " بعد حسن " .
- ( ٧ ) انظر : الكامل - دار الفكر - ١ / ١٤٨ ، زهر الآداب : ١ / ٢٦٨ ، مجموعة المعاني : ٧ .
- ( ٨ ) هو شاعر مخضرم أدرك عربن الخطاب ، وقال الشعر في أيامه / سنتاتي ترجمته فيما بعد : ص ٤٥٧ .
- ( ٩ ) الكامل - دار الفكر - ١ / ١٤٨ ، زهر الآداب : ١ / ٢٦٨ - ٢٦٩ .
- ( ١٠ ) الدلائل ، رضا : ٣٩ ، خفاجي : ٩٧ ، شاکر : ٤٨ . هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي
- ( ٣٠٣ هـ - ٣٥٤ هـ ) الشاعر الحكيم المعروف وهو أحد مفاخر الأدب العربي قال الشعر صبياً ، وتنبأ وتبعه خلق كثيرون حتى خرج إليه أمير حمص فأسره =====

(١) لَوِ الْفَلَكَ الدَّوَّارَ أَبْغَضْتَ سَعِيَهُ . : لَعَوْقَهُ شَيْءٌ عَنِ السِّدِّ وَرَانَ (٢)

والشاهد من قصيدة قالها يذكر فيها خروج شبيب العقيلي<sup>(٣)</sup> على كافور

الأخشيدي،<sup>(٤)</sup> ومطلع القصيدة :

عَدَّوْكَ مَذْمُومٌ يَكُلُّ لِسَانَ . : وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ (٥)

==== وسجنه حتى تاب ، مدح سيف الدولة الحمداني ، وكذلك مدح "كافورا الإخشيدي" / انظر ترجمته :

تاريخ بغداد : ٤ / ١٠٢ - ١٠٥ ، وفيات الأعيان : ١ / ١٢٠ - ١٢٥ ،  
لسان الميزان : ١ / ١٥٩ ، معاهد التنصيص : ١ / ٢٧ - ٣٣ ، الأعلام  
١ / ١١٥ .

(١) يروي الفلك " بالرفع والنصب " ، والنصب أجود . / شرح العكبري : ٤ / ٢٤٢ .

(٢) انظر البيت في :-

ديوانه بشرح العكبري : ٤ / ٢٤٧ ، العرف الطيب في شرح ديوان أبي

الطيب : ٤ / ٦٠٣ ، الوساطة : ١٨١ ، يتيمة الدهر : ١ / ١٧٤ .

(٣) هو شبيب بن جرير العقيلي من قوم كانوا من القرامطة ، وكانوا مع

سيف الدولة ، ولي شبيب معرفة النعمان دهرًا طويلًا ، واجتمع إليه جماعة

من العرب ، فوق عشرة آلاف ، فأراد أن يخرج على كافور ، فقصد دمشق

فحاصرها ، ويقال أن امرأة أُلقت عليه رجا فصرته ، فانهزم من كان

معه لما مات ، ويقال أنه حدث به صرع من شرب الخمر ، فحدث

به تلك الساعة مصرع ، فتركه أصحابه ومضوا ، فأخذه أهل دمشق

فقتلوه / انظر : شرح ديوان أبي الطيب للعكبري : ٤ / ٢٤٣ .

(٤) كنيته أبو المسك وهو صاحب مصر ، تقدم عند مولاة الأخشيدي ، وساد

لرأيه وحزمه وشجاعته ، فصيرته من كبار قواده ، كان مهيبًا ، سائسًا ،

جوادًا ، وقورًا ، توفي سنة ست وخمسين وثلاث مائة . / انظر ترجمته :

الكامل لابن الأثير : ٧ / ٢٥ ، العبر : ٢ / ٩٨ - ٩٩ ، وفيات الأعيان :

٤ / ٩٩ - ١٠٥ ، النجوم الزاهرة : ٤ / ١ - ٢٠ ، شذرات الذهب :

٣ / ٢١ - ٢٢ ، سير أعلام النبلاء : ١٦ / ١٩٠ - ١٩٣ .

(٥) القمران المقصود بهما الشمس والقمر ، تغليبا لأحدهما على الآخر

كقولهم : العمران أبو بكر وعمر بن الخطاب / شرح العكبري : ٤ / ٢٤٢ .

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبله :

قَضَى اللَّهُ يَا كَافُورُ أَنْكَ أَوْلُ . . . وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانِي  
فَمَا لَكَ تَخْتَارُ الْعَسَى وَإِنَّمَا . . . عَنِ السَّعْدِ يَوْمِي دُونَكَ الثَّقَلَانِ  
وَمَا لَكَ تُعْنَى بِالْأَيْسَةِ وَالْقَنَا . . . وَجَدُّكَ طَعَانٌ بِفَسِيرِ سَيِّئَانِ  
وَلَمْ تَحْمِلِ السَّيْفَ الطَّوِيلَ نِجَادُهُ . . . وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بِالْحَدَثَانِ (١)  
أَرِدُ لِي جَمِيلًا جَدَّتْ أَوْلَمَ تَجُدُّ بِمِ . . . فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِيَّ أَثَانِي (٢)

ومعنى الشاهد : لو أنك كرهت دوران الفلك لحدث له شيء ينعه عن الدوران ،

وهذه مبالغة في قوة سعه وطالعه ، ومؤاتاة الأقدار لمراده ورجياته ، وهذا المعنى هو  
الذي بنى عليه أكثر أبيات قصيدته (٣) .

والشواهد الثلاثة \* الرابع - الخامس - السادس \* استشهد بها الإمام عبد القاهر  
- أيضاً - على أن الكلم لا تتفاضل من حيث هي كلم مفردة ، فقد نرى الكلمة حسنة في  
موضع مستكرهة في موضع آخر ، قال :

ومن أعجب ذلك لفظة " الشيء " فإنك تراها مقبولة حسنة في موضع ، وضعيفة مستكرهة  
في موضع ، وإن أردت أن تعرف ذلك ، فأنظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

وَمِنْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ . . . إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدُّمَى  
وقول أبي حية :

إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمَ وَلَيْسَهُ . . . تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

فإنك تعرف حسنها ومكانها من القبول ، ثم انظر إليها في بيت المتبسي :

لَوْ الْفَلَكَ الدَّوَارُ أَبْغَضْتَ سَعِيَهُ . . . لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَارِ

فإنك تراها ثقل وتضؤل ، بحسب نبلها وحسنها فيما تقدم (٤) .

( ١ ) الحدثنان : حدثان الدهر وحوادثه : نوبته ، وما يحدث منه ، واحد هـا :  
حادث ، وكذلك أحداه واحدها حدث .

( ٢ ) انظر الأبيات في : ديوانه بشرح العكبري : ٤ / ٢٤٦-٢٤٧ ، المعروف  
الطيب : ٤ / ٦٠٢-٦٠٣ .

( ٣ ) شرح العكبري : ٤ / ٢٤٧ ، المعروف الطيب : ٤ / ٦٠٣ .

( ٤ ) الدلائل ، رضا : ٤٧-٤٨ ، خفاجي : ٩٧ ، شاكر : ٤٧-٤٨ .

وفي هذه الأبيات - أيضا - لم يعلل الإمام عبد القاهر سبب استحسانه لكلمة " شيء " في بيت عمر بن أبي ربيعة ، وبيت أبي حية ، وسبب استنكاره لها في بيت المتنبي ، وكأنه اعتمد أيضا على الذوق والأريحية .

ولم يتكلم النقاد قبل عبد القاهر أو بعده - فيما رجعت إليه من مصادر - عن سبب استحسان هذه اللفظة أو استهجانها سوى ما ذكره القاضي الجرجاني في الوساطة من أن هذا البيت من عيون الشعر وقلائده لولا ضعف لفظة " شيء " وما فيها من المبالغة ، ولأجل ذلك ذكر أنه من المعنى العامي .

قال :

" وهذا البيت من قلائده ، إلا أنك تعلم ما في قوله " شيء " من الضعف الذي يجتنبه الفحول ، ولا يرضاه النقاد ، وهو وأشباه هذا مما لم نرد استقصاءه ، وإنما دللتناك على منهاجه ، وأريناك بابه ، وقد قدّمنا ما استرذلناه من شعره <sup>(١)</sup> ورأى الاستاذ محمود شاكر في تحقيقه لدلائل الإعجاز غير ما رآه الإمام عبد القاهر ، والقاضي الجرجاني ، إذ أنها مستحسنة عنده ؛ لأنها تكشف عن دخيلة نفس المتنبي ، وأنه ما ذكرها هنا إلا قاصداً متعنياً ، فهو يريد بها التنفيس عما في صدره - من الغيظ على كافور واستهانت به . قال :

" . . . وهو من القصيدة التي قالها في سنة ٣٤٨ هـ ، والتي قال فيها أيضا قصيدته الميسية حين ركبته الحمى ، والتي عرّض فيها بالرحيل عن كافور ، وهي قصيدة مدح ، ولكنني أرى أنه كان ينفث في بعضها عما في صدره من الغيظ على كافور ، واستهانت به ، ولذلك فأنا أعدُّ لفظ " شيء " هنا ما يكشف عن هذه الاستهانة بكافور ، ولو لاحظ الشيخ عبد القاهر هذا الملحظ ، لما عدّها قليلة ضيئة ، بل كبيرة موحية بما في نفسه <sup>(٢)</sup> .

( ١ ) الوساطة : ١٨١ .

( ٢ ) الدلائل ، شاكر : ٤٨ .

وهذا من الأستاذ شاكر مجرد افتراض ، والمبالغة واضحة ظاهرة ، فلا يترك  
الظاهر لمجرد الافتراض ، فقد تجاوز المتبني بهذه المبالغة حد الاعتدال حيث  
نكر لفظ شيء ؛ ليعتبر أن الذي يوقف دوران الفلك لوكره المدوح ذلك ليس بالشيء  
العظيم ، إنما هوشية حقير بجانب رغبة المدوح ، فجعل إدارة الفلك رهس  
رغبة المدوح .

إضافة إلى ذلك فقد كان المتبني شديد الرغبة في أن يوليه كافور ولاية ، فهو  
حين يمدحه لا يعرضه خشية أن يفتن كافور لذلك ، والمتبني لم يبغض كافورا  
ألا بعد أن يئس .

ثم إن ثقل هذه اللفظة ليس فقط لمجرد المبالغة ، وإنما هو لقطع الكلمة وعدم  
وصلها بشيء ، وعدم دلالتها على معنى يلتفت إليه الذهن كما هي في بيت عمر ،  
فإن المراد بها " المرأة " وفي بيت النميري فإن المراد بها " اليوم والليلية " ،  
ولدلالة الكلمة على معنى معين وقع في النفس لا يكون لها إذا لم يرجع الذهن إلى  
معنى محدد . وهذا في الإثبات لأن المراد بها شيء أي شيء ، أما في النفي فإنها  
تكون حسنة كما في قوله تعالى :

﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ( ١ )

لأن المراد عموم النفي ، على أن سبق " من " لها حماها من الانفراد ، ووحشة  
الوحدة .

وفي نهاية هذه الشواهد الستة ذكر الإمام عبد القاهر بأن باب المفاضلة بسين  
اللفظ الواحد بحسب موضعه في التأليف باب واسع قد يرفع أشخاصاً إلى السماك ،  
ويلصق آخرين بالحضيض قال :

" وهذا باب واسع ، فإنك تجد متى شئت الرجلين قد استعملاً كلما بأعيانها  
ثم ترى هذا قد قرع السماك ، وترى ذاك قد لصق بالحضيض ، فلو كانت الكلمة  
إذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ ، وإذا استحققت المزينة والشرف  
استحققت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها ، دون أن يكون السبب في ذلك

حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم ، لما اختلفت بها الحال ،  
ولكانت إِمَّا أَنْ تَحْسَنَ أَوْ لَا تَحْسَنَ أَوْ لَا تَحْسَنَ أَوْ لَا تَحْسَنَ أَوْ لَا تَحْسَنَ ، ولم تر قولاً يضطرب على  
قائله حتى لا يدري كيف يُعَبَّرُ ، وكيف يورد وَيُصَوِّرُ ، كهذا القول . بل  
إن أردت الحق ، فإنه من جنس الشيء يُجْرِي به الرجل لسانه وَيُطْلِقُه ،  
فإنَّ فَتَشَ نفسه ، وجدها تعلم بطلانه ، وتنطوي على خلافه ؛ ذاك  
لأنه ما لا يقيم بالحقيقة في اعتقاد ، ولا يكون له صورة في فسؤار (١)

الشاهد السابع : ( \* ) ( رجز )

وَقَبْرٌ حَرْبٍ يَمَكَّانٍ قَقْرٍ . . . وَلَيْسَ قُرْبٌ حَرْبٍ حَرْبٍ قَسْبُرٍ (٤)

- (١) الدلائل ، رضا : ٤٨ ، خفاجي : ٩٧ ، شاکر : ٤٨ .  
(٢) رواية العمدة " وقبر حرب في مكان ققر " ، ويروى أيضا " بِمَكَانٍ قَقْرٍ " بالضم كما في شرح البرقوقي للتخصيص .  
(٣) وذكر في معاهد التنصيص أن العجز روي :  
" وَمَا يَقْرِبُ قَسْبُرٍ حَرْبٍ قَبْرٍ " .  
وكذلك أشار محقق البيان والتبيين " عبد السلام هارون " إلى رواية معاهد التنصيص هذه .  
وذكر عجز البيت في الدلائل تحقيق شاکر ناقصا :  
" وَلَيْسَ قُرْبٌ حَرْبٍ قَسْبُرٍ " ، واعتقد أنه خطأ مطبعي .  
(٤) انظر البيت في :-

الحيوان : ٦ / ٢٠٨ ، البيان والتبيين : ١ / ٦٥ ، ثلاث رسائل  
في إعجاز القرآن " رسالة الرماني " : ٩٥ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٦٩ ،  
العمدة : ١ / ٢٦١ ، سر الفصاحة : ٨٨ ، نهاية الإيجاز : ٢٦ ، المثل  
السائر : - مكتبة نهضة مصر - : ١ / ٤٠١ ، الفلك الدائر : - مكتبة  
نهضة مصر - : ٤ / ١٧٧ ، شرح شافية ابن الحاجب : ٤ / ٤٨٧ ،  
التخصيص في علوم البلاغة - شرح البرقوقي - : ٢٦ ، الإيضاح : ١ / ٧٥ ،  
شرح التخصيص : ١ / ٩٩ ، شرح أبيات الإيضاح : ١ / ٦ ، البداية والنهاية :  
٢ / ٢٢٧ ، معاهد التنصيص : ١ / ٣٤ ، شاهد رقم (٥) ، الطراز : ١ / ١٠٤ .



البيت كما هو مشهور - مجهول القائل - ولصعوبة التفظ به نسبهوه إلى الجن .  
وقد ذكر الرواة أنه قيل في حرب بن أمية بن عبد شمس<sup>(١)</sup> ، ولذلك قصة طويلة  
ذكرها الجاحظ في الحيوان<sup>(٢)</sup> ، وابن كثير في البداية والنهاية<sup>(٣)</sup> وغيرها من كتب  
الأدب<sup>(٤)</sup> .

وملخص القصة : أن الجن قتلوا حرب بن أمية بثار حية منهم ، ثم دفنه أصحابه  
ببادية بعيدة حيث لا أهل ولا دار .  
وقد أجمع النقاد على قبح هذا البيت وردائه ، فذكر الجاحظ أن سبب  
استكراه هذا البيت هو تنافر ألفاظه فقال :

" . . . ومن ألفاظ العرب ألفاظٌ تتنافر ، وإن كانت مجموعة في بيت شعر

لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه فمن ذلك قول الشاعر :

وَقَبْرٌ حَرْبٍ يَتَكَايَنُ قَفْرٍ . . . وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ

ولما رأى من لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن يُنشد هذا البيت ثلاث مرات

في نسق واحد فلا يتتبع ولا يتلجج ، وقيل لهم إن ذلك إنما آتراه إذ كان

من أشعار الجن . صدقوا بذلك<sup>(٥)</sup> .

وذكر الرماني أن التأليف على ثلاثة أضرب :-

(١) هو حرب بن أمية بن عبد شمس - والد أبي سفيان - من قريش كنيته أبو عمرو

من قضاة العرب في الجاهلية ، ومن سادات قومه ، وهو جد معاوية بن أبي

سفيان بن حرب كان معاصراً لعبد المطلب بن هاشم ، شهد حرب الفجار

وتوفي ( ٢٦٠ - ٢٦٠ ق هـ ) / انظر : الأعلام : ٢ / ١٧٢ .

(٢) ٢٠٦ / ٦ - ٢٠٧ .

(٣) ٢٢٧ / ٢ .

(٤) انظر أيضاً معاهد التنصيص : ١ / ٣٤ - ٣٥ رقم الشاهد (٥) ، شرح

التلخيص " مختصر السعد " : ١ / ١٠٠ ، حاشية الدسوقي : ١ / ١٠٠ .

(٥) في البيان والتبيين " وإن كان مجموعة في بيت شعر ، واعتقد أنه خطأ مطبعي .

(٦) البيان والتبيين ، وكذلك انظر : الحيوان : ٦ / ٢٠٦ ، ٢٠٨ .

— متنافر .

— متلائم في الطبقة الوسطى .

— متلائم في الطبقة العليا .

وجعل من المتنافر البيت الذي نحن بصدده . قال :

« التلاؤم نقيض التنافر، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف، والتأليف على ثلاثة أوجه : -

متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا، فالتأليف المتنافر كقول الشاعر :

وَقَبْرٌ حَرْبٍ يَمَكَّانٍ قَفْرٌ . . . وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَسْبُرٌ

وذكروا أن هذا من أشعار الجن، لأنه لا يتهياً لأحد أن ينشده ثلاث مرات فلا يتتعمع، وإنما السبب في ذلك ما ذكرنا من تنافر الحروف (١).

وهو بذلك يذهب إلى ما ذهب إليه الجاحظ

وكرر الباقلاني مقاله الرماني، فقال :

« وأما التلاؤم، فهو تعديل الحروف في التأليف، وهو نقيض التنافر السذي هو كقول الشاعر :

وَقَبْرٌ حَرْبٍ يَتَكَّانٍ قَفْرٌ . . . وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَسْبُرٌ

قالوا : وهو من شعر الجن، وحروفه متنافرة، لا يمكن إنشاده إلا بتتعمع فيه، والتلاؤم على ضربين . . . (٢).

وإلى مثل هذا ذهب ابن رشيق (٣) وابن سنان (٤)، وابن الأثير (٥) والإمام العلسوي

إلا أن هذا الأخير أضاف :

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " الرماني " : ٩٤، ٩٥ .

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٦٩ .

(٣) العمدة : ١ / ٢٦١ .

(٤) سر الفصاحة : ٨٦ - ٨٧ .

(٥) المثل السائر : ١ / ٤٠١ .

.. إن الألفاظ في سهولة تركيبها ، وعثورتها وسلاستها ووعورتها بمنزلة الأصوات في طينيتها ، ولذّة سماعها ، ولهذا فإنه يستلذ بصوت " القمري " ويكره صوت " الغراب " ويستظرف صهيل " الفرس " ، ويستنكر نهيق " الحمار " فإذا تمهدت هذه القاعدة ، فاعلم - أن مقصودنا من الفصاحة يحصل بالبحث عن أسرارها (١) .

وكذلك ذكره الخطيب القزويني مثلاً على تنافر الكلمات (٢) .

ومعنى الشاهد : أن قبر هذا الرجل " حرب " بمكان موحش لم يدفن فيه أحد غيره ، وظاهر البيت إخبار ، ولكن المعنى تأسف وتحسر وتوجع على كون قبر حرب في ذلك المكان البعيد النائي حيث لا أهل ولا ديار ، والذي يدل على لزوم التوجسع ، وضع الظاهر موضع المضر ، فقله " قرب قبر حرب " وقع خبراً لقله " ليس فكان من حقه أن يقول قرب قبره (٣) .

.....

( الحفيف )

الشاهد الثامن : (٤) \*

(٤)  
قول ابن يسير :

- (١) الطراز : ١ / ١٠٤ - ١٠٥ . (٢) الإيضاح : ١ / ٧٢ - ٧٥ .  
(٣) شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ورقة ( ٣ ب ) .  
(٤) الدلائل ، رضا : ٣٦ ، خفاجي : ١٠٣ ، شاكر : ٥٧ .  
(٤) هو محمد بن يسير الرياشي مولى بني أسد ، كان شاعراً مقلداً من الشعراء المحدثين ، لم يفارق البصرة ، ولم يفد إلى خليفة ولا شريف منتجماً ، ولا جاوز بلده ، وكان ماجناً هجاء خبيثاً ، وكان من بخلاء الناس ، عاصر أبا نواس ، وعمر بعده حيناً ، وقد اختلفت المصادر في نسبه ، فذكر بعضها أن اسمه محمد بن بشير الرياشي ، وقيل إن اسمه محمد بن يسير الحميري ، وقيل محمد بن بشير الخارجي ، وقيل محمد بن بشير العدواني / انظر ترجمته :  
الشعر والشعراء : ٢ / ٨٨٣ - ٨٨٤ ، طبقات الشعراء لابن المعتز : ٢٧٩ - ٢٨٢ ، الورقة : ١١٢ ، الأغاني : ١٤ / ١٧ - ٥٠ ، معجم الشعراء للمريزاني : ٤٥٨ ، المحدثون من الشعراء : ٢٢٨ - ٢٤١ ، القاموس المحيط :

لَا أُرِيْلُ (١) الْآمَالَ بَعْدَكَ إِنِّي . . . بَعْدَهَا بِالْآمَالِ جِدًّا بِخَيْلِ (٢)  
 كَمْ لَهَا مَوْقِفًا بِيَابِ صَدِيْقِي (٣) . . . رَجَعْتُ مِنْ نَدَاهُ بِالتَّعْطِيسِ  
 لَمْ يَضُرَّهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شَيْءٌ . . . وَانْثَنَتْ نَحْوَ عِزِّي نَفْسٌ دَهْوِلِ (٤) (٥)

وموضع الشاهد عجز البيت الثالث .

وهذه الأبيات من قصيدة قالها ابن يسير في أحد بن يوسف (٦) حين استبطأه

وهي :

هَلْ مَعِينٌ عَلَى الْبُكْمَا وَالْعَوَيْلِ . . . أُمُّ مَعْرَ عَلَى الْمَصَابِ الْجَلِيلِ  
 مَيِّتٌ مَاتَ وَهُوَ فِي وَرَقِ الْعَيْشِ (٧) مَقِيمٌ بِهِ وَظَلُّ ظَلِيلِ  
 فِي عِدَابِ التَّوْتَى وَفِي عَامِرِي الدُّنَى . . . يَا أَبُو جَعْفَرٍ أَخِي وَخَلِيلِي  
 لَمْ يَمُتْ رِيَّةَ الْوَفَاةِ وَلَكِنَّ . . . مَاتَ عَنْ كُلِّ صَالِحٍ وَجَمِيلِ (٨)

(١) لا أُرِيْلُ : لا أسهل ، طريق مذلل إذا كان موطوءاً سهلاً . / اللسان مذلل : ٢٥٨ / ١١

(٢) رواية البيان والتبيين : " حقُّ بخيل " .

(٣) رواية البيان والتبيين :

" كَمْ لَهَا وَقْفَةٌ بِيَابِ كَرِيمٍ "

(٤) الذَّهْلُ ترك الشيء تناساه على عهد أو يشغلك عنه شغل ، ذَهَلَ الشيء وذَهَلَ عنه

عنه وذَهَلَ هِلَهُ وذَهَلَ هِلَ - بالكسر - عنه يذَهَلُ هِلًا ذَهْلًا وذَهْلًا هِلًا تركه على عَمْسَدِ

أو غفل عنه أو نسيه . / اللسان : " ذَهَلَ " : ٢٥٩ / ١١ .

(٥) انظر الأبيات في :-

البيان والتبيين : ١ / ٦٥ ، ٦٦ ، المصون : ٧ ، العمدة : ١ / ٢٦١ ، سـ

الفصاحة : ٨٨ .

(٦) هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب ( ت : ٢١٣ هـ ) ، كان في زمن

المأمون كاتباً لديوان الرسائل ، وكان فصيح اللسان ، قال الشعر في الغزل

والمديح والهجاء . / انظر أخباره في :

العقد الفريد : - دار الفكر - : ١ / ٢٠١٤٥ ، ١٧ / ٣ ، ١٢٩ / ٤ ، ١١٦ / ٤ ،

١١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ ، ٣٤٣ / ٥ ، ٣٤٣ / ٧ ، ٢٧٥ / ٦

الوزراء والكتاب : ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب : ٤٨ .

(٧) هذه الأبيات من رواية البيان والتبيين : ١ / ٦٥ ، ٦٦ .

وبعدها الأبيات الثلاثة التي ذكرها الشيخ .

ولقد علق الجاحظ على بيت الشاهد بقوله :

” فتفقد النصف الأخير من هذا البيت ، فإنك ستجد بعض ألفاظه يتسبباً  
من بعض ” (١)

ونذكر أن جودة الشعر تكون بتلاحم أجزائه ، وسهولة مخارجه ، فقال :

” أجود الشعر ما رأيتُه متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، كأنه قد سُبِكَ سبكاً  
واحداً ، وأُفْرِغَ إفراغاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري فرسُ الرهان ،  
وحتى تراها متفقة مُلساً ، ولينة المعاطف سهلة ، فإذا رأيتها متخلعة متباينة ،  
ومتنافرة مستكرهة تشقُّ على اللسان ، وتكدُّه ، ورأيت غيرها سهلة لينة رطبة  
متواتية ، سلسة في النظام ، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى  
كأن الكلمة بأسرها حرف واحد ” (٢)

ونذكر ابن رشيق أن العيب في البيت مرده إلى الثقل الناتج عن قرب الحاء من

العين ، وقرب الزاي من السين . قال :

” ومن الشعر ما تتقارب حروفه أو تتكرر ، فتثقل على اللسان ، نحو قول ابن بشير :

لَمْ يَضُرَّهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شَسِيٌّ . . . وَأَنْشَنَتْ نَحْوَ عَزْفِ نَفْسٍ ذَهُولِ

فإن القسم الآخر من هذا البيت ثقل ؛ لقرب الحاء من العين ، وقرب الزاي

من السين (٣)

وإلى مثل هذا ذهب ابن سنان الخفاجي فقال :

” فإن المصراع الثاني من هذا البيت يثقل التفظ به ، وسماعه ؛ لما فيه مسن

تكرر حروف الحلق ” (٤)

(١) البيان والتبيين : ١ / ٦٦ .

(٢) المصدر السابق : ١ / ٦٧ .

(٣) العمدة : ١ / ٢٦١ .

(٤) سر الفصاحة : ٨٦ - ٨٧ .

( الطويل )

الشاهد التاسع : \*

بيت أبي تمام :

(١)  
كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحَهُ أَمَدَحَهُ وَالْوَرَى . مَعِيَ وَوَذَا مَالَمْتَهُ لَمْتَهُ وَحَدِي (٢)  
والبيت من قصيدة يمدح بها أبا المغيث موسى بن إبراهيم البرافقي<sup>(٣)</sup> ، ويعتذر  
له عما نُسب إليه من هجائه له ، وأولها :

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتُ مَغَانِيمُ<sup>(٤)</sup> بِفَدِي . وَصَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعٌ مِنْ بُسْرِي  
وَأَنْجَدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِتْهَامِ دَارِكُومٍ . قِيَادَمُعٌ أَنْجَدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدِي

( \* ) الدلائل ، رضا ، ٤٦ ، خفاجي ، ١٠٣ ، شاکر : ٥٨ .

( ١ ) رواية الديوان والوساطة ، وإعجاز القرآن للباقلاني ، والمثل السائر :

" مَتَى مَالَمْتَهُ لَمْتَهُ وَحَدِي "

( ٢ ) رواية الدلائل تحقيق شاکر لعجز البيت :

" جَمِيعاً وَمَهْمَا لَمْتَهُ لَمْتَهُ وَحَدِي "

وذكر الخطيب أن هناك من يروى العجز :

" وَمَتَى مَا نَمْتُهُ نَمْتُهُ وَحَدِي "

وهي رواية غير صحيحة ، لأن أبا تمام لم يقصد أن يكون بازاء المدح ضده ،  
قال :

" من روى " ومتى ما نمتُهُ نمتُهُ وَحَدِي " ؛ ليكون بازاء المدح الذمُّ ،

الذي هو بمعنى الذم ، فقد هَدَى ؛ لأن أبا تمام لم يقصد أن يكون

بازاء المدح ضده ، وإنما أراد أني إن لمتُهُ لم يساعدني عليه أحد " /

الديوان بشرح الخطيب : ١١٦ / ٢ . انظر البيت في :

ديوانه بشرح الخطيب : ١١٦ / ٢ ، شرح ديوانه لمحمد محيي الدين عبد الحميد

٣٨٦ ، ديوانه - دار صعب - : ١١٤ ، الوساطة : ٦٥ ، إعجاز القرآن للباقلاني :

٢٢٦ ، سر الفصاحة : ٩١ ، الإيضاح : ٧٥ / ١ ، التلخيص : ١٠٠ / ١ ، شرح

أبيات الإيضاح : ٣ ب ، شرح التلخيص : ١٠٠ / ١ ، معاهد

التنصيص : ١ / ٣٧ ، رقم الشاهد ( ٦ ) .

( ٣ ) ستأتي ترجمته : ص ١٠٧٩ .

( ٤ ) رواية المعاهد : " معالمكم " .

وقبل الشاهد :

أَلَيْسَ (١) هَجْرَ (٢) الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتَهُ . : إِذَا لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي (٣)

وبعد الشاهد :

وَلَوْ لَمْ يَزَعْنِي عَنْكَ غَيْرَكَ وَازِعٌ . : لِأَعْدَيْتَنِي بِالْحِلْمِ إِنَّ الْعُلَى تَعْمِدِي (٤)

ذكر القاضي الجرجاني في الوساطة عند حديثه عن تفاوت شعر أبي تمام أن هذا البيت من ردي، شعره ، وأنه ارتفع ببعض شعره إلى درجات العلى ، وانحط ببعضها - ومنها هذا البيت - إلى الحضيض . ولكنه لم يبين سبب الانحطاط والرداءة في هذا البيت .

قال :

" . . . فيترقى في هذه الدرجات العالية ، ويتصرف هذا التصرف المعجز ،

ثم ينحط إلى الحضيض ويلصق بالتراب (٥) .

وعند حديثه عن السرقة ذكر أن ابن أبي طاهر سرق هذا البيت سرقة لطيفة جاءت على وجه القلب ، وقصد به النقض .

قال :

" ومن لطيف السرقة ما جاء به على وجه القلب ، وقصد به النقض . . .

( ١ ) رواية شرح الديوان لمحمد محيي الدين ، ومعاهد التنصيص :

" أَسْرَبِلُ هَجْرَ الْقَوْلِ "

ورواية الوساطة : " أَمْنَحُ "

( ٢ ) رواية شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - :

" أَلَيْسَ فُحْشَ الْقَوْلِ "

( ٣ ) ذكر في شروح التلخيص - حاشية الدسوقي - أن قبل بيت الشاهد :

أَتَانِي مَعَ الرُّكْبَانِ ظَنَّ ظَنَنْتَهُ . : تَكَسَّتْ لَهُ رَأْسِي حَيَاءً مِنَ الْمَجْدِ  
وَهَتَّكَتْ بِالْقَوْلِ الْخَنَا حَرَمَةَ الْعَلَا . : وَأَسْلَكْتُ حُرَّ الشَّعْرِ فِي مَسَلِكِ الْعَبْدِ

وذكر في الوساطة أن بعد الشاهد :

أَرَدْتُ يَدِي عَنْ عَرِضِ حُرٍّ وَمَنْطِقِي . : وَأَمَلْتُهَا مِنْ لِبْدَةِ الْأَسَدِ السَّوْدِ

( ٥ ) الوساطة : ٦٧ .

وقول ابن أبي طاهر:

يَشْتَرِكُ الْعَالَمُ فِي نَمِّهِ . . . لِكَيْتَنِّي أَمْدَحُهُ وَحَدِيدِي

إنما هو عكس قول أبي تمام:

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحَهُ وَالْوَرَى . . . مَعِي وَإِذَا مَالَمْتُ لَمَّتْهُ وَحَدِيدِي

وهذا باب يحتاج إلى إنعام الفكر وشدة البحث . . . (١)

ونذكر الباقلاني أن صاحب بن عبّاد قد جرى أبا الفضل بن العميد في محاسن

هذه القصيدة ، حتى انتهى إلى هذا البيت ، فذكر له أن قوله : " أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ "

معيب ؛ لثقله من جهة تدارك حروف الحلق .

ورأى أن المتقدمين قد تكلموا في هذه النكته ، فعمل أن ذلك شيء عند أهل

الصنعة معروف (٢) .

ورأى ابن سنان الخفاجي أن بعض العلماء بالشعر يعيب في قول أبي تمام

تكرار حروف الحلق على سلامة المعنى واختيار الألفاظ (٣) .

وقسم الخطيب القزويني تنافر الكلمات إلى أعلى وأدنى ، فالتنافر المتناهي في

الثقل كالبيت الذي أنشده الجاحظ :

وَقَبْرٌ حَرَبٍ يَمَكَّانٍ قَفْرٌ . . . .

والأدنى من ذلك في الثقل قول أبي تمام = بيت الشاهد = وعلق عليه بقوله :

" فَإِنْ فِي قَوْلِهِ " أَمْدَحُهُ " ثِقْلًا مَا ، لِمَا بَيْنَ الْحَاءِ وَالْهَاءِ مِنْ تَنَافُرٍ " (٤) .

وعلق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي على تعليقه هذا رافضاً إياه ؛ بأن مشمل

هذا التعليل يُقبل لو كان يتحدث عن تنافر الحروف ، ولكنه بصدور الحديث عن

تنافر الكلمات .

(١) الوساطة : ٢٠٦ - ٢٠٨ .

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٢٦ .

(٣) سر الفصاحة : ٩١ .

(٤) الإيضاح : ١ / ٧٥ .



ويبدو لي أن تعليقه هذا منقول عن ابن السبكي في عروس الأفراس حيث قال :  
 \* واعترض عليه أيضا بأن الكلام إنما هو في تنافر الكلمات وهذا من تنافر  
 الحروف (١) .

ورأى ابن يعقوب أن تكرار الحاء والهاء ، وحده ليس بسبب يوجب الثقل ،  
 وإنما الثقل والتنافر ناتج من تكرار \* أَمْدَحُهُ \* مع اجتماع الحاء والهاء ، أما اجتماع  
 الحاء والهاء بدون تكرار ، فلا يوجب ثقلاً يخل بالفصاحة ، فإنه قد جاء في التنزيل  
 المنزه قوله تعالى : \* وَبَيْنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ \* (٢) .

وأوضح الدسوقي أن مراد الشيخ القزويني أن في \* أَمْدَحُهُ \* شيء من الثقل والتنافر ،  
 فإذا انضم إليه \* أَمْدَحُهُ \* الثاني تضاعف ذلك الثقل ، وحصل التنافر المخل بالفصاحة ،  
 وليس مراده أن الجمع بين الحاء والهاء موجب وحده للتنافر المخل بالفصاحة ،  
 وذلك لوروده في القرآن الكريم . قال :

\* فقول المصنف في الإيضاح موجهاً لما في البيت من تنافر الكلمات ، فإن  
 في \* أَمْدَحُهُ \* ثقلاً لما بين الحاء والهاء من القرب . مراده أن فيه شيئاً  
 من الثقل والتنافر ، فإذا انضم إليه \* أَمْدَحُهُ \* الثاني تضاعف ذلك الثقل ،  
 وحصل التنافر المخل بالفصاحة ، وليس مراده أن مجرد الجمع بين الحاء  
 والهاء موجب للتنافر المخل بالفصاحة لوروده في القرآن (٣) .

ولقد استحسّن ابن يعقوب البيت من وجه آخر ، ورأى أنه عبر باللوم في مقابلة  
 المدح - الذي هو في الأصل يقابل الذم - تأديباً مع المدوح ، وأنه استعمل \* إذا \*  
 التي تستعمل في التحقيق إيهاماً لوجود تحقق الدعوى ، وهو وجود اللوم مع عدم  
 مساعد . قال :

(١) شرح الطخيس : ١ / ١٠٦ .

(٢) الطور : ٤٩ .

(٣) شرح الطخيس - مواهب الفتاح - : ١ / ١٠٠ .

(٤) المصدر السابق - حاشية الدسوقي - : ١ / ١٠١ .

" وعبر باللوم في مقابلة المدح مع أنه إنما يقابل بالذم تأديباً مع المدوح ،  
ولإيما ، إلى أن ذمه إنما هو لوم وعتاب على نحو تفضيل الغير على اللائم  
وإلا فلا ذم . . . . وعبر بإذا التي تستعمل في التحقيق إليها ما لوجود  
تحقق الدعوى ، وهو وجود اللوم مع عدم مساعد (١)

ولم يستحسن الصحاح بن عباد هذه المقابلة ، ورأى أن من الهجنة مقابلة  
المدح باللوم ، وذكر له هذا الرأي السعد في مختصره ، فقال :

" ذكر الصحاح اسماعيل بن عباد أنه أشد هذه القصيدة بحضرة  
الأستاذ ابن العميد ، فلما بلغ هذا البيت قال له الأستاذ هل تعرف  
فيه شيئاً من الهجنة قال نعم مقابلة المدح باللوم ، وإنما يقابل بالذم  
أو الهجاء . . . (٢)

وكذلك اعترض الدسوقي في حاشيته على كلام ابن يعقوب ، ورأى أن الأولى  
للشاعر أن يأتي " بأن ، والمضارع " الدالين على عدم تحقق الحصول ؛ لأن " إن "   
للشك دون " إذا " والماضي الدالين على تحقق الوقوع ، وفيه شائبة تقصير في  
مقام المدوح (٣) .

ومعنى الشاهد : أراد أبو تمام وصف كرم أخلاق مدوحه ، فذكر أن الخلق  
جميعاً يشهدون له بكرم هذه الأخلاق ، فإذا ما مدحه هب الناس لمدحه ، ووافقوه ،  
وناصروه ، وإذا أراد لومه أنثى عنه الناس ، ولم يوافقوه على فعله ، فتركه منفرداً في  
حالة اللوم كأنه تقرير له وذم ، للومه شخصاً يتصف بكرم الأخلاق - إذا هم بذلك -  
وهذا يدل على سعة كرم المدوح ، وأنه شمل الناس جميعاً ، فحفظوا له معروفه .  
جاء في شرح أبيات الإيضاح :

" . . . قوله والورى معي جملة في محل النصب على الحال ، وقوله " وحدي "

( ١ ) شرح التلخيص - مواهب الفتاح - : ١ / ١٠٠ .

( ٢ ) المصدر السابق - مواهب الفتاح - : ١ / ١٠٠ .

( ٣ ) المصدر السابق - حاشية الدسوقي : ١ / ١٠٢ .

حال أي منفرداً ، والمعنى هو كريم إذا مدحته وافقتني الناس على مدحه ،  
 فيمدحونه كما أمدحه ، لأنه كما يحسنُ إليَّ يَحْسِنُ إليهم بمثله ، وقيل لا أمدحه  
 بشي ، إلا صدقتني الناس فيه ، أو أن الناس اتفقوا معي على أن ما يوجب المدح  
 للإنسان من معاني الكمال موجود فيه ، فيمدحونه كما أمدحه ، وإذا لمته  
 لمته منفرداً لا يوافقني في لومه أحد ، ولا يصدقني فيما ألومه عليه ، لأنه  
 ليس فيه ما يقتضي لومه ، والقصد في هذا أن يروي براءة ساحة المدح  
 عما يلام به الناس لا أن يثبت لنفسه أن يلومه وحده ، أو لأنه يؤثرني  
 عليهم بمزيد الإحسان إليَّ ، وزيادة الإنعام عليَّ فالومه وحدي ، وليس في  
 هذا كثير مدح أو يظن في دون الناس مالم يخطر ببالي ، ويصدق الساعي  
 بي إليه فيما يتهمني به عنده من الهجاء ، فالومه على ذلك وحدي ، والذي  
 ذكره في قوله " وإذا مالمته لمته وحدي محتملاً نظر إلى اللفظ والمقام (١) (٢) .

استشهد الإمام عبد القاهر بهذه الشواهد الثلاثة (السابع - الثامن - التاسع )

للرد على من يقول بأن الفصاحة للفظ ، وتلازم الحروف . قال :

" وهذه شبهة أخرى ضعيفة ، عسى أن يتعلق بها متعلق ممن يُقدِّم على  
 القول من غير روية : وهي أن يدَّعي أن لا معنى للفصاحة سوى التلازم اللفظي  
 وتعديل مزاج الحروف حتى لا يتلاقى في النطق حروف ثقل على اللسان  
 كالذي أنشده الجاحظ من قول الشاعر :

وَقَبْرٌ حَرْبٍ يَمَكَانٍ قَقْسِرٍ . . . وَلَيْمَسُ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَسْبِرُ

وقول ابن يسير :

لَا أَرِيْلُ الْأَمَالَ بَعْدَكَ إِنِّي . . . بَعْدَهَا بِالْأَمَالِ جَدُّ بِخَيْلِ  
 كَمْ لَهَا تَوَقُّفًا بِبَابِ صَدِيقٍ . . . رَجَعْتُ مِنْ نَدَاهُ بِالتَّعْطِيطِ

( ١ ) في النسخة الأزهرية :

"والذي ذكر في قوله وإذا مالمته لمته وحدي محتملاً نظراً إلى اللفظ والمعنى ."

( ٢ ) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣ ب .

قال الجاحظ : " فتفقد النصف الأخير من هذا البيت ، فإنك ستجد بعض  
الفاظه يتبرأ من بعض (١) ، ويزعم أن الكلام في ذلك على طبقات فمنه المتناهي  
في الثقل المفرط فيه ، كالذي مضى ، ومنه ما هو أخف منه كقول أبي تمام :  
كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحَهُ أَمَدَحَهُ وَالْوَرَى . : مَعِيَ وَإِذَا مَالُمْتُ لُمْتُهُ وَحَسْبِي  
ومنه ما يكون فيه بعض الكلفة على اللسان إلا أنه لا يبلغ أن يعاب به صاحبه ،  
ويشهر أمره في ذلك ويحفظ عليه ، ويزعم أن الكلام إذا سلم من ذلك وصفاً  
من شوبه ، كان الفصح المشاد به والمشار إليه ، وأن الصفاء أيضاً يكون  
على مراتب ، يعلو بعضها بعضاً ، وأن له غاية إذا انتهى إليها كان الإعجاز (٢) .  
ورد عليهم بأنه لو قصرت الفصاحة على تلازم الحروف لزم إخراج الفصاحة من حيز  
البلاغة ، ومن أن تكون نظيرة لها ، وإذا قيل ذلك كنا أمام أحد أمرين :

إما أن يجعل " تلازم الحروف " العمدة في المقابلة بين العبارتين ، ولا يعرج على  
غيره ، وإما أن يجعل أحد ما يفاضل به ، ووجهاً من الوجوه التي تقتضى تقديم كلام  
على كلام ، فإذا أخذ بالأمر الأول لزم أن تقصر الفضيلة عليه حتى لا يكون الإعجاز  
إلا به ومنه ، وفي ذلك ما لا يخفى من الشناعة .

وإن أخذ بالأمر الثاني ، وهو أن يكون تلازم الحروف وجهاً من وجوه الفضيلة ،  
وداخلاً في عداد ما يفاضل به بين كلام وكلام على الجملة ، فلا خلاف ولا ضرر في ذلك (٣) .  
ولقد أسهبت في عرض آراء النقاد الذين سبقوا عبد القاهر ، لأبين أن علمباء  
البلاغة لم يدرفي خلد هم - فيما يبندولي - أن يجعلوا كل البلاغة في تلازم الحروف ،  
وإنما جعلوها شرطاً ومزية فيها ، ومنشأ الخلاف بينهم وبين الشيخ ناتج عن أن الشيخ  
يجعل البلاغة والفصاحة بمعنى واحد ، وهم قد فصلوا بين الفصاحة والبلاغة .

(١) البيان والتبيين : ١ / ٦٦ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٥٢ - ٥٣ ، خفاجي : ١٠٣ - ١٠٤ ، شاکر : ٥٧ - ٥٨ .

(٣) انظر :

الدلائل ، رضا : ٥٣ - ٥٤ ، خفاجي : ١٠٤ - ١٠٥ ، شاکر : ٥٨ - ٥٩ .

تعليق :-

وفي آخر هذا الفصل أود أن أشير إلى أن الشيخ عبد القاهر قد اعتمد على الذوق والأريحية ، فلم يعلل نقده للأبيات ، بل كان يعتمد على ماتوحي به الألفاظ من إحساس ، على الرغم من أنه يطالب مراراً وتكراراً ببيان وجه العلة ، فهو القائل :

" وجملة ما أردت أن أبينه لك أنه لا بد لكل كلام تستحسنه ، ولفظ تستجيده ، من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة ، وعلّة معقولة ، وأن يكون لنسب إلى العبارة عن ذاك سبيل ، وعلى صحة ما دعيته من ذلك دليل ، وهو باب من العلم ، إذا أنت فتحته اطلعت منه على فوائد جليّة ، ومعان شريفة ، ورأيت له أثراً في الدين عظيماً ، وفائدة جسيمة ، ووجدته سبباً إلى حسم كثير من الفساد ، فيما يعود إلى التنزيل ، وإصلاح أنواع من الخلل فيما يتعلق بالتأويل (١) . "

ومن اعتماده على الذوق استخدامه في تعليقاته ألفاظاً تصور الإحساس والشعور النفسي من انبساط أو انقباض من ذلك قوله :

" . . . أن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها (٢) ، أو ما أشبه ذلك ما لا تعلق له بصريح اللفظ ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تنقل عليك وتوحشك في موضع آخر (٣) . "

(١) الدلائل ، رضا : ٣٣ ، خفاجي : ٩١ ، شاکر : ٤١ .

(٢) ذكر الأستاذ شاکر أن الأجود في هذه العبارة ما أثبتته في نسخة : " أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة ، وأن الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها " .

(٣) الدلائل ، رضا : ٣٨ ، خفاجي : ٩٥ ، شاکر : ٤٦ .

وقوله في التعليق على بَيْتِي الصمة القشيري والبحثري :

\* فَإِنَّ لَهَا فِي هَذَيْنِ الْمَكَانَيْنِ مَا لَا يَخْفَى مِنَ الْحَسَنِ . . . (١)

وقوله في التعليق على بيت أبي تمام : \* يَا هُرُقُومُ مِمَّنْ أَخَذَ عَلَيْكَ . . .

\* فتجد لها من الثقل على النفس ومن التفتيخ والتكدير أضعاف ما وجدت

هناك من الروح والخفة ، ومن الإيناس والبهجة . . . (٢)

إِنَّ هَذِهِ الْمَافِضَةَ بَيْنَ الْأَلْفَافِ وَالْمَعْتَمِدَةِ عَلَى الذَّوْقِ تَطْهَرُ لَنَا قَدْرَةَ الشَّيْخِ

عبد القاهر الذوقية على الاستجابة لما توحى به الألفاظ من إحساس ، وما يضيفه عليها

السياق من معانٍ .

وإذا تأملنا هذه الألفاظ التي استخدمها في التعليق تنبهنا إلى قضايا نقدية

ذات بال . منها :

أن الإمام عبد القاهر لم يُعْنِ بِأَمْرِ التَّرَادُفَاتِ فِي الْأَلْفَافِ ، فَلَا تَرَادُفٌ فِي الْأَلْفَافِ

التي تشملها اللوحة التصويرية اللغوية ، وبذلك يربط الإمام عبد القاهر بين الصياغة

من حيث هي صورة وبين معناها . (٣)

• وتعليقاته تلك تشير إلى حقيقة نقدية هامة ، وهي :

أن لكل لغة معانيها الثانوية ، فليس هناك معنى ثابت للكلمة ، وأن ما نجد

في المعاجم من معنى ليس هو كل شيء ، بل هو مجرد أساس ثابت ، ويتفرع من معنى

المعجم عديد من المعاني الثانوية بحسب السياق الذي توضع فيه ، فلو كان للفظ

معنى واحد ثابت لم يكن هناك وجه للمقارنة بين الكلمة الواحدة فيما استشهد به

عبد القاهر من أمثلة ، ولتساوى الشعراء في قدرتهم على استغلال الكلمة . (٤)

(١) الدلائل : رضا : ٣٩ ، خفاجي : ٩٦ ، شاکر : ٤٧ .

(٢) الدلائل : رضا : ٣٩ ، خفاجي : ٩٦ ، شاکر : ٤٧ .

(٣) النقد التحليلي : ١٤٦ .

(٤) المرجع السابق : ١٤٧ .

إن الواحد لا يستطيع أن يفضل لفظة بحجة أنها شاعرية، أو يرفضها بحجة أنها غير شاعرية، فكل ما في العمل الفني يخضع لقوانينه الفنية الخاصة<sup>(١)</sup>.

حدد لنا الشيخ عبد القاهر وظيفة الشاعر ماذا يفعل حتى يحيل عناصر اللغة ومفرداتها إلى عناصر فن، فالشاعر يشكل، ويصوغ، ويختار، ويجمع، وينتقي، ويربط ذلك كله بإلهامه وحسه، وهذه العمليات كلها عمليات دقيقة تخلق من الأشياء العادية، ومن المعاني المجردة شيئاً خاصاً مستقلاً، ومعاني ذات طاقات خاصة تبعث فينا أحاسيس تختلف اختلافاً جذرياً عن أحاسيسنا في الحياة؛ لأن الشاعر استطاع أن يكسب لغته شكلاً فنياً، ويستثمر طاقات عناصرها في مواقف مناسبة<sup>(٢)</sup>.

---

(١) النقد التحليلي : ١٤٧.

(٢) المرجع السابق : ١٥٤.

## الفصل الثاني :

أ - شواهد الاستعارة

ب - القول في نظم الكلام ومكان الخومنه .



أشواهد الاستعمار

( الكامل )

الشاهد العاشر: ( \* )

قوله: ۞ إِذَا أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا \* ( ١ )

( الطويل )

الشاهد الحادي عشر: ( \* )

قوله ( ٢ )

\* وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبْيَاطِحِ \*  
ذكر الشيخ عجز البيت فقط وصدّره :

\* أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَارِيثِ بَيْنَنَا \*

( \* ) الدلائل ، رضا : ٥٣ ، خفاجي : ١١١ ، شاكر : ٦٧ .

( ١ ) سيأتي الحديث عن هذا الشاهد بالتفصيل في الفصل الذي عقده للاستعارة

في آخر الكتاب : ص ٨٧٤ . من البحث

( \* ) الدلائل ، رضا : ٥٩ ، خفاجي : ١١٧ ، شاكر : ٧٤ .

( ٢ ) ذكر الشيخ عجز البيت الثالث، ولم ينسبه، وكذلك في الإيضاح والتلخيص  
وريحانة الألبا .وذكرت الأبيات الثلاثة الأولى ( البيتان اللذان سبقا الشاهد مع بيت  
الشاهد ) في أسرار البلاغة ، والشعر والشعراء ، وإعجاز القرآن للباقلاني ،  
وشرح أبيات الإيضاح ، ومصارع العشاق .وذكر البيت الأول والثالث فقط في الخصائص ، واللسان ، وذكر البيت الأول  
فقط في أمالي المرتضى .

وهذه المصادر قد ذكرت تلك الأبيات من غير نسبة .

وذكر الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي في تحقيقه لأسرار البلاغة أن ابن جنبي  
نسبها في الخصائص لكثير عزة ، والصواب أن ابن جنبي أورد هـما من غير نسبة .  
وروي عن المرزباني بسنده - في أمالي المرتضى - أنه نسبها للمضرب عقبه  
ابن كعب .

وذكر البصري في حماسته الأبيات الثلاثة الأولى منسوبة أيضا للمضرب . وذكر

القاضي الجرجاني أنها لابن الطثرية .

وفي هامش شرح الحماسة للمرزوقي ذكر المحقق أنها تنسب لكثير عزة أو يزيد بن

الطثرية ، أو عقبه بن كعب بن زهير ، وكذلك في معجم شواهد العريضة

" عبد السلام هارون " ، ومعاهد التنصيص إلا أنه أشركونها لكثير ، وكذلك

أكد محقق كتاب " شعر يزيد بن الطثرية " ناصر بن سعد الرشيد أن

الأبيات لكثير .

وهو من قصيدة مطلعها :

لِعَزَّةَ هَاجَ الشَّوْقُ فَالِدَّمَعُ سَافِحُ . : مَفَانٍ وَرَسْمٌ قَدْ تَقَادَمَ مَا صِحُّ

وقبل الشاهد :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِثْنِي كُلَّ حَاجِسَةٍ . : وَسَحَّ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَا صِحُّ

====  
وكذلك وردت له في " زهر الآداب " ، ونُسبت في ذيل اللاكبي لكثير  
أو للمضرب عقبة بن كعب ونُسبت لكعب بن زهير وهي موجودة في ديوانه .  
وكثير هو : كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي ( ١٠٥-١٠٥ هـ )  
شاعر متيم مشهور من أهل المدينة أكثر إقامته بمصر وهو من شعراء الدولة  
الأموية يكنى بأبي صخر . ويقال له أيضا " ابن أبي جمعة " ، و " الطلحي " .  
نسبة إلى بني مَليح وهم قبيلته / انظر ترجمته :  
طبقات فحول الشعراء : ٥٤٠-٥٤٨ ، الشعر والشعراء : ١ / ٥١٠-٥٢٤ ،  
عيون الأخبار : ٢ / ١٤٤ ، الأغاني - دار إحياء التراث - : ٣٩ / ٩ ، المؤلف  
والمختلف : ١٦٩ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٥٠ ، السمت : ١ / ٦١-٦٢ ،  
وفيات الأعيان : ٤ / ١٠٦-١١٣ ، المعاهد : ٢ / ١٣٦-١٤٧ ، شذرات الذهب  
١ / ١٣١ ، خزائن البغدادي : - دار صادر - : ٢ / ٣٨١-٣٨٣ ، الأعلام : ٥ / ٢١٩ ، سير  
أعلام النبلاء : ٥ / ١٥٢ ، ويزيد بن الطرية سوف تأتي ترجمته .  
والمضرب هو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني ، ضبطه صاحب  
التاج في مستدرك ( ضرب ) بوزن " محدث " و " معظم " وضبطه في اللسان  
بالكسر فقط ، والأولى الفتح اعتماداً على ما رواه ابن قتيبة في الشعر والشعراء  
من أنه كان لكعب ابن يقال له عقبة شبيب بامرأة من بني أسد ، فضربه أخوها  
مائة ضربة بالسيف فلم يمت وأخذ الدية فسمي المضرب / انظر ترجمته :  
الشعر والشعراء : ١ / ١٤٨-١٤٩ ، المؤلف والمختلف : ١٨٢ ، أمالي  
المرتضى : ١ / ٤٥٧ ، ذيل السمت : ٧٧ ، اللسان : ( ضرب ) التاج :  
مستدرك ( ضرب ) : ١ / ٣٥٠ .

( ١ ) رواية مصارع العشاق والمعاهد :

" قَلَمًا قَضَيْنَا " .

وَشُدَّتْ عَلَى حُدْبِ الْمَهَارِيِّ رِحَالَنَا . . . وَلَا يَعْلَمُ الْقَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ

وبعدهما الشاهد وبعده :

نَقَعْنَا قُلُوبًا بِالْأَحَادِيثِ وَأَشْتَفَتْ . . . بِذَلِكَ صُدُورٌ مُنْضَجَاتٌ قَرَائِحُ

وَلَمْ نَخْشَ رَبَّ الدَّهْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ . . . وَلَا زَاغْنَا فِيهِ سَنِيحٌ وَيَسَارِحُ ( ٥ )

- ( ١ ) رواية نقد الشعر وأسرار البلاغة ، وشرح أبيات الإيضاح ، والكشكول ، ومواهب الفتاح ، وحاشية الدسوقي : " عَلَى دَهْمٍ " .  
والحدب : الحدبة التي في الظهر والحدب : خروج الظهر ودخول البطن والصدر . / اللسان : " حدب " : ١ / ٣٠٠ .
- ( ٢ ) رواية الحماسة البصرية : " عَلَى حُدْبِ الْمَطَايَا " .
- ( ٣ ) رواية نقد الشعر : " رِحَالَهَا " .
- ( ٤ ) رواية نقد الشعر ، وأسرار البلاغة ، ومواهب الفتاح ، وحاشية الدسوقي ، والمعاهد : " وَلَمْ يَنْظُرْ " .  
ورواية سائر المراجع المذكورة في تحقيق البيت :  
" وَلَا يَنْظُرْ "
- ( ٥ ) شرح ديوان كعب بن زهير : ٢٤٢ ، ديوان كثير عزة : تحقيق إحسان عباس - : ٥٢٥ ، شعر يزيد بن الطثيرة - نصر بن سعد الرشيد - : ٤٠-٤١ ،  
الوحشيات : ١٨٧ ، الشعر والشعراء : ١ / ٧٢ ، الخصائص : ١ / ٢٨-٢١٨ -  
٢١٩-٢٢٠ ، المحتسب : ١ / ٣٣٤ ، عيار الشعر : ٨٨ ، نقد الشعر :  
٣٥ ، نيل الأمالي : ١١٦ ، الوساطة : ٣٤ ، الصناعتين : ٤٢ ، إعجاز  
القرآن للباقلاني : ٢٢١ ، ٢٢٢ ، شرح الحماسة للمرزوقي : ٥٨٤ / ٢ ، أمالي  
المرتضى : ١ / ٤٥٨ ، ٢ / ٣٥٩ ، زهر الآداب : ٤٠٤ / ٢ - ٤٠٥ . ،  
نيل اللآلي : ٧٧ ، أسرار البلاغة - خفاجي - : ١١٤ / ١ - ١١٥ ، أسرار  
البلاغة - هـ ريتز - : ٢١ - ٢٢ ، مصارع العشاق - دار صادر - : ١٣٥ / ٢ ،  
محاضرات الأدباء : ١ / ٩٤ ، اللسان : مادة ( طرف ) : ٢١٨ / ٩ ، المثل  
السائر : ٢ / ٦٦ ، الحماسة البصرية : ١٠٣ / ٢ ، شرح أبيات الإيضاح -  
فيض الله - : ٩٤ ب ، معاهد التنصيص : ١٣٥ / ٢ ، ريحانة الألبا :

استشهد الشيخ بالبيت على أن الاستعارة هنا غريبة، وأن الغرابة ليست في الشبه نفسه، لأنه معروف ظاهر، وإنما الغرابة ناتجة عن حسن النظم والتركيب . فالشيخ يرى أن الاستعارة تتفاوت، فمنها العامي المبتذل كقولنا : رأيت أسداً ، ووردت بحراً ، ومنها الخاصي النادر الذي لا يوجد إلا في كلام الفحول ، ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال ، ورأى أن هذا الشاهد قد وصل إلى درجة الحسن واللفظ ، وطو الطبقة ، وأن الغرابة فيه ليست في الشبه نفسه .

قال :

« أعلم أن من شأن هذه الأجناس أن تجري فيها الفضيلة، وأن تتفاوت التفاوت الشديد ، أفلا ترى في الاستعارة العامي المبتذل كقولنا : رأيت أسداً ، ووردت بحراً ، ولقيت بدرأ ، والخاصي النادر الذي لا تجده إلا في كلام الفحول ، ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال كقوله :

« وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبْطَاحُ » أراد أنها سارت سيراً حثيثاً في غاية السرعة ، وكانت سرعة في لين وسلاسة كأنها كانت سيولاً وقعت في تلك الأباطح فجرت بها . . . وليست الغرابة في قوله : « وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبْطَاحُ » على هذه الجملة ؛ وذلك أنه لم يغرب لأن جعل المَطِيَّ في سرعة سيرها وسهولته كالماء يجري في الأبطح ، فإن هذا شبه معروف ظاهر، ولكن الدقة واللفظ في خصوصية أفادها بأن جعل « سَالَتْ » فعلاً للأباطح ، ثم عداه بالباء ، ثم بأن أدخل الأعناق في البيت ، فقال : « بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ » ولم يقل بِالْمَطِيِّ ، ولو قال : سَالَتْ الْمَطِيُّ فِي الْأَبْطَاحِ ، لم يكن شبيهاً . . . (١)

فالشاهد يشمل ثلاثة مجازات :

(١) الدلائل : رضا : ٥٨ - ٦٠ ، خفاجي : ١١٢ - ١١٩ ، شاكر :

أحد ها : مجاز بالاستعارة وهو استعارة سيلان السيول الواقعة في الأباطح لسير الإبل سيراً سريعاً فيه لين وسلاسة، وهذه الاستعارة مبتدئة مطروقة .

المجاز الثاني : مجاز عقلي وهو إسناد السيل إلى الأباطح إسناد ما للحال إلى المحل ، وذلك للإعلام بالكثرة الواقعة في المحل ، فإن الواقع في المحل إن كثر أسند إلى ذلك الحل لكثرة تلبسه به حتى صار كأنه موصوفه . والمجاز الثالث : عقلي تقديري ، وهو إسناد السير للأعناق وأسند السير لها تقديراً ؛ لأن سرعة السير ويطئه يظهران غالباً فيها ، فهي سبب في فهم سرعة السير ويطئه ، فلما كانت سبباً في فهم ذلك وإدراكه صارت كأنها سبب في وجود السير فهي إسناد الشيء إلى ما هو كالسبب فيه . (١)

وفيما يلي سأذكر آراء النقاد في بيت الشاهد وما يتعلق به من أبيات قبله وبعده ؛ لارتباطها به ، ثم أختتمها برأي الشيخ الذي ذكره في الأسرار .

يرى ابن قتيبة ( ٢٧٦ هـ ) أن أقسام الشعر أربعة :

- ضرب منه حسن لفظه ، وجاد معناه .
- وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى .
- وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه .
- وضرب منه تأخر معناه ، وتأخر لفظه . (٢)

ورأى أن أبيات " كثير " من الضرب الثاني وهو ما حسن لفظه ، وقل معناه . وطلق عليه بقوله :

" هذه الألفاظ كما ترى ، أحسن شيء ، ومخارج ، ومطالع ، ومقاطع ، وإن نظرت إلى ماتحتها من المعنى وجدته : ولَمَّا قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان ،

( ١ ) انظر : شروح التلخيص - مواهب الفتاح : ٤ / ٨٩ - ٩٠ ، المصدر السابق -

حاشية الدسوقي : ٤ / ٩٠ - ٩١ .

( ٢ ) الشعر والشعراء : ١ / ٧٥ - ٧٥ .

وعالينا إبلنا الأنضاء ، ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح ، ابتدأنا  
في الحديث ، وسارت المِطِيّ في الأبطح (١)

ومال قدامة بن جعفر إلى رأي ابن قتيبة ، فذكر الأبيات في نعت اللفظ ، وهو  
أن يكون سمحاً سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة مع الخلو  
من البشاعة (٢) .

وإلى مثل هذا ذهب الباقلاني ، وهو فيما يبدو وناقل عن ابن قتيبة حيث قال  
قبل عرض الأبيات :

\* وهذا من الشعر الحسن الذي يحلو لفظه ، وتقل فوائده (٣)

وقال بعد عرضها :

\* هذه ألفاظ بدیعة المطالع والمقاطع ، حلوة المجاني والمواقع قليلة المعاني  
والفوائد (٤) .

والذي يبدو من التأمل الدقيق لهذه الأبيات أنها تحتوي على ألفاظ لها رونق  
وحلاوة ، وعذوبة وطلاوة ، وأن معانيها مشرقة موحية ، وقد نظر ابن جني في هذه  
الأبيات نظرة المتأمل البصير ، والمتذوق الخبير ، وردَّ بها على من قال بأن  
العرب تهتم بألفاظها دون معانيها واستدلوا بهسده  
الأبيات ، ورأوا أنها شريفة الألفاظ رفيعتها ، مشروفة المعاني خفيضتها . فقال  
في " باب الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني " :

\* . . . فإن قلت : فإننا نجد من ألفاظهم ما قد نَمَّوه ، وزخرفوه ، ووشَّوه ،

ودبَّجوه ، ولسنا نجد مع ذلك تحتها معنى شريفاً ، بل لانجده قصداً ولا مقارناً ،

ألا ترى إلى قوله :

( ١ ) الشعر والشعراء : ١ / ٧٢ .

( ٢ ) نقد الشعر : ٢٨ .

( ٣ ) إعجاز القرآن : ٢٢١ .

( ٤ ) المصدر السابق : ٢٢٢ .

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِثِّي كُلَّ حَاجَةٍ . . . وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ  
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا . . . وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبْيَاحِ

فقد ترى إلى علو هذا اللفظ ومائه ، وصقاله وتلاحم أنحائه ، ومعناه مع هذا ما يحسّه وتراه إنما هو: لَمَّا فرغنا من الحج ركبنا الطريق راجعين ، وتحدثنا على ظهور الإبل ، ولهذا نظائر كثيرة شريفة الألفاظ رفيعتها ، مشروفة المعاني خفيضتها (١)

ورأى ابن جني أن قولهم هذا مرجعه إلى جفاء الطبع ، وخفاء غرض الناطق عنهم ، ثم أخذ ينقب ويفتش عن لطائف وأسرار تختبئ، في هذه الأبيات ، مستعيناً بسلامة ذوقه ، وحسن طبيعه ، وسرعة إدراكه . قال :

" . . . ولا أرى مارأه القوم منه ، وإنما ذلك لجفاء طبع الناظر ، وخفاء غرض الناطق ؛ وذلك أن في قوله : " كل حاجة " ما يفيد منه أهل النسيب والرقة ، وذوو الأهواء واليقظة ما لا يفيد غيرهم ، ولا يشاركونهم فيه من ليس منهم ، ألا ترى أن من حوائج ( مِثِّي ) أشياء كثيرة غير ما الظاهر عليه ، والمعتمد فيه سواها ؛ لأن منها التلاقي ، ومنها التشاكي ، ومنها التخلي ، إلى غير ذلك مما هو نال له ، ومعقود الكون به ، وكأنه صانع عن هذا الموضوع الذي أومأ اليه ، وعقد غرضه عليه ، بقوله في آخر البيت :

" وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ "

أي إنما كانت حوائجنا التي قضيناها ، وآرابنا التي أنضيناها من هذا النحو الذي هو مسح الأركان ، وما هو لاحق به ، وجارٍ في القرية من الله مجراه ، أي لم يتعد هذا القدر المذكور إلى ما يحتمله أول البيت من التعريض الجاري مجرى التصريح .

وأما البيت الثاني فإن فيه :

" أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْحَدِيثِ بَيْنَنَا "



وفي هذا ما أذكره ؛ لتراه فتعجب من عجب منه ووضع من معناه ؛ وذلك أنه لو قال : أخذنا في أحاديثنا ، ونحو ذلك ؛ لكان فيه معنى 'يكبره أهل النسب وتعنوله ميعة الماضي الصليب . وذلك أنهم قد شاع عنهم واتسع في محاوراتهم علو قدر الحديث بين الإلغيين ، والفكاهة بجمع شمل المتواصلين إلا ترى إلى قول الهذلي (١) :

وَإِنَّ حَدِيثًا مِنْكَ - لَوْ تَعَلَّمِينَهُ - . جَنَى النَّحْلِ فِي الْبَانِ عُونََ مَطَا فِلِ (٢)

... فإذا كان قدر الحديث - مرسلًا - عندهم هذا ، على ما ترى فكيف به إذا قيده بقوله :

مِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ .

وذلك أن في قوله ( أَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ ) وحياً خفياً ، ورمزاً حلواً ، ألا ترى أنه يريد بأطرافها ما يتعاطاه المحببون ، ويتفاوضه ذوو الصباية المتيمون ، من التعريض ، والتطويح ، والإيماء دون التصريح ؛ وذلك أحلى وأدمست ، وأغزل وأنسب ، من أن يكون مشافهةً وكشفاً ، ومصارحةً وجهراً ، وإذا كان كذلك فمعنى هذين البيتين أعلى عندهم ، وأشدُّ تقدماً في نفوسهم ، من لفظهما وإن عذّب موقعه ، وأثق له مستيعه .

نعم ، وفي قوله :

” وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ التَّطِيَّيِّ الْأَبَاطِحِ ”

من الفصاحة ما لا خفاء به . والأمر في هذا أسير وأعزف وأشهر (٣) .

وعنه نقل ابن الأثير من غير أن يشير إلى هذا النقل (٤)

(١) هو أبو نؤيب ، انظر ديوان الهذليين : ١٤٠ .

(٢) المطافل : صغار الأولاد والواحدة مطفل ، يريد أن لبن الأبقار أطييب /

ديوان الهذليين : ١٤٠ ، اللسان " طفل " : ٤٠٢ / ١١ .

(٣) الخصائص : ٢١٨ / ١ - ٢٢٠ .

(٤) انظر: المثل السائر : ٦٧ / ٢ - ٦٩ .

ورأى ابن طباطبا أن هذا الشعر قد استوفى معناه ، وجاء على قدر مراد الشاعر .

قال :

« هذا الشعر هو استشعار قائله لفرحة قفوله إلى بلده وسروره بالحاجة

التي وصفها ، من قضاء حجه وأنسه برفقائه ، ومحادثتهم ووصفه سيل الأباطح

بأعناق المِطِيِّ كما تسيل بالمياه ، فهو معنى مستوفى على قدر مراد الشاعر (١) .

وكذلك استحسن القاضي الجرجاني في وساطته هذه الأبيات ، ورأى أنها من

الأبيات المحكمة الصنعة العذبة الألفاظ ، وقد ذكرها في الاستعارات الحسنة .

قال :

« فإذا جاءتك الاستعارة كقول زهير :

« وَغَرِّي أَفْرَاسَ الصَّبَا وَرَوَّاحِلَهُ (٢) »

وقول لبيد :

« إِذْ أَصْبَحْتَ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامَهَا (٣) »

وقول ابن الطثرية :

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا . . . وَسَأَلَتْ بِأَعْنَاقِ الْمِطِيِّ الْأَبَاطِحُ

( ١ ) عيار الشعر : ٠٨٨ .

( ٢ ) صدره : « صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ » / انظر البيت فسي :

شعر زهير - صنعة الأعم - : ٠٤٥ .

قال الأعم : « هذا مثل ضربة ، أي ترك الصبا ، وركوب الباطل ، وتقدير لفظه :

وُغَرِّي أَفْرَاسَ وَرَوَّاحِلَ كُنْتُ أَرْكِبُهَا فِي الصَّبَا ، وطلب اللهو » / شعر زهير

- صنعة الأعم - : ٠٤٦ .

( ٣ ) صدره : « وَغَدَاةٍ رِيحٍ قَدْ وَزَعَتْ وَقَرَّةٍ » .

والضمير في « أصبحت » يعود على الغداة ، أي أصبحت الغداة يفلب

عليها الشمال ، وهي أبرد الرياح .

فقد جاءك الحسن والإحسان ، وقد أصبت ما أردت من إحكام الصنعة  
وعذوبة اللفظ (١) .

ثم جاء الإمام عبد القاهر ، وفصل القول في هذه الأبيات ، ودلل على أسرار  
معانيها ، ودقيق ألفاظها وجودة سبكها ، فعاب من يرد الاستحسان إلى اللفظ  
فقط فيصفه بالسلامة ، وينسبه إلى الدماثة ، ويقول إنه كالماء جرياناً ، والهواء لطفاً ،  
والرياض حسناً ، وكأنه النسيم مزاجه التسليم ، وكأنه الديباج الخسرواني في مرامي  
الأبصار ، وشي اليمين منشوراً على أذرع التجار (٢) .

ثم ذكر مثلاً لذلك أبيات " كثير عزة " وطالب القاري ، بأن لا يقف عند حدود  
الفاظها ، بل عليه أن يسير أغوارها ، ويتعدى حدودها إلى جاراتها ، ويبحث عن  
العلاقات والروابط بينها ، وأن يحسن التأمل ، ويدع التجوز في الرأي ، وأن لا يكتفي  
بإطلاق المصطلحات من غير تحليل .

جاء في أسرار البلاغة بعد ذكر أبيات كثير عزة :

" ثم راجع فكرتك ، واشهد بصيرتك ، وأحسن التأمل ، ودع عنك التجوز في  
الرأي ، ثم انظر هل تجد لاستحسانهم ، وحمدهم ، وثنائهم ، ومدحهم منصرفاً  
إلى استعارة وقعت موقعها ، وأصابت غرضها ، أو حسن ترتيب تكامل  
معها البيان حتى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع ، واستقر  
في الفهم مع وقوع العبارة في الأذن ، وإلا إلى سلامة الكلام من الحشو غير  
المفيد ، والفضل الذي هو كالزيادة في التحديد . . . (٣) "

ثم شرع يحلل أبيات - كثير - لبييم للقاري ، الطريقة التي يدرك بها جمال  
العبارة ويتذوق بها محاسن القول .

قال :

( ١ ) الوساطة : ٣٤ .

( ٢ ) أسرار البلاغة - ريتز - : ٢١ .

( ٣ ) المصدر السابق : ٢٢ .

• أول ما يتلقاتك من محاسن هذا الشعر أنه قال :  
 « وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِثْنَى كُلِّ حَاجَةٍ » ، فعبر عن قضاء المناسك بأجمعها  
 والخروج من فروضها وسننها من طريق أمكنه أن يقصر معه اللفظ ، وهو  
 طريقة العموم ، ثم نيه بقوله :

« وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَسِيحٌ » على طواف الوداع الذي هو آخر الأمر ،  
 ودليل المسير الذي هو مقصوده من الشعر ، ثم قال :

« أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا » ، فوصل بذكر مسح الأركان ما يليه من  
 زم الركاب، وركوب الركبان ، ثم دلّ بلفظة « الأطراف » على الصفة التي يختص  
 بها الرفاق في السفر من التصرف في فنون القول ، وشجون الحديث ، أو ما هو  
 عادة المتطوفين من الإشارة والتطويح والرمز والإيماء ، وأنبأ بذلك عن طيب  
 النفوس ، وقوة النشاط ، وفضل الاحتياط كما توجه إليه ألفاظه وأنسه الأحاب ،  
 وكما يليق بحال من وفق لقضاء العبادات الشريفة ، ورجا حسن الإياب ، وتسم  
 روائح الأحيّة والأوطان ، واستماع التهاني والتحايا من الخُلائن والأخوان ،  
 ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة طبّق فيها مفصل التشبيه ، وأفاد كثيراً من  
 الفوائد بلطف الوحي والتنبيه ، فصّرح أولاً بما أوما إليه في الأخذ بأطراف  
 الأحاديث من أنهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الرواحل ، وفي حال التوجه  
 إلى المنازل ، وأخبر بعد بسرعة السير ووظافة الظهر ، إذ جعل سلاسة  
 سيرها بهم كالماء تسيل به الأباطح ، وكان في ذلك ما يؤكد ما قبله لأن الظهور  
 إذا كانت وطيفة ، وكان سيرها السهل السريع زاد ذلك في نشاط  
 الركبان ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيباً . ثم قال : « بأعناق  
 التيطي » ولم يقل « بالمطي » ، لأن السرعة والبطء يظهران غالباً في أعناقها ،  
 ويبين أمرهما من هواديهما وصدورها ، وسائر أجزائها تستند إليها في  
 الحركة ، وتتبعها في الثقل والخفة ، ويعبر عن المرح والنشاط إذا كانا  
 في أنفسهما بأفاعيل لها خاصّة في العنق والرأس ويدل عليهما بشمائل

(١) وفي الأسرار تحميمه خنابجي « المتطرفين » . وبيدري « نزل المتطرفين » أي الذين  
 يأخذون بأطراف الأحاديث .

مخصوصة في المقادير (١)

ويبدو أن الشيخ قد تأثر في تحليله هذا بما كتبه ابن جنبي في هذه الأبيات ،  
إلا أن الشيخ كان أكثر تفصيلاً وتحليلاً خاصة عند تحليل قول الشاعر:  
" وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْقَطِيبِ الْأَبَاطِحُ " .

الشاهد الثاني عشر : \* ( البسيط )

قول الآخر :

سَالَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْحَيِّ (٢) حِينَ دَعَا : . أَنْصَارُهُ (٤) بِوُجُوهِهِ (٥) كَالدَّ نَائِمٍ (٦)  
ذكر الشيخ البيت من غير نسبة (٧)

(١) أسرار البلاغة : هـ - ربيز : ٢١ - ٢٣ .

(\*) الدلائل ، رضا : ٥٩ ، خفاجي : ١١٨ ، شاكر : ٧٤ .

(٢) رواية الوحشيات : " براق الحى " .

ورواية الاقتضاب : " سالت عليه شغاب " .

(٣) رواية الوحشيات " العز " .

ورواية الاقتضاب " المجد " .

(٤) رواية الوحشيات : " أصحابه " .

(٥) رواية الاقتضاب : " ووجوه " .

(٦) انظر البيت في :

الوحشيات : ٢٦٩ ، رقم (٤٥١) ، المؤلف والمختلف : ١١٢ ، والاقتضاب

في شرح أدب الكتاب : ٣٧٢ ، الإيضاح - خفاجي - : ٤٢٤ / ٢ ، شرح

أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : رقم الشاهد : ٣٧٠ ، معاهد

التنصيص : ١٣٥ / ٢ ، رقم الشاهد : ١٠٣ .

(٧) ذكر الشيخ البيت أيضا في فصل " النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع "

- الدلائل رضا : ٧٨ ، خفاجي : ١٣٦ ، شاكر : ٩٩ - ويوهم كلامه هناك

بأن البيت لابن المعتز ، فبعد أن ذكر أبياتاً لابن المعتز قال :

" وان أردت أعجب من ذلك فيما ذكرت لك فانظر إلى قوله - وقد تقدم

إنشاده قبل - " سالت عليه شعاب الحى حين دعا . . . "

ونسبه كذلك صاحب الإيضاح لابن المعتز وتابعه صاحب شرح أبيات

وهو لسبيع من الخطيم (١) من قصيدة (٢) قالها لزيد الفوارس (٣) الضبي ، وقد كانت بنوضبة أخذت إبله فاستقذها زيد وردها عليه (٤) .

وأول الأبيات - وهو البيت الذي قبل الشاهد - :

إِنَّ ابْنَ آلِ ضِرَارٍ جَمِينٌ ائْتَدْبَعَهُ (٥) . . . زَيْدًا سَعَى لِي سَعْيًا غَيْرَ مَكْفُورٍ (٦)

=== الإيضاح ، ومعاهد التنصيص ، ولعلمهم توهموا ذلك من كلام الشيخ السابق ذكره .

وذكر البيت من غير نسبة في الوحشيات ، والاقتضاب وعزاها الخالديان :  
١٣٠ - لمحرز بن المكعبير ، ونسب الآمدي أحد أبيات القصيدة - غير بيت الشاهد - لدجاجة بن عبد قيس ، وتلا ذلك حاشية تذكر أن البيت مع أبيات آخر لسبيع بن الخطيم .

ونسبها أيضاً الآمدي : ١١٢ ، والخالديين ( الاختيارين ) برقم ٦٩ لسبيع بن الخطيم . . .

( ١ ) هو سبيع بن الخطيم التميمي تيم عبد مناة بن أد بن طابخة من بطن منهم يقال له بنو رفاعة ، وهو شاعر محسن ، فارس ، جاهلي ، عاصر بعض المسلمين . / انظر ترجمته :

المؤلف والمختلف : ١١٢ ، الأعلام : ٣ / ٧٧ .

( ٢ ) ذكر الآمدي ستة أبيات ، والبطلبيوسي " الاقتضاب " خمسة أبيات - مع اختلاف في ترتيب الأبيات وبعض الألفاظ .

( ٣ ) هو زيد بن حصين بن ضرار الضبي ، فارس - شاعر ، جاهلي ، أورد البغدادي قليلاً من أخباره ، وأبياتاً له ، وأورد له أبو تمام أبياتاً في حساسته /

انظر أخباره : شرح الحماسة للمرزوقي : ٥٥٧ ، ١٦٧٨ ، خزانة البغدادي

- دار صادر - : ١ / ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٤ / ٢١٨ ، ٢١٩ ، الأعلام : ٣ / ٥٨ .

( ٤ ) المؤلف والمختلف : ١١٢ - ١١٥ .

( ٥ ) رواية الاقتضاب " حين أدركها " .

( ٦ ) ذكر أبو تمام " الوحشيات " ، والبطلبيوسي قبل بيت الشاهد :

نَبِهْتُ زَيْدًا فَلَمْ أَفْزَعْ إِلَى وَكَلٍ . . . رَبَّ السَّلَاحِ وَلَا فِي الْحَيِّ مَفْـُورُ

وبعد الشاهد وبعده :

لَيْسَ الْهَيْجَانُ إِذَا مَا كُنْتُ مُفْتَحِلًا .: كَالْوَرَقِ تَنْظُرُ فِي أَلْوَانِهَا الْخَوِيرِ ( ١ )

لَوْلَا إِلَهُهُ وَلَوْلَا مَجْدُ طَائِلِيهَا ( ٢ ) .: لِلْمَهْدِ مَوْهَا ( ٣ ) كَمَا نَالُوا مِنَ الْعَيْرِ ( ٤ )

استشهد الإمام عبد القاهر بهذا البيت في موضعين من كتابه " الدلائل " :  
الموضع الأول : عند حديثه عن تفاوت الاستعارة ، ورأى أن هذا البيت من

الاستعارة الحسنة اللطيفة العالية الطبقة ، فقال :

" . . . ومثل هذه الاستعارة ( ٥ ) في الحسن واللفظ ، وطو الطبقة في هذه

اللفظة بعينها قول الآخر :

سَأَلَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْحَيِّ حِينَ دَعَا .: أَنْصَارُهُ بِوَجْوهِ كَالدَّنَانِ سِيرِ

أراد أنه مطاع في الحي ، وأنهم يسرعون إلى نصرته ، وأنه لا يدعوهم لحرب ،

أو نازل خطب ، إلا أتوه وكثروا عليه ، وازدحموا حوالبه ، حتى تجدهم

كالسيول تجري ، من ههنا وههنا ، وتنصب من هذا المسيل وذلك ، وحتى

يَقْصُ بِهَا الْوَادِي وَيَطْفَحُ مِنْهَا ( ٦ ) .

وقد زاد المسألة تفصيلاً في الموضع الثاني ، وهو :

" فصل النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع " ، فبين أن هذه اللفظة لبست

شوب الجمال ، والحسن لمشاركة جاراتها لها في صياغة البيت وتركيبه ، فالجمال في

البيت ليس في الاستعارة ، وإنما في طريقة تركيبها ، وصياغتها . قال :

( ١ ) لم يذكر البطليوسي هذا البيت ، وإنما ذكر قوله " إن ابن آل ضرار حين .. (

بعد بيت الشاهد .

( ٢ ) رواية الاقتضاب : " وَلَوْلَا سَعْيِي صَاحِبِيهَا " .

( ٣ ) رواية الاقتضاب : " تلهو جوها " ، واللهم : القطع والأكل بسرعة .

( ٤ ) وهذه الأبيات نقلت عن الأمدى .

( ٥ ) يقصد قول كثير السابق " وَسَأَلَتْ بِأَعْنَاقِ الْمِطِيِّ الْأَبَاطِحُ " .

( ٦ ) الدلائل ، رضا : ٦٢ ، خفاجي : ١١٨ ، شاكر : ٧٥ .

" فإنك ترى هذه الاستعارة على لطفها، وغرابتها، إنما تم لها الحسن وانتهى إلى حيث انتهى بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير، وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك، ومؤازرته لها، وإن شككت فأغتمد إلى الجارين، والظرف، فأزل كلاً منها عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه فقل: "سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره" ثم انظر كيف يكون الحال، وكيف يذهب الحسن والحلاوة؟ وكيف تُعَدَم أَرْحِيَّتُكَ التي كانت؟ وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها (١)؟

وإذا تأملنا بيت الشاهد، وجدناه يحوي معاني شريفة، وينطوي على أسرار لطيفة، منها استعارة السيل لشعاب الحي، وهذه الاستعارة في ذاتها ليست بالأمر الخطير، ولا الشيء البديع، ولكن جمال الاستعارة في الصياغة، وحسن التركيب، وأنها وقعت موقعها وأصابت غرضها، حيث اختار الشاعر حرف الجر "على" مع الفعل "سأل" بدلاً من "إليه" ثم عدل الفعل "بالبا" فصور بهذين الحرفين سرعة وشدة توجيههم إليه، وأنهم يتدفقون عليه دفعة واحدة، وكأنهم سيل ينصب من أعلى جبل، فلو أنه قال "سالت إليه" لم يتمكن الفعل "سأل" من إعطائنا صورة التدفق الشديد، لأن السيلان حين يكون من أعلى تكون صورته أشد، ثم إن الحرف (إلى) يدل على التباطؤ والتسلسل في هدوء.

ثم إن تقديم الجار والمجرور "عليه" على الظرف "حين دعا" يظهر لنا علو مكانة المدح عند قومه، وأن أمره مطاع بينهم، فإن صيحة واحدة منه قد فجرت عليه شعاب الحي، فأقبلت جمعهم تترى من كل صوب، فهو مطاع يسرعون لنصرتهم لا يدعوهم لحرب، أو نازل خطب إلا أتوه وكثروا عليه، وازدحموا حوالبه، حستى تجدهم كالسيول من هنا وهناك، وتتصب من هذا وذاك حتى يغمص بها السوادى ويطفح منها.

(١) الدلائل، رضا: ٧٨، خفاجي: ١٣٦-١٣٧، شاکر: ٩٩.



ثم إنَّ قوله : " بوجوه كالدنانير " أضفى على الاستعارة حُسناً ومزية ، حيث  
 وضع لنا أن طبية الناس لدعوة ذلك المخرج ليست عن قهر وجبر مصحومة بالتخاذل  
 والفتور، وإنما كانت طبية تابعة من القلب وكان الإقبال نحوه نتيجة لاستجابة طبيعية  
 لمشاعر التقدير، والحب المكنون في قلوبهم لهذا الزعيم ، وانعكس هذا الحب القلبي  
 على وجوههم ، فظهرت عليها علامات الفرح والسرور ، فأشرقت، وأثارت ، وكأنها  
 الدنانير في لمعانها .<sup>(١)</sup>

### الشاهد الثالث عشر : ( \* ) ( الكامل )

قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك :<sup>(٢)</sup>

عَوْنَتُهُ فِيمَا أُزُورُ حَبَائِي . . . إِهْمَالُهُ وَكَذَلِكَ كُلُّ مَخَاطِرِ  
 وَإِذَا أَحْتَبَيْتُ قَرِيْبُوسَهُ<sup>(٤)</sup> بِعِنَانِهِ<sup>(٥)</sup> . . . عَطَاكَ<sup>(٦)</sup> الشَّكِيمَ<sup>(٧)</sup> إِلَى أَنْصَرَفِ الرَّائِي<sup>(٨)</sup> (٩)

- ( ١ ) انظر: الدلائل، رضا: ٦٢، خفاجي: ١١٨، شاكر: ٧٥، النقد التحليلي  
 عند عبد القاهر الجرجاني: ٢٥١-٢٥٢ .
- ( \* ) الدلائل، رضا: ٥٩، خفاجي: ١١٨، شاكر: ٧٥ .
- ( ٢ ) نسيه صاحب بهجة المجالس إلى محمد بن يزيد بن مسلمة . قال : " ما وُصف  
 بَرْدٌ وَنُّ بِأَحْسَنٍ مِنْ قَوْلِ الْمُسْلِمِيِّ مِنْ وَلَدِ مُسْلِمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَأَسْمَهُ مُحَمَّدِ  
 ابْنِ يَزِيدٍ " . / لم أجد ترجمته فيما رجعت إليه من مصادر ، وإنما انظر:  
 جمهرة أنساب العرب : ١٠٣ فيها ذكر أن يزيد من ولد مسلمة بن عبد الملك .
- ( ٣ ) رواية بهجة المجالس : " فَإِذَا أَحْتَبَيْتُ " .
- ( ٤ ) ومعنى الاحتباء : احتبى الرجل جمع ظهره، وساقيه بثوب أو غيره، وقد  
 يحتبى بيديه . / المصباح المنير ( كتاب الحاء ) : ١ / ١٣٠ .
- ( ٥ ) القَرِيْبُوسُ : جِنُو السَّرْجِ ، والقَرِيْبُوسُ لغة فيه حكاها أبو زيد وجمعه قرابيس،  
 وللسرج قريوسان ، فأما القريوس المقدم ففيه العضدان ، وهما رجلا السرج ،  
 ويقال لهما جنواه / اللسان : " فرس " / : ٦ / ١٧٢ .
- ( ٦ ) العنان : وعنان اللجام : السير الذي تُسَكُّ بِهِ الدَّابَّةُ ، والجمع أَعْنَسَةٌ ،  
 وَعُنُنٌ ، وَسُمِّيَ عِنَانُ اللَّجَامِ عِنَانًا ، لاعتراض سَيْرِيهِ عَلَى صَفْحَتِي عُنُقِ الدَّابَّةِ  
 مِنْ عَنِ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ . / اللسان : " عنن " : ١٣ / ٢٩٢ .

.....

(٧) طك الفرس اللجام : لأكه ، وطلكته طكا من باب قتل " مضغته " /

المصباح المنير " العين مع اللام وما يثلثهما " : ٢ / ٠٧٧ .

(٨) الشكيم والشكيمة في اللجام الحديدية المعترضة في فم الفرس السـتـي

فيها الفأس والجمع شكائم / الصحاح " شكم " فصل الشين ، بساب

الكاف : ٥ / ٠١٩٦٠ .

ورواية الكامل : " طك اللجام " .

(٩) انظر البيت في :

الكامل : ٢ / ١٤٠ ، بهجة المجالس : ٢ / ٧١ ، الإيضاح : ٢ / ٤٢٤ ،

التلخيص شرح البرقوقي : ٣١١ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة

الأزهرية - الشاهد رقم : ( ٣٦٨ ) ، معاهد التنصيص : ٢ / ١٢٩ ،

حلية اللب المصون - أحمد الدمنهوري : ١٤١ ، حاشية العلامة

مخلوف المنياوي على شرح اللب المصون : ١٤١ .

استشهد به الشيخ على الاستعارة الغريبة النادرة ، وأن الغرابة فيها فسي  
الشبه نفسه ، وليست الغرابة في التركيب والصيغة كالبيتين السابقين . قال :  
" ومن بديع الاستعارة ونادرها - إلا أن جهة الغرابة فيه غير جهتها في  
هذا - قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرساً له ، وأنه مؤدب ، وأنسه  
إذا نزل عنه ، وألقى عنانه في قريوس سرجه ، وقف مكانه إلى أن يعود إليه "  
فالغرابة ههنا في الشبه نفسه ، وفي أن استدرج أن هيئة العنان فسي  
موقعه من قريوس السرج كالهئية في موقع الثوب من ركبة المحتبي ، وليست  
الغرابة في قوله :

" وَسَالَتْ يَأْعَنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ " على هذه الجملة (١)

فالغرابة في بيت يزيد بن مسلمة في استعارة الاحتباء لهئية الفرس .  
ويحتمل أن يكون قريوسه فاعل آحتبي ؛ وذلك بتنزيل القريوس منزلة الرجل المحتبي ،  
فكان القريوس ضم فم الفرس إليه بالعنان كما يضم الرجل ركبتيه إلى ظهره بشوب ،  
فينزل القريوس في هيئة التشبيه منزلة الظهر من المحتبي ، وفم الفرس منزلة الركبتين .  
ويحتمل أن يكون قريوسه مفعول آحتبي مضمناً معنى " جمع " فينزل القريوس  
في الهئية منزلة الركبتين ، وفم الفرس منزلة الظهر .

والوجه الأول ، وهو كون القريوس فاعلاً ، وإن كان فيه مناسبة ما من جهة  
أن الركبتين فيهما شسيان كفكي الفرس مع التفاوت في المقدار والنسبة ، والقريوس  
متحدب كوسط الإنسان وخلفه كظهره إلا أن فيه بعداً وغموضاً من جهة أن القريوس  
في الهئية أعلى وكذا الركبتان والفم أسفل ، وكذا الظهر ، وحينئذٍ ، فالوجه  
الثاني بهذا الاعتبار أولى ؛ لأنه أدل ؛ ولأنه أشد في تحقيق التشابه  
فشبّهت الهئية الحاصلة من وقوع العنان في موضعه من قريوس السرج بالهئية الحاصلة

(١) الدلائل ، رضا : ٦٠ ، خفاجي : ١١٨ ، شاكر : ٧٥ .

من وقوع الثوب في موضعه من ركبتى المحتبى ، ووجه الشبه هو هيئة إحاطة شبي ،  
لشيئين ضاماً أحدهما إلى الآخر على أن أحدهما أعلى والآخر أسفل ، واستعير  
الاحتباء ، وهو ضم الرجل ظهره وساقيه بثوب وشبهه لوقوع العنان في قريوس  
الشرح لأجل ضم رأس الفرس إلى جهته واشتق من الاحتباء احتبى بمعنى وقع  
على طريق الاستعارة التصريحية التبعيية (١) .

الشاعر هنا يريد أن يصف فرسه بأنه مؤدب ، وأنه قد روى على موافقته وطاعته ،  
فاختار لفظ " إهماله " بدلاً من " تركه " مثلاً؛ ليؤكد أن فرسه بلغ من الطاعة ما يجعله  
يثق فيه فهو لا يحتاج أبداً إلى مراقبته ، ولا يعاني مشقة المحافظة عليه .  
وقوله : " وكذاك كل مخاطر " افتخار من الشاعر بقدرته على ذلك الترويض ؛  
وأنه لا يستطيعه إلا كل مخاطر يلقي بنفسه في الصعاب .

فيقول :

" جعلت إهمال الفرس وعدم محافظته في وقت زيارتي لحبائبي عادةً له ،  
وكذاك أي مثل ذلك الإهمال يفعل كل من يلقي نفسه في الأمور الصعبة (٢) .  
ثم يجسد لنا الشاعر صورة هذه الطاعة في صورة خيالية ، فصور لنا أنه بمجرد  
أن ينزل عن صهوة جواده يقوم الفرس بشد نفسه وتقيدها من غير أن يكلف صاحبه  
عناء تقيده .

( البسيط )

الشاهد الرابع عشر : ( \* )

( ٣ )  
قول الشاعر :

اليوم يوتان مذ غيبت عن بصري . . نفسي فداؤك ما نبي فأعتذر

( ١ ) شروح التلخيص : مواهب الفتح : ٤ / ٨٧-٨٨ ، حاشية الدسوقي :

٤ / ٨٦-٨٨ ، حلية اللب المصون : ١٤١ ، حاشية العلامة مخلوف المنيأوي

على اللب المصون : ١٤١ .

( ٢ ) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : شاهد رقم ٣٦٨ .

( \* ) البدل ، رصنا : ٦٠ ، خناجي : ١١٩ ، شاعر : ٧٦ .

( ٣ ) لم أقف عليه ولا على قائمه .

أُسْبِي وَأَصِيحٌ لَا أَلْقَاكَ وَاحْتَزَنَا . . . لَقَدْ تَأَنَّقَ (١) فِي مَكْرُوهِ الْقَدَرِ

ذكره الشيخ من غير نسبة .

والشاهد هنا في كون جهة الغرابة في الاستعارة في الكلمة نفسها \* تَأَنَّقَ \*

حيث استعار التَأَنَّقَ للقدر، وهذا من بديع الاستعارة ونادرها .

ورأى الدكتور محمد زكي العشماوي أن الشاهد عند الشيخ هو أن الاستعارة

هنا ليست غريبة في ذاتها بأن استعار التَأَنَّقَ للقدر بل إن روعتها ترجع لمافى

السياق كله من خصائص .

ويبدو لي أن الشيخ لم يذهب إلى هذا بل قصد كون الغرابة في استعارة

التَأَنَّقَ للقدر . ويمكن أن نضيف بعد ذلك أنه إلى جانب كون الغرابة فـى

اللفظة ذاتها فإن الصياغة أضافت لها أبعاداً جديدة ، وكستها لطائف وروائع

أخر .

قال :

\* وقد استشهد عبد القاهر بهذين البيتين في الفصل الذي عقده عـن

بديع الاستعارة ونادرها ، وهو كذلك من الأمثلة التي أرجع فيها عبد القاهر

روعة الاستعارة لما في السياق كله من خصائصه ، ففي استعارة التَأَنَّقَ

للقدر هنا غرابة وطرافة حقيقية ، ولكن الأمر ليس أمر الغرابة التي تد هشك

من استعارة التَأَنَّقَ للقدر ، ولكن الأمر هو في أن الاستعارة هنا صادفت

مكانها اللائق بها ، وأنها جاءت لتمثل قمة التطور العاطفي عند الشاعر ،

فعندها يتجمع ويتركز الانفعال حتى يبلغ أقصاه . والذي مهد لهذا

التطور ما عرضه علينا الشاعر في البيتين من موقفه عقب هجر صاحبه له ،

فهو منذ أن غابت في حال من القلق والاضطراب والأرق ، فلم تعد الحياة

( ١ ) تَأَنَّقَ في الأمر إذا عمله بنية مثل تنوق ، وله إناقة ، وأناقة ولباقة ، وتَأَنَّقَ

في أمور : تجوّد ، وجاء فيها بالعجب / اللسان : " أنق " : ١٠ / ١٠ .

تجري كما كانت ، بل أبطأت أيامها ، وطالت لياليها ، والشاعر لا يسدري سبباً لهذا كله ، ولا يعلم ماذا جنت يداه ، ويتمنى لو يبذل حياته كلها ثمناً لمعرفة السبب الذي من أجله هجرته صاحبتة ، وانظر إلى اللمهفة المشوية بالحسرة في قوله : " نَفْسِي فِدَاؤُكَ " وفي الاستفهام الذي ختم به البيت الأول عندما قال : " مَاذَا نَبِي فَأَعْتَدِر " ثم مواجهة الحقيقة المرة التي تشيع في قوله : " أَسِي وَأَصِيحُ لَا أَلْقَاكَ " ثم صيحة الأكم العميقة في قوله : " واحزنا " ثم هذه السكته القصيرة التي آمن بعدها بأن النحب لا يسد أن يكون قد تحالف عليه ، وأن القدر لا بد أن يكون قد فكر كثيراً قبل أن يهلك له خيوط هذا الحظ التعميس ، فليس موقفاً عادياً هذا الذي يقفه ، بل لا بد أن يكون القدر قد جلس من أجله جلسة خاصة أحكمم له فيها خيوط هذه المؤامرة (١) .

ولعله من الممكن أن نضيف أنه من أسرار الروعة في البيتين بناء الفعل للمجهول " غَيَّبَتْ " ولم يقل مثلاً " مَدَّ أَنْ غَيَّبَتْ " بالبناء للمعلوم ، ليدل على أنها لم تغيب عنه برغبتها ، وإنما منعها أهلها أو مانع ما .

وخصص الغياب عن البصر " عن بصري " ليشبث أن محبتها قائمة في القلب ، وأنها لم تغيب عن فؤاده ، فمحبتها لم تزل ولم تتغير ، ولم تنقص لمجرد الغياب عن البصر ، ثم أعقب ذلك بدعائه لتلك المحبوبة " نَفْسِي فِدَاؤُكَ " فإنه يفديها ممن حيث هي ، وكأنه يشعر أن هناك خطراً عليها هو الذي حال بينه وبينها على أن حالة القلق هذه جعلته غير مستقر الرأي ، فهو مع ما يشعر به من أن مانعاً منعها يتوقع أنها غابت عنه لذنب جناه .

وجاء " بالغاء " ليظهر رغبته السريعة في إنهاه هذا القلق ، وأنه لن يتوانى لحظة واحدة عن تقديم الاعتذار .

وقد يكون الاستفهام \* ما ذنبي \* للاستبعاد، فهو يستبعد أن يكون وقع منسه  
ذنب، فساق الاستفهام ساق الاستبعاد والتعجب .

ويبدو لي أن في تصوير طول أيامه وثقلها بقوله : \* اليَوْمُ يَوْمَانِ \* بأن جعل  
اليوم الواحد في الطول كالليومين - قصوراً في تصوير ذلك الثقل ، فكان الأجدر به  
أن يجعل اليوم دهرًا مهلاً .

الشاهد الخامس عشر : \* (الوافر)

سواربن المضرب : (١)

يَعْرِضُ تَنُوفَةً لِلرِّيحِ فِيهَا . . . نَسِيمٌ (٣) لَا يَرُوعُ السُّرْبَ وَأَنْ (٤)

\* الدلائل ، رضا : ٦ ، خفاجي : ١١٩ ، شاعر : ٧٦  
(١) هو سواربن المضرب السعدي ، أحد بني ربيعة بن كلب بن زيد مناة بن  
تميم ، وقيل من سعد بني كلاب ، وهو فعال من سار يسور صفة ، أي لا يسر  
في قدحه فضلة من شرابه ، وهو قليل النظير؛ لأنه ليس في الكلام أفعل فهو  
فعال إلا أحرف يسيرة هذا أحدها ، ومثله أدرك فهو دراك ، وأجبر فهو جبار ،  
وقصر فهو قصار .

والمضرب بفتح الراء أي ضرب مرة بعد مرة وسمي مضرباً لأنه شبب بأسرأة ،  
فحلف أخوها ليضربنه بالسيف مائة ضربة ، فضربه ففشي عليه ثم أفاق . /  
انظر ترجمته :

المبهج : ١٨ ، الكامل : - مكتبة المعارف - : ٣٠٠ / ١ ، المؤلف والمختلف :  
١٨٣ ، زهر الآداب : ٣ / ٧٣٩ ، شرح الحامسة للمرزوقي : ١٣٠ ، نوادر  
أبي زيد : ٤٥ - ٤٦ ، شرح ديوان الحامسة للتبريزي : ١١٢ / ١ - ١٦٩ / ٣ .  
وتسب في زهر الآداب لسواربن الصرير ، وذكر أنها تروى أيضا لمالك بن  
الريب .

(٢) ذكر الشيخ محمد رشيد رضا في تحقيقه للكتاب أنه ورد في نسخة أخرى  
" وظهر تنوفة " .

ورواية الأصمعيات : " بكل تنوفة " ، ورواية زهر الآداب :  
وَجَبَّوْا زَاهِرًا لِلرِّيحِ فِيهِ . . . نَسِيمٌ لَا يَرُوعُ السُّرْبَ وَأَنْ .  
(٣) رواية الأصمعيات : " حفيف " .

(٤) انظر البيت في : الأصمعيات : ٢٣٩ ، رقم (٩١) ، زهر الآداب : ٣ / ٧٤٠ ،  
الإيضاح : ٤٢٣ / ٢ .

والبيت من قصيدة للشاعر يصف اليمامة وطيب هوائها ، ومطلعها :

أَلَمْ تَرِنِّي وَوَيْنَ أَنْبَاتِ أَنْبِي . : . طَوَيْتُ الْكَشْحَ عَنِ طَلَبِ الْغَوَائِي (١)

وقبل الشاهد :

دَعَانِي مِنْ أَدَايِكَمَا وَلَكِنَّ . : . بِذِكْرِ الْمَذْحَجِيَّةِ عَلَّلَانِي

فَإِنَّ هَوَايَ مَا عَلِمْتَ سُلَيْمِي . : . بَيَانٍ إِنْ مَنَزَلَهَا يَمَانِ (٢)

تَكَلُّ الرِّيْحِ نُونٍ بِلَايِ سَلَمِي . : . وَسِرَاتِ الْمُنَوَّقَةِ (٣) الْهَجَانِ

وبعد ما الشاهد وبعده :

إِذَا مَا الْمُسْنِفَاتُ عَطَوْنَ مِنْهَا . : . رَقَاةً أَوْ سَاوَةَ صَحْصَحَانِ (٥)

يَخْدَنَ (٦) كَأَنَّهُنَّ يَكُلُّ خَرْقِرِ . : . وَغَسَاةً (٧) الظَّلَامَ عَلَى رِهَانِ (٨)

(١) الأصعيات : ٢٤٠ .

(٢) المصدر السابق : ٢٤٢ .

(٣) جمل منوق : ذلول قد أحسنت رياضته ، وقيل هو الذي ذلل حتى صيّر كالناقة ، وناقة منوقة علّمت المشي /

اللسان : " نوق " : ١٠ / ٣٦٢ : ١٠ / ٣٦٢ .

(٤) المسنقات : ناقة مسنّافٌ ومسنّفةٌ : متقدمة في السير. المسنّقات بكسر

النون المتقدّمات في سيرها / اللسان : " سينف " : ٩ / ١٦٢ .

(٥) الصححان : الأرض المستوية الواسعة / اللسان " صحح " :

٥٠٨ / ٢

(٦) يخدن : التخويد سرعة السير، وقيل : سرعة سير البعير ، وخود البعير

أسرع ورج بقوائمه ، وقيل هو أن يهتز كأنه يضطرب ، وقد يستعمل فسي

الانسان / اللسان " خود " : ٣ / ١٦٦ .

(٧) غسا الليل يفسو غسوا وغسى يغسى وأغسى يغسى أظلم /

اللسان : " غسا " : ١٥ / ١٢٥ .

(٨) الأصعيات : ٢٤٢ .



الشاهد في البيت هو استعارة لفظة الروع ، لإثارة الترب ، وهي استعارة غريبة نادرة .

فهذه الأبيات تمثل القمة في الشعور ، وشغافية الإحساس ، فالشاعر على الرغم من أنه طريد - لأن قصيدته هذه قالها فيما بيد وبعد هربه من الحجاج ، فإنه يذكر في البيت التاسع أنه طريد - فذكرى أيام الصبا ، والأيام الخوالي ، وذكرى سلمى قد بعثتا في نفسه روح الأمل ، وبعثتا في روح الهدوء والطمأنينة ، فاستلأ خياله بالصورة الهادئة الحساسة ، فنراه عندما يفيض به الهوى يذكرها بلفظ التصغير فيقول : "سليمي" بياناً لعظم مكانتها في نفسه .

وحين تتشرب نفسه الراحة لذكرها يرى كل شيء يحيط به هادئاً مطمئناً ، فالريح عندما تقترب من بلاد سلمى تكل وتتعب ، وتأبئ إلا أن تبرهدها ، وكأن الريح تستحي أن ترمسرها بها حتى لا تزعجها ، ثم جاء بلفظة "الروع" واستعارها لإثارة الترب ، فأحدثت في البيت خيلاً حركياً ، فالنسيم نراه يطوف بديارها في هدوء ، وكأنه عندما رأى "سليمي" وشعر بوجودها أحس بالرجبة في مجاورتها ، والسكنى بقربها ، فأصابه التعب والإعياء حتى أنه لم يقو على تحريك الترب وإثارتها .

الشاهد السادس عشر : ( \* ) ( الكامل )

بعض الأعراب : ( ١ )

( \* ) الدلائل ، رضا : ٦١ ، فخر محيي : ١١٩ ، شاعر : ٧٦ - ٧٧ .

( ١ ) هو ثعلبة بن صعير بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من شعراء الجاهلية .

وذكر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في تحقيقه أنه ثعلبة بن صعير المازني من أصحاب رسول الله ، إلا أن الأستاذ عبد السلام هارون ، والأستاذ أحمد محمد شاعر ذكرنا في تحقيق المفضليات أن ثعلبة بن صعير صاحب هذه القصيدة ليس بصحابي ، ويشتهر ثعلبة هذا بثعلبة بن صعير ابن عمرو بن زيد بن سنان بن سلامان القضاعي العذري ، وهذا متأخر ، واختلف في هذا الأخير في كونه صحابياً .

(١)  
 وَلَمَّا خَصَمَ جَاهِدِينَ نَوِيَّ شَدًّا . . . تَقْدِي عِيُونَهُمْ (٣) يَهْتَرِهَا تَسْرِي (٤)  
 لَدِي ظَاثَرْتَهُمْ (٦) عَلَى مَأْسَاءَهُمْ . . . وَخَسَاتُ بَاطِلُهُمْ بِحَقِّ ظَاهِرِ (٧)

- (١) الشَّدَا مقصورٌ: الأذَى والشرُّ، وأشَدَى الرجلُ: آذَى، ومنه قيل آذيت وأشَدَيْتُ / اللسان " شذنا " : ٤٢٦/١٤ .
- (٢) القَدَى : مَا يَسْقُطُ فِي الْعَيْنِ وَالشَّرَابُ ، وَ" قَدَيْتُ " عَيْنَهُ مِنْ بَابِ صَدَيْ سَقَطَتْ فِيهَا " قَدَاةٌ " فَهُوَ " قَدِي " الْعَيْنِ . عَلَى فِعْلٍ ، وَ( قَدَّتْ ) عَيْنُهُ رَقَّتْ بِالْقَدَى وَبَابِهِ رَمَى وَ" قَدَّاهَا " غَيْرُهُ جَعَلَ فِيهَا الْقَدَى . وَ" قَدَّاهَا تَقْدِيَةٌ " أَخْرَجَ مِنْهَا الْقَدَى / مختار الصحاح باب القاف : ٥٢٦ ، اللسان " قبدى " : ١٧٢-١٧٣/١٤ .
- (٣) رواية المفضليات ومنتهى الطلب : " صُدُّوهُمْ " .  
 وفي دلائل الإعجاز تحقيق شاكر ذكر أن هناك مخطوطتين للكتاب فيها  
 " تقدى عيونهم " وهو سهو يفسد الشعر .  
 وذكر البيت في تحقيقه على رواية المفضليات .
- (٤) هاتر : قولٌ هَتَرَ كَذَبٌ ، وَالْهَيْتَرُ كَذِبٌ ، وَالْهَيْتَرُ بِالْكَسْرِ السَّقَطُ مِنَ الْكَلَامِ وَالْخَطَأُ فِيهِ ، جَاءَ فِي الصَّاحِ : يُقَالُ هَتَرَ هَاتِرٌ وَهُوَ تَوْكِيدٌ لَهُ .  
 وَالْهَيْتَرُ أَيْضًا الْعَجَبُ وَالِدَاهِيَّةُ . يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا كَانَ دَاهِيًّا : إِنَّهُ لَهَيْتَرٌ هَاتِرٌ / الصَّاحِ : بَابِ الرَّاءِ فَصْلِ الْهَاءِ : ٨٥٠ / ٢ ، اللسان " هتتر " : ٢٤٩ / ٥ .
- (٥) رجل أَلَدٌ : أَي شَدِيدُ الْخُصُومَةِ ، وَالْأَلْدُ : الْخِصْمُ الْجَدِلُ الشَّحِيحُ الَّذِي لَا يُزِيغُ إِلَى الْحَقِّ ، وَجَمْعُهُ لُدٌّ وَلِدَائِدٌ / الصَّاحِ مَادَةٌ " لَدَدٌ " : ٥٣٥ / ٢ ، اللسان مَادَةٌ " لَدَدٌ " : ٣٩٠ - ٣٩١ / ٣ .
- (٦) الظُّثْرُ بِالْكَسْرِ الْعَاطِفَةُ عَلَى وَلَدٍ غَيْرِهَا الْمُرْضِعَةُ لَهُ فِي النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَجَمْعُهُ أَظْؤُرٌ ، وَأَظَارٌ ، وَظُؤُرٌ وَظُؤُورَةٌ ، وَظَارُنِي عَلَى الْأَمْرِ رَاوِدُنِي وَأَكْرَهُنِي / انظر :  
 القاموس المحيط ، باب الرءاء فصل الظاء : ٨٣ / ٢ .
- (٧) انظر البيت في :  
 منتهى الطلب : ورقة ( ٨٠ ) ، المفضليات : ١٣١ رقم ( ٢٤ ) .

والبيت من قصيدة مطلعها :

هَلْ عِنْدَ عُمَرَةَ مِنْ بَنَاتِ (١) مُسَافِرٍ .: زِي حَاجَةٍ مُتَرَوِّحٍ أَوْ بَاكِرِ  
سَمِيمِ الْإِقَامَةِ بَعْدَ طَوْلِ ثَوَائِهِ .: وَقَضَى لِبَانَتِهِ فَلَيْسَ بِنَاطِرِ

وقبل الشاهد :

وَلَرَبِّ وَاضِحَةِ الْجَبِينِ غَرِيْبَةٌ .: مِثْلُ التَّهَامَةِ تَرُوْقُ عَيْنَ النَّاطِرِ  
قَدْ يَتُّ الْعَيْبَهَا وَأَقْصُرُ هَمَّهَا .: حَتَّى بَدَأَ وَضَحُ الصَّبَاحِ الْجَاشِرِ

وبعدهما الشاهد وبعده :

بِمَقَالَةٍ مِنْ حَازِمِ زِي مِسْرَةٍ (٢) .: يَدَا الْعَدُوِّ وَزَعِيرُهُ لِلزَّائِرِ (٣)

إذا تأملنا الشاهد، وجدناه يحوي ثلاث استعارات رائعة :

الأولى : في قوله : " تَقْذِي صَدُورَهُمْ " ولفظة تقذي هنا يختلف معناها باختلاف

ضبط حركاتها ، فإذا كان المقصود " تَقْذِي " بمعنى سقطت فيها قنذاة ،  
فهو " قذِي " فقدت عينه من باب صَدِي يكون المعنى أن صدورهم  
ملئثة بالشر .

وإن كانت مأخوذة من " قَسَدَتِ عَيْنُهُ " رَمَتْ بِالْقَدَى ، وبابه رَمِي . يكون  
المعنى : أن صدورهم رمت بالشر والأذى .

والمناسب للمقام فيما بيد و الوجه الثاني .

والاستعارة هنا جاءت من تشبيه صدورهم بالعيون التي تحمل الأذى  
أو ترمي بالقذى، ثم حذف المشبه به، وأتى بشيء من لوازمه ، وهو القذى على  
سبيل الاستعارة الممكنية .

( ١ ) البتات : الزاد، والجهاز، والمتاع / اللسان : مادة ( بَتَّت ) : ٢ / ٨ .

( ٢ ) المرة : بكسر الميم الشدة ، ورجل ذو مرة : أي قوي / انظر :

أساس البلاغة : ( مرر ) : ٤٢٥ .

( ٣ ) يدا الودأ الهلاك / اللسان : " ودا " : ١ / ١٩٢ .

والاستعارة الثانية : في قوله : " لدُّ ظأرتهم " استعار الظأر - الذي هو في الأصل للناقة التي تحنو على ولد غيرها ، فترضعه - لإلحاق المهزيمة بهم ، فكأنه أرضعهم المهزيمة وقهرهم عليها ، وفيها من التهكم والسخرية ما فيها ، وجاءت الاستعارة هنا على سبيل الاستعارة التصريحية .

والاستعارة الثالثة : في قوله : " خسأت " حيث استعار " خسأ " التي هي بمعنى " زجر " للدفع على سبيل الاستعارة التصريحية .  
فهذه الاستعارات الثلاث مكنت في البيت .

وفي الدلائل تحقيق " رضا " وتحقيق " خفاجي " لم يحدد الشيخ عبد القاهر موقع الاستعارة الرائعة ، فكأنه اعتبر الروعة والغرابة في الثلاث الاستعارات .  
وفي الدلائل تحقيق " شاكر " زيادة " : المقصود لفظ " خسأت " ( ١ )  
فإذا كانت الزيادة من كلام الشيخ عبد القاهر يكون لفظ " خسأت " هو المخصوص بالروعة والجمال ، وإذا كانت الزيادة من الناسخ يكون الشيخ قد اعتبر الاستعارات الثلاث .

ويبدو أن الشيخ قصد الاستعارات الثلاث بدون تخصيص ، لأن لفظ " خسأت " ليس أروع استعارة فيها بل إن استعارة الظأر أتق وأجمل .  
بدأ الشاعر قصيدته هذه راجياً عمرة أن تنوله قبل سفره ، وذكر أنها أخلفت الوعد ، وعزا ذلك إلى طبع النساء ، ثم أعلن عزمه على قطعها بالرحلة على ناقصة ، وصفها ، وشبهها بالنعامة ، فاستطرد في نعتها ، ثم فخر بسبائه الخمر ، ونحسره الجزر لأصحابه وبشدة بأسه في لقاء العدو وبفرسه وسلاحه ، ثم تحدث عن استلابه قلوب الغواني ( ٢ ) ، ثم بعد ذلك جاء ببيتي الشاهد يفاخر فيهما بقدرته على مقارعة خصمه بالحجة الساطعة والقول الفصل ، ولكي يصور لنا قوته وبراعته أعلى من شأن خصمه ، فذكر أنهم قوم جاهدون لا يستهان بهم معروفون بالحدة والشدة والشر ،

( ١ ) الدلائل : شاكر : ٧٧ .

( ٢ ) المفضليات : ١٢٨ .

وأن صدورهم مليئة بالشر والكلام الباطل القبيح ، وصورهم بهذه الصورة التي توحى بأنه لا يستطيع منازلتهم أحد ، ولا يقدر على مقارعتهم كل إنسان ، حتى إذا ما ارتسمت هذه الصورة في الأذهان ، وانبهرت بها النفوس ، يفاجئ الشاعر خيالنا بصورة أخرى يكون هو بطلها ، ويرسمها بلون بلاغي يضائل من الصورة الأولى ، ويجعل الثانية هي الأمكن ، فيتخذ من الاستعارة مادة يلون بها صورته ، ويلبس الاستعارة نوعاً من التهكم والسخرية بهم ، ليتم له بذلك محو صورتهم والتقليل من شأنهم ، فشبه توجيه الإساءة إليهم بالظأر ، فكأنه أرضعهم الإساءة وأرغمهم على قبولها ، فظأرتهم معناها أرضعتهم الإساءة وتمكنت منهم وقبلوها ، وفي هذا استهانة بهم وتهكم وسخرية بشجاعتهم ؛ ولكي يبين أن حججه من القوة بمكان ، وأن ما أتوا به ما هو إلا باطل مستهان استعار لفظ " خساء " وهو بمعنى زجر مع الذل والاستهانة - للدفع والإزالة وفي هذا تأكيد لضعف أمرهم وتحقير لما أتوا به من الحجج وتصغير لشأنهم .

الشاهد السابع عشر : ( \* ) (الرجز)

ابن المعتز : ( ١ )

( \* ) الدلائل ، رضا : ٦١ ، خفاجي : ١٢٠ ، شماكر : ٧٧ .

( ١ ) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي ( ٢٤٧ هـ - ٢٩٦ هـ ) أبو العباس : الشاعر المبدع ، خليفة يوم وليدة ، فبعد أن آلت الخلافة إلى المقتدر العباسي استصغره الناس ، فخلعوه وبايعوا ابن المعتز فأقام يوماً وليدة ، ثم وثب عليه غلمان المقتدر ، فخلعوه ، وقتله خنقاً واحد منهم يدعى مؤنس ، ولا بن المعتز مؤلفات كثيرة منها : " الزهر والرياح " و " البديع " و " الأدب " و " الجامع فسي الغناء " و " الجوارح والصيد " و " طبقات الشعراء " ، وله ديوان شعر في جزأين / انظر ترجمته :

الأغاني : ٢٨٦-٣٧٤ / ١ ، أشعار أولاد الخلفاء :

١٠٧-٢٩٦ ، شار القلوب : ١٥٠ ، تاريخ بغداد : ١٠١-٩٥ / ١ ، المعبر :

١ / ٤٣٠ ، وفيات الأعيان : ٧٦ / ٣ - ٨٠ ، فوات الوفيات : ٢٣٩-٢٤٦ ،

حَتَّى إِذَا مَا عَرَفَ الصَّيِّدَ انْتَصَارَ<sup>(١)</sup> . . وَأَذِنَ الصُّبْحُ لَنَا فِي الْإِبْصَارِ<sup>(٢)</sup>

وهو من أبياته في الطرديات ، ومطلع القصيدة :

قَدْ اغْتَدَيْتِي أَوْ بَاكِرًا بِأَسْحَارِ . . وَنَحْنُ فِي جَلَبَابٍ لَيْلٍ كَالْقَارِ

وبعده بيت هو قبل الشاهد :

شُدَّ عَلَيْنَا بِعُرَى وَأَزْزَارِ . . كَأَنَّهُ جِلْدَةٌ نُوبِيَّةٍ عَارِ

وبعده الشاهد وبعده :

جَمَلًا لِكُلِّ شَبَحٍ نَائِي الدَّارِ . . فَارِسٌ كَفَّ مَائِلٍ كَالْأَسْوَارِ

ذُو<sup>(٣)</sup> جُجُؤٍ يَمِثُّ الرُّخَامَ الْمِرْمَارِ . . أَوْ مُصْحَفٍ مُنْتَمِنٍ ذِي أَسْطَارِ

الشاهد فيه كسابقه ، فجهة الغرابة في الاستعارة هنا في كلمة " أَذِنَ "

نفسها .

=== معاهد التنصيص : ٢ / ٣٨ - ٤٧ ، الشذرات : ٢ / ٢٢١ - ٢٢٤ ،  
الأعلام : ٤ / ١١٨ - ١١٩ .

(١) انصار : من صار الأمر إلى كذا يصير صيراً ومصيراً وصوراً ، وصيره

إليه ، وأصاره ، والصورورة مصدر صار يصير - أي تهيأ وتجمع للوشب - /

انظر : اللسان : مادة " صير " : ٤ / ٤٧٧ . هذا على رواية الدلائل

تحقيق رضا : ٦٤ ، خفاجي : ١٢٠ .

أما رواية الديوان - دار المعارف - ، والدلائل ، شاعر ، والإيضاح ،  
وشرح أبيات الإيضاح : " الضار " .

(٢) لم أجده في ديوانه - دار صادر - وهو موجود في ديوانه - دار المعارف -

٢ / ١٢٥ .

وذكر الأستاذ شاعر أنه موجود في ديوانه - طبعة استانبول ولم أقف عليها بعد .

الإيضاح : ٢ / ٤٢٣ . شرح أبيات الإيضاح : - النسخة الأزهرية -

رقم الشاهد : ٣٦٥ .

(٣) الجُجُؤُ : عظام صدر الطائر والجمع : الجَّاجِي . اللسان : مادة

" جاجأ " : ١ / ٤٢ .

ويبدو أن وجه الحسن في الاستعارة في كون الشاعر ملء طول الليل، وإطباق  
الظلام؛ لأن الصيد في الظلام متعذر، فكأن الشاعر ظل واقفاً طوال الليل ينتظر  
طلوع النهار، فعندما بدأ النور بالظهور رأى كل شيء، وقد بدأ يتحرك، فديت  
الحركة في الحياة، وتحفز البازي للصيد وتجمع له، ومن هذه الحركة التي تبدأ  
عند ظهور النور استمد الشاعر صورته، فجعل الصبح وكأنه كائن يتحرك يأمر  
وينهى ويأذن .

فشبه ظهور النور بالإذن بجامع السماح، وتمكن الرؤية في كل على  
سبيل الاستعارة التصريحية .

وفي شرح أبيات الإيضاح معنى غير الذي ذهبت إليه . جاء فيه :  
" البيت لابن المعتز، عرف مبني للفاعل، الصيد بمعنى الصائد الضاري  
المتعود للصيد من ضري الكلب بالصيد، وأراد بالصيد الضاري الجوارح  
المعلمة التي كانت معهم<sup>(١)</sup>، كانت الجوارح بسبب الظلام لا تعرف ما كانت  
تصيده وكانوا لا يبصرون به ما أرادوا إبصاره فكأن الظلام منعهم عنه،  
يقول سرنا طول الليل حتى إذا عرفت الجوارح الصائدة الضارية بإسفار  
الصبح ما كانت تصيده، وأذن لنا وأجازنا ضوء الصبح في إبصار  
مانريد، ونطلبه، فعلنا ما فعلنا<sup>(٢)</sup> .

الشاهد الثامن عشر : \* ( الوافر )

ابن المعتز:

بَخِيلٌ قَدْ بَلَّيْتُ<sup>(٣)</sup> بِهِ . . . يَكُدُّ الوَعْدَ بِالْحَجَجِ<sup>(٤)</sup> (٥)

(١) انظر معنى الضارفي اللسان مادة "ضرا" : ٤٨٢/١٤ .

(٢) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : رقم الشاهد : ٣٦٥ .

(\*) الدلائل، رضا : ٦١، خفاجي : ١٢٠، شاكر : ٧٧ .

(٣) رواية الديوان : " شسقيت " .

(٤) رواية الديوان : " باللجج "، واللجاج هو التماذي في الشيء، ولج في الشيء،  
تماذي عليه وأبى أن ينصرف عنه - فالمعنى هنا أنها تكذ الوعد بالعناد وعدم

الوفاء . / انظر: اللسان "لجج" : ٣٥٣/٢ .

(٥) ذكر الأستاذ محمود شاكر بأن البيت ليس في المطبوع من شعر ابن المعتز، ===

وبعدہ :

عَلَى بُسْتَانِ خَدَّيْهِ . : زَرَّافِينَ (١) مِنَ السِّيَاحِ (٢)

وهما بيتان لاثالث لهما .

والشاهد فيه كسابقه ، فالغرابية في الاستعارة هنا في نفس كلمة "يُكَدُّ" حيث

استعار الكَدَّ لِإِخْلَافِ الوعد .

فالشاعر هنا يصف بخيلاً يَعِدُّه بالعطاء ، ولكنه يُخْلِفُ ، ويَطِيلُ الإِخْلَافَ

وينتحل شتى المعانير ، ويتذرع بألوان كثيرة من الحجج يعتذر بها عن الوفاء ،

ولكثرة هذه الحجج عبر عنها بأنها تكذ الوعد أي تتعبه ، فجعل من المسادة

المعنوية "يُكَدُّ الوعد" مادة متحركة ، فمماثلة ذلك البخيل ، وكثرة إخلافه الوعد

أنطقت وحركت الشعور فيما لا يحس ، فليس هو وحده الشقي فحسب بل حتى الوعود

قد أصابها الملل والإعياء .

ولعمق إحساسه وتأثره بموقف هذا البخيل نراه قد ابتداء البيت بقوله :

"بخيل" حيث حذف المبتدأ - فلم يقل "هو بخيل" - وجاء بالخير نكرة ليسرز

لنا حقارة ذلك الخلق وشناعته ، ثم جاء بحرف التحقيق "قد" ليؤكد تحقق

وقوع البلاء به .

الشاهد التاسع عشر : (\*) ( الطويل )

ابن المعتز :

يِنَاجِينِي إِخْلَافٍ مِّنْ تَحْتِ مَطْلِهِ . : فَتَخْتَصِمُ الْآمَالُ وَالْيَأْسُ فِي صَدْرِي (٤)

== وقد وجدته في ديوانه - دار صادر - : ١٩ .

(١) زرافين : جماعات / اللسان : " زرف " : ١٣٤/٩ .

(٢) السياج : الحظيرة من الشجر تجعل حول الكرم والبستان ، وقد سيج على

الكرم ويقال : حَظَرَ كَرْمَهُ بِالسِّيَاحِ ، وهو أن يسج حائطه بالشوك لئلا يتسور

اللسان " سيج " : ٣٠٣/٢ .

(\*) الدلائل ، رضا : ٦١ ، خفاجي : ١٢٠ ، شاکر : ٧٧ .

(٣) نَجَاةٌ نَجْوًا وَنَجْوَى : سارّه ، والنَّجْوُ السَّرْبِيُّنِ اثنين ، يقال : نَجَوْتَهُ نَجْوًا

أي ساررته ، وفي أساس البلاغة : " ومن المجاز والكناية . . المهموم تنتجى في

صدره وتنتجى ، ويات المهم يناجيه " / انظر :



وقبل الشاهد :

وَمُسْتَبْصِرٍ فِي الْعُدْرِ مُسْتَعَجِلِ الْقَلْبِ . . . بَعِيدٍ مِنَ الْعُتْبَى قَرِيبٍ مِنَ الْمَهْجَرِ

وبعد الشاهد وبعده :

قَدِيرٍ عَلَى تَأْسَافِي مَتَسَلِّطٍ . . . جَرِيٍّ عَلَى ظُلْمِي أَمِيرٍ عَلَى أَمْرِي  
يَنْفَسِي سِقَامَ مَا يُدَاوِي مَرِيضُوهُ . . . خَفِيٌّ عَلَى الْعَوَادِ بَاقِي عَلَى الدَّهْرِ  
أَلْفُ الْهَوَى حَتَّى قَلَّتْ نَفْسِي الْغَلَا . . . وَطَالَ الضَّنَى حَتَّى صَبَرْتُ عَلَى الصَّبْرِ

الشاهد في البيت كسابقه في أن غرابة الاستعارة في الكلمة ذاتها ، ولم يعين

الشيخ موضع الشاهد هنا ، ففي البيت استعارتان رائعتان ، الأولى في قوله :

"يُنَاجِينِي" حيث استعار المناجاة للخطور بالقلب ، على سبيل الاستعارة التصريحية  
التبعية .

والثانية في قوله " فتختصم " حيث استعار الاختصام للآزد حام والتجاذب على

سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والآمال واليأس قرينة .

فالشاهد هنا يصور تصويراً دقيقاً نفسية الشاعر القلقة التي يتجاذبها اليأس

والأمل ، فتارة يشيع فيها الاطمئنان وتارة يسيطر عليها الخوف والاضطراب ،

فهو أشد ما يخاف ويخشى الإخلاف والمماطلة .

وما أروع تصويره لخوفه هذا بقوله : "يُنَاجِينِي الإخلاف" أي يُسَارِنِي ، فالإخلاف

لم يقع بعد إنما هو مجرد خطور بالقلب ، ومحادثة جرت في النفس ، ثم إن اللفظة

" تحت " إحياءها إن يتقلت الإخلاف من هذا المطل تغلث آثار النفس وجعلها

في قمة اضطرابها حيث تدافعت وتزاحمت الآمال واليأس في صدره ، وما أروع لفظته

=== اللسان " نجا " : ٣٠٨ / ١٥ ، أساس البلاغة : " نجو " : ٤٤٨ .

( ٤ ) لم أجده في ديوانه - دار صادر - وكذلك الأستاذان شاكر نكر في تحقيق

الدلائل أنه لم يجده في شعره المطبوع . / انظر البيت في :

أشعار أولاد الخلفاء : ١٩١ ، الإيضاح : ٢ / ٤٢٣ ، شرح أبيات

الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد رقم : ٣٦٧ .

" تختصم " التي صورت هذا النزاع القائم بين رجائه وخوفه ، وما فيها من حيوية ،  
وحركة، وصخب، وضجيج ناسب شدة القلق وقوة الأمل .

ثم أنظر إليه كيف جمع " الآمال " و " ووحيد " اليأس " وجعلها قوتين غير متكافئتين ؛  
ليصور شدة تعلقه بمحبوبه وتمنيه ورجاءه الوصال .

وقيد كون الاختصام في الصدر ؛ ليبدل على شدة تألمه وتوجعه ، وما ألطف وأدق  
مجىء الغاء في قوله : " فتختصم " فمعنى التعقيب الذي يشيع فيها ناسب معسنى  
الازدحام والاضطراب ، إضافة إلى أنها ضبطت تسلسل الموقف، والمعاني والأحداث،  
وجعلت المعنى كلاً متداخلاً .

ثم تأمل جمال الطباق بين " يِنَا جِينِي وَتَخْتَصِمُ " - باعتبار لآزيمهما - وبين  
الآمال واليأس ، وما بعث في البيت من حركة .

.....

الشاهد العشرون : ( \* ) ( الطويل )

قول الشاعر أنشده الجاحظ :

لَقَدْ كُنْتُ فِي قَوْمٍ عَلَيْكَ أَشْحَى .: <sup>(٣)</sup> يَنْفَسُكَ <sup>(٤)</sup> إِلَّا أَنْ مَاطَاحَ طَائِحُ  
يَوْمًا وَنَ لَوْ خَاطُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ .: وَلَا تَدْفَعُ التَّوْتِ النَّفُوسَ الشَّحَائِحَ (٥)

( \* ) الدلائل ، رضا : ٦١ ، خفاجي : ١٢٠ ، شاعر : ٧٧ .

( ١ ) رواية الروض الأنف : " لَو كُنْتُ " ، ويبدو أن رواية " لقد " أنسب وأجمل

لمعنى البيت .

( ٢ ) رواية العقد الفريد : " بِحُبِّكَ " .

ورواية الروض الأنف : " أَشْحَى عَلَيْكَ " .

( ٣ ) رواية البيان والتبيين : " لَوْلَا أَنْ مَاطَاحَ طَائِحُ " .

( ٤ ) رواية البيان والتبيين والروض الأنف : " وَهَلْ يَدْفَعُ " .

ورواية العقد الفريد والأشبه والنظائر : " وَلَا يَدْفَعُ " بالياء بدلاً من التاء .

( ٥ ) انظر البيتين في : البيان والتبيين : ١ / ٥٠ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٧٦٢ ،

العقد الفريد : ٣ / ٢٨٠ ، الأشباه والنظائر : ٢ / ٢٠٤ ، زهر الآداب :

٢ / ٤٧٥ ، الروض الأنف : ٢ / ٢٤ .

ذكرهما الشيخ من غير نسبة، وهما للأغر يشكري<sup>(١)</sup>.

بيد وأن الشيخ جعل هذا الشاهد من قبيل قول الشاعر :

« وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ »

بدليل ذكره هذا الشاهد في فقرة جديدة ابتدأها بقوله : « وما هو في غاية الحسن ، وهو من الفن الأول » ، وأول فن ذكره في هذا الباب هو ما ترجع فيه غرابة الاستعارة إلى الصياغة والتركيب ولعل غرابة الاستعارة هنا في أنه استعار « خاطوا » للحفاظ ، وبأن قدم الجار والمجرور « عليك » ، وقيد كون الخياطة في الجلود .

فالبيتان فيما بيد وفي رثاء شخص عزيز أثار فقهه الحزن والألم في نفس الشاعر فنراه يصوغ البيتين بأسلوب يكشف رقة عاطفته وصدق إحساسه ، فابتدأ كلامه بلام التوكيد مع حرف التحقيق « لقد » وقدم الجار والمجرور « عليك » على قوله أشحة ليبين مكانة ذلك الشخص في نفوس قبيلته ، فصور خوفها ، وحرصها عليه ، وأنها بخيلة شحيحة بتلك النفس الطيبة .

ثم يستسلم الشاعر للقضاء والقدر ، ويقرر أن ما قدر له الهلاك فهو هالك ، ويؤكد هذه الحقيقة بحرف التوكيد « أن » ، وجاء بالاسم الموصول « ما » لأن في ذكر الاسم صريحاً ما يسبب الآلام ويشير الأشجان ، أو أن « ما » هنا تدل على مطلق الحقيقة أي أن كل شيء زائل وهالك ،

( ١ ) ذكرت هذه النسبة في البيان والتبيين ، وفي المؤلف والمختلف : ٤ ، شاعران

من بني يشكر يقال لهما : « الأغر » . أحد هما : الأغر بن عبيد الله ابن جمال بن ذريح بن عدي بن مطمع بن عبد جشم بن عامر بن ذبيان ابن كنانة بن يشكر بن بكر وائل ، شاعر فارس .

والثاني : هو الأغر بن مانوس أحد بني يشكر بن بكر أيضاً ، شاعر له في بني يشكر قصيدة طويلة جيدة .

ونسب البيت الأول في الأشباه والنظائر لمطرف بن جعونة الضبي . وذكر البيت الثاني على أنه نظير للبيت الأول ونسب للمشارك الموصلي .

وذكر البيتان في الشعر والشعراء والعقد ، وزهر الآداب والروض الأنف من غير نسبة .

ويلجأ الشاعر إلى تكرار المعنى ليقدر في النفوس عظم مكانة ذلك الشخص في قومه، فجاء بالاستعارة الرائعة " خاطوا " ف شبه الحرص، وشدته بالخياطة بجامع الضم والتناسك في كل على سبيل الاستعارة التصريحية، وقدم الجار والمجرور " عليك " وقيد كونها في جلودهم، فدل بمجموع ذلك كله على شدة الحرص والحياطة والحفاظ عليه .

وتصرخ الحقيقة مرة أخرى، وتقرر بأداة النفي " لا " لا يدفع الموت النفوس الشحاح " أنه مهما حرصت النفس وحاولت دفع المكروه لا تستطيع أن تحول من نفاذ القدر، وعلى رواية " هل يدفع الموت النفوس الشحاح " تكون الحقيقة قد أعلنت بوجه آخر حيث جاء الشاعر بأسلوب الاستفهام " هل " ليقدر تلك الحقيقة، ويزجر تلك العواطف التي تشور بين حين وآخر، ويوقظها على الحقيقة التي لا مفر منها لكي تخف وتهدأ، " فهل " هنا بمعنى النفي أيضا أي " لا يدفع الموت النفوس الشحاح " .

الشاهد الحادي والعشرون : ( \* ) ( الرجز )

قول بشار : ( ١ )

( \* ) الدلائل، رضا : ٦٢، خفاجي : ١٢٠، شاكر : ٧٨ .  
 ( ١ ) هويشار بن برد العقيلي بالولاء ( ٩٦-١٦٧ أو ١٦٨ ) أصله من طخارستان ( غربي نهر جيحون ) ونسبته إلى امرأة عقيلية أعتقه من الرق . كنيته أبو معاذ، ويلقب بالمرعث، ومحلّه في الشعر، وتقدمه طبقات المحدثين فيه، بإجماع الرواة، ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك، وهو من مخضرمي شعراء الدولتين العباسية والأموية . ولد بشار مكفوناً وكان أبوه طياناً، وقد هجاه بذلك حماد عجرد، كان كثير التلون فسي ولائه للمرب مرة وللعجم أخرى / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٢ / ( ٧٦١-٧٦٤ )، طبقات ابن المعتز : ٢١ - ٣١ ،

الأغانى : ٣ / ١٣٥-٢٥٠، الموشح : ٢٢٣-٢٢٧ ،

أمالى المرتضى : ١ / ١٢٨-١٣١-١٣٣-١٣٤، ١٦٣، ٥٠٩-٥١٠-٥٥٤ ،

٦٠٧ / ٢، ٦٣-٦٤-١٢٦، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٩-١٤٢ ،

وَصَاحِبٍ كَالدَّمَلِ الْمَيْدِ (١)  
 حَمَلْتَهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي (٢)  
 (٣) (٤) (٥)

والبيت من أرجوزة قالها في مدح عقبه (٦)

- === تاريخ بغداد : ٧ / ١١٢ - ١١٨ ، سبط اللاكبي : ١٩٦ / ١ - ١٩٨ ،  
 وفيات الأعيان : ١ / ٢٧١ - ٢٧٤ ، نكت الهميان : ١٢٥ - ١٣٢ ، لسان  
 الميزان : ٢ / ١٥ - ١٦ ، شذرات الذهب : ١ / ٢٦٤ ، معاهد التنصيص :  
 ١ / ٢٨٩ - ٣٠٤ ، الأعلام : ٢ / ٥٢ .  
 (١) رواية تاريخ بغداد : " كالرسل " .  
 (٢) رواية الإعجاز والإيجاز : " المجد " أي الجديد .  
 ومعنى المسد : اليد بالكسر : ما يجتمع في الجرح من القيح /  
 اللسان : " مدد " : ٣ / ٣٩٩ .  
 (٣) رواية العقد الفريد : " وجعلته " .  
 (٤) رواية الديوان للشاهد :

وَصَاحِبٍ كَالدَّمَلِ الْمَيْدِ  
 أَرْقُبُ يَنْهُ يَمَثَلُ يَوْمِ السُّورِ  
 حَمَلْتَهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي  
 صَبْرًا وَتَنْزِيهًا لِمَا يُؤَدِّي

ويوم الورد : يوم نوبة الحمى شبه يوم زيارته بيوم مجيء الحمى .

- (٥) انظر البيت في :  
 ديوانه : - تحقيق الطاهر بن عاشور - : ٢ / ١٥٩ ، البيان والتبيين :  
 ١ / ٥٠ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٧٦٢ ، طبقات الشعراء لابن المعتز :  
 ٢٦ ، العقد الفريد : ٣ / ٢٨٠ ، الأغاني : ٣ / ١٧٦ ، الأشباه  
 والنظائر للخالدين : ٢ / ٢٠٤ ، المنصف في نقد الشعر : ٥٨٠ ، الإعجاز  
 والإيجاز : ١٥٧ ، ١٥٨ ، زهر الأدب : ٢ / ٤٧٤ ، تاريخ بغداد :  
 ٧ / ١١٦ .

- (٦) هو عقبه بن سلم " بفتح السين وسكون اللام " الهنأفي " بضم الهاء " منسوباً إلى هنأة بن مالك بن فهم من بني دوس ، وكناهه بشار في بعض قصائده بأبي الملد ، ظهر عقبه في خلافة أبي جعفر المنصور ، ذلك أن المنصور ألقى على البصرة ابن أخيه محمد بن أبي العباس السفاح ، فاستغفاه من ذلك فأغفاه ، واستخلف بالبصرة عقبه بن سلم ، فأقره المنصور عليها ، وفي سنة ١٥١ هـ

(١) ابن سلم ومطلعها :

يَا طَلَّلَ الْحَيِّ بِذَاتِ الضُّعْدِ (٢)  
بِاللَّهِ حَدَّثَ كَيْفَ كُنْتُ بَعْدِي

وقبل الشاهد :

الْحُرُّ يُوَصِّ (٣) وَالْعَصَا لِلْعَبِيدِ  
وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ السَّرِّ  
فَارْضُ يَنْصِفِ وَأَرْحُ فِي الْقَصْدِ  
النَّصْفُ يَكْفِيكَ مِنَ التَّعَدِّي

وبعد هذا الشاهد وبعده :

حَتَّى انطَوَى غَيْرَ فَقِيدِ الْفَنَدِ (٤)  
وَمَا دَرَى مَا رَجَعْتَنِي مِنْ زُهْدِي

== سار عقبة من البصرة إلى البحرين، واستخلف عليها ابنه، فقتل عقبة سليمان بن الحكيم وسبى أهل البحرين، ثم عزله المنصور عن البصرة، وبقي بلا عمل حتى توفي سنة ١٦٧ هـ / انظر ترجمته :

المعارف : ١٠٨، الاشتقاق : ٤٩٨، تاريخ الطبري : ٤٠ / ٨، جمهرة أنساب العرب - ابن حزم - : ٣٨٠، الكامل لابن الأثير : ٥ / ٣٤ .  
(١) ذكر في البيان والتبيين، وشرح ديوانه أن هذه الأبيات أنشدها بشار بحضرة عقبة بن سلم، وقصتها أن عقبة بن ربيعة أنشد عقبة بن سليم رجلاً يمتدحه به، وبشار حاضر، فأظهر بشار استحسان الأرجوزه، فقال له عقبة بن ربيعة : هذا طراز يا أبا معاذ لا تحسنه فقال بشار : أَيْمُطِّي يقال هذا الكلام ؟ أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك، ثم غسدا عقبة بن سلم بأرجوزته هذه .

(٢) رواية الأغاني "الصد" بصاد مهملة : والصد بفتح أوله وإسكان ثانيه وبعده زال مهملة : موضع في ديار بني يربوع / معجم ما استعجم : ١٨٤١ / ٢ وفي معجم البلدان ماء للضباب .

(٣) رواية الأغاني : "الْحُرُّ يُلْحَى" .

(٤) رواية الأغاني : "حتى مضى فقيد الغقد" أي ليس له آثار الغقد من الوحشة والأنس أي أن فقده ليس يفقد .

شرح ديوانه : ١٦٠ / ٢ .

بيد وأن الشيخ أراد أن يذكر نظيراً لمعنى " خاطوا " فجاء بهذا البيت ،  
وفيه " حملته في رقعة من جلدي " فهذا وجه المشابهة بين هذا الشاهد وما قبله .  
ويجوز أن يكون الشاهد فيه كالبيت السابق حيث استعار " الحمل " للاحتفاظ  
مع ملاحظة التشبيه وما يعنيه من الألم .

فالشاعر هنا يصف صاحباً له ثقيلاً على نفسه ، وصور هذا الثقل بعدة طرق :  
حيث شبه هذا صاحب بالدمل المليء بالقح والصديد ، وفي هذا الوصف  
ما يعث الاشمئزاز والنفور في النفس ، ثم استعار لفظ " الحمل " للاحتفاظ به ، وقيد  
كون هذا الحمل في رقعة ، وقيد كونها " من الجلد " وأضاف لفظ الجلد لـ  
المتكلم كل ذلك بليين شدة لصوقه به ، وكثرة تألمه منه ، فهو مع كونه ثقيلاً وكريهاً  
لا مفر من حمله .

وكان المتنبي أشار إلى هذا المعنى عندما قال :

وَمِنْ تَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الحَرِّ أَنْ يَرَى . . . عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ (١)

وذكر ابن وكيع<sup>(٢)</sup> أن المتنبي نظر إلى قول بشار فقال :

وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي جِيلٍ سَتَوَاسِيَةٍ . . . شَرُّ عَلَى الحَرِّ مِنْ سَقَمٍ عَلَى بَدَنِ (٣)

ونظير قول بشار في الصورة ، وضده في المعنى قول العلوي الكوفي :

أَيَّامٌ كُنْتُ مِنَ الفَـسَّـوَا . . . رَنِي كَالسَّوَادِ مِنَ القُلُوبِ

لَوْ يَسْتَطِيعَنَّ حَبَانِي . . . بَيْنَ المَخَانِقِ وَالجُيُوبِ (٤)

ولقد استحسنته بيت بشار " الشاهد " مع أبيات أخرى أطلق

لأجلها على بشار لقب أستاذ المحدثين ويدرهم ، وجعله أعجوبة الدنيا ،

قال :-

( ١ ) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ٣٧٥ .

( ٢ ) المنصف في فقد الشعر : ٥٨٠ .

( ٣ ) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٤ / ٢٠٩ .

( ٤ ) الأشباه والنظائر للخالدين : ٢ / ٥٦ .

” بشار بن برد ويقال ابن برد أستاذ المحدثين وصد رهم ويذرهم ،  
 وأعجوبة الدنيا ، لأنه كان أعشى أكمه ، ولد كذلك ، وقال مثل قوله :  
 كَانَ مَنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ . . . وَأَسْيَافَنَا لَيْلَ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ  
 . . . . . وقوله :

وَصَاحِبِ كَالدَّمَلِ الْمُجِيدِ . . . حَمَلْتُهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي<sup>(١)</sup>

ويبدو لي أن الشاهد السابق - الذي نسب للأغر\* - أملح وجهاً وأظرف  
 معنىً ، وأدق وأبلغ صورة من قول بشار هذا ، فهو دونه في الطبقة ، فأبين معنى  
 الخيطة من الحمل ، وأين تخصيص الاحتفاظ برقعة من الجلد ، من جعل الاحتفاظ  
 في جميع الجلد ؟ .

الشاهد الثاني والعشرون : ( \* ) ( البسيط )

قول أبي تمام :<sup>(٢)</sup>

لَا يَطْمَعُ التَّمْرُ أَنْ يَجْتَابَ لُجَّتَهُ<sup>(٣)</sup> . . . بِالْقَوْلِ مَالَمْ يَكُنْ جِسْرًا لَهُ الْعَقْلُ<sup>(٥)</sup>  
 وهو من قصيدة يدح بها المعتصم بالله ، ومطلعها :<sup>(٦)</sup>

- ( ١ ) الإعجاز والإيجاز : ١٥٧-١٥٨ .  
 ( \* ) الدلائل ، رضا : ٦٢ ، خفاجي : ١٢١ ، شاكر : ٧٨ .  
 ( ٢ ) مضت ترجمته عند البيت الثالث من أبيات المدخل : ص ٥٥ .  
 ( ٣ ) جاء في تحقيق ديوانه بشرح التبريزي - أنه يروى : ” يجتاز ” .  
 ( ٤ ) رواية الديوان بشرح التبريزي ، والديوان ” دار صادر ” : ” غمرته ” لُجَّةُ  
 الماء ” بالضم ” معظمه ، وكذلك غمرته أكثره ومعظمه / مختار الصحاح :  
 ” لج ” ٥٩٢ ، ” غمر ” : ٤٨٠ .  
 ( ٥ ) انظر البيت في : ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ١٦ ، ديوانه  
 دار صعب : ٢٠٢ .  
 ( ٦ ) هو محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن منصور ( ١٧٩ هـ وقيل ١٨٠ هـ  
 - ٢٢٧ هـ ) أبو إسحاق ، من أعظم خلفاء الدولة العباسية ، بويغ بالخلافة  
 سنة ( ٢١٨ هـ ) يوم وفاة أخيه المأمون ويعهد منه ، وهو فاتح عمورية من بلاد  
 الروم الشرقية ، وهو باني مدينة سامراء ، وهو أول من أضاف إلى أسسها



(١) فَحَوَاكَ عَيْنٌ عَلَى نَجْوَاكَ يَا مَذِلُّ .: حَتَّامٌ لَا يَتَّقِي قَوْلَكَ الْخَطِيلُ (٢)

وقبل الشاهد :

وَمَشْهَدٍ بَيْنَ حُكْمِ الذُّلِّ مَنْقَطِيعٌ .: صَالِيهِمْ أَوْ بِجِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلٌ  
ضَنْكُ إِذَا خَرَسَتْ أَبْطَالُهُ نَطَقَتْ .: فِيهِ الصَّوَارِمُ وَالْخَطِيئَةُ الذُّبُلُ

وبعدهما الشاهد وبعده :

جَلِيَّتَ وَالْمَوْتُ مُبْدٍ حَرَّصَفَحْتِيهِ .: وَقَدْ تَفَرَّعَ فِي أَوْصَالِهِ الْأَجَلُ (٣)

ومعنى الشاهد : لا يخدع المرء نفسه بكثرة القول والكلام ، فإنه لا يستطيع

أن يحقق آماله ، ولا أن يخوض غمار الحروب ، ويحرز البطولات والإنجازات إن لم يجعل العمل سبيله ، كما أن الماء لا يجتاز معظمه إلا عن طريق الجسر .

الشاهد الثالث والعشرون :- ( \* ) ( البسيط )

قول أبي تمام - أيضا : (٤)

=== اسم الله تعالى من الخلفاء ، فقيل المعتصم بالله ، كانت خلافته

ثمانين وثمانية أشهر وخلف ثمانية بنين وثمانين بنتا مات وعمره

( ٤٨ ) سنة / انظر ترجمته :

تاريخ الطبري : ٦٦٢ / ٨ ، ٧ / ٩ ، ١١١١ - الفخري في الآداب السلطانية :

٢٢٩ - ٢٣٥ ، مروج الذهب : ٤ / ٤٦ - ٦٤ ، التتبيه والإشراف : ٣٢١ - ٣٢٨ ،

تاريخ بغداد : ٣ / ٣٤٢ - ٣٤٧ ، الكامل لابن الأثير : ٥ / ٢٣١ - ٢٦٦ ،

فوات الوفيات : ٤ / ٤٨ - ٥٠ ، الأعلام : ٧ / ١٢٧ - ١٢٨ .

(١) التذلل : البازل لما عنده من مال أو سره والمعنى هنا الذي يفشي السر /

اللسان " مذل " : ١١ / ٦٢١ .

(٢) الديوان - شرح التبريزي : ٣ / ٥٠ - دار صعب - : ٢٠٠ .

(٣) الديوان - شرح التبريزي : ٣ / ١٦ - دار صعب - : ٢٠٢ .

(\*) الدلائل ، رضا : ٦٢ ، خفاجي : ١٢١ ، شاكر : ٧٨ ، محمد محيي الدين عبد الحميد -

(٤) رواية الديوان - دار صعب - وشرح الديوان - محمد محيي الدين عبد الحميد - ٦

وأخبار أبي تمام للصولي : " الكبرى " .

( ١ ) بَصُرَتْ بِالرَّاحَةِ الْعُظْمَى فَلَمْ تَرَهَا . : تَنَالُ إِلَّا عَلَيَّ جِسْرَيْنَ التَّقَبْرِ

وهو من قصيدته المشهورة التي مدح بها المعتصم بالله ، وذكر فتح عوريسه ،  
ومطلعها :

( ٢ ) السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِّنَ الْكُتُبِ . : فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ ( ٣ )

وقبل الشاهد :

( ٤ ) خَلِيفَةَ اللَّهِ جَازَى اللَّهُ سَعْيَكَ عَنْ . : جَرثومةُ الدِّينِ وَالإِسْلَامِ وَالْحَسْبِ ( ٥ )

وبعد الشاهد وبعده :

إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَجْمٍ . : مَوْصُولَةٌ أَوْ نِوَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِيبِ

تَبَيَّنَ أَيَّامُكَ اللَّاتِي نُصِرْتَ بِهَا . : وَبَيْنَ أَيَّامٍ بَدْرٍ أَقْرَبُ النَّسَبِ ( ٦ )

ومعنى الشاهد : أنك ذو بصيرة وحكمة إن أدركت أن الراحة الكبرى ، والنصر

لا يمكن الحصول عليهما إلا بالتغلب على المصاعب والسعاب .

الشاهد الرابع والعشرون : ( \* ) ( البسيط )

( ٧ )

قول ربيعة الرقي :

( ١ ) انظر البيت في :

ديوانه : - دار صادر - : ١٧ ، شرح ديوانه - محمد محيي الدين - : ٢٨ ،

أخبار أبي تمام للصولي : ١١٣ .

( ٢ ) تُقْرَأُ بِالْكَسْرِ ، فَتَكُونُ مَصْدَرٌ " أَنْبَأُ " أَي أَخْبِرُ ، وَتُقْرَأُ بِالْفَتْحِ فَتَكُونُ جَمْعٌ " نَبَأٌ "

وهو الخبر العظيم / تحقيق الديوان لمحمد محيي الدين : ١٥ .

( ٣ ) ديوانه - دار صعب - : ١٤ ، شرح الديوان لمحمد محيي الدين : ١٥ .

( ٤ ) جرثومة كل شيء أصله ومجتمعه . / اللسان " جرثم " : ٩٥ / ١٢ .

( ٥ ) ديوانه - دار صعب - : ١٧ ، شرح ديوانه - محمد محيي الدين - : ٢٨ .

( ٦ ) انظر : المصدرين السابقين نفس الصفحة .

( \* ) الدلائل ، رضا - : ٦٢ ، خفاجي : ( ١٢١ ) ، شاکر : ٧٩ .

( ٧ ) هوربيعة بن ثابت الأنصاري ، كنيته أبو شبابه ، وقيل إنه يكنى أبا ثابت ،

ولقبه أبو ثابت ، وكان ينزل الرقة ، وبها مولده ومنشؤه ، مدح المهدي فأثابه ،

وهو من المكثرين المجيديين ، وكان ضريرا ، وإنما أُخْمِلَ ذِكْرُهُ وَأَسْقَطَهُ عَسَنُ

طبقتة بعده عن العراق ، وتركه خدمة الخلفاء ، ومخالطة الشعراء ، وذكر

(١) (٢) قولِي نَعَمْ وَنَعَمْ إِنْ قُلْتِ وَاجِبَةً .: قَالَتْ عَسَى وَعَسَى جِسْرٌ إِلَى نَعَسٍ

وهو من قصيدة غزلية أولها :

دَسْتُ سَعَادَ رَسُولًا غَيْرَ مَشْهُمٍ .: وَصِيفَةً فَآتَتْ إِثْيَانَ مُنْكَسِرٍ

وقبل الشاهد :

أَهْلًا بِطَيْفِكَ يَا سَعْدَى الْعُلَمِ بِنَا .: طَيْفٌ يَسِيرٌ بِلَا نَجْمٍ وَلَا عِلْمٍ  
أَنْتِ الضَّجِيعُ إِذَا مَا نَيْتُ فِي حُلِيِّ .: وَالنَّجْمُ أَنْتِ إِذَا مَا الْقَيْنُ لَمْ تَتَمَّ  
مَا أَكْذَبَ الْقَيْنَ وَالْأَحْلَامَ قَاطِبَةً .: أَصَارِقُ مَرَّةً فِي وَهْلِهَا حُلِيِّ

وبعد ها الشاهد وبعده :

أَنْعَمْتَ نَعْمَى عَلَيْنَا لَسْتَ أَنْكَرَهَا .: حَتَّى أُغَيَّبَ فِي مَلْحُودَةِ الرَّجْمِ (٣) (٤)

ومعنى الشاهد : طلب الشاعر من محبوبته أن تحببه إلى مطلبه بنعم ، فأجابته

بعسى ، ورضي هو بهذا الجواب ؛ لما فيه من الأمل والرجاء الذي قد يوصله إلى  
منشوده .

ولقد استشهد الشيخ بهذه الأبيات الثلاثة ؛ ليثبت أن اللفظ المستعار إنما  
يحسن بحسب موضعه ، وموقعه في الجملة ، فكلمة " جسر " لها مذاقها وطعمها

=== ابن المعتز أنه أغزل من أبي نواس ، توفي ربيعة الرقي : (١٩٨ هـ) / :  
انظر ترجمته :

طبقات ابن المعتز : ١٥٢-١٧٠ ، الأغاني : ١٦ / ٢٥٤ -

٢٦٥ ، نكت الهميان : ١٥١-١٥٢ ، خزانة البغدادي - دار صادر -

٣ / ٥٥-٥٦ ، الأعلام : ٣ / ١٦ .

(١) رواية طبقات ابن المعتز للبيت :

قولِي نَعَمْ إِنَّهَا إِنْ قُلْتِ نَافِعَةٌ .: لَيْسَتْ عَسَى وَعَسَى صَبْرٌ إِلَى نَعَسٍ  
وعليها فلا شاهد .

(٢) انظر البيت في :

ديوانه : ٩٢ ، طبقات ابن المعتز : ١٦٧ .

(٣) الرّجْم : القبر . / المصباح المنير : ١ / ٢٣٧ .

(٤) الأبيات نقلًا عن : ديوانه ، طبقات ابن المعتز : ١٦٧ .

الخاص في كل بيت من هذه الأبيات الثلاثة. قال الشيخ :

" ومن سر هذا الباب ، أنك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت فسي  
عدة مواضع ، ثم ترى لها في بعض ذلك ملاحظة لا تجدها في الباقي ،  
مثال ذلك أنك تنظر إلى لفظة " الجسر " في قول أبي تمام :

لَا يَطْمَعُ التَّمْرُ أَنْ يَجْتَابَ لُجَّتَهُ . . . يَا قَوْلَ مَالَمُ يَكُنْ جِسْرًا لَهُ الْعَمَلُ

وقوله :

بَصُرْتَ بِالرَّاحَةِ الْعُظْمَى فَلَمْ تَرَهَا . . . تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَسِبِ

فترى لها في الثاني حسنا لا تراه في الأول ، ثم تنظر إليها في قول ربيعة  
الرقبي :

قَوْلِي نَعَمْ ، وَنَعَمْ إِنْ قُلْتِ وَاجِبَةً . . . قَالَتْ عَسَى وَعَسَى جِسْرٌ إِلَى نَعَمْ

فترى لها لطفًا، وخلاصةً، وحسنًا ليس الفضل فيه بقليل (١)

فالشيخ عبد القاهر فضل كلمة " جسر " في بيت ربيعة الرقبي " وَعَسَى جِسْرٌ  
إِلَى نَعَمْ " وأثنى عليها، واستلطفها، واستحسنها، ورأى أن لفظة " جسر " في بيت  
أبي تمام الثاني " فَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَسِبِ " في الدرجة الثانية من  
الحسن ، وببسته الأول " مَالَمُ يَكُنْ جِسْرًا لَهُ الْعَمَلُ " في الدرجة الثالثة .

ولكن الشيخ لم يعلل سبب هذا التفضيل ووجهه ، وكأنه ترك للقارئ حريصة  
التدقيق، وذلك لما تحمله هذه الكلمة - بحسب موقعها - من معانٍ تتوقف على  
الإحساس الشخصي لكل متذوق .

واللغة لا تكاد تسعف لوضع الفروق الدقيقة ، ولكن يمكن أن أقول : أن الصورة  
التي جاءت فيها كلمة " جسر " في بيت أبي تمام الأول قريبة من صورة الجسر  
الحقيقية حيث جاء بصورة الاجتياح واللجة فأصبحت بذلك قريبة متناولة لا جيدة  
فيها ولا غريبة .

ولعلمها حسنت في بيته الثاني؛ لأنه أبعد الصورة قليلا عن صورتها الحقيقية ،  
فجعل التعب جسرا إلى الراحة ، ولم يأت بقرائن تفضح الصورة مباشرة أمام العقل  
وتكشفها ، فتذهب حلاوتها ورونقها .

ولعلمها ازادات دقة ولطافة في بيت ربيعة الرقي ؛ لأنه أغرب فيها وأبعدها  
عن صورتها الحقيقية فجعل الجسر هنا يربط بين معاني نفسية عاطفية ، فالشاعر  
ابتدأ البيت بفعل أمر - " قلبي نعم " - يحمل معنى الرجاء والاستعطاف أن تجيبه  
محبوبته " بنعم " لما يطلبه منها ، وبعد هذا الاستعطاف توقع الشاعر أن يجد  
ما طلب إلا أن صاحبه استطاعت أن تعبث بعواطفه تنشد من ذلك تشويقه وتحريك  
شاعره ، فجاء جوابها يلغى نوع من الغموض ، فهي لم تجب بنعم ، ولم تجب " بلا " ،  
ولكنها أجابته « بعسى » ، وعسى هذه بعثت في نفسه الأمل ، فهي لا تعني الرفض  
التام ، وإنما هي طريق إلى الرضى ، وإلى نعم ، فكأنما أرادت بهذا الأسلوب  
أن تلمح له بكل عواطفها وشاعرها قبل أن تنطق بالرضى ، فحملت كلمة جسر كثيرا  
من المعاني النفسية ، والعاطفية ، وحاطتها بسياج من الغموض والتلميح ؛ لأن التلميح  
في هذا الموقف أشد وقعا في النفس من التصريح .

وكثيرا ما كان الشعراء المتيمون يجدون في هذا العطاء القليل السلوى والراحة .  
انظر إلى قول جميل بن معمر الذي يفسر لنا معنى الجسر في قول ربيعة الرقي :  
وَأَيْتِي لِرَاضٍ مِنْ بَيْتِيَّةٍ يَالْمُنَى . . . لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَرَّتْ بِلَابِلُوسِهِ  
يَلَا وَيَالَا أَسْتَطِيعُ وَيَالْمُنَى . . . وَيَالْوَعْدِ حَتَّى يَسْأَمَ الْوَعْدَ آمِلُوسِهِ  
وَبِالْنَظَرَةِ الْعَجَلَى وَيَالْحَوْلِ تَنْقِضِي . . . أَوْ آخِرُهُ لَا تَلْتَقِي وَأُوَائِلُوسِهِ ( ١ )  
ومن أسرار لطف كلمة جسر في بيت ربيعة الرقي أن كلمة " جسر " فيه قد  
وصلت بين المعنيين " عسى ونعم " مباشرة فأوحت للخيال بمعنى سرعة الوصول ،

( ١ ) شرح ديوان جميل بثينة : ٥٨ ، ويروى الشطر الثاني من البيت الثاني :  
" وَيَالْأَمَلِ الْمَرْجُو قَدْ خَابَ آمِلُهُ " .

أما في البيتين السابقين فقد فصل بين لفظة " جسر " وبين المعنيين اللذين تربطهما بعدة ألفاظ ، فأفقدنا هذا الفصل ذلك الإيحاء الخيالي اللطيف .

ومن الملاحظ في تعليق الشيخ أنه جعل كلمة " جسر " في الأبيات الثلاثة استعارة ، وهي عند المتأخرين تشبيه ، فقد اختلفت الآراء في موضوع التشبيه المضر الأداة ، فذهب أكثر علماء البيان المتأخرين إلى أنه تشبيه ، وذهب فريق آخر إلى القول بأنه استعارة ، وينوؤ رأيهم على أن الاستعارة ليست لها آلة ، والتشبيه له آلة ، فما كانت فيه آلة ظاهرة ، فهو تشبيه ، وما لم تكن فيه ظاهرة فهو استعارة (١) .

وقد حدد الشيخ عبد القاهر الفرق بين هذين الضربين ، فذكر أنه إن كان المشبه مذكوراً ، أو مقدرًا ، وكان المشبه به خبرًا ، أو في حكم الخبر ، كخبر " كان " و " إن " ، والمفعول الثاني لباب " علمت " ، فالوجه أن يسمى تشبيهاً ، ولا يسمى استعارة ، لأن الاسم إذا وقع هذه المواقع كان الكلام موضوعاً لإثبات معناه لما يعتمد عليه ، أو نفيه عنه .

ثم زاد الشيخ في تحديد الفرق ، فذهب إلى أن ما كان التركيب فيه يقبل دخول كل أدوات التشبيه كأن يكون المشبه به معرفة ، كان الأسلوب أقرب إلى التشبيه ، وأبعد عن الاستعارة .

وإن حسن دخول بعضها دون بعض كأن يكون نكرة غير موصوفة ، فإنه لا يحسن دخول كل الأدوات عليها كان أقرب للاستعارة ، وإن لم يحسن دخول شيء منها إلا بتغيير صورة الكلام كان إطلاق الاستعارة أقرب لغموض تقدير أداة التشبيه فيه . وإن أبي المعنى دخول أدوات التشبيه امتنع أن يطلق على الأسلوب لفظ التشبيه . كقول البحراني :

(٢)  
وَيَنْدَرُ أَضَاءَ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا . . . وَمَوْضِعَ رَجُلِي مِنْهُ أَسْوَدٌ مُظْلِمٌ

(١) الطراز : ١ / ٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٢) ديوانه : ١ / ٨٠ .

فإن رُجِعَ إلى التشبيه ، وجعل المعنى ، هو كالبدر لزِم وصف البدر المعروف  
بصفات ليست فيه ، ومن هنا ظهر أنه أراد أن يثبت للممدوح صفة مبنية على  
التخييل ، فزاد في جنس البدر واحداً له تلك الصفة ، فالكلام موضوع ليس لإثبات  
الشبه بينهما ، ولكن لإثبات تلك الصفة (١) .

الشاهد الخامس والعشرون : ( \* ) ( الطويل )

قول امرئ القيس : ( ٢ )

فقلت له لما تَطَيَّ بِصُلْبِهِ (٤) . وَأَرَدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً يَكْلِكُلُ (٦) (٧) (٨)

( ١ ) الأسرار : - هـ ، ريتز - : ٣٠٢/٢ - ٣٠٨ ، الإيضاح : ٤٠٩/٢ - ٤١٢ .

( \* ) الدلائل ، رضا : ٦٢ ، خفاجي : ١٢١ ، شاکر : ٧٩ .  
( ٢ ) هو حندج ( وقيل مليكة وقيل عدي ) بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر أكل

المُرَّار ، وامرؤ القيس لقبه وبه شهر ، ولقب بالملك الضليل ، وذو القروح ، وكنيته  
أبو زيد ، وأبو وهب ، وأبو الحارث ، وذو القروح ، يمانى الأصل ، مولده بنجد  
أ وبخلاف السكاسك باليمن ، كان أبوه ملك أسد وخطفان ، وأمه أخت  
المهلهل الشاعر ، فلقنه المهلهل الشعر فقال له وهو غلام ، وكان يعاشر صعاليك  
العرب ، وظل يشيب ويلهبو حتى بلغه نبأ مقتل والده ، فثار على بني أسد طالباً  
ثأر أبيه ، مات في أنقره بقروح ظهرت في جسمه . / انظر ترجمته : الشعر والشعراء :

١ / ١١١ - ١٤٢ ، الأغاني : ٧٧/٩ - ١٠٧ ، جمهرة أنساب العرب :

١٩١ - ١٩٣ - ١٩٦ - ٤٠٣ - ٤٢٧ ، تهذيب ابن عساکر : ١٠٧/٣ - ١١٠ ، شرح شواهد

المفني : ٩٢/١ - ٩٣ ، خزائن البغدادي : ١٦٠ / ١ ، ٦٠٩/٣ - ٦١٢ ، الأعلام :

( ٣ ) مَطَّ الشَّيْءُ ، يَمَطُّهُ مَطًّا : مَسَدَهُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّمْطِيُّ مَأْخُذًا مِنَ الْمَطِّ ، وَهُوَ  
الظَّهْرُ ، فَيَكُونُ التَّمْطِيُّ مَدَّ الظَّهْرِ / شرح الزوزني : ٥٨ ، اللسان : " مَطَّ " :

( ٤ ) رواية الديوان وشرح الجمل للزجاجي ، والعمدة : " لما تَطَيَّ بِجُوزِهِ " .

( ٥ ) عَجَزَ الشَّيْءُ ، وَعَجَزَهُ ، وَعَجَزَهُ وَعَجَزَهُ : آخِرُهُ ، يَذْكَرُ وَيؤنثُ ، وَالْعَجَزُ : مَا بَعْدَ  
الظَّهْرِ مِنْهُ / اللسان " عَجَزَ " : ٣٧٠ / ٥ .

( ٦ ) نَاءٌ فِي " نِيَاءٍ " بِمَعْنَى بَعْدَ ، نَاءُ الرَّجُلِ مِثْلُ نَاعٍ ، كُنَائِيٌّ مَقْلُوبٌ مِنْهُ : إِذَا بَعُدَ

وَنَاءٌ مِنْ " نَوَاءٍ " بِمَعْنَى ثَقُلَ / اللسان : " نِيَاءٌ " " نَوَاءٌ " : ١ / ١٧٤ - ١٧٨ .

( ٧ ) الكلكل : الصدر ، والجمع كلاكل / شرح الزوزني : ٥٩ .

( ٨ ) ديوانه شرح حسن السند وبني : ١٥١ - ١٥٢ ، البديع لابن المعتز : ٧ ، =====

والبيت من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

قَفَانَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزِلٍ . : . يَسْقُطُ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْلِ  
فَتَوْضَحَ فَالْمِقْرَاءَ لَمْ يَعْفُ رَسْمَهَا . : . لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ

وقبل الشاهد :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدَّوْلَهُ . : . عَلَى بِأَنْوَاعِ الْهَمُومِ لِيَتَنَلِّي

وبعد الشاهد وبعده :

أَلَا أَيَّتُهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي . : . يَصْبِحُ وَمَا الْإِصْبَاحُ فِيكَ بِأَمْثَلِ (٢)  
فِيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ كَانَ نَجُومَتُهُ . : . يَكَلُّ مَقَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ يَبْذُبُلِ  
كَأَنَّ الثَّرِيًّا عُلِّقَتْ فِي مَصَابِيهَا . : . بِأَمْزَاسِ كِتَانٍ إِلَى صَمِّ جَنْسَدَلِ (٣)

استشهد الإمام بهذا البيت على أن ما يزيد الاستعارة حسنا وشرقا أن يجمع الشاعر بين عدة استعارات قصداً إلى أن يلحق الشكل بالشكل ليمعنى والشبه . قال :

" وما هو أصل في شرف الاستعارة أن ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات ، قصداً إلى أن يلحق الشكل بالشكل ، وأن يُتِمَّ المعنى والشَّبه "

==== رسائل ابن المعتز : ٤٠ ، نقد الشعر : ١٧٧ ، الموازنة : ٢٣٤ ، الموشح :  
٢٩-٣١ ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " بيان إعجاز القرآن " للخطابي :  
٦٢ ، المنصف في نقد الشعر : ٥٣ ، الصناعتين : ٣١١ ، إعجاز القرآن  
للباقلاني : ٧١ ، العمدة : ١ / ٢٧٦ ، سر الفصاحة : ١١٢ ، حماسة  
ابن الشجري : ٢١٦ ، الإفصاح : ٢٣٤ ، نثار الأزهار : ١٥ ، المثل  
السائر : ٢ / ١٠٩ ، شرح جمل الزجاجي : ١ / ٢٢٨ ، الإيضاح : ٢٦٧ / ٢  
شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : شاهد رقم ١٤٦ ، شرح  
شواهد المغني : ٢ / ٥٧٤

(١) سيأتي شرح هذه المواضع في موضعها : ص

(٢) رواية شرح المعلقات للزوزني : " منك " .

(٣) ويروى " مصابها " وكلاهما بمعنى موضعها /

ديوانه شرح السندوبي : ١٥٢ .



فيما يريد ، مثاله قول امرئ القيس :

فَقَلَّتْ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ . . . وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكَلْكَلِ

لما جعل الليل صلباً قد تمطى به ، شتى ذلك فجعل له أعجازاً قد

أردف بها الصلب ، وثلاث فجعل له كلكلاً قد ناء به ، فاستوفى له جملة

أركان الشخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده ، إذا نظر قدّامه ، وإذا

نظر إلى خلفه ، وإذا رفع البصر ومدّه في عرض الجوّ (١) .

هذه الأبيات تكشف عن نفسية امرئ القيس المليئة بالهموم العظيمة ، والآلام  
الجسيمة ، حتى أصبح يرى كل شيء حوله ثقيلًا طويلًا بطيئًا ، ومن ثمّ سقى خياله  
بهذه النفسية المتناقضة ، فولدت لنا صوراً تعكس هذا الثقل ، حيث نكر لفظ  
" ليل " للتعظيم من شأنه ، لأن الليل هو السبب في زيادة همومه وتضاعفها ،  
ثم شبهه بالموج في تلاطمه وكثافته ، وهذا التشبيه يكشف عن دخيلته المضطربة  
التي تتلاطم في جوانبها الهموم تتلاطم أمواج البحر ، وأن روحه مظلمة كظلمة هذا  
الليل .

ولما طال الليل ، وأسرف في الامتداد ، وناءت أواظده ، وازدادت أواخره  
طولاً ، تصوّر الشاعر أن له صلباً وأعجازاً وكلكلاً ، فجمع له بذلك جميع الأوصاف  
الدالة على طوله وامتداده .

وعند ما رأى أن طوله قد ازداد ، وثقله قد تحكّم في النفس لم يرمّ ملاذاً من ضيقه ،  
وتبدد بعض كآبته إلا أن يتجرأ على مخاطبة الليل ، ويتخطى حواجز الرهبة  
والخوف ، فبدأ مخاطبته بأداة التثنية " ألا " لتثنيه الليل ولغته إلى أنه سيعلم  
له عن حقيقة طالما خفيت عليه ، وهي تبرمه الشديد وضيقه العظيم به على عكس  
ما يراه الناس في الليل من الراحة والطمأنينة .

( ١ ) الدلائل ، رضا : ٦٢-٦٣ ، خفاجي : ١٢١ ، شاعر : ٧٩ .

ثم جاء بياء النداء لجزره عن هذا الامتداد ، ثم وصفه بأنه طويل لتأكيد هذه الصفة فيه ، وأنها متمكنة منه لازمة له .

ويبلغ به التبرم والضيق كل مبلغ ، فيصرخ آمراً الليل أمر تمن ، بالانجلاء والانكشاف " ألا انجل بصبح " حيث توهم أن في إشراقة الصباح تبديد همهم وزوال كربه ، ولكن لشدة حزنه وألمه يضرب عن قوله وطلبه بالانكشاف ، ويعود إلى التحسر والتألم ، لأنه اكتشف أن نهاره كليله في اجتماع المهموم وتراكم الأحزان ، فليس أحدهما بخير من الآخر .

وهذا البيت مشهور في كتب الأدب والبلاغة ، فقد أورده ابن المعتز في " باب الاستعارة " فقال :

" ومن الاستعارة قول امرئ القيس ( من الطويل ) :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مَرَّحٍ سُدَّ وَهْ . . . تَطَى بِأَنْوَاعِ الْهَمُومِ لِيَتَلَسَّى  
فَقَلَّتْ لَهُ لَمَّا تَطَى بِصُـلْبِهِ . . . وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكَلْكَلِ

هذا كله من الاستعارة ، لأن الليل لاصلب له ولاعجز (١) .

وابن المعتز ألف كتابه في البديع ، وجعل منه الاستعارة ، وبهذا حكم أنها من البديع وهو وصف جودة .

ولكنه أورد البيت في رسائله على أنه مما عيب على امرئ القيس . قال :

" وعيب على امرئ القيس قوله : . . . البيت

فانسلخ البيت الأول بوصف الليل من غير أن يذكر ما قال ، وجعله متعلقاً

بما بعده ، وذلك معيب عندهم (٢) .

كما أورده الآمدي في موازنته ، واستحسن هذه الاستعارة ، ورأى أنها في غاية الحسن والجودة والصحة ، ووجه حسنها أنه وصف أحوال الليل الطويل . قال :

( ١ ) البديع : ٧ .

( ٢ ) رسائل ابن المعتز : ٤٠ .

” وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه ويدانيه ،  
أو يشبهه في بعض أحواله ، أو كان سبباً من أسبابه ، فتكون اللفظة  
المستعارة حينئذ لا ثقة بالشيء الذي استعيرت له ، وملائمة لمعناها ،  
نحو قول امرئ القيس . . . البيت .

وقد عاب امرئ القيس بهذا المعنى من لم يعرف موضوعات المعاني ،  
ولا المجازات ، وهو في غاية الحسن والجودة والصحة ، وهو إنما قصد  
وصف أجزاء الليل الطويل ، فذكر امتداد وسطه ، وتناقل صدره للذهاب  
والانبعاث ، وترادف أعجازه ، وأواخره شيئاً فشيئاً ، وهذا عندي  
منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته ، وذلك أشد ما يكون على  
من يراعيه ويتربص به ، فلما جعل له وسطاً يمتد وأعجازاً رادفة  
للوصل وصدراً متاقلاً في نهوضه حسن أن يستعير للوسط اسم الصلب ،  
وجعله متطياً من أجل امتداده ، لأن تطى وتعد بمنزلة واحسدة ،  
وصلح أن يستعير للصدر اسم الكلكل من أجل نهوضه ، وهذه أقرب  
الاستعارات من الحقيقة ، وأشد ملائمة لمعناها لما استعيرت له ( ١ ) .

وقد أورد النريزاني البيت وذكر أمر المفاضلة التي أجريت بين أبيات امرئ القيس ،  
وبيت النابغة في وصف الليل ، وذكر أن الصولي قد استحسنت أبيات امرئ القيس ،  
فالشعراء قبله قد اتفقوا على أن الهم في الحب يخف عنهم في النهار ، ويزيد  
في الليل ، ولم يشذ عنهم ، ويخالفهم إلا أخذ قههم بالشعر ، والمبتدي ، بالإحسان  
فيه ، أمرؤ القيس ، فإنه بحذقه وحسن طبعه قد جعل الليل والنهار سواء عليه  
في قلقه وهمه وجزعه وغمه فقال :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِ . . . بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ فِيكَ بِأَمْثَلِ

وعلى الرغم من استحسانه لهذين البيتين ذكر أنهما يعابان من وجه آخر، حيث جعل امرؤ القيس البيت الأول متعلقاً بالبيت الثاني ، وهذا عيب عند الحنذاق بنقد الشعر ؛ لأن خير الشعر ما لم يحتج بيت منه إلى بيت آخر قال :

” وأبيات امرئ القيس في وصف الليل أبيات اشتمل الإحسان عليها ، ولا ح الحذق فيها ، وإن الطبع بها ، فما فيها معاب إلا من جهة واحدة عند امراء الكلام والحنذاق بنقد الشعر وتمييزه ، ولولا خوفاً من ظن بعضهم أنني أغفلت ذلك ما ذكرته ، والعيب قوله بعد البيت الذي ذكرته (١) :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَطَّي بِصُلْبِهِ . : وَأَرَدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً يَكَلِّكُ سِلْ

فلم يشرح قوله ” فقلت له ” ما أراد إلا في البيت الثاني ، فصار مضافاً إليه متعلقاً به ، وهذا عيب عندهم ؛ لأن خير الشعر ما لم يحتج بيت منه إلى بيت آخر ، وخير الأبيات ما استغنى بعض أجزائه ببعض إلى وصوله إلى القافية (٢) .

ورأى ابن الأثير أن هذا ليس بعيب ، وهذا ما سنذكره عند عرض رأيه .

وأورد الخطابي هذا البيت في رسالته ” بيان إعجاز القرآن ” عند حديثه عن المعارضة ، وذكر كذلك قصة المفاضلة بين أبيات امرئ القيس التي أورد فيها هذا البيت وبين بيت النابغة :

كَلْبِنِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ . : وَكَلِيلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

وكانت نتيجة المفاضلة أن الحكم بالحسن كان لبيت امرئ القيس لما فيه من

ثقافة الصنعة وحسن التشبيه ، وإبداع المعاني . قال :

” وقد روي لنا أن الوليد بن عبد الملك ، وأخاه مسلمة تنازعا ذكر الليل وطوله ، ففضل الوليد أبيات النابغة في وصف الليل ، وفضل مسلمة أبيات امرئ القيس ، فحكما الشعبي بينهما ، فقال الشعبي : تنشد الأبيات وأسرع ، فأنشد للنابغة :

(١) يقصد قوله : ” وليل كموج البحر أرخى سدوله . . . ” .

(٢) الموشح : ٣١ .

كَلَيْبِنِي لِهَمِّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ . . . وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيٍّ وَالْكَوَاكِبِ  
تَطَاوُلَ حَتَّى قَلْتُ لَيْسَ يَمُنَّقِضِي . . . وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ يَأْسِبِ  
وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبٍ هَمِّهِ . . . تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

ثم أنشد لامري، القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرَخَى سُدُودَهُ . . . عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَتَنَظَّرِي  
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى يَصُصِّلِبِهِ . . . وَأَزْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً يَكَلْكَلِ  
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِ . . . بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ  
فِيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجُومًا هَمُّهُ . . . يَكَلُّ مَغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيذُبَلِ

قال فركض الوليد برجله ، فقال الشعبي : بانث القضية

قلت : افتتاح النابغة قصيدته بقوله :

كَلَيْبِنِي لِهَمِّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ

متناه في الحسن ، بليغ في وصف ماشكاه من همه وطول ليله ، ويقال إنه لم  
يبتدئ شاعر قصيدة بأحسن من هذا الكلام . وقوله :

وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبٍ هَمِّهِ

مستعارٌ من إراحة الراعي الإبل إلى مباتها ، وهو كلام مطبوع سهل يجمع  
البلاغة والعدوثة ، إلا أن في أبيات امرئ القيس من ثقافة الصنعة وحسن  
التشبيه ، وإبداع المعاني ما ليس في أبيات النابغة ، إذ جعل لليل  
صلياً وأعجازاً وكللاً ، وشبه تراكم ظلمة الليل بموج البحر في تلاطمه  
عند ركوب بعضه بعضاً حالاً على حال ، وجعل النجوم كأنها مشدودة  
بحبال وثيقة فهي راكدة لا تزول ولا تبح ، ثم لم يقتصر على ما وصف من  
هذه الأمور حتى عطلها بالبلوى ، ونبه فيها على المعنى ، وجعل يتمنى  
تصرم الليل بعود الصبح لما يرجو فيه من الروح ، ثم ارتجع ما أعطى  
واستدرك ما كان قدسه وأمضاه ، فزعم أن البلوى أعظم من أن يكون لها  
في شيء من الأوقات كشف وانجلاء ، والمحنة فيها أغلظ من أن يوجد  
لدائها في حال من الأحوال دواء وشفاء ، وهذه الأمور لا يتفق مجموعها

في اليسير من الكلام إلا لمثله من المبرزين في الشعر الحائزين فيه  
 قصب السبق ، ولأجل ذلك كان يركض الوليد برجله إذ لم يتمالك أن  
 يعترف له بفضله (١) :

وذكر أبو هلال العسكري قول أمريء القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مَرَّحٌ سُدُّ وَلَهُ . : عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهَمُومِ لِيُنْتَظِرِي

في باب التشبيه في فصل " حد التشبيه وما يستحسن من منشور الكلام  
 ومنظومه ، وذكر أنه من التشبيه الذي يتضمن معنى اللون وحده ، (٢) وعلق عليه  
 تعليقا بسيطا قال فيه :

" وفي هذا معنى - الهول - أيضا (٣) "

أما بيت الشاهد فقد ذكره في " الاستعارة والمجاز " ولم يعلق عليه ، واكتفى  
 بقوله :

" فأما الاستعارة من أشعار المتقدمين ، فمثل قول أمريء القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مَرَّحٌ سُدُّ وَلَهُ . : عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهَمُومِ لِيُنْتَظِرِي  
 فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَطَيَّبْتُ بِصُلبِهِ . : وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكَلْكَلٍ (٤)

ولقد استلح الباقلاني هذه الاستعارة ، وذكرها في فصل " ذكر البديع  
 من الكلام " وفي هذا الموضع لم يبين وجه الملاحظة فيها قال :

" . . . ومن ذلك قول أمريء القيس :

" وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرخَى سُدُّ وَلَهُ "

وذلك من الاستعارة المليحة (٥)

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، رسالة الخطابي : ٦٢-٦٣ .

(٢) الصناعتين : ٢٦٩ .

(٣) المصدر السابق : ٢٧٠ .

(٤) المصدر السابق : ٣١١ .

(٥) إعجاز القرآن : ٧١ .

وقال أيضا :

" ومن البديع في " الاستعارة قول أمريء القيس :

وَلَيْلُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ ...  
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى ...

هذه كلها استعارات أتى بها في ذكر طول الليل (١)

وفي موضع آخر من كتابه ذكر أمر المفاضلة التي أجريت بين أبيات أمريء القيس وأبيات النابغة - وقد سبق ذكرها - ويبدو أنه استحسّن الحكم الذي انتهت به المفاضلة ، قال :

" ... وقد جرى ذلك بين يدي بعض الخلفاء ، فقدمت أبيات أمريء القيس ، واستحسنّت استعاراتها ، وقد جعل لليل صدراً يثقل تنحيه ، ويبطئ تقضيه ، وجعل له أروافاً كثيرة ، وجعل له صلباً يمتد ويتطاول ، ورأوا هذا بخلاف ما يستعيره أبو تمام من الاستعارات الوحشية البعيدة المستتكرة ، ورأوا الألفاظ جميلة ، وأعلم أن هذا صالح جميل ، وليس من الباب الذي يقال : إنه متناه عجيب وفيه إلمام بالتكلف ودخول في العمل (٢) .

ويلاحظ من عبارة الباقلاني الأخيرة أنه على الرغم من استحسانه لأبيات أمريء القيس لا يراها متناهية في الحسن ، فهو يحاول التهوين والتقليل من شأن معلقة أمريء القيس ، وما استحسّن من أبياتها قصداً إلى بيان أنها وإن كانت مسن مختار الشعر إلا أنه يعتورها من الفتور والخلل ما يعتور الكلام كله ، والمستجسّد منها ليس ما يقطع الأطماع وإنما هو شبيء قريب يتزاحمون عليه ، ويدرك اللاحسق فيه شأ والسابق ، والقرآن الكريم لا تجد فيه شيئاً من الفتور ، ولا تجد فيه شيئاً مطعماً ، وبذلك تكون قد بانّت القضية .

(١) إعجاز القرآن : ٧٤ .

(٢) المصدر السابق : ١٨١ .

وهذا تفكير مستقيم واستدلال جيد ، وكان تحقيقه ممكناً دون حاجة إلى الميل على الشعر ، ولكن الباقلاني جنف ومال ، وألح على تكدير صفو الشعر ، وتكلف ، وتعمل ، وتحايل ، وكان ذوقه يغلبه أحياناً فيوقفه قسراً عند المستجاد البارِع (١) ، وذكر ابن رشيقي بيت الشاهد في كتابه " العمدة " في " باب التمثيل " ، ورأى أنه من أناشيد هذا الباب ، ولم يذكر وجه استحسانه لهذه الاستعارة ، وإنما أشار إلى أن ابن وكيع زعم أنها أول استعارة وقعت (٢) .

أما ابن سنان الخفاجي ، فقد عارض القائلين باستحسان هذه الاستعارة ، ورأى غير رأيهم ، فهي عنده ليست من جيد الاستعارة ولا رديتها ، بل هي في الوسط بينهما ، لأن الاستعارة هنا مبنية على غيرها ، فإنه لما جعل الليل وسطاً وعجزاً استعار له اسم الصَّلب ، وجعله متمطياً من أجل امتداده ، وذكر الكلكل من أجل نهوضه ، وقد قدّم عليها في الحسن قول طفيل الغنوي :

وَجَعَلْتُ كُورِي قَوْقَ نَاجِيَةٍ . . . يَفْتَاتُ شَحْمَ سَفَائِيهَا الرَّحْلُ (٣) (٤) (٥) (٦)

وبيت ذي الرمة :

أَقَامَتْ بِهٖ حَتَّى ذَوَى الْعَوْدِ وَالثَّرَى . . . وَلَفَّ الثَّرِيَّ فِي مَمْلَأَتِي الْفَجْرُ (٧) (٨) (٩) (١٠)

قال ابن سنان في فصل " الكلام في الألفاظ المؤلفة " بعد أن ذكر كلام

الأمدي - وقد سبق ذكره ص :-

- (١) الإعجاز البلاغي - محمد أبو موسى - : ٢٨٤ .
- (٢) ١ / ٢٧٦ . (٣) رواية الديوان : " وَحَمَلَتْ " .
- (٤) " الكور " : بالضم الرَّحْلُ بأداته . / مختار الصحاح : ٥٨٢ .
- (٥) رواية الديوان : " حَمَلَتْ " .
- (٦) ديوانه : ١٠٨ رقم " ٣٢ " .
- (٧) رواية الديوان : " بها " .
- (٨) رواية الديوان : " والتوى " .
- (٩) رواية الديوان : " وساق " .
- (١٠) الديوان : ١ / ٥٦١ .



"... وهذا الذي قاله أبو القاسم لا أرضى به غاية الرضى ، ولو كنت  
أسكن إلى تقليد أحد من العلماء بهذه الصناعة، أو أجنح إلى اتباع  
مذهبه من غير نظر وتأمل لم أعدل عما يقوله أبو القاسم ، لصحة فكره ،  
وسلامة نظره ، ووصفاء ذهنه ، وسعة علمه ، لكنني أغلب الحق عليه ، ولا أتبع  
المهوى فيما يذهب إليه ، وبيت آمري ، والقيس عندي ليس من جيد الاستعارة  
ولا ردئها ، بل هو من الوسط بينهما ، وبيتا الغنوي وذو الرمة أحمد في  
الاستعارة ، وأشبه بالمدح الصحيح منها ، وإنما قلت ذلك لأن أبا القاسم  
قد أفصح بأن أمراً القيس لما جعل الليل وسطاً وعجزاً استعار له آسم  
الصلب ، وجعله متمطياً من أجل امتداده ، وذكر الكلكل من أجل نهوضه ،  
فكل هذا إنما يحسن بعضه لأجل بعض ، فذكر الصلب إنما حسن لأجل  
العجز ، والوسط والتطبي لأجل الصلب ، والكلكل لمجموع ذلك ، وهذه  
الاستعارة المبنية على غيرها ، فلذلك لم أر أن أجعلها من أبلغ  
الاستعارات ، وأجدرها بالحمد والوصف ، وكانت استعارة طفيل وذو الرمة  
عندي أوفق وأصح ، لأنها غنية بنفسها ، غير مفتقرة إلى مقدمة جلبتها (١) .

ورأى آبن الأثير أن البيت ليس من قبيل الاستعارة كما رأى السابقون ، بل هو  
من قبيل التشبيه المضر "المقدر" الأداة ، لأن المستعار له مذكور . قال :

" وهذا البيت من التشبيه المضر الأداة ، لأن المستعار له مذكور ،  
وهو الليل ، وطلّى الخطأ في خطبه بالاستعارة ، فإن آبن سنان أخطأ  
في الردّ على الآمدي ، ولم يوفق للصواب (٢) .

وخطأ آبن الأثير آبن سنان في موافقته السابقين وتأسيه بهم في الخط

يبين الاستعارة والتشبيه المقدر الأداة قال :

(١) سر الفصاحة : ١١٢ ، ١١٣ .

(٢) المثل السائر : " مكتبة نهضة مصر " : ١١٠ / ٢ .

« ورأيت أبا محمد عبد الله بن سنان الخفاجي - رحمه الله تعالى - قد خلط الاستعارة بالتشبيه المضر الأداة ، ولم يفرّق بينهما وتأسى في ذلك بغيره من علماء البيان ، كأبي هلال العسكري والفانمي ، وأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي .

على أن أبا القاسم بن بشر الآمدي كان أثبت القوم قديماً في فن الفصاحة والبلاغة ، وكتابه المسمى بـ « الموازنة بين شعر الطائيين » يشهد له بذلك ، وما أظن كيف خفي عليه الفرق بين الاستعارة والتشبيه المضر الأداة (١) .  
وكذلك لم يؤيد ابن الأثير ابن سنان في قوله بأن الاستعارة هنا ليست بالجيدة ولا الرديئة بل هي في الوسط بينهما . قال :

« وأنا أتكلم على ما ذكره ، ولا أضايقه في الاستعارة والتشبيه ، بل أنزل معه على ما رآه من أنه استعارة ، ثم أبيت فساد ما ذهب إليه (٢) .

ثم رد عليه من وجهين :-

الأول : أن في رأيه تناقضا ، لأنه قسم الاستعارة قسمين : قريبا مختاراً ، وبعيداً مطرحاً ، فالقريب المختار ما كان بينه وبين ما استعير له تناسب قوي ، وشبه واضح .

والبعيد المطرح إما أن يكون بعيداً عما استعير له ، أو لأن الاستعارة مبنية على استعارة أخرى ، فإذا كانت الاستعارة المبنية على استعارة أخرى من البعيد المطرح فكيف جعلها هنا وسطاً ؟

والوجه الثاني : أن كلا من الآمدي وابن سنان اتفقا على أن حد الاستعارة هو نقل المعنى من لفظ إلى لفظ بسبب مشاركة بينهما ، فالاستعارة المرضية على هذا الحد هي ما كان فيها مناسبة بين المنقول عنه ،

(١) المثل السائر - مكتبة نهضة مصر - : ١٠٩ / ٢ - ١١٠ .

(٢) المصدر السابق : ٢ / ١١١ .

والمقول إليه ، والاستعارة الرديئة هي ما لم نجد فيها تلك المناسبة ،  
 وعلى ذلك يكون بيت امرئ القيس من الاستعارات المرضية (١) ، لأنه لو لم  
 يكن لليلى صدر أولاً ، ولم يكن له وسط ، وآخر لما حسنت هذه الاستعارة ،  
 ولما كان الأمر كذلك استعار لوسطه صلباً ، وجعله متطياً ، واستعار  
 لصدره المتناقل - أى أوله - كلكلاً ، وجعله ثانياً ، واستعار لآخره عجزاً ،  
 وجعله رادفاً لوسطه ، وكل ذلك من الاستعارات المناسبة .

ورأى ابن الأثير أن الاستعارة المبنية على استعارة أخرى ليست بالأمر القبيح

لورودها في القرآن الكريم في قوله تعالى :

• وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ،  
 فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ (٢) .

ففي هذه الآية ثلاث استعارات يبنى بعضها على بعض :

الأولى : استعارة القرية للأهل .

الثانية : استعارة الذوق للباس .

الثالثة : استعارة اللباس للجوع والخوف (٣) .

(١) بيد وأنه عدها استعارة تشبيهاً مع مذهب ابن سنان ، لأنه في صدر الرد  
 عليه .

(٢) النحل : آية ١١٢ .

(٣) بيد وأن الأمر الأول مجاز بالحذف ، والثاني : هو عند الزمخشري

تجريد للاستعارة ، لأن الإذاعة جرت عند العرب مجرى الحقيقة لشيوعها  
 في البلايا والشدائد ، وما يمس الناس منها ، فيقولون : ذاق فلان البؤس  
 والضر ، وأذاقه العذاب ، شبه ما يدرك من أثر الضر والألم بما يدرك  
 من طعم المر ، والأمر الثالث : هو عند الزمخشري استعارة عقليّة ،  
 لأنه شبهه باللباس - لاشتماله على اللباس - ما غشى الإنسان والتبس به  
 من بعض الحوادث ، وهي عند السكاكي ، استعارة حسية ، لأنه جعل  
 اللباس استعارة لما يلبسه الإنسان عند جوعه وخوفه من امتناع اللون ، وورثته  
 الهيئة . / الكشاف : ٤٣١ / ٢ ؛ المفتاح : ١٦٠ ، الإيضاح : ٤٠٨ / ٢ - ٤٣٢ .

ورأى ابن الأثير أن هذه الاستعارات متناسبة تناسباً لا خفاء فيه ، فكيف

يذم ابن سنان الاستعارة المبنية على استعارة أخرى ؟

وعلى ابن الأثير أنه هذا بأنه لم ينظر إلى الأصل المقيس عليه ، وهو التناسب بين المنقول عنه ، والمنقول إليه بل نظر فقط إلى التقسيم الذي قسمه في القرب أو البعد . ( ١ )

وأورد ابن الأثير البيت - أيضاً - في فصل " التضمين " ، وذكر أن قوماً ذكروا أن التضمين المعيب هو تضمين الإسناد ، وذلك يقع في بيتين من الشعر ، أو فصلين من الكلام المنثور ، على أن يكون الأول مسنداً إلى الثاني ، فلا يقسم الأول بنفسه ، ولا يتم معناه إلا بالثاني ، وهذا ما عده القوم من عيوب الشعر ، فرد على ذلك بقوله :

" وهو عندي غير معيب ، لأنه إن كان سببه أن يعلق البيت الأول على

الثاني ، فليس ذلك بسبب يوجب عيباً ، إذ لا فرق بين البيتين من الشعر

في تعلق أحدهما بالآخر ، والفقرتين من الكلام المنثور في تعلق إحداهما

بالأخرى ، لأن الشعر هو كل لفظ موزون مقفى دل على معنى ، والكلام

المسجوع هو كل لفظ مقفى دل على معنى ، فالفرق بينهما يقع في الوزن لا غير ( ٢ )

يبدو لي أن اعتراض ابن الأثير على ابن سنان في خلطه بين التشبيه والاستعارة

لا وجه له ؛ لأنه لا تشبيه في البيت ، فوجود المشبه في " له " ليس على صورة من

صور التشبيه الاصطلاحي .

ففي البيت ثلاث استعارات مكنية :

- ١- استعارة الجمل لليل .
- ٢- استعارة الكللك لأواطل الليل .
- ٣- استعارة الأعجاز لأواخره .

( ١ ) المثل السائر - مكتبة نهضة مصر - : ١١٢ / ٢ - ١١٥ .

( ٢ ) المصدر السابق : ٣ / ٢٠٢ .

واستشهد القزويني<sup>(١)</sup>، وابن السبكي<sup>(٢)</sup> ببيت الشاهد على نفس الموضع الذي  
استشهد به الشيخ .

واستشهد به ابن عصفور في شرح جبل الزجاجي على أن " الواو " العاطفة  
في البيت جاءت للجمع بين شئيين من غير ترتيب ، ولا مهلة ، ولو كانت للترتيب  
لقدم الكلل ، وهو الصدر ، ثم الجوز وهو الوسط ، ثم الأعجاز وهي المؤخرة<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) الإيضاح : ٢ / ٤٢٦ .

( ٢ ) شرح التلخيص : ٤ / ٩١ .

( ٣ ) شرح جبل الزجاجي : ١ / ٢٢٨ .

يرى الإمام عبد القاهر أن للنظم شأنًا عظيمًا ، فلا فضل ولا قدر للكلام إلا بمعرفة طريقة نظمه ، وأسباب هذا النظم وعلته . قال :

" واعلم أن ههنا أسراراً ودقائق ، لا يمكن بيانها إلا بعد أن تُقدّم جملة من القول في " النظم " وفي تفسيره والمراد منه ، وأي شيء هو؟ وما محصله ، ومحصول الغضيلة فيه ؟ فينبغي لنا أن نأخذ في ذكره وبيان أمره وبيان المزية التي تدعى له من أين تأتيه ؟ وكيف تعريض فيه ؟ وما أسباب ذلك وعلله ؟ وما الموجب له ؟ (١) .

ثم ذكر الشيخ بأن هناك طمأء من سبقوه أو عاصروه ، قد أجمعوا على شرف النظم وعلو شأنه . قال :

" وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن " النظم " وتخيم قدره ، والتنويه بذكره ، وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه ، ولا قدر للكلام إذا هولم يستقم له ، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ ، ويتَّهم الحكم بأنه الذي لا تمام دونه ، ولا قوام إلا به ، وأنه القطب الذي عليه المدار ، والعمود الذي به الاستقلال (٢) .

فعبارة هذه تصرّح بأن واضح نظرية النظم ليس هو وحده ، لأن أمر النظم وأهميته مسألة معروفة في عصره وقبل عصره ، وإنما اعتبر واضعاً لها ، لأنه فصل أبوابها ومسائلها ، وبين أسرارها ومدخلها .

وبعد هذا التصريح بأن النظم أمر مطروق ، شرع الشيخ في تعريف معني النظم وتحديداه فقال :

(١) الدلائل ، رضا : ٦٣ ، خفاجي : ١٢١ - ١٢٢ ، شاکر : ٨٠ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٦٣ ، خفاجي : ١٢٢ ، شاکر : ٨٠ .

" وأعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو،  
وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تزيغ  
عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تخل بشيئ منها وذلك أنسا  
لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه<sup>(١)</sup>  
ولكي يبرز الشيخ قيمة علم النحو وأثره في النظم شرع في ذكر أبيات قد ساء  
نظمها وفسد تأليفها .

الشاهد السادس والعشرون : ( \* ) ( الطويل )

( ٢ )  
قول الفرزدق :

وَمَا يَنْتَلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلَكًا ( ٣ ) . : أَبَوَاتِهِ حَتَّى أَبَوَهُ يَقَارِسُهُ ( ٤ )

- ( ١ ) الدلائل ، رضا : ٦٤ ، خفاجي : ١٢٢ ، شاکر : ٨٠ .  
( \* ) الدلائل ، رضا : ٦٥ ، خفاجي : ١٢٤ ، شاکر : ٨٣ .  
( ٢ ) هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي الدارمي ( . . . . - ١١٠ هـ ) ،

أبو فراس ، الشهير بالفرزدق ، من نبلاء البصرة ، له أثر عظيم في اللغة  
حتى أنه كان يقال : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، ولولا  
شعره لذهب نصف أخبار الناس ، ويشبه بزهير بن أبي سلمى ، فكلاهما من  
شعراء الطبقة الأولى ، زهير من الجاهليين ، والفرزدق من الإسلاميين ،  
وهو من أصحاب النقائص . / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٤٧٨-٤٨٩ ، طبقات فحول الشعراء : ٢٩٨-٢٩٩ ،  
الأغاني - التراث - : ٣٢٤-٣٤٥ ، ٢١/٢٧٦-٤٠٣ ، معجم الشعراء :  
٤٨٦-٤٨٧ ، الموشح : ٩٢-١٠٧ ، وفيات الأعيان : ٦/٨٦-١٠٠ ، الأعلام :

٠٩٣/٨

( ٣ ) رواية طبقات فحول الشعراء والأغاني : " وَأَصْبَحَ مَا فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلَكًا " .

ورواية تحرير التحبير بالرفع " إِلَّا مَمْلَكًا " .

( ٤ ) لم أجده في ديوانه - طبعة دار صادر -

وذكر الأستاذ عبد السلام هارون في " معجم شواهد العربية " أن البيت  
موجود في ديوانه - تحقيق الصاوي - ص : ١٨٠ ، وأشار إلى أن جامع الديوان  
قد نص على أنه لم يرد في أصول ديوانه .

هذا البيت من الشواهد المشهورة في كتب البلاغة ، ويورده النقاد شاهداً على التعقيد اللفظي ، وسوء التأليف ، وفساد النظم .  
إلا أن ابن سلام ذكر أن الفرزدق كان يداخل في الكلام ، وكان هذا يعجب أصحاب النحو . قال :

" وكان يداخل الكلام ، وكان ذلك يعجب أصحاب النحو من ذلك قوله

يمدح " إبراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك :  
وَأَصْبَحَ مَا فِي النَّاسِ إِلَّا مَلَكًا . : . أَبِوَأُمِّمِ حَتَّى أَبَوَهُ يَقَارِبُهُ ( ١ )

ولم أجد هذا الرأي عند أحد - فيما رجعت إليه من مصادر - إلا عند ابن سلام ، ولا أدري ماذا يقصد بقوله يعجب أصحاب النحو ، ومن أي وجه جاء الإعجاب ؟ .

وكذلك ذكر المرزباني أن بعض المجانين كان يتعصب للفرزدق فسُئل عن أحسن ما قال الفرزدق ، فأنشد البيت وفضله على بيت جرير في الغزل :

====  
وجاء في الخصائص أنه من أبيات الكتاب ، وبحثت في الكتاب ، ولم أجده إلا في إضافات المحقق في الهامش : ١ / ٣٢ .  
انظر البيت في :

طبقات فحول الشعراء : ١ / ٣٦٥ ، المعاني الكبير : ١ / ٥٠٦ ، الكامل للمبرد : ١ / ٢٤ ، الخصائص : ١ / ١٤٦ - ٣٢٩ - ٢ / ٣٩٣ ، عيار الشعر : ٢٧ - ٤٤ ، العقد الفريد : ٦ / ٢٠٦ ، شرح جبل الزجاني : ٢ / ٦٠٧ ، الأغاني : ٢١ / ٣٠٧ ، الوساطة : ٤١٢ - ٤١٦ ، الموشح : ٨٨ - ٩٣ ، الصناعتين : ١٨٠ ، العمدة : ٢ / ٩٦ ، سر الفصاحة : ١٠١ ، الإفصاح : ٨٤ ، المفتاح : ١٧٦ ، المثل السائر : ١ / ٣٩٧ ، ٢ / ٢٢٩ ، تحرير التحبير : ٣ / ٤١٩ ، الإيضاح : شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ورقة ٤ أ ، معاهد التنصيص : ١ / ٤٣ ، شاهد رقم (٧) ، شروح التلخيص : ١ / ١٠٤ - ١٠٥ .

( ١ ) طبقات فحول الشعراء : ١ / ٣٦٤ - ٣٦٥ .



لَوْ أَنَّ عَصْمَ عَمَّا يَتَّيْنِ وَيَذُبُّلِ . . . سَيَقَا حَدِيثِكَ أَنْزَلَ الْأَعْمَالَ (٦)

وذكر ابن جنبي أن قوماً أجازوا هذا الفصل لضرورة الشعر، فرد على ذلك بأن علينا اتباع ما أثر عن العرب في الضرورات، فما أجازته الضرورة لهم جاز لنا، وما حظرت عليهم حظرت علينا، قال في باب :

" هل يجوز لنا في الشعر من الضرورات ما جاز للعرب أولاً " :

" سألت أبا علي رحمه الله عن هذا، فقال : كما جاز أن نقيس منشورنا على

منشورهم، فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم، فما أجازته

الضرورة لهم أجازته لنا، وما حظرت عليهم حظرت علينا، وإذا كان كذلك،

فما كان من أحسن ضروراتهم، فليكن من أحسن ضروراتنا، وما كان ممن

أقبحها عندهم، فليكن من أقبحها عندنا، وما بين ذلك بين ذلك . . .

فأما ما يأتي عن العرب لحناً فلا تعذر في مثله مولداً، فمن ذلك بيت

الكتاب :

وَمَا يَمِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلُكًا . . . أَبُو أُمِّهِ حَيَّ أَبُوهُ يَقَارِبُهُ

ومراد فيه معروف، وهو فيه غير معذور (٧)

وذكر المبرد أن هذا البيت من أقبح الضرورات، وأهجن الألفاظ، وأبعد

المعاني، وتعجب كيف يجتمع هذا البيت في صدر رجل هو القائل :

تَصَرَّمَ مِثِّي وَدُّ بَكْرِبِينَ وَائِئِلِ . . . وَمَا كَادَ مِثِّي وَدُّهُمْ يَتَصَّرَمُ (٨)

(١) العَصْمُ : الوعل لبياض في أيديها . / اللسان " عصم " : ٤٠٥ / ١٢ - ٤٠٦ .

(٢) عمارة جبل بالبحرين ضخم وأراد بعماليتين جبل عمارة وصاحبة / معجم ما استعجم : ٩٦٦ / ٣ / ٢ .

(٣) يذبل : جبل طرف منه لبني عمرو بن كلاب وبقيته لبا هله ويقال له يذبل الجوع

كأنه أبدأ مجذب / معجم ما استعجم : ١٣٩٢ / ٤ / ٢ .

(٤) رواية الديوان : " سمعت " . (٥) رواية الديوان : " أنزل " .

(٦) ديوانه : ٤٥٠ . (٧) الخصائص : ٣٢٣ / ١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

(٨) رواية الديوان : " عني " .

(٩) رواية الديوان : " عني " .

قَوَارِصُ تَأْتِيْنِي وَيَحْتَقِرُوْنَهَا . . . وَقَدْ تَمَلَّأَ الْقَطْرُ الْإِنَاءَ فَيَفْعَمُ (١) (٢)

وهو القائل أيضا :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ . . . لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ (٣) (٤)

وذكر ابن طباطبا بيت الشاهد في " الأبيات المتفاوتة النسيج " ونص على

أنها أبيات مستكرهة الألفاظ، متفاوتة النسيج، قبيحة العبارة. قال :

" فأما هذه الأبيات المستكرهة الألفاظ المتفاوتة النسيج القبيحة العبارة،

التي يجب الاحتراز من مثلها . . . وكقول الفرزدق :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ . . . الْبَيْتِ

فهذا هو الكلام الغث المستكره الغلق . . . فلا تجعلن هذا حجة

ولتجتنب ما أشبهه (٥)

وذكره ابن عياد في " باب مقاطع الشعر ومخارجه " وأشار إلى أنه أساء

النظم ، ولم يحسن التأليف ، وعلق على البيت بقوله :

" فبعد المعنى القريب ، ووعر الطريق السهل ، ولبس المعنى بتوثر اللفظ،

وقبح البنية حتى ما يكاد يفهم (٦)

وأورده القاضي الجرجاني تحت عنوان " دفاع المؤلف عن أبي الطيب "

وذكر أن من يحتل قول الفرزدق - بيت الشاهد - ولم يعمه على هذا المنهج

فهو متعصب ماثل ومتحامل جائر (٧)

(١) رواية الديوان : " الآتي " .

(٢) ديوانه - تحقيق الصاوي - : ٢٥٦/٢ .

(٣) ديوانه - تحقيق الصاوي - : ٤٦٧/٢ .

(٤) الكامل للمبرد : ٢٣-٢٤ ، وقد نقل المرزباني كلام المبرد ولم يشر إلى

ذلك : الموشح : ٩٣ .

(٥) عيار الشعر : ٤٤-٤٧ .

(٦) العقد الفريد : - دار الفكر - : ٢٠٥/٦ .

(٧) الوساطة : ٤١٦ .

وأورده ابن رشيق في " باب الاشتراك " ، ورأى أن البيت معيب مسن  
وجهمين : الأول : من جهة سوء النظم ، والوجه الثاني : من جهة الاشتراك ،  
والاشتراك عنده نوعان :

محمود ، وهو التجنيس ، والنوع الثاني : مذموم وهو أن يكون اللفظ محتلاً  
تأويلين :

أحدهما : يلائم المعنى الذي قيل فيه .

والآخر : لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد .

وجعل مثاله بيت الفرزدق - " الشاهد " - فلفظ " حي " يحتل القبيلة ، ويحتل  
الواحد الحي من سائر الحيوان ( ١ ) .

وكذلك جمع له ابن رشيق ثلاثة عيوب ذكرها في باب : " الوحشي المتكلف  
والركيك المستضعف " .:

الأول : التغيير عن الأغلب كالترقيم والتأخير ، وأصل العبارة : " وَمَا مِثْلُهُ فِي  
النَّاسِ حَتَّى يَقَارِبَهُ إِلَّا مَلَكاً أَبِوَأُمِّهِ أَبُوهُ " .

الثاني : سلوك الطريق الأبعد في قوله : " أَبِوَأُمِّهِ أَبُوهُ " .  
وكان يجزيه أن يقول : " خاله " .

الثالث : الاشتراك في قوله : " حَتَّى يَقَارِبَهُ " ( ٢ ) .

وذكر ابن ناقياً في الإفصاح أن في البيت أربع ضرورات أفسدت البيت وجعلته  
متعسفاً :

أولها : أنه قدم المستثنى على المستثنى منه .

ثانيها : أنه فصل بين الصفة والموصوف بما ليس منهما ، ففصل بلفظ " أبوه " - الذي  
هو خبر لأبي أمه - بين الموصوف " حَتَّى " والصفة " يَقَارِبُهُ " .

( ١ ) العمدة : ٢ / ٩٦ .

( ٢ ) المصدر السابق : ٢ / ٢٦٧ .

وزاد شراح التلخيص أنه فصل أيضاً فصلاً كبيراً بين البدل "حي" والبدل منه " مثله (١) .

وثالثها : أنه فصل بين المبتدأ والخبر بما ليس منهما ، فالمبتدأ " أبو أمّ " والخبر " أبوه " كما تقول : " أبو أم زيد جده " والفاصل " حي " الذي هو خبر الابتداء ، وهو " مثله " أو هو المبتدأ و " مثله " الخبر .

رابعها : أنه تعسف ، فجاء بمثل هذه الألفاظ المتعسفة ليدل على أن هذا المدوح هو خال الخليفة ، ثم ذكر أنه لم يورد أحد قبله تفسير البيت على هذا الوجه (٢) .

وذكر السكاكي هذا البيت في باب " الفصاحة " وأشار إلى أن الفصاحة قسمان : ما يرجع إلى المعنى ، وهو خلوص الكلام من التعقيد ، وراجع إلى اللفظ ، وهو أن تكون الكلمة عربية أصلية دائرة على ألسن فصحاء العرب ، وجارية على قوانين اللغة ، سليمة من التنافر ، والمراد بتعقيد الكلام هو أن يعثر الفكر ، ويتوعر المذهب ، فلا يعلم من أي طريق يتوصل إلى المعنى ، وضرب لذلك مثلاً قول الفرزدق - الشاهد (٣) - وذكره ابن الأثير في المعازلة المعنوية : وهو أن يقدم ما الأولى به التأخير ؛ لأن المعنى يختل بذلك ويضطرب .

فالبيت إذاً شاهد على التعقيد اللفظي ، وهو أن يختل نظم الكلام حتى لا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه ، وشاهد أيضاً على التعقيد المعنوي ، وهو أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني ظاهراً .

فالشاعر هنا أراد أن يبين ويوضح أن مدوحه وصل درجة من الفضائل لا يدانيه فيها أحد من الأحياء إلا شخص واحد له صلة وعلاقة بهذا المدوح ، وهو ابن أخته ،

(١) شروح التلخيص : ١ / ١٠٥ .

(٢) الإفصاح : ٨٤ .

(٣) المفتاح : ١٧٦ .

ولكن الفرزدق سلك في صياغة هذا البيت مسلكاً وِعراً، وأتى به من طريق ملتوٍ غامض لا يمكن إدراك معناه إلا بعد جهد، فهو يكد القريحة، ويجهد الذهن، فأصل العبارة " وَمَا بَثْلُهُ فِي النَّاسِ حَيٌّ يِقَارِبُهُ إِلَّا مَثَلًا أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ أَيُّ أَبْوَامِ الْمَلِكِ مَوْهُوَ هِشَامُ أَبُو هَذَا الْمَدُوحِ ، فَهُوَ خَالُ هِشَامِ .

ورأى الدكتور محمد أبو موسى أن الفرزدق شاعر فحل يعرف طبائع اللغسة، وعوائد التراكيب، والذي أُلجأه إلى هذا الأسلوب رغبته في التهكم بالمدوح ودل على رأيه هذا بأن الفرزدق كان موالياً للعلويين وبيطن العداء لبني أمية، والمدوح من بني أمية. (١)

ومن أمثلة قول الفرزدق في التعقيد قول القائل :

شَرَّ يَوْمِيهَا وَأَغْوَاهُ لَهَا . . . رَكِبَتْ هِنْدٌ بِحَدَجٍ جَمَلًا (٢) (٣)

شر يومئها نصب على الحال، وإنما معناه : ركبت هند جملاً بحدج في شر يومئها. (٤)

الشاهد السابع والعشرون : ( \* ) (الكامل)

قول المتنبّي :

وَلِذَا اسْمٌ أَغْطِيَةَ الْعَيْنِ جَفُونَهَا (٥) . . . مِنْ أَنَّهَا عَمَلُ السَّيْفِ عَوَامِلُ (٦)

- (١) خصائص التراكيب : ٢٦ - ٢٧ .  
 (٢) رواية اللسان : " عَنَزَّ " .  
 (٣) الحدج : مركب ليس برحل ولا هو دج تركبه النساء / اللسان " حدج " :  
 (٤) العقد الفريد - دار الفكر - ٢٠٥ / ٦ ، وانظر البيت في اللسان " حدج " : ٢٣٠ / ٢ .  
 (٥) \* ) الدلائل ، رضا : ٦٦ ، خفاجي : ١٢٤ ، شاكر : ٨٣ .  
 (٥) الجفن : جفن العين ، والجفن أيضاً : غمد السيف /  
 اللسان : " جفن " : ٨٩ / ١٣ ، ويروى جفونها بالنصب على أنها مفعول ثانٍ .  
 (٦) انظر البيت في : ديوانه بشرح العكبري : ٢٥٢ / ٣ ، العرف الطيب : ٢٣٢ / ٤ ،  
 الوساطة : ٨٢ - ٨٩ ، يتيمة الدهر : ١٣٥ / ١ - ١٥٠ ، أنوار الربيع : ١١ / ٦ .

والبيت من قصيدة يمدح بها القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي  
ومطلع القصيدة :

لَكَ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ .: أَفْقَرْتُ أَنْتِ وَهَنَّ يَنْكُ أَوْاهِلُ

وقيل الشاهد :

الرَّيَامِيَّاتُ لَنَا وَهَنَّ نَوَافِرُ (١) .: وَالخَاتِلَاتُ لَنَا وَهَنَّ غَوَافِلُ (٢)

كَافَأْتَنَا عَنْ شِبْهِيهِنَّ مِنَ الْمَهَا .: فَلَمَّهَنَّ فِي غَيْرِ التَّرَابِ حَبَائِلُ

مِنْ طَاعِنِي تُغْفِرُ الرَّجَالِ جَازِرُ (٣) .: وَمِنْ الرَّمَاحِ دَمَالِجُ (٥) وَخَلَاخِلُ (٦)

وبعد هذا الشاهد وبعده :

كَمْ وَقَفَةٍ سَجَرْتِكَ شَوْقًا بَعْدَمَا .: غَرَى الرَّقِيبُ بِنَا وَلَجَّ الْعَازِلُ

الشاهد فيه كسابقه ، وهو فساد النظم ، فقد أراد الشاعر هنا أن يبين تحكّم  
النظرات في نفسه ، وأنها بحدّتها استطاعت اختراق حواجز قلبه ، فلما لاحظ فيها  
هذه الحدة والقوة علل تسمية جفن العين هنا ، بأنه أخذ له من جفن السيف ، وذلك  
لأنهم لاحظوا أن العيون تعمل عمل السيوف في التأثير والقتل .  
قال العكبري :

\* إِنَّمَا سُمِّيَتْ أَغْطِيَةَ الْعَيُونِ جَفُونَهَا ؛ لِأَنَّهَا ضَمِنَتْ أَحْدَاقًا تَعْمَلُ عَمَلُ

السيف (٧) .\*

(١) نوافر: الثغر التفرق ونفرت الناقة نفوراً جزعت وتباعدت / القاموس

المحيط : ( نفر ) : ٢ / ١٥١ .

(٢) الخاتلات : الخادعات ، ختلته يخلطه ختلاً وختلاناً خدعه / القاموس

المحيط : \* ختل \* : ٣ / ٣٧٧ .

(٣) ثغر : جمع ثغرة وهي نقرة النحر التي بين الترقوتين / القاموس المحيط ،

\* ثغرة \* : ١ / ٣٩٧ .

(٤) الجآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقر الوحشية / اللسان \* جذر \* : ٤ / ٢٤٠ .

(٥) الدملج والدملوج : المعضد وهو حلية تجعله المرأة في عضدها وجمعها

دماليج / اللسان : \* دملج \* : ٢ / ٢٧٦ .

(٦) الديوان بشرح العكبري : ٣ / ٢٥١-٢٥٢ .

(٧) المصدر السابق : ٣ / ٢٥٢ .

ولكن هذا المعنى الذي أراد الشاعر أن يوصله إلى النفوس ويقرره في القلوب جاء عن طريق ملتوي يصعب على الذهن اكتشافه بسرعة ، وذلك لأنه قدم معمول خبره إن عليه ، فأصل العبارة " من أنها عوامل عمل السيوف " ولكنه قدم فقـال : " من أنها عمل السيوف عوامل " وهذا التقديم ألبس المعنى غموضاً وتعقيداً .

وذكر الأستاذ عبد الهادي العدل أنه ما زاد البيت تعقيداً أن المشار إليه بقوله : " لذا " فيه خفاء ، لأنه ليس في البيت السابق تصريح بعمل العيون بسبل إن التصريح بعمله كان قبل بيت الشاهد بثلاثة أبيات وهو قوله :

الرَّامِيَاتُ لَنَا وَهَنَّ نَوَافِرُ . . . وَالخَائِلَاتُ لَنَا وَهَنَّ غَوَافِرُ

ولهذا اضطر إلى بيان المشار إليه بقوله :

" من أنها عمل السيوف عوامل " ، فـ " من " الخ . بدل من " لذا " ومبين له ، وهنا أقف وأتساءل ما المانع من أن يكون المشار إليه ما في البيت السابق من أنهن يطعنن شجر الرجال ، ومن أن دمالجهن ، وخلا خلهن بعض الرماح .

وأضاف الشيخ عبد الهادي العدل أن من التعقيد في البيت استعمال الشاعر كلمة " اسم " بمعنى التسمية ، وإضافتها إلى المفعول الأول ، ونصب المفعول الثاني - وهو جفونها - وهذا الاستعمال غير معروف ، ولذلك كان الأولى رفع " جفونها " خبراً لـ " اسم " .

ومن التعقيد أيضاً إضافة جفون إلى الضمير مع أنه لا حاجة إلى هذه الإضافة (١) . وذكر القاضي الجرجاني أن المعنى الذي قصد به المتنبي معنى لطيف حسن

الاستخراج لو ساعده اللفظ ، قال :

" وإن كان قد تغفل إلى معنى لطيف أحسن استخراج له لو ساعده

اللفظ (٢) .

(١) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه والتشليل والتقديم

والتأخير : ١٢٨ - ١٢٩ .

(٢) الوساطة : ٨٩ .

وقد ذم ابن معصوم بيت المتنبى هذا، وشبهه بقطعة الخشب وقارن بينه وبين بيت لسبط ابن التعاويذي<sup>(١)</sup> أخذ معناه من بيت المتنبى - بيت الشاهد - وشبه بيت ابن التعاويذي في حسن سبكه بسبيكة الذهب، قال في "حسن الاتباع" :

" هذا النوع عبارة عن أن يأتي المتكلم إلى معنى لغيره فيحسن اتباعه فيه ، بحيث يستحقه بوجه من الوجوه التي توجب استحقاقه له ، إما بحسن سبك ، أو قصر وزن ، أو تمكن قافية ، أو زيادة وصف ، أو تنميص نقص ، أو تحلية بحلية من البديع يحسن بمثلها النظم ، وتوجب الاستحقاق . . . وقال أبو الطيب :-

وَلَدَا اسْمُ أَغْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونَهَا . : . مِنْ آتَهَا عَمَلِ السُّيُوفِ عَوَامِلُ

وأحسن سبط ابن التعاويذي اتباعه فقال :

بَيْنَ السُّيُوفِ وَعَيْنِيهِ مَشَارِكَةٌ . : . مِنْ أَجْلِهَا قِيلَ لِلْأَعْمَادِ أَجْقَانُ<sup>(٢)</sup>

فانه أخذ المعنى من قطعة خشب، وأودعه في سبيكة ذهب<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن التعاويذي هو أبو محمد المبارك بن المبارك بن علي بن نصر السراج الجوهري الزاهد المشهور ، والتعاويذي نسبة إلى صنع التعاويذ والرقي ، وهو عمل أبيه، وسبطه هو أبو الفتح محمد بن عميد الله - أبو عبد الله - بن عبد الله ، وقد رياه جده ابن التعاويذي ، وكفله صغيراً فنسب إليه ، وكان أبو الفتح كاتباً وشاعراً مجيداً ، قدمه ابن خلكان ، على مائتي شاعر قبله (٥١٩هـ - ٥٨٣هـ أو ٥٨٤هـ) / انظر ترجمته : معجم الأدياء : ١٨ / ٢٣٥ - ٢٥٠ ، عبر الذهبي : ٨٨ / ٣ - ٨٩ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٤٦٦ - ٤٧٣ ، نكت الهميان : ٢٥٩ - ٢٦٣ ، النجوم الزاهرة : ٦ / ١٠٥ - ١٠٦ ، الشذرات : ٤ / ٢٨١ .

(٢) ديوانه : ٤١٣ ، وهو من قصيدة من " البسيط " يمدج بها الناصر لدين الله .

(٣) أنوار الربيع : ٦ / ١١ .



ولقد حَسُنَ بيت سبط ابن التعاويذي؛ لأنه عكس وادّعى أن اسم " الجفون " خاص بأغطية العيون، وأن أغطية السيوف سميت جفونا لأنها شاركت العيون في قتل الرجال .

### الشاهد الثامن والعشرون : ( \* ) ( الكامل )

قول المتنبي :  
الطَّيِّبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طَيْبُهُ . . . وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ ( ٢ )

والبيت من قصيدة المتنبي التي منها الشاهد السابق .

وقبل الشاهد :

وَأَنَا وَحَقِّكَ وَهُوَ غَايَةٌ مَقْسِيْمٌ . . . لِلْحَقِّ أَنْتَ وَمَا سِوَاكَ الْبَاطِلُ

وبعد الشاهد وعده :-

مَا دَا رَفِي الْحَنَكِ اللِّسَانَ وَقَلَّبْتَ . . . قَلَمًا بِأَحْسَنَ مِنْ نَثَاكَ ( ٣ ) أَنَا مِـلُ

على الرغم من عظمة المتنبي الشعرية ، وتفوقه في رسم الصور الخيالية يجنح أحيانا بهذا الخيال ، فيلجأ إلى المبالغة بدون اعتدال ، فيصل إلى حد التلاعب بالمعنى ، فهو في هذا البيت أراد أن يمدح القاضي أبا الفضل أحمد الأنطاكي ،

( \* ) الدلائل ، رضا : ٦٦ ، خفاجي : ١٢٤ ، شاكر : ٨٣ .

( ١ ) يروى الماء بالنصب تارة وبالرفع تارة أخرى ، فرواية النصب على تقدير :

" أنت إذا اغتسلت الغاسل الماء " ، وانتصابه هنا ليس على الغاسل ؛ لأن

الصلة لا تعمل فيما قبل الموصول ، ولكنه منصوب بفعل دل عليه الغاسل

أي وتغسل الماء إذا اغتسلت ، وصار قوله : أنت إذا اغتسلت بدلا منه ،

ودالاً عليه .

ورواية الرفع عطفاً على الطيب . / شرح العكبري : ٢٦١ / ٣ .

( ٢ ) ديوانه بشرح العكبري : ٢٦١ / ٣ ، الوساطة : ٨٩ - ٣٩٠ ، يتيمة الدهر :

١٥٢ / ١ ، تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي : ٢١٦ - ٢١٧ .

( ٣ ) النَّثَا ، مقصور ، مثل النَّثَا إلا أنه في الخير والشر ، والنَّثَا في الخير

خاصة ، ونثا الحديث والخبر تنوياً : حَدَّثَ بِهِ وَأَشَاعَهُ وَأَظْهَرَهُ ،

وَالنَّثَا : مَا أَخْبَرْتَ بِهِ عَنِ الرَّجُلِ مِنْ حَسَنٍ أَوْ سَيِّئٍ / اللسان : " نثا " :

فبالغ في مدحه بأن تعسف في ألفاظه ، فجعله هو الطيب بعينه ، ونفى عمن  
الطيب كل خصائصه إذ عكس الصورة المرسومة في الأذهان ، فادّعى بأن السدي  
يُطَهَّبُ الطيب هو المدوح ، فهو الذي يمد الطيب بالرائحة .

وكذلك المعروف أن الماء هو الذي يغسل ، ولكن المتنبى نزع هذه الصفة  
منه ، وجعلها للمدوح فقال :

أنت الذي يغسل ، ويظهر الماء ، وليس الماء الذي يغسلك .

وبالإضافة إلى هذه المبالغة نرى الشاعر قد فصل بين المبتدأ والخبر ما زاد  
المعنى تعقيداً ، فالطيب مبتدأ ، و " أنت " مبتدأ ثان ، و طيبه خبر " أنت " ،  
وهو على تقدير « الهاء » كأنه قال : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت  
الفاصله إذا اغتسلت (١) .

وذكر العكبري أن بيت المتنبى هذا من قول ابن الجويرية :

تَزِينُ الْحَلَىٰ إِنْ لَيْسَتْ سَلِيمِي . . وَتَحْسَنُ حِينَ تَلْبَسُهَا الثِّيَابُ

وقول الآخر :

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حَسَنَ وَجْوهٍ . . كَانَ لِلدُّرِّ حَسَنٌ وَجْهَكَ زِينًا

وَتَرِيدِينَ أَطِيبَ الطَّيِّبِ طَيْبًا . . أَنْ تَسْبِيهُ أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَنَا (٢)

الشاهد التاسع والعشرون : \* ( الطويل )

قول المتنبى :

وَقَاوُكُنَا كَالرَّبِيعِ أَشْجَاهُ طَائِسُمُهُ . . بِأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ (٣)

(١) شرح العكبري : ٣ / ٢٦١ . (٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(\*) الدلائل ، رضا : ٦٦ ، خفاجي : ١٢٤ ، شاكر ، ٨٣ .

(٢) ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ٣٢٥ ، الخصائص : ٢ / ٤٠٣ ، يتيمة الدهر :

١ / ١٤٦ ، شرح مشكل شعر المتنبى لابن سيده : ١٦٧-١٦٨ ، سمر

الفصاحة : ١٠١ ، الفلك الدائر : ٤ / ١٠١ ، ١٢١-١٢٥ ، مغني اللبيب :

١ / ٥٤١ ، أنوار الربيع : ١ / ٧١ .

والشاهد مطلع قصيدة قالها في مدح سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله الحمداني<sup>(١)</sup>، وهي أول ما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة عند نزوله أنطاكية، ومنصرفه ظافراً بحصن برزويه<sup>(٢)</sup>، وكان جالساً تحت شراع من الدبياج عليها صورة ملك الروم، وصور وحش وحيوان .

ومن الأبيات التي نلت بيت الشاهد :

وَمَا أَنَا إِلَّا عَاشِقٌ كُلُّ عَاشِقٍ . . . أَعَقُّ خَلِيلِيهِ الصَّفِيِّينَ لِأَيْمِهِ  
وَقَدْ يَتَزَيَّأُ بِالْهَوَى غَيْرَ أَهْلِهِ . . . وَيَسْتَصْحِبُ الْإِنْسَانَ مِنْ لَيْلَائِمِهِ

والتعقيد في البيت ناتج عن التقديم والتأخير والفصل فـ " وفاؤكما " مبتدأ، وـ " كالربع " جار ومجرور خبر، والمبتدأ والخبر يؤذنان بتمام الكلام، ولا يجوز أن يتعلق بالمبتدأ بعد الإخبار عنه شيء، فلا يجوز أن تتعلق " الباء " بالوفاء بل تتعلق بفعل يدل عليه الكلام، وكأنه لما ذكر المصدر، وقال :

" وفاؤكما " قال : ووفيتما بأن تسعدا .

وتقدير الكلام : " وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاه طاسمه<sup>(٣)</sup>

قال ابن سنان :

" فَمِنْ وَضَعِ الْأَلْفَاظِ مَوْضِعَهَا إِلَّا يَكُونُ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ حَتَّى يُوَدِيَ  
ذَلِكَ إِلَى فِسَادِ مَعْنَاهُ وَإِعْرَابِهِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ ، أَوْ سُلُوكِ الضَّرُورَاتِ

(١) هو علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي، أبو الحسن، سيف الدولة -  
(٣٠٣ هـ - ٣٥٦ هـ)، صاحب المتنبى ومدد وجهه، نشأ شجاعاً مهذباً عالي  
الهمة، ملك واسطاً وماجاورها، ومال إلى الشام فامتلك دمشق، وعاد إلى  
حلب فملكها سنة ٣٣٣ هـ، وله أخبار ووقائع مع الروم كثيرة كان كثير العطايا،  
مقرباً لأهل الأدب، وله أخبار كثيرة مع الشعراء من أمثال المتنبى والسمرري  
الرفاء والنامي والبيغاء والوآءاء الدمشقي . / انظر ترجمته :

بيتيمة الدهر : ١ / ١٥ - ٣٤، وفيات الأعيان : ٣ / ٤٠١ - ٤٠٦ .

(٢) برزويه : بالفتح وضم الزاي وسكون الواو وفتح الياء، حصن قرب السواحل الشامية  
على سن جبل شاهق يضرب به المثل في جميع بلاد الأفرنج بالحصانة . /

معجم ما استعجم : ١ / ٣٨٣ .

(٣) شرح العكبري : ٣ / ٣٢٥ .

حتى يفصل فيه بين ما يقيح فصله في لغة العرب كالصلة والموصول ،  
وما أشبهها . ومن التقديم والتأخير أيضا قول الشاعر :

وفاؤكما كالربع . . .

لأن تقديره : وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاه طاسمه ففصل وقدم  
وأخر . (١)

وعاب ابن معصوم على المتنبي مطلععه هذا ، ورأى أنه تكلف له اللفظ المعقد ،  
ورتبته ترتيباً متعسفاً ، وليس وراءه كبير معنى ، إنما هو يكد الذهن ويتعبه من غير  
فائدة ، قال في : " حسن الابتداء " وبراعة الاستهلال (٢) :

" ومن مطالعته (٣) التي تكلف لها اللفظ المعقد ، والترتيب المتعسف لغير  
معنى يدبغ يفي ترفه وغرابته بالتعب في استخراجها ، وتقوم فائدة الانتفاع  
به بأزاء التأذي بسماعه ، قوله :

وفاؤكما كالربع . . . البيت (٤)

( ١ ) سر الفصاحة : ١٠١ .

( ٢ ) عرف ابن معصوم المدني حسن الابتداء ، وبراعة الاستهلال بقوله : قال :

أهل البيان : من البلاغة حسن الابتداء ، ويسمى براعة المطلع ، وهو  
أن يتأنق المتكلم في أول كلامه ، ويأتي بأعذب الألفاظ ، وأجزلهما  
وأرقها وأسلسها وأحسنها نظماً وسبكاً ، وأصحها مبنياً ، وأوضحها معنى  
وأخلاها من الحشو ، والركرة والتعقيد ، والتقديم والتأخير المليس والذي  
لا يناسب " / أنوار الربيع : ١ / ٣٤ ، خزنة الحموي : - دار القاموس - : ٣  
وذكر صفي الدين الحلبي أن براعة المطلع " يسمى أيضا " حسن الابتداء " .  
وقد فرغ العلماء منه " براعة الاستهلال " في النظم والنثر وشروطه

في النظم أن يكون المطلع دالاً على ما بنيت القصيدة عليه من غرض الشاعر / انظر :

شرح الكافية البدعية : ٥٧ .

( ٣ ) يقصد المتنبي .

( ٤ ) أنوار الربيع : ١ / ٧٠-٧١ .

ومن دلائل التعقيدات كثرة التفسيرات التي تعتمد أكثر ما تعتمد على  
الحدس والتخمين لأن ألفاظ البيت لا تفي بأكثرها .

ومن هذه التفسيرات ما ذكره العكبري في شرحه قال :

\* المعنى : يريد أنه يخاطب اللذين عاهداه على أن يسعداه عند ربيع  
الأحبة بالبكاء ، فقال لهما : وفاءكما لي بإسعادي على البكاء كهذا الربيع ،  
ثم بين وجه الشبه ، فقال : أشجى الربيع دارسه ، كلما تقادم عهده كان  
أحزن لزاثره ، وأشد لحزته ، وأشفى الدمع للحزن ساغله المنهل الجاري ،  
يريد : ابكيا معي بدمع ساجم ، فانه أشقى للغليل ، كما أن الربيع  
أشجى للمحب إذا درس .

قال الواحدي : طلب وفاءهما بالإسعاد ، وهو الإعانة على البكاء ، والموافقة فيه ،  
ولذلك قال : \* والدمع أشفاه ساجمه \* . والمعنى : ابكيا معي بدمع في غاية  
السجوم ، فهو أشقى للوجد ، فإن الربيع في غاية الطسوم ، وهو أشجى للمحب ، وأراد  
\* بالوفاء \* هاهنا : الإسعاد لأنهما عاهداه على الإسعاد . قال : وقال ابن جنبي  
في معنى هذا البيت : كنت أبكي الربيع وحده ، فصرت أبكي وفاءكما معه ، ولذلك  
قال : \* وفاءكما كالربيع \* ، أي كما ازددت بالربيع ووفاءكما وجدًا زدت بكاء . قال :  
ويروى والدمع \* بالجر \* عطفاً على \* الربيع \* يريد : وفاءكما كالربيع الدارس في الأرواء  
إذا لم تحزنا عليه ، وكالدمع الساجم في الشفاء إذا حزنتما عليه .

وقال ابن القطاع : وفاءكما لي بالإسعاد عفا ودرس ، كالربيع الذي أشجاه  
للعين دارسه ، فكنت أبكي الربيع وحده فصرت أبكي معه وفاءكما ، وأشتفي بالدمع  
الذي هو راحة الإنسان وأشفاه للنفس ساجمه (١) .

## الشاهد الثالثون : ( \* ) ( الكامل )

قول أبي تمام :

( ١ )  
ثَانِيهِ رَفِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ . : كَاثِنِينَ ثَانٍ إِنْ هَمَّا فِي الْغَارِ ( ٢ ) ( ٣ )

والبيت من قصيدته التي قالها في مدح المعتصم ( ٤ ) وهجاء الأفشين ( ٥ ) وبابك

( ٦ )  
الخرمي .( \* ) الدلائل ، رضا ، ٦٦ ، خفاجي : ١٢٥ ، شاكر : ٨٤ .  
( ١ ) رواية معاهد التنصيص : " كاثنين في كبد السماء " .

( ٢ ) رواية الديوان بشرح الخطيب : " لاثنين ثانياً " وعلى هذه الرواية لاشاهد

في البيت . ورواية عبث الوليد والموازنة ، وأسرار البلاغة " لاثنين ثانٍ " .

وقوله : " لاثنين ثانٍ " : ردئ عند البصريين ؛ لأنه جاء بالمنصوب في لفظ

المخفوض ، ذلك عند الفراء لفظة للعرب . وإن رويت " ثاني " بفتح الياء

من غير تنوين فهو ضرورة أيضاً ، وإن أثبت التنوين وألقت عليه حركة الهمزة

في " إن " وهو مذهب ورش في القراءة فلا ضرورة فيه . / شرح الخطيب :

٢٠٧ / ٢

( ٣ ) انظر البيت في :

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٢٠٧ / ٢ ، ديوانه - دار صعب - : ١٣٤ ،

عبث الوليد : ١٤٣ ، الموازنة - محمد محيي الدين - : ٢٩ ، أسرار البلاغة :

١٣٠ ، المفتاح : ١٧٦ .

وذكر الصولي في أخبار أبي تمام بعض أبيات القصيدة ، ولم يذكر ضمنها بيت

الشاهد : ٩٣-٩٥ ، معاهد التنصيص : ٤٥ / ١ .

( ٤ ) انظر ترجمته : ص : ١٦٩ .

( ٥ ) هو حيدر بن كاس ، كان من أكابر قواد المعتصم فقطعه وصلبه ، ثم عظم

المعتصم خيانة من الأفشين ، فأمر بالقبض عليه ، فحمل إلى دار إيتاخ ، فمات

بها فأخرجوه وصلبوه على باب العامة ليراه الناس ، ثم ألقى ، وأحرق بالنار ،

وكان موته في شعبان سنة ست وعشرين ومائتين / انظر خبره :

تاريخ الطبري : ١١٤ / ٩ ، وانظر أيضاً من ص : ٨٠-١١٠ ، الكامل لابن الأثير

٢٦٢ / ٥ ، وانظر أيضاً من ص : ٢٥٣-٢٦١ .

( ٦ ) بابك الخرمي : اسمه الحسين والخرمي نسبة إلى قرية خرمة ، وهو مسن

أتباع مزدك الذي يوجب الشيوعية في المال والنساء ، تذكر أن ظهوره كان

ومطلع القصيدة :

(١) الْحَقُّ أَجْلَجُ وَالسَّيْفُ عَوَارٍ .: فحذارِ مِنْ أَسَدِ الْعَرِينِ حَذَارِ

وقبل الشاهد :

يَا قَابِضًا يَدَ آلِ كَاوَسَ عَادِلًا .: أَتَيْعَ يَمِينًا مِنْهُمْ بَيْسَارِ  
 الْحَقُّ جَبِينًا دَامِيًا رَمَلْتَهُ .: بِقَفَاً وَصَدْرًا خَائِنًا بِصِيدَارِ  
 وَأَعْلَمَ بِأَنَّكَ إِنَّا نُلْقِيهِمْ .: فِي بَعْضِ مَا حَفَرُوا مِنَ الْآبَارِ  
 لَوْلَمْ يَكِدْ لِلسَّامِرِيِّ قَبِيلُهُ .: مَا خَارَ عَجْلُهُمْ بِفَسِيرِ خَوَارِ  
 وَشَوَدَ لَوْلَمْ يَدْ هِنُوا فِي رَبِّهِمْ .: لَمْ تَرَمْ نَاقَتَهُ بِسَهْمِ قَدَارِ  
 وَلَقَدْ شَفَى الْأَحْشَاءَ مِنْ بَرَحَائِبِهَا .: أَنْ صَارَ بَابُكَ جَارَ مَازِيَارِ

وبعدها الشاهد وبعده :

(٦) وَكَأَنَّا آتَبْنَا لِكَيْمَا يَطْوِيَا .: عَن نَّاطِسٍ خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ

==== في سنة احدى ومائتين ، وامتنع على الدولة عشرين عاما من سنة ٢٠١-٢٢١ هـ

وقتل سنة ٢٢٣ هـ ثم صلب / انظر:

تاريخ الطبري : ١١/٩-٥٥ ، الكامل لابن الأثير: ٥/٢٣٤-٢٤٦ .

(١) ديوانه بشرح التبريزي : ٢ / ١٩٨ .

(٢) يد هنوا : من الدهن وهو النفاق والخداع / اللسان " دهن " : ١٣ / ١٦٢ .

(٣) رواية الديوان تحقيق التبريزي :

" لَمْ تَدَمْ نَاقَتَهُ بِسَيْفِ قَدَارِ "

(٤) البرحاء : شدة الأذى . / اللسان " برج " : ٢ / ٤١٠ .

(٥) مازيار : هو مازيار بن قارن بن ونداد هرمز أظهر الخلاف على المعتصم

بطبرستان ، حيث اتفق مع الإفشين - أحد قواد المعتصم - على إظهار

بعض مذهب الثنوية الذين يعتقدون بالهبي الخير والشر ، ولكن المعتصم

ظفر به وقتله ثم صلبه إلى جانب بابك / انظر:

الكامل لابن الأثير: ٥ / ٢٥٣-٢٥٩ .

(٦) ذكر الخطيب أنه جاء في نسخة " ياطس " بالياء ملك ، وناطس : حادق

عالم وأصله العالم بالطب ، وقيل بطريق مَلَطِيَّة كان قد صُلب /

ديوانه بشرح الخطيب : ٢ / ٢٠٧ .

استشهد الإمام عبد القاهر بالببيت على فساد النظم - أيضا - ولم يشير إلى موضع الفساد فيه .

وذكر الأمدى أن وجه الفساد في أنه جاء بثان في صورة المرفوع، وهذا يوهم بأنه فاعل يكن أي لم يوجد «ثان لاثنين» وهذا محال لأن كل اثنين أحدهما ثان للآخر . قال :

« ونحن لو رُنا أن نُخرج ما في شعر أبي تمام من اللحن لكثرت ذلك واتسع ، ولو وجدنا منه ما يضيّق العذر فيه ، ولا يجد المتأول له مخرجاً إلا بالطلب والحيلة والتحمل الشديد ، وذلك مثل قوله :

ثَانِيهِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ . : لاثْنَيْنِ ثَانٍ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ  
معنى هذا البيت أن بابك صار جاراً في الصلب لما زيار، وهو ثانيه في كيد السماء، ولم يكن ثانيا لاثنين إذ هما في الغار، لأن هذه فضيلة، فكان يجب أن يقول في البيت " ولم يكن لاثنين ثانيا " ، لأنه خبر يكن، واسمها هو اسم بابك مضمرة فيها، فليس إلى غير النصب سبيل في البيت، وإلا بطل المعنى وفسد، وفساده أنك إذا أخليت " يكن " من ضمير بابك، وجعلت قوله " ثاني " اسمها كان ذلك خطأ ظاهراً قبيحاً، لأنك إذا قلت : كان زيد وعمرو اثنين، ولم يكن لهما ثان، كنت مخطئاً، لأن كل اثنين أحدهما ثان للآخر، وكذلك إذا قلت : كانوا ثلاثة، ولم يكن لهم ثالث، كنت مخطئاً، لأن أحد الثلاثة هو ثالثهم، وإنما تكون مصيياً إذا قلت :

كانا اثنين، ولم يكن لهما ثالث، وثلاثة، ولم يكن لهم رابع، وأيضاً فإنه لو أراد هذا المعنى لم يكن في البيت فائدة البتة؛ لأنه كان يكون المعنى حينئذ أن بابك ثاني ما زيار، فأى فائدة في هذا مع ما فيه من الخطأ الفاحش ؟ وأي تعلق لهذا المعنى بما قبله في البيت؟ ( )



رأى الشيخ عبد الهادي العدل أن في تعديل الآمدي تحاملاً على أبي تمام؛ لأنه لا يمكن أن يتوهم أحد هذا "ف" ثان "خبر" يكن "الناقصة ولاثنين متعلق به واسمها ضمير يعود على بابك .

والعيب فقط في أنه أتى بالمنصوب في صورة المرفوع (١).

فقارن صورتها وهما مصلوبان في الجوب بصورة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر الصديق حين كانا في غار ثور، واستشهد الشاعر صورته هذه من قوله تعالى :

\* إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هَمَّا

رَفِي الْغَارِ \* (٢)

إِلَّا أَنْ هَذَا التَّشْبِيهِ بَعِيدٌ إِذْ لَيْسَ هُنَاكَ وَجْهٌ لِهَذَا الشَّبْهِ فِي هَذَا

المقام .

قال الشيخ عبد الهادي العدل :

" قالوا إن ذكر أبي بكر مع رسول الله في هذا المقام ما يأباه السند و

السليم، ولو أنه جاء على سبيل نفي المشابهة، فما كان هناك توهم مشابهة

حتى تنفي (٣).

وقد حمل أبو العلاء بيت أبي تمام على غير الضرورة، وعلى نحو يختلِف

عما رآه فيه غيره قال :

" ليس هو على مذاهب من قال «ثان اثنين» فنون، وهو ثالث ثلاثة، ولكنه على

قولهم : هذا غلام لزيد، يجوز إدخال اللام، وإن كان الغلام غير عامل في زيد،

كما يقال : هذا للسُّلْطَانِ خَازِمٌ (٤).

(١) دراسات تفصيلية شاملة : ١٣١ .

(٢) التوبة ، ٤٠ .

(٣) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر : ١٣٠-١٣١ .

(٤) عبث الوليد : ١٤٣ .

ويبدو لي أن قوله : " فِي كَيْدِ السَّمَاءِ " تصوير جميل لمشاعر الاستهزاء والتحقير التي تنطوي عليها نفس الشاعر، إذ أنه جعل صورتها في الصلب واضحة بارزة لا تخفى على أحد، فهما في " كَيْدِ السَّمَاءِ " وهذا تصوير لشدة التنكيل بهما، وأيضاً نلمح في هذه العبارة شدة فرحه وفخره بالقضاء عليهما، ولكن لجوء الشاعر إلى التشبيه والمقارنة بين صورة مازيار وبابك، وهما مصلوبان، وبين صورة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر رضي الله عنه في الغار، وأيضاً إتيانه بالمرفوع في صورة المنصوب، طمس هذا الجمال وأذهب رونقه، وأبعد الأذهان عنه.

وقد ورد لبيت أبي تمام نظائر، عدّها العلماء من الضرورات الشعرية، من ذلك

قول بشر بن أبي خازم : ( وافر )

( ١ ) كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءِ كَافِرٍ . . وَلَيْسَ لِحُبِّهَا مَا عِشْتُ شَافِي

فكان من حق الكلام أن يقول :

" كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءِ كَافِيَا "

ومنه قول مجنون ليلى :

( ٢ ) قَلَّ أَنْ وَاشَّ بِالْيَتَامِيَةِ دَارُهُ . . وَدَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اهْتَدَى لِيَا

الشاهد الحادي والثلاثون : ( \* ) ( البسيط )

قول أبي تمام :

( ٣ ) يَدِي لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ لَمْ يَذُقْ جُرْعًا . . مِنْ رَاحَتِكَ نَدَى مَا الصَّابُ وَالْعَسَلُ ( ٤ ) ( ٥ )

( ١ ) رواية شرح المفصل للشطر الثاني : " وليس لحبها إذ طال شافي / انظر :

المقتضب : ٢٢ / ٤ ، الخصائص : ٢٦٨ / ٢ ، خزنة البغدادي - دار صادر -

٢ / ٢٦١ .

( ٢ ) ديوانه : ٢٩٤ ، رضا : ٦٦ ، خفاجي : ١٢٥ ، شاکر : ٨٤ .

( \* ) الدلائل ، رضا : ٦٦ ، خفاجي - خفاجي - " من يذوق " .

( ٣ ) رواية الاسرار تحقيق - خفاجي - " من يذوق " .

( ٤ ) ذكر الجوهري أنه عصارة شجر مرّ، ورد عليه الفيروزبادي فقال : " وشجر مر

جمع صاب، ووهم الجوهري في قوله : عصارة شجر / الصحاح " صوب " :

١ / ١٦٦ ، القاموس المحيط : " صوب " : ١ / ٩٧ .

( ٥ ) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ١١ / ٣ ، ديوانه - دار صعب - : ٢٠١ .

وهو من قصيدة له في مدح المعتصم بالله ومطلعها :  
فَحَوَاكَ عَيْنٌ عَلَى نَجْوَاكَ يَا مَذِلُّ (١) . . . حَتَّامٌ لَا يَتَقَضَى قَوْلُكَ الْخَطِيطُ

وقبل الشاهد :

كَأَنَّ أَمْوَالَهُ وَالتَّبْدُلُ يَمَحَقَمَهَا . . . نَهَبٌ تَعَسَّفَهُ التَّبْدِيرُ أَوْ نَفَلُ  
شَرَسَتْ بَلُّ لِيَنْتَبَلُ قَانِيَّتُ ذَاكَ بَدَا (٢) . . . فَأَنْتَ لَا شَكَّ فِيكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ

وبعدهما الشاهد وبعده :

صَلَّى إِلَهَهُ عَلَى الْعَبَّاسِ وَأَنْبَجَسَتْ . . . عَلَى ثَرَى حَلَهُ الْوَكَاةُ الْهَطِيطُ (٣)

ذكر الشيخ محمد رشيد رضا في تحقيقه الدلائل: أن هناك رواية أخرى لصدر

البيت وهي " مَنْ يَذُقُ جُرْعًا " ورأى أنها أظهر من رواية " لَمْ يَذُقْ " .

ورد الشيخ عبد الهادي العدل على هذه الرواية وعلى من قال أنها رواية

الشيخ عبد القاهر في " الأسرار " ، ورأى أنها ليست روايته بل هي تصحيح من

بعض من لم يفهم البيت ، وإلا فما بال الشيخ يسوقه شاهداً على التعقيد ؟ .

أضف إلى ذلك أن " مَنْ " لا تلائم قوله " يَدِي رَهْنٌ " ، كما يشهد بذلك

الذوق السليم ، ثم إن الشاعر يريد حصر الصاب والعسل في بطشه وجوده ،

و " مَنْ " لا تفيد ذلك (٤) .

وأيضاً " مَنْ يَذُقُ " يدل على الاستقبال ، و " دَرَى " فعل ماض فيكسون

حاصل الكلام ، مَنْ يَذُقُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ دَرَى فِي الْمَاضِي !

والبيت شاهد على فساد النظم الذي يخل بالمعنى ، فالشاعر لجأ إلى

=== الوساطة : ٧٩ ، الموازنة - تحقيق محمد محيي الدين - : ١٦٩ ، الأسرار

- تحقيق خفاجي - : ٢٦٩/١ ، تحقيق هـ . ريثر : ١٣١ .

(١) المذل : الذي يفشي السر . / اللسان " مذل " : ١١ / ٦٢١ .

(٢) قانيت : خَلَطَتْ . / اللسان " قنا " : ١٥ / ٢٠٥ .

(٣) رواية ديوانه - دار صادر - : " على ثرى رحله " .

(٤) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر : ١٣٢ .

حذف جزء من الجملة كان له دور كبير في إبراز المعنى ، بل هو عمدة الكلام فيها ،  
فحذف " إن كان من " وتقدير الكلام : " يَدِي لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ إِنْ كَانَ مَنْ لَمْ  
يَذُقْ " ، وذكر القاضي الجرجاني هذا البيت في الرديء من شعر أبي تمام ،  
فقال :

" فحذف عمدة الكلام ، وأخلَّ بالنظم ، وإنما أراد يدي لمن شاء رهن  
" إِنْ كَانَ (١) لَمْ يَذُقْ " ، فحذف " إِنْ كَانَ " من الكلام ، فأفسد الترتيب ،  
وأحال الكلام عن وجهه (٢) .

وكذلك ذكر الآمدي أن هذا البيت فاسد النظم لكثرة ما فيه من الحذف ،

قال :

" لفظ هذا البيت مبني على فساد ؛ لكثرة ما فيه من الحذف ، فكأنه  
أراد بقوله : " يَدِي لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ " أي : أضافه وأبايعه معاقدة ،  
أو مراهنة إِنْ كَانَ مَنْ لَمْ يَذُقْ جُرْعًا مِنْ رَاحَتِكَ نَرَى مَا الصَّابُ وَالْعَسَلُ ،  
ومثل هذا لا يسوغ ؛ لأنه حذف " إِنْ " التي تدخل للشرط ، ولا يجوز  
حذفها ؛ لأنها إذا حذفت سقط معنى الشرط ، وحذف " من " وهي  
الاسم الذي صلته " لَمْ يَذُقْ " فاختل البيت ، وأشكل معناه . . . فإن  
تأول متأول هذا البيت على ألقاظ أخر محذوفة غير اللفظ الذي ذكرته ،  
فالاختلال بعد قائم ؛ لكثرة ما حذف منه ، وسقوط الدليل عليه (٣) .

ورد المرزوقي على من عاب على أبي تمام هذا الحذف ، فقد رأى أن البيت  
يحتل تقديرين ، فيتأتى أن نقدر : يَدِي رَهْنٌ لِمَنْ شَاءَ إِنْ نَرَى مَا الصَّابُ  
وَالْعَسَلُ غير ذائقِ جُرْعًا مِنْ رَاحَتِكَ ، فيكون لَمْ يَذُقْ في تقدير الحال ، وساغ  
حذف " إِنْ " لدلالة الشرط والجزاء ، ويكون المعنى : إِنْ نَرَى مَنْ لَمْ يَذُقْ جُرْعًا

(١) بيدولي أنه يجب أن تكون هنا " من " حتى يستقيم الكلام .

(٢) الوساطة : ٧٩ .

(٣) الموازنة - تحقيق محمد محيي الدين - : ١٦٩-١٧١ .

من راحتك الفرق بين هذين الشيئين ، فيدي له رهن ، فهذه طريقة .  
 والتقدير الثاني : يدي رهن لمن شاء غير ذائقي جرعا من راحتك داريما  
 ما الصاب والعسل يريد له رهن ، وهاتان حالتاه .

قال المرزوقي :

\* اعلم أن اللفظ قد يكون قاصراً عن المعنى ، وقد يكون زائداً عليه ،  
 وهذا البيت يتأتى فيه التقدير على غير ما قدره هذا العائب ، فيتأتى  
 أن تقدر : يدي رهن لمن شاء إن ترى ما الصاب والعسل غير ذائقي  
 جرعا من راحتك ، فيكون " لم يذق " في تقدير الحال ، وحذف " إن " .  
 لما كان في الكلام من دلالة الشرط والجزاء ، ألا ترى أن المعنى : إن  
 ترى من لم يذق جرعا من راحتك الفرق بين هذين الشيئين ، فيدي  
 له رهن ، فهذه طريقة .

ويتأتى أن تقدر : يدي رهن لمن شاء غير ذائقي جرعا من راحتك داريما  
 ما الصاب والعسل ، يريد يدي له رهن ، وهاتان حالتاه ، وهذا كما يقول  
 الإنسان : لزيد من مالي ألف زاكياً هذا الفرس وصاعداً يوم ، والمعنى :  
 إن ركبته وصاد ، والحال قد يتبين منه معنى الشرط ، على هذا قولهم :  
 هذا تراً أطيب منه بئسراً ، والمعنى : هذا إذا كان تراً أطيب  
 منه إذا كان بئسراً ، وإذا كان الأمر على هذا فقد سلم أبو تمام من  
 العيب ولزم الدم عائبه ولقائل أن يقول للمنكر على أبي تمام : زعمت  
 أن اللفظ قاصر عن المعنى بما حذف من عمدته مختل ، وإنما هو زائد  
 عليه ، لكنك أسأت في التقدير ، وزدت ما لا حاجة إليه ، وذلك أنه أراد :  
 يدي رهن لمن لم يذق جرعا من راحتك داريما ما الصاب والعسل ،  
 أي إن ترى ذلك فيدي له رهن ، وإذا كان الأمر على هذا ، فقوله :  
 " شاء " فضلة ، و " من " على هذه التقديرات نكرة ، والمعنى : يدي

لإنسان هذه صفة رهن، وهم يقولون مررت بمن ظريف أي بإنسان  
ظريف، ومررت بما كريم أي بشيء كريم، فاعلمه<sup>(١)</sup>.

والتقدير الأول الذي ذكره المرزوقي للرد على العائب، وهو قوله "إن درى  
ما الصاب والعسل" قد صار فيه إلى ما أنكره العائب من الحذف الذي عابه عليه،  
فلا معنى إذا لرد على العائب مع تقديره من الحذف مثلما قدره العائب، و"درى"  
إذا جعله حالاً فهو فعل ماضٍ، ولا بد له من تقدير "قد"، كقوله تعالى: "أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ" (٢) أي قد حصرت، وقول المرزوقي "شاء" فضلة،  
فلم يذهب أحد إلى أن فعلاً يؤتى به فيكون فضلة إلا ما ذكره من "كان" وقد  
أباه قوم ومنعوه.

وجعله "من" على ما ذكره في جميع التقديرات جائز لو أوضحه في جميع  
التقديرات، ويمكن أن يجعل "من" بمعنى "الذي"، فيكون التقدير: "يدي رهن  
الذي شاء لم يذق جرماً" ولا يمتنع معها التقديرات التي قدرها، ويجعل "لم يذق"  
بدلاً من قوله "شاء"، ويكون التقدير "يدي رهن لمن لم يذق جرماً من راحتك  
درى ما الصاب والعسل"، ويكون "درى" ، حالاً على ما تقدم<sup>(٣)</sup>.

ورأى التبريزي أن البيت قد حذف منه حرف النفي "لا"؛ لأن المعنى معنى  
القسم، والمعروف حذف "لا" في جواب القسم دون "ما"، ولا يمتنع في القياس  
أن يجمع بينهما في الحذف؛ لأنهما حرفا نفي فتحمّل إحداهما على الأخرى،  
قال التبريزي:

"هذا البيت قد حذف منه حرف النفي؛ لأن المعنى معنى القسم،  
كأنه قال: والله لا أدري من لم يذق جرماً من راحتك، فحذف حرف

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ١٢/٣ - ١٣.

(٢) النساء: ٩٠.

(٣) هذا رد ابن المستوفي - نقلاً عن محقق ديوان أبي تمام بشرح الخطيب

التبريزي: ٣ / ١٣.

النفي ؛ لأن المعنى دال عليه ، كما تقول: والله أفعل أبداً : أي لا أفعل ،  
قال النابغة :

فَقَالَتْ يَبِينُ اللَّهُ أَفْعَلُ إِنِّي . . . رَأَيْتَكَ مَسْحُورًا يَمِينُكَ فَاجِسْرَهُ  
والمعروف حذف " لا " في جواب القسم دون " ما " ولا يمتنع في القياس  
أن يجمع بينهما في الحذف ؛ لأنهما حرفا نفي فتُحْمَلُ إحداهما على الأخرى ،  
أي مَنْ لَمْ يَذُقْ مِنْ بَأْسِكَ وَجُودِكَ جَرَعًا لَمْ يَتَحَقَّقْ عِنْدَهُ مَرَارَةُ الْحَنْظَلِ  
ولا حلاوة العسل (١) .

فمعنى البيت : أن بطش المدح وسطوته هي الصاب بعينه أما ما يسميه الناس  
" صابا " ، فلا يستحق هذا الاسم ، لأن مرارته إذا قيست بمرارة بطش المسدوح  
لم تكن شيئاً ، وَأَنَّ نَدَاهُ وَجُودَهُ هُوَ الْعَسَلُ الْحَقِيقِيُّ لَا مَا يَسْمِيهِ النَّاسُ عَسَلًا ؛  
لأن حلاوته لا تذكر مع نواله ، إذا لا يعرف حقيقة " الصاب والعسل " إِلَّا مَنْ ذَاقَ  
مَرَارَةَ بَطْشِهِ وَحَلَاوَةَ جُودِهِ ، ومن لم يذُقهما ، فلا علم له بهما ، فإن كان هنالك  
شخص لم يذُقهما وأدعى أنه عرف حقيقة الصاب والعسل ، فَيَدْرِي رَهْنٌ لِمَنْ شَاءَ  
إِذَا دَلَّنِي عَلَيْهِ (٢) .

وهذا المعنى اللطيف بَعْدَ عَن الذَّهْنِ ؛ لِفَسَادِ نَظْمِهِ ، وَسُوءِ تَأْلِيفِهِ ، وَاخْتِلَالِ  
سَبْكِهِ .

وطبق الإمام عبد القاهر على هذه الأبيات التي أوردتها في فساد النظم ؛  
بأنه إذا ثبت أن فساد النظم ، وسوء التأليف مرجعه إلى علم النحو ثبت أن الحكم ،  
والمزية ، والفضيلة ، ترجع إليه ، فيجب على القارئ المتذوق أن يعلم أسرار هذا العلم ،  
ويتعرف على دلالته . قال :

" وفي نظائر ذلك ما وصفوه بفساد النظم ، وعابوه من جهة سوء التأليف ،  
أن الفسادة والخلل كانا من أن تعاطى الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب : ٣ / ١١ .

(٢) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر : ١٣١ .

على غير الصواب ، وصنع في تقديس أو تأخير ، أو حذف وإضمار ،  
أو غير ذلك مما ليس له أن يصنعه ، وما لا يسوغ ولا يصح على أصول  
هذا العلم . وإن ثبت أن سبب فساد النظم ، واختلاله ، أن لا يعمل  
بقوانين هذا الشأن ، ثبت أن سبب صحته أن يعمل عليها ، ثم  
إذا ثبت أن مسْتَتَبَطَ صحته وفساده من هذا العلم ، ثبت أن  
الحكم كذلك في مزيتته والفضيلة التي تعرض فيه ، وإذا ثبت جميع  
ذلك ، ثبت أن ليس هو شيئاً غير تَوْخِّي معاني هذا العلم ،  
وأحكامه فيما بين الكَلِم ، والله الموفق للصواب .<sup>(١)</sup>

---

(١) الدلائل ، رضا : ٦٦ - ٦٧ ، خفاجي : ١٢٥ ، شاكر : ٨٤ .



# الفصل الثالث

## شواهد النظم

١- منزلة النظم في مراعاة النحو .

ب- منزلة النظم بحسب المعاني والأغراض .

ج- النظم يتجدد في الوضع ويبدو فيه لصنع .

مزية النظم في مراعاة النحو :-

ساق الشيخ بعد هذه الأبيات - الأبيات السابقة في فساد النظم - أبياتاً وُصِفَتْ بالحسن وشُهِد لها بالفضل ؛ لأنها إنما حَسُنَتْ من أجل حسن تأليفها ، وجودة صياغتها ، ويدعو القاري ، إلى تأملها ، وأن يحكم ذوقه الواعي عند أي كلمة اهتز ، وعند أي موقع طرب .

قال :

• وإذا عرفت ذلك فاعمد إلى ما توصفوه بالحسن وتشاهدوا له بالفضل ، ثم جعلوه كذلك من أجل النظم خصوصاً دون غيره ما يستحسن له الشعر ، أو غير الشعر من معنى لطيف ، أو حكمة ، أو أدب ، أو استعارة ، أو تجنيس ، أو غير ذلك ما لا يدخل في النظم ، وتأمله ، فإذا رأيتك قد ارتحت واهتزت واستحسنست ، فانظر إلى حركات الأريحية مِم كانت ، وعند ماذا ظهرت ؟ فإنك ترى عياناً أَنَّ الذي قلت لك كما قلت (١) .

(١) الدلائل ، رضا : ٦٧ ، خفاجي : ١٢٥ ، شاكر : ٨٤ - ٨٥ .

الشاهد الثاني والثلاثون :- (\*) (المقارب)

قول البحسري :

(١) بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى . . . فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحِ ضَرِيًّا  
(٢) هُوَ الْمَرْءُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَارِثَا . . . تَعْزَمًا وَشِيكًا وَرَأْيَا صَلِيًّا  
(٣) تَنْقَلُ فِي خُلُقِي سُوْدَدٍ . . . سَمَاحًا مَرَجِي وَبَاسًا مَهِيًّا  
(٤) فَكَالسَّيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِخًا . . . وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَشِيًّا  
(٥) (٦) (٧)

والأبيات من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان، ويعاتبه، وأولها :

(٨) لَوْتُ بِالسَّلَامِ بَنَانًا خَضِيًّا . . . وَلَحْظًا يَشُوقُ الْفُؤَادَ الطَّرُوبَا

وقبل الشاهد :

وَحَمَلْتُ عِنْدَكَ ذَنْبَ الشَّيْبِ . . . بِ حَتَّى كَأَنِّي ابْتَدَعْتُ الْمَشِيًّا  
(٩) وَمَنْ يَطْلُعُ شَرْفَ الْأَرْعِيَةِ . . . نَ يُحْيِي مِنَ الشَّيْبِ زُورًا غَرِيبَا

(\*) الدِّلاَعْلُ ، رِضَا : ٦٧ ، خَفَاجِي : ١٢٦ ، شَاكِر : ٨٥ .

(١) الضَّرْبُ : الصِّنْفُ / مَخْتَارُ الصَّحَاحِ : "ضَرْبٌ" : ٢٣٨ .

(٢) رَوَايَةُ أَمَالِي الْمَرْتَضَى : "فَمَا إِنْ وَجَدْنَا لِفَتْحِ ضَرِيًّا" .

(٣) وَشِيكًا : سَرِيحًا / مَخْتَارُ الصَّحَاحِ "وَشِكٌ" : ٧٢٣ . اللِّسَانُ : "وَشِكٌ" :

٥١٣/١٠-٥١٤ .

(٤) هَذَا الْبَيْتُ لَمْ يُوْرِدْهُ الْمَرْتَضَى فِي أَمَالِيهِ .

(٥) رَوَايَةُ الْمَثَلِ السَّائِرِ : "تَرَدَّدَ فِي خُلُقِي سُوْدَدٌ" .

(٦) رَوَايَةُ الْمَرْتَضَى : "تَنْقَلُ فِي سَلْفِي سُوْدَدٌ" .

(٧) انظُرِ الْأَبْيَاتَ فِي :

ديوانه - : دار بيروت - : ١٠٧/١ ، الموازنة - تحقيق أحمد صقر -

٢ / ٢٩٣ ، ولم يذكر الأمدى إلا البيت الأول فقط .

أمالي المرتضى : ١ / ٥٣٥ ، المثل السائر : ٢ / ٣٦٨ ، ولم يذكر

إلا البيت الثالث والرابع فقط .

معاهد التنصيص : ٣ / ٢٧٨ .

(٨) ديوانه : ١٠٦ .

(٩) ديوانه : ١٠٧ .

وبعد الأبيات :

فَتَى كَرَّمَ اللَّهُ أَخْلَاقَهُ . . . وَالْبَسَهُ الْحَمْدَ غَضًّا قَشِيًّا

وَأَعْطَاهُ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ يَبْعَدُ (م) . . . حَظًّا وَمِنْ كُلِّ مَجْدٍ نَصِيًّا

رأى الإمام عبد القاهر أن جمال هذه الأبيات - الشاهد - يعود إلى أنه قدّم

وأخر ، وعرف ونكر ، وحذف وأضمر . . قال :

" فإذا رأيتها قد راقتك ، وكثرت عندك ، ووجدت لها اهتزازاً في نفسك ،

فعد فانظر في السبب ، واستقص في النظر ، فإنك تعلم ضرورة أن ليس

إلا أنه قدّم وأخر ، وعرف ونكر ، وحذف وأضمر ، وأعاد وكرر ، وتوخى على

الجملة وجهاً من الوجوه التي يقتضيها علم النحو ، فأصاب في ذلك كله ،

ثم لطف موضع صوابه ، وأتى ما تى يوجب الفضيلة .

أفلا ترى أن أول شيء يروك منها قوله : " هُوَ التَّمَرُّ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَاتُ " ،

ثم قوله : " تَتَقَلَّبُ فِي خُلُقِي سُؤْدُرٌ ، بتكثير السُّؤْدُر ، وإضافة الخُلُقَيْنِ

إليه ، ثم قوله " فَكَالسَيْفِ " ، وعطفه رب الفاعل مع حذفه المبتدأ ؛ لأن المعنى

لامحالة ، فهو كالسيف ، ثم تكريره والكاف في قوله : " وكالبحر " ثم أن قرّن

إلى كل واحد من التشبيهين شرطاً جوابه فيه ، ثم أن أخرج من كل

واحد من الشرطين حالاً على مثال ما أخرج من الآخر ؛ وذلك قوله

" صارخاً " هناك " ومستثياً " ههنا ؟ لا ترى حسناً تنسبه إلى النظم

ليس سببه ما عدت ، أو ما هو في حكم ما عدت ، فاعرف ذلك . ( ١ )

في هذه الأبيات اكتفى الشيخ عبد القاهر بالإشارة إلى مواضع الجمال فقط ،

فلم يحلل ، أو يعلل سبب هذا الجمال ، فلعله أراد أن يترك للقاري فرصة التدقيق ،

ليحظى بالمتعة الذهنية ، والنفسية ، والروحية .

( ١ ) الدلائل ، رضا : ٦٢-٦٨ ، خفاجي : ١٢٦ ، شاكر : ٨٥-٨٦ .

فقله " هُوَ الْمَرْءُ " فيه تعريف المسند إليه للكمال ، وهذا التعريف يلفت الأنظار ، ويوجه العقول ، ويشد الانتباه إلى هذا المدوح ، فهو مجرد إحساسنا من كل شيء إلا من الإحساس بصفات ومدوحه البالغة في الكمال ، أضف إلى أن التعبير هنا بالضمير يشير إلى فخامة المدوح وكماله ، ويبدو أن الباحثي يحمل للفتح بن خاقان عاطفة صادقة جياشة جعلته يستعمل هذا الأسلوب الذي يفيض بمعاني عظيمة ، فالمعروف أن نوائب الدهر وحوادثه تفت من عزم الإنسان ، وتهبط قواه إلا أن هناك شخصاً لا مثيل له بلغ درجة من الكمال وخرج عن طبيعة أفراد جنسه ممن تخور قواهم ، فان أردت أن تعرف من هو ، فانظر إلى مدوحه ، فهو المرء الوحيد الذي تغلب على حوادث الدهر ، فأصبحت هي تستمد قواها منه ، وتستخرج منه العزم الوشيك ، والرأى الصليب ، وفي تنكير " سُوْدَد " تعظيم وتشريف لهذا المدوح ، فهو سُوْدَدٌ مبهم لا يدرك كنهه ولا مداه وحدوده ، وفي قوله " خُلُقِي " إبهام ، ثم بعد ذلك فسر ووضح المقصود بهذين الخلقين ، ففاجأنا في الشطر الثاني بأعظم خلقين إذا وصف بهما إنسان آتبر فرداً من نوعه ، فمدوحه جواد يعطي في سماحة من غير تقييد ، وشجاع ذو بأس شديد في ميادين الحرب ، فجمع له هاتين الصفتين ، وأضافهما إليه ، وفي إضافتهما إليه دليل على أنها ثابتتان فيه ملازمتان له لا تفارقانه ، فهما جزء لا يتجزأ منه .

ولا يكفي الشاعر بهذا بل يأتي «بالفا» زيادة في التفصيل والتفريع ، لأن الفاء تجعل ما بعدها مفرغاً عما قبلها ، فقله : " فكالسيف " يفصل ويؤكد ويوضح قوله ؛ " بأساً مهيباً " ، فهو في بأسه ، ومضائه في الحرب ، كالسيف الحاد القاطع الباتر ، وهو في جوده " كالبحر " الفياض ، وفي مجيء التشبيه بهذه الطريقة ما يمتنع الخيال ، ويمده بالصور الغنية بالدلالات التي تؤكد هذه الصفات في المدوح .

" فالبيت الثاني يدل على معنى الأول ؛ لأن البحر والسيف للباس المهيب

إلا أن في الثاني زيادة التشبيه التي تغيد تخيلاً وتصويراً" . (١)

ونراه قد حذف المبتدأ في قوله " فكالسيف " والأصل " هو كالسيف " ليدل على أن مدوحه غني عن التعريف والذكر ، فهو يُعرف بصفاته هذه ؛ لأنه المتفرد بها ، ولا يمكن لأحد أن يتصف بها ، فلا ضرورة إنذاراً لذكره .

وأتى مع كل تشبيه بأداة شرطهم قرن كلاً من الشرطين بحال " صارخاً - مُسْتَثْبِئاً " ليدل على قوته المطلقة وسخائه العام ، فقوته وجوده غير مقيد بين بوقت ، فهو قوي قادر ليس في أوقات الرخاء فقط بل هو كالسيف مفضلاً في حالة الشدة ، وطلب النجدة ، وكالبحر سخاءً في حالة الحاجة إلى العون والإغاثة .

وبالنظر إلى مواطن الحسنة التي أشار إليها الشيخ نجده قد حصر جودة هذا الشعر على ما ذكره من تقديم وتأخير وتعريف وتكبير . . الخ ، وأهمل دلالة اختيار الكلمات على ما في الشعر من بلاغة .

فهو مثلاً لم يعط أهمية لاختيار كلمة " بلونا " ، وأنها أبلغ وأفخم للمعنى من كلمة " عرفنا " ذلك أنها تفيد معنى البحث والاستقصاء ، والاختبار ، فالشاعر لم يفضل " الفتح " بن خاقان إلا بعد أن اختبر وفتش واجتهد في الكشف عن ضرائب من رأهم من الناس .

وكذلك آخياره لفظ " تنقل " ومعناه أن الخلقين راسخان فيه ، وأنه تنقل فيهما من طفولته إلى شبابه إلى كهولته . . . فهما ملازمان له ، وهما خلقان ثابتان من أخلاقه .

وأيضاً آخيار كلمة " مُرَجَّى " بالتشديد ، والتي دلت على أن كرمه يرجوه الراجون ، فإن بعض من يتصفون بالكرم لا يرجوهم أحد ، أو لا يكون رجاؤهم بهنذه الصورة المبالغ فيها فإن رجى بالتشديد غير " رجا " ، فمُرَجَّى غير مرجو .

ودلت أيضاً على أن بأسه ليس مجرد صفة يتصف بها لكنه يُهاب ويخشى . أضف إلى ذلك أن في قوله " فما إن رأينا " اجتمع حرفا نفي ، وهذا له مدلوله في نفي المثل له .

## الشاهد الثالث والثلاثون :- ( \* ) ( الطويل )

( ١ )  
قول إبراهيم بن العباس :

( ٢ ) ( ٣ )  
فَلَوْ إِذْ نَبَأَ دَهْرٌ وَأَنْكَرَ صَاحِبُ . : وَسُلْطَ أَعْدَاءُ وَغَابَ نَصِيرُ  
( ٤ ) ( ٥ ) ( ٦ )  
تَكُونُ عَنِ الْأَهْوَازِ دَارِي بِنَجْوَةٍ . : وَلَكِنْ مَقَادِيرُ جَرَّتْ وَأُمُورُ

( \* ) الدلائل ، رضا : ٦٨ ، خفاجي : ١٠٢٧ ، شاکر : ٨٦ .  
( ١ ) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ( ١٧٦ هـ وقيل ١٦٧ هـ - ٢٤٣ هـ ) ، وكان صول رجلاً من الأتراك ، وهو من موالى يزيد بن المهلب ، وكان إبراهيم يختار من الشعر أحسنه ، ويسقط أرزله ، وكان صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ثم آذاه الزيات وأغرى به الواثق ، وصارت بينهما شحنة عظيمة ، لم يمكن تلافئها ، وكان إبراهيم يهجو هجاءً مرّاً ، ولقد تولى إبراهيم الأهواز في عهد الواثق بالله . / انظر ترجمته :

الأغاني : - دار الكتب - : ١٠ / ٤٣ - ٦٨ ، الوزر : والكتاب : ٨٢ ، معجم الأدباء : ١ / ١٦٤ - ١٩٧ .

( ٢ ) رواية الديوان : " تَغْيَرُ لِي دَهْرٌ " .

( ٣ ) نبا : نبا الشيء ، عني ينبو أي تجافى وتباعد ، ونبت بي الأرض أي لم أجد

( ٤ ) بها قراراً ، ونبا فلان عن فلان : لم ينقد له / اللسان : " نبا " : ١٥ / ٣٠٢ .  
ذكر محقق الطرائف الأدبية أنه يروى في الأصل :

\* تلون على الأهواز \* وهو تصحيف .

( ٥ ) الأهواز : اخره زاي ، وهي جمع هوز ، وأصله حوز ، فلما كثر استعمال

الفرس لهذه اللفظة غيرتها حتى أذهبت أصلها ؛ لأنه ليس في كلام الفرس حاء مهملة ، وعلى هذا يكون الأهواز اسماً عربياً سمي به في الإسلام ، وكان اسمها أيام الفرس خوزستان ، وفي خوزستان مواضع يقال لكل واحد منها خوز كذا ، منها خوز بني أسد وغيرها ، فالأهواز اسم للكورة بأسرها ، وأما البلد الذي يغلب عليه هذا الاسم عند العامة ، فإنما هو سوق الأهواز ، والحوز في كلام العرب مصدر حاز يحوز ، وهو الحصول على الشيء ، وقيل : الأهواز اسمها «هرمز شهر» ، وقيل أنها كانت تسمى «هرمز اردشير» ، وذكر أن الأهواز سبع كور بين البصرة وفارس لكل كورة منها اسم ، ويجمعهن

الأهواز . / انظر : معجم البلدان : ١ / ٢٨٤ - ٢٨٥ .

( ٦ ) النجاء : الخلاص من الشيء ، نجا ينجونجوا ونجاءً ، ومدود ، ونجاة ،

مقصود ، ونجى واستنجا كنجاً .

(١)  
وَإِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَ هَذَا مُحَمَّدًا . . . لِأَفْضَلِ مَا يَرْجَى أَخٌ وَوَزِيرٌ

والأبيات قالها إبراهيم بن العباس عندما عَزِلَ عن الأهواز في أيام محمد بن عبد الملك الزيات ، فاعتُقِلَ بها ، وأُودِيَ ، وكان محمد قبل الوزارة صديقه ، وكان إبراهيم بن العباس يأمل أن يطلق سراحه ، فأنشد هذه الأبيات .  
وقد وجه الإمام عبد القاهر إحساسنا إلى مواطن الروعة فيها ، وترك لكل متذوق حرية التعليل لذوقه ، فقال :

" فإنك ترى ماترى من الرونق والطلاوة ، ومن الحسن والحلاوة ، ثم تتفقد السبب في ذلك ، فتجده إنما كان من أجل تقديمه الظرف الذي هو " إن نَبَا " على عامله الذي هو " تكون " ، وإن لم يقل " فلو تكون عن الأهواز داري بنجوة إن نَبَا دهر " ، ثم أن قال " تكون " ولم يقل " كان " ، ثم أن نَكَرَ الدهر ، ولم يقل " فلو إن نَبَا الدَّهْر " ، ثم أن ساق هذا التكبير في جميع ما أتى به مسن بعد ، ثم أن قال : " وَأُنْكَرَ صَاحِبٌ " ولم يقل : " وَأُنْكَرْتُ صَاحِبًا " لا ترى في البيتين الأولين شيئاً غير الذي عددته لك تجعله حُسْنًا في النظم ، وكله من معاني النحو كما ترى ، وهكذا السبيل أبدأ في كل حَسَنٍ ومزية رأيتهما قد نسبا إلى النظم ، وفضل وشرف حيل فيهما عليه .<sup>(٢)</sup>

فهذه الأبيات من محاسن الشعر ، وروائع القصيد لما تحملها كلماتها من معان عميقة معبرة عن إحساس الشاعر ، فالشاعر هنا سجين يئن تحت وطأة العذاب ، وذُل الحبس ، وانكسار النفس ، فقد كان والياً على الأهواز ، والسيد المطاع فيها ،

=== والنجوة والنجاة : ما ارتفع من الأرض فلم يعله السَّيل فظننته نجساءك ،

والجمع نجاء . / اللسان : " نجا " : ١٥ / ٣٠٤-٣٠٥ .

(١) انظر البيت في : الطرائف الأدبية - ديوان إبراهيم بن العباس الصولي - :

١٣٢ ، الأغاني - دار الكتب - : ١٠ / ٥٠ ، والبيت الأخير في معجم الأدباء :

١٦٩ / ١

(٢) الدلائل - رضا - : ٧٠-٧١ ، خفاجي : ١٢٧ ، شاكر : ٨٦ .



ثم هاهونا، وقد تتكرله الدهر، وتسلط عليه الأعداء، وعظم بذلك الخطيب، فتمنى لو أنه أصيب بما أصيب بعيداً عن الأهواز؛ لأن الذل في موطن السيادة والعز أشد وقعاً، وألماً على النفس، فنراه يصور حاله هذه بألفاظ تبعثها المعاني النفسية للشاعر، حيث قدم الظرف "إِنَّ نَبَاً" على معموله؛ لأن الشاعر أحس أول ما أحس بوطأة ذلك الزمن، فأراد أن يجسد أهواله ويصور جسامة الأمور التي ألمت به فيه، فهو زمن ليس كأبي زمن مر به، بل هو زمن يثير في نفسه الألم، ففيه أنكر هو الصاحب إذ لم يجد فيه ما كان يعهده، وتسلط عليه الأعداء، وانقلبت أحواله كلها، وتغيرت، فكان لا بد أن يقدمه؛ لأن فيه ولدت مأساته، وفيه ترعرعت، فاللفظ يترتب بحسب ترتيب المعاني في النفس .

قال الشيخ عبد القاهر:

"... وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك؛ لأنك تقتفي في نظمها آثار

المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس".<sup>(١)</sup>

ثم نكر لفظ الدهر ليبيّن عظم البلوى التي تحيط به، أو أن تنكير الدهر جاء تبعاً لإنكار النفس له، فقد أصبحت نفسه تنكر هذا الدهر، فهو زمن منكر عجيب، فليس هو الزمن الذي مر به وعاش فيه أيام كان سيداً مطاعاً على الأهواز. جاء في خصائص التراكيب:

"تجد أنه نكر دهرًا ليشير بهذا إلى أنه دهر منكر مجهول، فليس

هو الدهر الذي عهدّه الشاعر أيام نعمته وولايته على الأهواز، وقد كان

الشاعر عاملاً عليها من قبل الواثق بالله ثم عزل في وزارة محمد بن عبد الملك

الزيات، فهو ضائق ضجربد هر غادر...".<sup>(٢)</sup>

(١) الدلائل - رضا - : ٤٨ ، خفاجي : ٩٨ ، شاکر : ٤٩ .

(٢) خصائص التراكيب : ١٦٥ .

ويرى الدكتور مندور أن الشاعر نكّر لفظ " دهر " ليفرده ويجعله دهرًا خاصًا به ، دهرًا غدّارًا ابتلاه به القضاء المحتوم . ( ١ )

وانظر إلى بناء الفعل " أنكر " للمجهول ، وما فيه من إيهام أن الإنكار ليس منه وحده ، وإنما هو عام ؛ لأن القصد إثبات الفعل دون أن يلاحظ تعلقه بفاعل معين ، فمهم الشاعر بيان أن هذا الصاحب أنكر ، ولا يهم أن يكون هو ، أو غيره الذي أنكره ، ويتضح هذا المعنى لو فرضنا أن الشاعر قال : " وأنكرت صاحباً " إن بيد وأن المراد هنا أن يذكر إنكاراً ، وأن ينسبه إلى نفسه ، وعند بناء الفعل للمجهول يسقط الحديث عن النفس ، ويبقى في الصورة الإنكار وحده .

فالشاعر يريد من الصاحب إنساناً معيناً هو محمد بن عبد الملك الزيات ، وإنما نكّره لئلا يوقع الإنكار عليه ، فما زال الشاعر يرجو بعد هذا محمداً ، هذا إلى ما في معنى التنكير من التهويل ، ولو قال : " وأنكرت صاحبي " لذهب كل هذا . وفي تنكير لفظ " نصير " تجسيد لألم الشاعر ، وتجسيد لمأساته ، فالذي غاب عنه في محنته هذه ليس فرداً واحداً ، وإنما هم أفرادٌ عديدون خذلوه ، ولم ينصروه . وفي بناء الفعل " سلط " للمجهول ، وتنكير " أعداء " تصوير لتكالب الأعداء عليه . <sup>١</sup> وإذا كان تنكير الدهر ، وهو الشيء الواحد المعروف بوحده يفيد الإفراد ، فإن تنكير " صاحب " ، وأعداء " ، ونصير يفيد الإطلاق ، ويشعرنا بضيق الشاعر ، فهو ينكر كل صاحب لما كان من غدر ، وأولئك الصحاب ، وهو يريد أن كل عدو قد سلط ، وأن كل نصير قد غاب ، تنكير المتعدد أفاد الإطلاق ، والأمر في تنكير " مقادير وأموال " يشبه تنكير " دهر " فهو يخصصها بالشاعر ويجعلها وقفاً عليه . ( ٢ )

( ١ ) في الميزان الجديد : ١٩١ .

( ٢ ) المرجع السابق : ١٩١ - ١٩٢ .

فالشاعر هنا يذكر أربعة أمور: تنكر الدهر له وتحوله عنه ، وتغير صاحبه عليه ، وسلطان الأعداء عليه ، وتخلي الأنصار عنه ، وشر ما في الجميع تسلط الأعداء عليه ، بعد أن كانوا مغلوبين مقهورين .

ورأى الدكتور محمد أبو موسى أن تنكير " صاحب " هنا يدل على أنه صاحب لئيم حقير ، غير معروف بالصحة ، ولا مشهور بخلالها ، وأن تنكير " أعداء " للتحقير والتهوين من أمرهم . قال :

" وقد أراد بقوله " وأنكر صاحب " أنكرت صاحباً ، ولكنه جاء على هذا الأسلوب حتى لا يسند إنكار الصاحب إلى نفسه صريحاً في اللفظ ، وإن كان صاحباً لئيمًا محتقراً غير معروف بالصحة ، ولا مشهور بخلالها .  
وتنكير الأعداء في قوله : " وسلط أعداء " فيه معنى التحقير ، وقلة الشأن ، وأنهم ليسوا من مشاهير الرجال ، ورمز ببناء الفعل للمجهول في قوله " وسلط " إلى أنهم أداة في أيدي غيرهم لا يملكون من أمرهم شيئاً ، فهم لا يستطيعون عداوتي إلا إذا دفعوا إليها من مجهول ساقط (١) .  
وفي كلا الرأيين نظر :

أما أولاً : فلإنه يريد بالصاحب هنا " محمد بن عبد الملك الزيات " وهو يقبل فسي البيت الثالث : " وإني لأرجو بعد هذا محمداً " فكيف يرجوه وهو يحقره ؟ !

ولأن تعظيم الصاحب الذي أنكره أدل على عظم المصاب من تحقيره ، وهو إنما أراد بالبيت الأول أن يهول مصابه ؛ ليكون هذا سبباً قوياً في تنمية البعد عن الأهواز .

وأما ثانياً : فلأن الأعداء الذين سلطوا عليه لولم يكونوا ذوي خطر لما هالهم أمرهم ؛ ولأن يكونوا أعداء أقوياء حاقدين أنسب من أن يكونوا حقراء ؛ لأنه حينذاك لا يابيه لعداوتهم ، فهي لا تضره ، وإنما يقلقه أنهم يستطيعون ضره .

وبناء "سُلط" للمجهول دعا إليه أن التسليط كان من صاحبه محمد بن عبد الملك، وهو لا يريد أن يذكر أنه أغرى به أعداءه لأسباب واضحة . - هكذا يبدو لي . -  
ومن المعاني الثرة في هذه الأبيات اختياره الفعل المضارع " تكون " مع أن الحديث في البيت قبله كان بالماضي ؛ لأن الفعل المضارع يدل على المستقبل فيصور بذلك آمنيات الشاعر وأحلامه في أن يتحول هذا الزمن المليء بالآلام ، وتصبح داره في منجاة ، وكأنه يعرض أمنيته هذه على صديقه القديم ، ويؤكد له رجاءه فسي أن يحقق له هذه الأمنية ، وهذا الحلم الممتع ، فمثله يرجي في الملمات .  
فتصويره أمر نجاته، وكأنه أمر محقق وتوكيد هذا المعنى في البيت الذي يليه بقوله ، وإنِّي لأرجو " باستعمال إن، المؤكدة ، ولام التوكيد في " لأرجو " ، وتكبير لفظ أخ ، ووزير ؛ لتعظيم شأنه والإعلاء من قدره ، وتوكيد أنه لا منقذ له ما هو فيه إلا محمد هذا ، وأنه لن يقصد أحداً غيره ؛ لقد رته على ذلك دون سواه كل ذلك ليحث صديقه على الشروع والمبادرة في إنقاذها ، والإسراع في طلبية رغبته ، وتحقيق حلمه .

ورأى الدكتور مندور أن الشاعر " . . آختر المضارع " تكون " على الماضي " كان " ؛ لأن المضارع هنا نحس في دلالاته معنى الحالة المستمرة المنسحبة من الماضي إلى الحاضر والمستقبل، والشاعر ودَّ عندما نبأ الدهر لو تكون داره عن الأهواز بنجوة، تكون حتى قبل نبو الدهر - تكون وتستمر كذلك؛ لأن الدهر قد أثبت بنبوه تلك المرة أنه قادر على الغدر في كل حين، ومن الخير أن نقدر ذلك الغدر في كل حين، وإن المفاضلة بين الماضي والمضارع ليست مفاضلة بين ألفاظ بل بين معانٍ، وعلى الأصح بين حالات نفسية بأكملها (١).  
ومن الدقائق التي لم يشر إليها الشيخ ابتداءً الأبيات بحرف التمني " لو "

(١) قضايا النقد الأدبي : ٣٦٤ ، وانظر كذلك النقد التحليلي : ٢١٠ .

وماله من ايحاءات ومعانٍ نفسية ، فـ " لو " هنا للتمني ، والتمني تلازمه الحسرة ،  
ويكون في الأمور المتعذرة أو المستحيلة ومن هنا عظمت النكبة على الشاعر .  
ذكر الدكتور محمد زكي العشماوي أن الشاعر قال أبياته هذه عندما أحس  
بالإشاعات المفرضة التي أخذت تتردد بين الناس عن احتمال عزله وتجريده  
من منصبه ، ولقد زاد أمر هذه الشائعات ما جعل الشاعر يتبرم ويضيق ، فعبر بهذه  
الأبيات عما تكنه نفسه .

ويبدو من أسلوب الشاعر ، والعبارات الموحية في أبياته أنه قالها حين حل به  
البلاء ، ونزل به القضاء ، فعاش إحساس الضيق والتبرم ، ولم يكن مجرد شمعور ،  
ولم تكن مجرد إشاعات ، بل هي تجربة أليمة عاشها فعبر عنها أحسن ما يكون  
التعبير ، وصورها أدق ما يكون التصوير .

٢ - مزايا النظم بحسب المعاني والأغراض .

يرى الإمام عبد القاهر أن الفضل والمزية في الكلمة يكون بحسب الموضع ، وبحسب المعنى الذي يُراد ، والغرض الذي قيلت فيه ، فشبه المعاني بالأصباغ التي تُعمل منها الصور والنقوش ، فليس الفضل في ذات اللون بل الفضل والحسن في كيفية مزجه وتوزيعه على أجزاء الصورة .

فالإنسان قبل أن يعتمد إلى صبيغ ثوبه نراه يتخير ، ويتدبر في أنفُس الأصباغ ، وفي مواقعها ، ومقاديرها ، وكيفية مزجها وترتيبها ، فيجني بذلك نقشه أعجب ، وصورته أغرب ، وكذلك حال الشاعر في اختياره ، وتفكيره ، وتدبيره ، وتوجيهه معاني النحو ، ومعرفة وجوهه . قال الشيخ :

” . . . بل ليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع ، وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تُؤمُّ ، وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش ، فكما أنك ترى الرجل قد تَهَدَّى في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج ، إلى ضرب من التخير والتدبر في أنفُس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها ، وكيفية مزجها لها ، وترتيبها إيّاها إلى ما لم يكن يتَهَدَّى إليه <sup>(١)</sup> صاحبه ، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب ، وصورته أغرب ، كذلك حال الشاعر ، والشاعر فسي توخيها معاني النحو ، ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم <sup>(٢)</sup> .

ثم أشار الشيخ إلى أن الحسن أحيانا لا يتم إلا بمعرفة أجزاء القصيدة وانضمام الأبيات بعضها إلى بعض . قال :

” واعلم أن من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحسن كالأجزاء من الصبغ تتلاحق ، وينضم بعضها إلى بعض حتى تكثر في العين ، فأنت لذلك

( ١ ) في نسخة شاكر : ” ما لم يتَهَدَّى إليه صاحبه ” .

( ٢ ) الدلائل ، رضا : ٧١ ، خفاجي : ١٢٨ ، شاكر : ٨٧-٨٨ .

لا تكبر شأن صاحبه ، ولا تقضي له بالحدق ، والأستاذية ، وسعة الذرع ،  
وشسدة المنة حتى تستوفي القطعة ، وتأتي على عدة أبيات (١) .

ثم ذكر الشيخ أن الأبيات الحسنة ذات النمط العالي الشريف ، والكلام الفاخر  
نادرة ، فالإنسان يحتاج إلى أن يفلي ديواناً بكامله حتى يجمع منه عدة أبيات ،  
ثم ذكر من هذا النمط العالي الأبيات الآتية :

الشاهد الرابع والثلاثون : ( \* ) ( الوافر )

قول الشاعر : ( ٢ )

تَنَانَا لِيَلْقَانَا بِقَسْمٍ . : تَخَالُ بَيَاضَ لَأَمِهِمُ السَّرَابَا ( ٣ )  
فَقَدْ لَأَقَيْتَنَا فَرَأَيْتَ حَرْبًا . : عَوَانًا تَمْنَعُ الشَّيْخَ الشَّرَابَا ( ٥ )

- ( ١ ) الدلائل ، رضا ، ٧٠ ، خفاجي : ١٢٩ ، شاکر : ٨٨ .  
( \* ) الدلائل ، رضا : ٧١ ، خفاجي : ١٢٩ ، شاکر : ٨٩ .  
( ٢ ) هوزياد بن حنظلة التميمي صحابي ، بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم  
إلى قيس بن عاصم ، والزبيرقان بن بدر وليتعاونا على مسيلمة وطلحة ، وشهد  
مع أبي بكر حرب مانعي الزكاة يوم الأبرق / انظر الخبر في :  
تاريخ الطبري : ٢٤٧ / ٣ ، ٢٤٨ ، معجم البلدان : ١ / ٦٨ .  
( ٣ ) لَأَمِهِمُ : اللأم جمع لَأَمَةٍ ، وهي الدرع ، ويجمع أيضا على لَوْمٍ مثل نُفْرٍ ، على غير  
قياس كأنه جمع لَوْمَةٍ ، واللأمة مهموزة : الدرع ، وقيل السلاح ، ولأمة الحرب :  
أداتها ، وقد يترك الهمز تخفيفا ، ويقال للسيف لأمة ، وللمرجم لأمة ، وإنما  
سُميت لأمة لأنها تلائم الجسد وتلازمه ، وقال بعضهم : اللأمة الدرع الحصينة  
سُميت لأمة لإحكامها وجودة حلقها / اللسان " لأم " : ١٢ / ٥٣٢ .  
( ٤ ) عَوَانًا : الحرب العوان المترددة ، قوتل فيها مرة بعد مرة / اللسان :  
" عون " : ١٣ / ٢٩٩ .  
( ٥ ) لم أجد البيتين فيما رجعت إليه من مصادر ، والذي وجدته بيتان هما  
فيما يبدو قبل بيتي الشاهد ، وهما :

وَيَوْمَ بِالْأَبَارِقِ قَدْ شَهِدْنَا . : عَلَى نُبَيَّانَ يَلْتَهِبُ التَّهَابَا  
أَتَيْنَاهُمْ بِدَاهِيَةٍ نَسُوْفِي . : مَعَ الصَّدِيقِ إِذْ تَرَكَ الْعِثَابَا

وهما لزياد بن حنظلة أنشدهما في الموقعة التي كانت بين أهل الردة وأبي بكر



ذكرهما الشيخ من غير نسبة ، وأشار إلى أن أبا بكر الصديق رضوان الله عليه ،  
 قد مثل بهما حين أتاه كتاب خالد بالفتح في هزيمة الأعاجم ، وهما الزيد بن حنظلة الحميري .  
 والشاهد فيهما أن جمال البيتين يكمن في أن " الفاء " وقعت موقعهم —  
 اللائق بها . قال :

" انظر إلى موضع " الفاء في قوله :

( ١ )  
 " فَقَدْ لَاقَيْتَنَا فَرَأَيْتَ حَرْبًا "

فـ " الفاء " هنا وقعت موقعاً رائعاً ، حيث ربطت بين معنيين ، وموقعين متغايرين ،  
 فالشاعر يذكر أن عدوه تمنى وأحب لقاءه ؛ لأنه كان واثقاً من النصر لغروره بكثرة  
 عدته وعتاده ، ثم جاء بـ " الفاء " ، " فَقَدْ لَاقَيْتَنَا " التي طوت الزمن ، وطوت كثيراً  
 من الأحداث ، ونقلتنا بسرعة إلى نتيجة اللقاء ، وهذا هو الخبر المهم الذي أراد  
 أن يطلعنا عليه الشاعر ، ثم جاء بـ " الفاء " في قوله : " فرأيت " ، فدللت على  
 أنه على الرغم من كثرتهم الكاثرة تمت هزيمتهم في وقت قصير وبسرعة عجيبة ،  
 " فالفاء " هنا عملت على إشباع نفوسنا بالسخرية من ذلك العدو ، وازدراء عدته  
 وعتاده .

وكذلك نجد في قوله : " تمنع الشيخ الشرابا " لمحة جمالية ، فقد جسد لنا  
 صورة الحرب التي دارت ، وأبرز شدتها وضراوتها ، فمن المتعارف عليه في الحروب  
 قديماً أن الشيوخ والأطفال والنساء يكونون دائماً في مأمن ، أما هذه الحروب  
 لهولها وفظاعتها نزع الأمان من قلوب الشيوخ حتى أنهم لم يجروؤا على الطعام  
 والشراب .

• ذكر الأستاذ محمد زكي العشماوي أن الشيخ عبد القاهر استطاع أن يكشف

=== الصديق ، ووقعت في موضع يقال له : أَبْرَقُ الرَّيْدَةِ ، وهو من منازل بني

ذبيان ، فغلبهم عليه أبو بكر . / معجم البلدان : ٦٨ / ١ .

( ١ ) الدلائل ، رضا : ٧١ ، خفاجي : ١٢٩ ، شاكر : ٨٩ .

في كتابه " دلائل الاعجاز " ، وهو بصدد الحديث عن فكرة النظم عن كثير من الأسرار الكامنة في عوامل الصياغة ، وبين لنا أن حرفاً واحداً يقع موقعه من الكلام يمكنه أن يرفع القيمة الفنية والجمالية إلى مستوى لم يكن الكلام يبلغه لولا مجيء هذا الحرف في مكانه من التعبير، فحرف " الفاء " في بيتي الشاهد يكشف لنا عن الأثر الذي يتركه هذا الحرف فيهما ، ومبلغ ما يمنحه هذا الحرف الواحد من الفضل ، وما يضيفه على المعنى من ظلال ، فـ " الفاء " ، هنا استطاعت أن تصل بين موقفين متباينين تماماً يتلو الواحد منهما الآخر ، ويناقضه ، وتقف " الفاء " بينهما لتكشف النقاب عن خيبة الأمل التي انتهت إليها هذا الدعي المفرور الذي كان يظن أن لديه القدرة على سحق خصومه ، والذي بلغ به الاعتداد ، والثقة بالنفس أن يتمني اليوم الذي يلتقي فيه مع خصومه في حرب حتى يذيقهم درساً لا ينسونه ، وحتى ينتقم منهم ويتشفى ، فإذا الحرب تقوم ، وإذا الأمل العريض الواسع ينتهي إلى حقيقة مرة ساخرة ، وإذا الأمور تنقلب عن وجهها ، فينهزم أمام خصومه أي هزيمة .

وهكذا ترى أن كثيراً ما يشعر به القاري، عقب قراءته لهذين البيتين من معاني السخرية والتهمك، بل التشفي فيما انتهى إليه هذا الخصم المفرور، إنما يكن في الوصل بـ " الفاء " بين البيتين ، وفي براعة الشاعر ، وقدرته على الاستفادة من حرف " الفاء " ، الذي عرف كيف يضعه الموضع اللائق به ، فإذا كان حرف واحد في موضع معين من الكلام قد حمل كل هذه المعاني والمشاعر، ولون البيت بعاطفة محددة وجعلها قادرة على أن تبلغ تأثيرها المطلوب ، فكيف بعوامل الصياغة الأخرى ؟<sup>(١)</sup>

(١) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث : ٣٩٦ - ٣٩٨ .  
وعنه أخذ الدكتور أحمد عبد السيد الصاوي في كتابه النقد التحليلي :

## الشاهد الخامس والثلاثون : ( \* ) ( البسيط )

قول العباس بن الأحنف (١) :

قَالُوا خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يَزِيدُ بَيْنَنَا . . . ثُمَّ الْقَوْلُ فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانًا (٦) (٥) (٤) (٣) (٢)

( \* ) الدلائل ، رضا : ٧١ ، خفاجي : ١٣٠ ، شاكر : ٩٠ . هـ

( ١ ) هو العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي ، أبو الفضل " ١٩٢-٠٠ " .

شاعر غزل ، قال عنه البحثري أنه أغزل الناس أصله من اليمامة ، وسكن أهلته

البصرة وبها مات أبوه ، ونشأ هو ببغداد ، وتوفي بها وقيل بالبصرة ،

وهو خال إبراهيم بن العباس الصولي ، كان العباس بن الأحنف رقيق

الحاشية لطيف الطباع ، جميع شعره في الغزل / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٢ / ٨٣١ - ٨٣٥ ، الأغاني : ١٠ / ٢٠٩ - ٢١٠ ،

٨ / ٣٥٢ - ٣٧٥ ، تاريخ بغداد : ١٢ / ١٢٧ ، ١٣٣ ، وفيات

الأعيان : ٣ / ٢٠ - ٢٦ ، البداية والنهاية : ١٠ / ٢٠٩ - ٢١٠ ،

الأعلام : ٣ / ٢٥٩ .

( ٢ ) خراسان إقليم معروف ، ومعنى خُر : كلُّ ، وأسان : معناه سهيل أي

كلُّ بلا تعب ، وقيل : معنى خراسان بالفارسية : مطلع الشمس

والعرب إذا ذكرت المشرق كلة قالوا فارس ، فخراسان من

فارس / انظر :

معجم ما استعجم : ٢ / ٤٨٩ - ٤٩٠ .

( ٣ ) رواية مصارع العشاق : " أقصى ما نحاوله " .

( ٤ ) رواية مصارع العشاق : " ودون ذاك " .

( ٥ ) رواية المصارع : " فقد جُزنا " .

( ٦ ) انظر البيت في :

ديوانه - دار صادر - : ٣١٢ .

وقد أشار جامع الديوان إلى أن البيت لم يرد في أصول الديوان ،

وانما أخذه عن رواية الأغاني .

الأغاني : ٨ / ٣٧٢ ، مصارع العشاق : ٢ / ٢٠٠ .

والشاهد مطلع قصيدته التي قالها حين خرج إلى خراسان بصحبة الرشيد  
- وكان قد ألفه - وطال مقامه بها ، ثم خرج إلى أرمينية <sup>(١)</sup> فعارضه في طريقه ،  
فأنشده الأبيات <sup>(٢)</sup> .

وبعد الشاهد :

مَتَى يَكُونُ الَّذِي أَرْجُو وَأَمْلِسُهُ . : أَمَا الَّذِي كُنْتُ أَخْشَاهُ فَقَدْ كَانَنَا <sup>(٣)</sup>  
مَا أَقْدَرَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِي عَلَيَّ شَحْطِي . : جِيرَانٍ بِجِلَّةٍ مِنْ جِيرَانٍ جِيحَانَا <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup>

( ١ ) أرمينية : ناحية بين آذربيجان والروم ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة ، أكثر  
أهلها نصارى ، بها جبلان عظيمان : جبل الحارث والحويرث لا يقدر  
أحد على ارتقائهما . / انظر :

أثار البلاد وأخبار العباد : ٤٩٥ - ٤٩٦ .

( ٢ ) الأغانى : ٣٧٢ / ٨ .

وجاء في مصارع العشاق أنه لما خرج المأمون إلى خراسان كان في بعض  
الليل جالسا في ليلة مقمرة إذ سمع مغنيا يغني من خيمة له :  
قَالُوا خُرَاسَانَ أَقْصَى مَا نَحَا إِلَيْهِ . : وَدُونَ ذَلِكَ فَقَدْ جُزْنَا خُرَاسَانَا  
فخرج المأمون من موضعه حتى وقف على الخيمة وعلمها ، فلما كان من الغد  
وجه ، فأحضر صاحب الخيمة ، وهو شاب ، فسأله عن اسمه ، فقال : العباس  
ابن الأحنف ، قال أنت الذي كنت تقول :

مَتَى يَكُونُ الَّذِي أَرْجُو وَأَمْلِسُهُ . : أَمَا الَّذِي كُنْتُ أَخْشَاهُ فَقَدْ كَانَنَا  
قال : نعم ، قال : ماشأئك ؟ قال : يا أمير المؤمنين تزوجت ابنة عم لسي ،  
فنادى مناديك يوم أسبوعي في الرحيل إلى خراسان ، فخرجت ، فأعطاه  
رزق سنة ورده إلى بغداد ، وقال : أقم إلى أن تنفقهما فإذا نفدت رجعت .

( ٣ ) ذكر في مصارع العشاق بعد الشاهد :

مَا أَقْدَرَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِي بِعِزَّتِهِ . : سُكَّانَ بِجِلَّةٍ مِنْ سُكَّانٍ جِيحَانَا / :

٢ / ٢٠١ .

( ٤ ) رواية مصارع العشاق : " بعزته " .

( ٥ ) رواية المصارع : " سكان " .

( ٦ ) رواية المصارع : " سكان " .

(١) عَيْنُ الزَّمَانِ أَصَابَتْهَا فَلَا تَنْظُرُ .: وَعَدَّتْ بِفُنُونِ الْهَجْرِ الْوَانَا  
(٢)  
(٣) يَأْتِيَتْ مَنْ نَتَمَتَّى عِنْدَ خَلْوَتَيْتَا .: إِذَا خَلَا خَلْوَةٌ يَوْمًا تَمَنَّا

أشار الشيخ إلى أن سر الجمال يكمن في موضع " الفاء " و " ثم " قبلها .

قال :

" انظر إلى موضع " الفاء " و " ثم " قبلها (٤) .

• يشكو العباس في هذه الأبيات كثرة الترحال ، وعدم الاستقرار ، ويشكو الحنين إلى بلده ، ولكنه لا يستطيع أن يصرح بذلك تصريحاً مكشوفاً ، لأن الرشيد كان يصحبه معه لألفته به ، فكيف يواجه شعور الألفة ، بشعور التبرم صراحة ؛ لذا نرى الشاعر لجأ إلى أسلوب يبرز مشاعره ، وينقل إحساسه من غير تصريح ، فقال :

" قَالُوا خُرَاسَانَ أَقْصَى مَا بَيْنَنَا " ، ولم يحدد من القائل بل ترك هذه الكلمة

تنبه إحساس القائل بأنه قد أعطى وعداً بأن آخر مطافهم هو بلاد خراسان ، ولكن

الشاعر عندما رأى الحقائق تغيرت أصابه الملل والضجر ، وقوله : " ثم القبول " جعل

" ثم " تحمل معنى الاستبعاد ، فهي هنا لا تدل على التراخي ، لأن السياق لا يتحمل

هذا المعنى ، فالتراخي لا يتلاءم مع إحساس الشاعر بالضجر والتبرم ، فالأحداث

والأفعال قبل " ثم " مهيئة لعدم حصول ما بعد ها (٥) .

وحدث " ثم " معنى الحسرة ، لأن أمر القول والرجوع إلى الأوطان أصبح بعيداً في نفس

الشاعر بالنسبة للاقتراب ، والبقاء في خراسان .

ونفسية الشاعر كانت مهيأة للبعد عن الديار لفترة محدودة أقصاها ببلاد

خراسان ، وعندما زادت المدة فوجي ، الشاعر فأصابه القلق ، والملل ، والضجر ، وأحس

بالضيق لإخلاف الوعد ، وغالبه الشوق والحنين إلى الديار فجاء بـ " الفاء " ليحملها

(١) رواية المصارع : " عينا أظن " .

(٢) رواية المصارع : " يصنوف " .

(٣) ديوانه : ٣١٢ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٧١ ، خفاجي : ١٣٠ ، شاكر : ٩٠ .

(٥) البلاغة القرآنية عند الزمخشري ، محمد أبو موسى : ٢٣٨-٢٣٩ .

كل هذه المعاني ، فحلت بذلك كثيراً من المعاني النفسية والشعورية التي كانت تثقل نفس الشاعر ، ولا يستطيع أن يجهر بها ، ويصرح ، ونرى الشاعر بعد ذلك يلجأ إلى تسلية نفسه وتصبيرها ، فأخذ يتأمل ويحلم بالرجوع ، فجاء بالاستفهام يحمله أحلامه ورغباته في العودة فقال : " متى يكون " ثم جاء بالاسم الموصول " السذي " فحمله كل رجائه ، فلفظ " الذي " يرمز إلى رغبته في العودة ، ثم بين أن الأمر الذي يخشاه فاجأه بالتحقق والحصول : " فقد كانا " فالفاء هنا جاءت مفاجأة للشاعر ، فصدت أحلامه ، وحطمت آماله " فأحسن مواقع الفاء ما تدل فيه على المفاجأة " وقد لحظ الزمخشري هذا (١) في قوله تعالى : ﴿ فَفَقَدَ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ﴾ (٢) قال : " هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات ، وحذف القول ، ونحوها قوله تعالى . . . وقول القائل :

قَالُوا خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يَرَانُ بِنَا . . . ثُمَّ الْقَوْلُ فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانًا (٣)

والفاء هنا دللت أيضا على تحقق الأمر الذي يكره .

الشاهد السادس والثلاثون : ( \* ) ( الطويل )  
قول ابن الدمينية : (٤)

أَبِينِي أَفِي يُمَتِي يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي . : فَأَفْرَحَ أُمَّ صَيْرْتَنِي فِي شَيْءٍ سَأَلِكِ

( ١ ) البلاغة القرآنية عند الزمخشري : ٢٤٠ .

( ٢ ) الفرقان : ١٩ .

( ٣ ) الكشف : ٣ / ٨٦ .

( \* ) الدلائل ، رضا : ٧١ ، خفاجي : ١٣٠ ، شاکر : ٩٠ .

( ٤ ) ابن الدمينية : الدمينية أمه ، وهي الدمينية بنت حذيفة السلوليه ،

واسمه عبدالله بن عبيد الله ، أحد بني عامر بن تميم بن مُبَشَّر بن

أكلب بن ربيعة بن عفرس بن حلف بن أفتل ، وكان يهوى امرأة من

قومه يقال لها أميمة . /

انظر ترجمته وأخباره في :-

نوادير المخطوطات : " أسماء المفتالين " : ٢ / ٢٦٩ - ٢٧١ ، نوادر

المخطوطات : " كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء " : ١ / ٨٨ ،

الشعر والشعراء : ٢ / ٧٣٥ - ٧٣٦ ، الأغاني : ١٧ / ٩٣ - ١٠٦ .

(١) أَيْبْتُ كَأَنْتِي بَيْنَ شَقِيمَيْنِ مِنْ عَصَا . : حِذَارَ الرَّدَى أَوْ خِيفَةً مِنْ زِيَالِكَ  
(٢) تَعَالَلْتُ كَيْ أَشْجَى وَتَايِكَ عِطَّةٌ . : تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتُ بِذَلِكَ  
(٣)

(١) ذكر الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه "قضايا معاصرة" : ٦٦ .

رواية أخرى للبيت لم أقف عليها، وهي :

أَيْبْتُ كَأَنْتِي بَيْنَ شَقِيمَيْنِ مِنْ رَحَى .

ويبدو أن هذه الرواية أفضل، لأن الشاعر يشكوشدة حاله ، ووجده ، فشقا

الرحى آنق في التعبير، وأدق في تصوير حاله فهي أشد إيلا ما له .

(٢) رواية العقدة الفريد، وأمالي القالي : " تَمَارَضْتُ " .

(٣) وهذه الأبيات بهذا الترتيب تفرد بها الشيخ عبد القاهر، فلم أجد لها كذلك

في ديوانه ، ولا في المشهور من كتب الأدب - على حسب المراجع والمصادر

التي رجعت إليها - ، فذكر في الديوان من هذه الأبيات .

البيت الأول فقط وقبله :

أَرَى النَّاسَ يَزْجُونَ الرَّبِيعَ وَإِنَّمَا . : رَجَائِي الَّذِي أَرْجُو جَدَى مِنْ نَوَالِكَ

وبعده :

لَيْنَ سَاءَ نِي أَنْ نَلْتَبِي بِمَسَاءَةٍ . : لَقَدْ سَرَّنِي أَنْتِي خَطَرْتُ بِبَالِكَ

وكذلك في أمالي الزجاجي لم يذكر إلا البيت الأول فقط، وذكر قبله :

لِيَهْنِكَ إِسْكَارِي بِكْفِي عَلَى الْحَشَا . : وَرَقْرَاقُ عَيْنِي خَشِيَّةٌ مِنْ زِيَالِكَ

وبعده :

أَرَى النَّاسَ يَزْجُونَ الرَّبِيعَ وَإِنَّمَا . : رَجَائِي الَّذِي أَرْجُو رَجَاءُ وَصَالِكَ

وفي العقدة الفريد ذكر البيت الثالث فقط، وبعده :

وَقَوْلِكَ لِلْعَوَادِ كَيْفَ تَرَوْتَنِي . : فَعَالُوا قَتِيلًا قُلْتُ أَهُونُ هَالِكَ

لَيْنَ سَاءَ نِي أَنْ نَلْتَبِي . . .

وكذلك في أمالي القالي . ذكر البيت الثالث فقط، وذكر بعده :

لَيْنَ سَاءَ نِي أَنْ نَلْتَبِي . . .

وفي المفتاح لم يذكر إلا البيت الثالث فقط .

وفي الحماسة البصرية ذكر أيضا البيت الثالث فقط وذكر قبله :

أَرَى النَّاسَ يَخْشَوْنَ السَّنِينَ وَإِنَّمَا . : سِنِيَّ الَّتِي أَخْشَى صُرُوفَ احْتِمَالِكَ

وبعده :

والأبيات من قصيدة مطلعها :

(٢) قَفِي يَا أُنَيْمَ الْقَلْبِ نَقْضِ لِبَانَةٍ . . . وَتَشْكُ الْهَيَّوَى ثُمَّ أَفْعَلِي مَا بَدَأَ لَكَ (١)

==== وَقَوْلِكَ لِلْعَوَادِ كَيْفَ تَرَوْنَهُ . . .

وكذلك ذكر في الإيضاح، وشرح أبياته البيت الثالث فقط .

وفي أنوار الربيع ذكر البيت الأول، والثالث إلا أنه ذكر البيت الثالث أولاً، ثم

أعقبه بقوله : تَقُولِينَ لِلْعَوَادِ كَيْفَ تَرَوْنَهُ . . .

لَيْتَنُ سَاءَنِي أَنْ نَلْتَبِسِي . . .

أَبِينِي أَفِي يُمَتَّى يَدِيكَ جَعَلْتَبِي

وفي الكشكول للعالمي ذكر عدة أبيات من ضمنها البيت الثالث والأول ،

وذكر البيت الثالث أولاً وبعده : لَيْتَنُ سَاءَنِي أَنْ نَلْتَبِسِي . . .

ثم ذكر البيت الأول .

وفي شرح الحماسة للمرزوقي، وأمالي المرتضى، والزهرة ذكرت عدة أبيات من

القصيدة ، ولم يُذكر ضمنها أبيات الشاهد . / انظر :

ديوان ابن الدمينه : ١٧ ، العقد الفريد " دار الفكر " : ٢٥٦ / ٢ ، أمالي

الزجاجي : ١٠٨-١٠٩ ، الأغاني - : ١٧ / ٩٢ ، أمالي القاسمي :

٣٠ / ١ ، الأشباه والنظائر للخالدين : ٢ / ٥٦ ، معاني أبيات الحماسة :

١٨٩ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٣٠٧-١٣٠٨ رقم ( ٥١٠ ) ،

أمالي المرتضى : ١ / ٤٩٥ ، شرح الحماسة للتبريزي : ٣ / ١٤٨-١٤٩ ، المفتاح :

٨٥ ، الحماسة البصرية : ٢ / ١٠٦-١٠٧ ، الإيضاح : ١ / ١٥٥ ، شرح

أبيات الايضاح - فيض الله - ورقة : ٢٣ ، أنوار الربيع : ٤ / ٥١ ،

٢٢٧ / ٦-٢٢٨ ، الكشكول : ٢ / ٣ / ٧٢ .

( ١ ) اللبانة : الحاجة من غير فاقسة ، ولكن من همة / " اللسان مادة " لبسن "

١٣ / ٣٧٧ .

( ٢ ) هذا البيت منسوب في الزهرة لخليفة بن روح الأسدي : ١ / ٨٦ ، ذكر محقق

الديوان أنه يروى : " تَشْكُ الَّذِي يَنَا وَفَرَطَ الْهَيَّوَى "

وفي الأمالي للزجاجي ، والمرتضى ، والزهرة والأشباه ، والحماسة البصرية :

" تَقْرَأُ تَحِيَّةً - وَتَشْكُو الْهَيَّوَى "

وفي رواية شرح الحماسة للمرزوقي ومعاهد التنصيص ، ورواية معانسي

=====



وموضع الشاهد في الأبيات في البيت الثالث وهو قوله :

” تَرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتَ بِذَلِكَ ”

قال الشيخ : ” انظر إلى الفصل والاستئناف في قوله :

” تَرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتَ بِذَلِكَ ”

• إن الفصل والاستئناف اللذين أشار إليهما الشيخ ليس في ذاتهما يكن سر الجمال ، ولكنهما استطاعا أن يحددا موقعا من المواقع الفنية العجيبة في الأبيات؛ لأنها جاءا عقب هذا التقديم الذي قدم به الشاعر لموقفه من حبيبته ، فهنا في حالة اضطراب نفسي ، فصاحبته تستعمل معه سياسة الكر والفر ، فهنا لا تعطي حتى تمنع ، وهي إن لانت وأسمحت يوماً عصت واستعصت أياماً ؛ لذا وقع الشاعر في حيرة من أمر محبوبته أهي تكن له الود والمحبة فكنتي عن ذلك بقوله :

” أفي يمتني يدك جعلتني ” ؛ لأن العرب تقول في الشيء إذا كان موضع العناية والاهتمام هو في يمينه ، أو تلقاه بيمينه ، أو أخذه بيمينه ، فاليمين بركة وبشارة ، أم أنها لا تقيم لحبه وزنا ؟ وكنتي عن ذلك بقوله : ” أم صيرتني في شمالك ” ؛ لأن العرب تقول : صيره في شماله إذا لم يحفل به ، فالشمال شرٌّ وشؤم ، وعبر عن حيرته هذه بالاستفهام الذي أنطوى على معاني الضيق والتبرم ، وجسد مشاعر الحيرة الدائرة في نفسه .

واستعمل الفاء في قوله : ” فأفرح ” ؛ لأنه وجد فيها مخرجا من يأسه ؛ ولأن هذا هو ما يبتناه ويرجوه من صاحبته ، ونراه أضرب بعد قوله في شمالك فعمل ” فأحزن ” ؛ لأن ذكر الحزن يضاعف من همه .

وصور حيرته ، وألمه ، وشدة وجده ؛ بأن شبه نفسه كالواقع بين شقي رحى ، ففراقها عنده هو الموت بعينه .

==== أبيات الحماسة : ” رَقِي يَا أُمِّمِ الْقَلْبِ نَقْضِ تَحِيَّةً ” .

وذكر ابن معصوم أن مطلع القصيدة :

رَقِي قَبْلَ وَشَكِّ الْبَيْنِ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ . . وَلَا تَحْرَمِينَا نَظْرَةَ مِنْ جَمَالِكَ

ثم يذكر تلاعب صاحبه بعواطفه ، وكيف أنها تتعالم وتتمارض لتحزنه وتشجيه ؛ لأنها تعلم مكانتها في نفسه ، وعندما اشتد حزنه وألمه ، وبلغ به الصراع النفسي كل مبلغ قطع كلامه ، وتوجه بالحديث إلى صاحبه ، وكأنه يلومها ، ويستعطفها في آن واحد ، فقال :

” تَرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتِ بِذَلِكَ ”

فأسم الإشارة هنا جاء ليؤدي دوره في تجسيد المعنى حيث جعل قتله أمراً ظاهراً محسوساً بالبصر يشار إليه كما يشار إلى أي صورة محسوسة .  
قال السكاكي :

” وإنما قال قد ظفرت بذلك ، ولم يقل بقتلي لادّعاءه أن قتله ظهر

ظهور المحسوس بالبصر المشار إليه باسم الإشارة (١) .

فهذا التعالم المتعمد ، والضيق الذي يحاصر نفسه ، ويكتم أنفاسه ، وموقفه الذي لا يعلم مكانه أهو موضع اهتمام من حبيبه أم لا ؟ والاستفهام الذي يمثل التبرم بالموقف ويمتلى بهذا الضيق ، وتلك الحيرة والثورة النفسية في قمة الأبيات ، كل هذا يسلم في النهاية إلى استفهام أخير يركز عنده الفصل والاستئناف ، ويحمل الصوت الحزين والنهاية المؤلمة ، ثم إن صوت الهمزة يتكرر في البيتين الأول والثاني ؛ لأنه جعلها مثلاً لصرخته التي يعلن من خلالها عن مأساته مع صاحبه ؛ وذلك لما تمتاز به الهمزة من أنها أقوى الحروف الحلقية ، ثم جاء بالتشبيه ؛ ليكمل التعبير عن موقف الضيق والتبرم والخوف من فراقها نهائياً ، وفي ذلك هلاك له ؛ لأن زوالها عنه وهلاكه سيان ، وقد ربط حرف العطف ” أو ” في قوله :

” حَذَارَ الرَّدَى أَوْ خَيْفَةَ مَن زِيَالِكَ ” بين الموقنين وسوى بينهما ، وهذه إحدى وظائفه النحوية .

(١) المفتاح : ٨٥ ، وانظر كذلك : معاهد التصحيح : ١ / ١٥٩ .

وهكذا نحس مع الشاعر قيمة ما يحمله الفصل، ثم الاستئناف من معنى، وما يتضمنه من مشاعر عاوتت وساعدت في تكوينها، وتجميعها أجزاء الكلام كلها في وحدة متكامل (١).

وقد ذكر ابن معصوم هذه الأبيات في موضوع "الانسجام"، فهي عنده مسن الكلام العذب الألفاظ، السهل التراكيب، الحسن السبك، الخالي من التكلف والتعقيد، يكاد يسيل من رفته، وينحدر انحدار الماء في انسجامه (٢).

### الشاهد السابع والثلاثون : ( \* ) ( البسيط )

قول أبي حفص الشطرنجي (٣) ، قاله علي لسان عُلَيَّة (٤) أخت الرشيد وقد كان الرشيد عتب عليها :

(١) انظر: قضايا النقد الأدبي : ٣٦٢ ، النقد التحليلي : ٢٠٦ ، خصائص التراكيب : ١٥٦ .

(٢) أنوار الربيع : ٤ / ٥١ ، ضا جبي : ١٣٠ ، شاعر : ٩٠ .  
 (٣) هو عمر بن عبد العزيز مولى بني العباس ، وكان أبوه من موالي المنصور  
 (٤) فيها يقال ، وكان اسمه أعجيباً ، فلما نشأ أبو حفص وتأدب غيَّره وسمَّاه  
 عبد العزيز ، نشأ في دار المهدي ، ومع أولاد مواليه ، وكان مشغوقاً بالشطرنج فلقب به لغلبيته عليه ، فلما مات المهدي انقطع  
 الشاعر إلى عُلَيَّة ، وأصبح شاعرها المفضل (ت . ٢١٠ هـ) .  
 انظر ترجمته في : -

الأغانِي : ٢٢ / ٤٤ - ٥١ ، سمط الآتي : ٥١٧ / ١ .  
 فوات الوفيات : ٣ / ١٣٥ - ١٣٧ ، شخصيات كتاب الأغانِي : ٢٥٢ .  
 (٤) هي عُلَيَّة بنت المهدي " ١٦٠ هـ - ٢١٠ هـ " أمها أم ولد مغنِيَّة  
 يقال لها مكنونة كانت من جوارِي المروانية ، وليست من آل مروان بن الحكم ، توفيت عُلَيَّة ولها من العمر خمسون سنة . وصلَّى عليها  
 المأمون . / انظر ترجمتها في :  
 الأغانِي : ١٠ / ١٦٢ - ١٨٦ ، شخصيات الأغانِي : ٤١٠ .

(١)  
 لَوْ كَانَ يَمْنَعُ حُسْنَ الْفِعْلِ صَاحِبَهُ . . مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ذَنْبٌ إِلَى أَحَدٍ  
 كَانَتْ عَلِيَّةٌ أَبْرَى النَّاسِ كُلِّهِمْ . . مِنْ أَنْ تُكَافَأَ بِسُوءِ آخِرِ الْأَبَدِ  
 مَا عَجَبَ الشَّيْءَ تَرْجُوهُ فَتَحْرَمَهُ . . قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّي قَدْ مَلَأْتُ يَدِي

وموضع الشاهد في قوله : " قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ "

قال الشيخ :

" أَنْظِرْ إِلَى قَوْلِهِ " قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ " ، وَإِلَى مَكَانِ هَذَا الْاِسْتِثْنَاءِ (٢)

صاغ الشاعر هذه الأبيات تعبيراً عن شعورٍ وُلِّيَتْه نعمته ، وإفصاحاً عن رغبتها  
 في أن تعود أيام الصفاء بينها وبين أخيها ، فأحسن الشاعر وأبدع في نقل هذه  
 الرغبة الصادقة ، حيث بدأ الأبيات بلفظ " لو " الذي حمل في طياته معني  
 الاستعطاف والاعتذار والرجاء ، وأسنده " المنع " ، لحسن الفعل إسناداً مجازياً علاقتَه  
 السببية لبيمن أن وليته لا يصدر عنها إلا الفعل الحسن ، فإذا كان هذا الفعل  
 الحسن هو الذي يصون المرء من أن يذنب في حق أحد ، كانت عَلِيَّةٌ هِيَ  
 المتفردة بالبراءة ؛ لأن صفة " حُسْنُ الْفِعْلِ " قد لازمتها ، فليس من العدل أن يساء  
 إليها آخر الأمر .

وقال " تَكَافَأَ " بدل " تَجَازَى " ؛ لأنه استعظم أن يذكر كلمة " تجازى " التي تستعمل  
 غالباً مع الأمر السيئ ، وكأنه يُلَمِّحُ ويشير إلى أن الأمر الذي تستحقه عَلِيَّةٌ هو  
 المكافأة والثواب ، ثم يأسف الشاعر ويتعجب من حال الإنسان الذي يتمنى ويرجو  
 أشياء ، ولكن لا يجد أمامه إلا الحرمان .

( ١ ) رواية الأغاني : " حُسْنُ الْعَقْلِ " .

( ٢ ) لم أجده فيما اطعته عليه من مصادر إلا في :

الأغانى ————— ي : ٤٨ / ٢٢ ، فوات الوفيات : ١٣٧ ، وذكر في

الأغانى بيتاً رابعاً قبل البيت الأخير وهو :

مَالِي إِذَا غَبَّتْ لَمْ أَذْكَرْ بِوَاحِدَةٍ . . وَإِنْ سَقِمْتُ فَطَالَ السُّقْمُ لَمْ أُعْبِدِ

( ٣ ) الدلائل ، رضا : ٧٢ ، خفاجي : ١٣٠ ، شاكر : ٩٠ .

انظر إلى قوله " ما أعجب الشيء " ، وكأنه يرمز بلفظ " الشيء " إلى الصلح والصفاء الذي ترجوه عُلَيَّة ، وتنطوي عليه نفسها وأنظر إلى حسن موقع " الفناء " في قوله " ترجوه فتحرمه " وكيف سارعت برسم خيبة الرجاء ، وتسابق الحرمان . فحين أحسن الشاعر بشعور الخيبة هذا ، قطع الكلام واستأنف بقوله : " قَد كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي قَد مَلَأْتُ يَدِي " فعبّر عن خيبة الأمل بهذا الأسلوب الكنائي المعبر الجميل فحمل من معاني الحسرة والألم والأسى ما فطرت له نفس الشاعر . وساعدت أدوات التوكيد هذا الأسلوب الكنائي في إبراز صورة الخيبة ، فبدأ البيت بـ " قد " ، ثم جاء بـ " إن " ، ثم كرر " قد " مرة أخرى في قوله " قد ملأت " . ولجأ الشاعر إلى أسلوب التلميح والرمز ليرقق عاطفة الرشيد ويشير في نفسه الحنين ، فالرمز والتلميح في هذه المواقف أشد وقعا على النفس من التصريح ، لأن الرمز هو حديث العواطف والمشاعر .

### الشاهد الثامن والثلاثون : ( \* ) ( الخفيف )

قول أبي دؤاد ( ١ ) :-

- ( \* ) الدلائل ، رضا : ٧٢ ، خفاجي : ١٣٠ ، شاكر : ٩١ .  
 ( ١ ) هو أبو دؤاد الإيادي ، وهو جارية ، ويقال جويرية بن الحجاج بن يحمر ، وقيل " حمران " بن بحر بن عصام بن منبه بن حذاقمة " حذاق " وهي قبيلة من إياد ، ضرب به المثل في الجود ؛ لأنه آثر صديقه النمري بنصيه من الماء ، فمات أبو دؤاد عطشا ، وهو من أشهر نقات الخيل ، وأكثر شعره في وصفها ، وهو من شعراء الجاهلية . / انظر ترجمته في :-  
 الشعر والشعراء : ١ / ٢٤٣ - ٢٤٦ ، المؤتلف والمختلف : ١١٥ ،  
 المرزباني : ٦٦ ، الأغاني : ١٦ / ٣٧٣ - ٣٨٢ ، شرح شواهد  
 المغني : ١ / ٣٥٩ - ٣٦٠ ، خزنة البغدادي : ٤ / ١٩٠ - ١٩١ ، شخصيات  
 الأغاني : ٢٤ .

وَلَقَدْ أَغْتَدِي بِدَافِعٍ رُكْنِي . : أَحْوْذِي ذُو مَيْعَةٍ إِضْرِيحُ (٣)  
 سَلَّهَبٍ شَرْجَبٍ كَأَنَّ رِمَاحاً (٤) (٥) . : حَمَلْتَهُ وَفِي السَّرَاةِ دَمَوْجُ (٦) (٧) (٨)

(١) أَحْوْذِي : أَحْوْذِي فِي السَّيْرِ سَارٌ سَيْرًا شَدِيدًا ، وَالْأَحْوْذِي السَّرِيعُ فِي كُلِّ مَا أَخَذَ فِيهِ ، وَأَصْلُهُ فِي السَّفَرِ . / اللِّسَانُ " حَوْذٌ " : ٤٨٦ / ٣ .

(٢) ذَوْمَيْعَةٍ : الْمَيْعُ مَصْدَرُ مَاعٍ وَمَيْعَةُ الْفَرَسِ أَوَّلُهُ وَأَنْشَطُهُ / اللِّسَانُ " مَيْعٌ " : ٣٤٤ / ٨ .

(٣) إِضْرِيحُ : الْإِضْرِيحُ الْحَيْدُ مِنَ الْخَيْلِ الْكَثِيرِ الْعَرَقِ الشَّدِيدِ الْعَدْوِ / اللِّسَانُ " ضَرِحٌ " : ٣١٥ / ٢ .

(٤) السَّلَّهَبُ : الطَّوِيلُ مِنَ الْخَيْلِ ، وَرَبَّمَا جَاءَ بِالصَّادِ ، وَالْجَمْعُ السَّلَاهِبَةُ / اللِّسَانُ " سَلَّهَبٌ " : ٤٠٧٤ / ١ .

(٥) شَرْجَبٌ : الطَّوِيلُ الْقَوَائِمُ الْعَارِي أَعَالِي الْعِظَامِ ، وَهُوَ نَعْتٌ لِلْفَرَسِ الْجَوَادِ ، الْكَرِيمِ / اللِّسَانُ " شَرْجَبٌ " : ٤٩٣ / ١ .

(٦) السَّرَاةُ : الظَّهْرُ . / اللِّسَانُ " سَرَاٌ " : ٣٧٩ / ١٤ .

(٧) دَمَوْجٌ : أَيُّ مُحْكَمِ الْفَتْلِ مَمْلُوسٌ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِكَ إِذْ دَمَجَ الْحَبْلُ إِذَا أَحْكَمَ فِتْلَهُ ، وَمَتَنٌ مَدْمَجٌ وَكَذَلِكَ الْأَعْضَاءُ مَدْمَجَةٌ كَأَنَّهَا إِذْ دَمَجَتْ وَمَلَسَتْ . / اللِّسَانُ " دَمَجٌ " : ٣٧٥-٣٧٤ / ٣ .

(٨) أُرِدَ الْجَوَالِيْقِيُّ الْبَيْتَيْنِ مَعَ الْخِلَافِ بَسِيطٍ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي حَيْثُ أُبْدِلَ لَفْظَةُ " أَحْوْذِي " بِلَفْظَةِ " أَجُولِي " قَالَ :

وَلَقَدْ أَغْتَدِي بِدَافِعٍ رُكْنِي . . . أَجُولِي ذُو مَيْعَةٍ إِضْرِيحُ

وَالْأَجُولِي : هُوَ الْفَرَسُ الَّذِي يَجُولُ بِفَارِسِهِ .

وَفَصَلَ بَيْنَ الْبَيْتِ الثَّانِيِ وَالثَّلَاثِ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

مَخْلَطٌ مَزِيدٌ مَعْنَى مِفْرٌ . . . مِطْرَحٌ مِضْرَحٌ جَمْرُوحٌ خَرْجُوحٌ

وَكَذَلِكَ رَوَايَةُ اللِّسَانِ : " أَجُولِي " .

وَذَكَرَ ابْنُ قَتَيْبَةَ الْبَيْتَ الثَّانِيَ فَقَطْ مَعَ بَعْضِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فِي الشُّطْرِ الْأَوَّلِ

فَقَالَ : " شَرْجَبٌ سَلَّهَبٌ كَأَنَّ رِمَاحاً " .

وَذَكَرَ الصَّوْلِي الْبَيْتَ الثَّانِيَ فَقَطْ ، وَرَوَايَتُهُ مُوَافِقَةٌ لِلدَّلَائِلِ .

وَأُرِدَ الشَّيْخُ عَبْدِ الْقَاهِرِ بَيْتِي الشَّاهِدِي " الرِّسَالَةُ الشَّافِيَّةُ " وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَيْتًا ثَالِثًا

هُوَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :  
 مَخْلَطٌ مَزِيدٌ مَعْنَى مِفْرٌ . . . مِطْرَحٌ مِضْرَحٌ جَمْرُوحٌ خَرْجُوحٌ

الصفات العجيبة ، فشبه قوائمه في غرابتها ، وعدم وجود مثل لها في الدقصة بالرياح ، ليس هذا فحسب بل نكر لفظ " رماح " ليدل على أن هذه ليست رماحاً حقيقية معروفة ، بل هي رماحٌ عجيبة غريبة .

ولقد استحسن أبو الأسود الدؤلي هذه الأبيات واعتبر قائلها أشعر الناس .

فقد روى أن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه ، كان يفطر الناس في رمضان ، فإذا فرغ من العشاء تكلم وأوجز ، فأبلغ ، ويروى أن الناس اختصموا عنده ليلة في أشعر الناس ، فطلب علي من أبي الأسود الدؤلي أن يذكر من هو؟ فقال أبو الأسود " أشعرهم الذي يقول :  
 " وَلَقَدْ أَغْتَدِي بِدَائِعِ رُكْنِي . . . الشاهد ( ١ )

الشاهد التاسع والثلاثون : ( \* ) ( الوافر )

قول ابن السوَاب : ( ٢ )

( ١ ) الرسالة الشافعية : " ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " : ١٣٠ .

( \* ) الدلائل ، رضا : ٧٢ ، خفاجي : ١٣١ ، شاکر : ٩١ .

( ٢ ) هو عبد الله بن محمد بن عتاب بن إسحاق من أهل بخارى ، ووجهٌ بجدّة

وجماعة معه رهينة إلى الحجاج بن يوسف ، فنزلوا عنده بواسط ،

فأقطعهم سكة بها ، فاختموها ، ونزلوها طول أيام بني أمية ، ثم

انقطعوا من الدولة العباسية إلى الربيع ، فخدموه ، وكان عبد الله

ابن محمد هذا يخلف الفضل بن الربيع على حجة الخلفاء ، وكان

عبد الله ، صالح الشعر ، قليله ، وراوية لأخبار الخلفاء ، عالماً بأمرهم ،

وخدم محمداً الأمين ، فأغناه ، وأعطاه ، ومدحه ، ونال من المأمون وعرض

به / انظر : الأغاني : ٢٣ / ٣٧ - ٤٤ .

نسبت الأبيات في الأغاني وبهجة المجالس لمحمد اليزيدي ، وتوهم

الأستاذ محمود شاکر في تحقيقه للدلائل أنها نسبت في الأغاني

لسليم بن سلام الكوفي المغني ، وعند مراجعتي للأغاني وجدت

أنها منسوبة لمحمد اليزيدي وإنما غنى بها سليم بن سلام صاحب إبراهيم

أَتَيْتُكَ عَائِذاً بِكَ مِنْ . : سَكَ لَمَّا ضَاقَتِ الْحَيَاةُ  
 وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَيِي . : لِحِينِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ  
 فَإِنْ سَلِمْتَ لَكُمْ نَفْسِي . : فَمَا لَأَقِيْتَهُ جَلَلُ (٢)  
 وَإِنْ قَتَلَ الْهَوَى رَجْلاً . : فَإِنِّي ذَلِكَ الرَّجُلُ (٣)

ذكر الشيخ عبدالقاهر أن سر الجمال هنا إنما هو في الإشارة والتعريف

قال :

• انظر إلى الإشارة والتعريف في قوله :

(٤)  
 • فَإِنِّي ذَلِكَ الرَّجُلُ •

يشكو الشاعر في هذه الأبيات من محبوبه شكوى الأمل في الوصال ، فقد ضاقت  
 به الطرق ، وَسَدَّتْ دُونَهُ أَبْوَابَ الْحَيْلِ ، فلم يَرَأْ أَحَدًا يَسْتَعِينُ بِهِ إِلَّا نَفْسَ مَحْبُوبِهِ ،  
 فهو المشتكى منه والمشتكى إليه ، وهذا من عظيم وجدده وشدة تعلقه وهيامه ،  
 هذا الهيام الذي علم به الجميع ، فلم يعد هوى مكتوماً بل خرج عن إرادته ،  
 فطارت به الركبان وتناقله الناس .

=== الموصلي / انظر ترجمته - في :

الأغاني : ٦ / ١٦٤ - ١٧٠ ، وذكر البيت في المفتاح بدون نسبة .  
 (١) وكأنه أخذ معناه هذا من قوله تعالى : " وَظَنُّوا أَنْ لَآتِجًا مِنْ اللَّهِ  
 إِلَّا إِلَيْهِ " / التوبة : ١١٨ .

(٢) الجَلَلُ : الشيء العظيم والصغير الهين ، فهو من الأضداد في كلام

العرب ، يقال للكبير وللصغير جليل . / اللسان " جليل " : ١١٧ / ١١٢ .  
 (٣) انظر الأبيات في :

الأغاني : ٦ / ١٦٨ - ١٦٩ ، بهجة المجالس  
 وأنس المجالس : ٢ / ٨٢٠ - ٨٢١ ، المفتاح : ١٦٨ ، الإيضاح :  
 ١ / ١٠٧ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٨ أ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٧٢ ، خفاجي : ١٣١ ، شاکر : ٩١ .



ففي قوله : " صيرني هواك " مجاز حكمي ، حيث أسند التصيير إلى الهوى الذي هو سبب في التصيير ، فدل هذا الإسناد على تحكم الهوى المطلق في مصير الشاعر ، وتصرفه في شؤونه .

ويعود الشاعر فيؤكد عاطفته ، وأنه لم يعد يستطيع التحكم في فؤاده ، ولشدة ولهم جعل نفسه رخيصة هينة ، فهو لا يملك من أمرها شيئاً ، فقد أسلمها لذلك المحبوب طائعاً مختاراً يتصرف فيها كيف أراد ، وهذا هو همه ، فإذا سلطت نفسه لذلك المحبوب ، فكل ما يلقاه بعد ذلك شيء لا يؤبه له .

ثم يضع الشاعر لنفسه النهاية ، ويعلن للأسماع أنه إذا علم أن هناك رجلاً قد قتلته الهوى ، فلا يكون إلا هو ، فهو يقرر الحقيقة التي تريد أن تعرفها كل نفس عن ذلك الرجل ، فقله في صدر البيت الأخير " رجلاً " عن طريق التنكير جعل النفوس تشتاق وتتشوف إلى معرفة هذا الرجل ، ثم أنظر إليه كيف جاء به الغاء " في قوله " فإني " التي سارعت بكشف النقاب عن الحقيقة التي اشتاقت إليها النفوس بأنه هو ذلك الرجل المشار إليه المميز عن غيره من الرجال ، والذي فعل به الهوى ما فعل .

وفي الإشارة وحرف التوكيد " إن " في قوله " فإني ذلك " توكيد وتقرير

لتلك الحقيقة .

الشاهد الأربعمون : ( \* ) ( السريع )

( ١ )

قول عبد الصمد :

( \* ) الدلائل ، رضا : ٧٣ ، خفاجي : ١٣١ ، شاكر : ٩١ .

( ١ ) هو عبد الصمد بن المعدل بن غيلان بن الحكم بن البخترى بن المختار

ابن أسد بن ربيعة بن نزار وكنيته أبو القاسم ( . . . - ٢٤٠ هـ ) وهو من

شعراء الدولة العباسية ، وأمّه أم ولد طباحة يقال لها : الزرقاء ، وهو

شاعر فصيح هجاء خبيث اللسان شديد العارضة سيكر ، بصري المولد

والنشأ ، وكان أخوه أحمد شاعراً أيضاً إلا أنه كان عفيفاً ذا مروءة ودين ،

مُكْتَبٌ دُو كَيْدٍ حَرَّى (١) . تَبْكِي عَلَيْهِ مَقْلَةٌ عَبْرَى  
يَرْفَعُ يَنْتَاهُ إِلَى رَبِّهِ . يَدْعُو وَفَوْقَ الْكَيْدِ الْيُسْرَى (٢)

وبعد الشاهد :

يَبْقَى إِذَا كَلَّمْتَهُ بَاهِتًا . وَنَفْسُهُ مِمَّا بِهِ سَكْرَى  
تَحْسَبُهُ مَسْتَعِمًا نَاصِتًا . وَقَلْبُهُ فِي أُمَّةٍ أُخْرَى (٣)

ذكر الشيخ عبد القاهر أن موضع الشاهد جملة " يدعو " ففيها يكمن سر

الجمال والروعة . قال : " أنظر إلى لفظ " يدعو " وإلى موقعها (٤) "

====  
وكان له جاة واسع في بلده وعند سلطانه لا يقاربه عبد الصمد فيه،  
يحسده ويهجوّه فيحلم عنه، وكان أبو عبد الصمد وجده شاعرين، وقد  
روى عنهما شيء من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير / انظر ترجمته:  
طبقات ابن المعتز : ٣٦٧ - ٣٦٩ ، الأغاني - دار الاحياء :- ٢٢٦ / ١٣ -  
٢٥٨ ، الموشح : ٣١٠ ، زهر الآداب : ٣ / ٧٠٦ - ٧١٣ ، سبط  
اللالكي : ٣٢٥ - ٣٢٦ ، فوات الوفيات : ٣٣٠ / ٢ ، الأعلام : ١١ / ٤ ،  
وذكر البيت في الزهرة منسويًا إلى ماني الموسوس، وهو محمد بن القاسم  
أبو الحسن من أهل مصر ، نزل بغداد ، وهو متوكلي . / انظر ترجمته :  
معجم الشعراء : ٤٣٨ ،

(١) حرى : ملتهبة فالحرًا والحرارة : الصوت والجلبة ، وصوت التهيب

النار / اللسان : " حرى " : ١٤ / ١٧٣ .

(٢) انظر البيتين في :

ديوانه : / الزهرة : ١ / ٦٤ - ٦٥ ، شرح ديوان الحماسة  
للمرزوقي : ٣ / ١٣٠٨ ، ذكر البيت الثاني فقط ولم ينسبه ، محاضرات  
الأدباء : ٣ / ٨٦ ، شرح الحماسة للتبريزي : ٣ / ١٤٩ ، ذكر  
البيت الثاني فقط ولم ينسبه .

(٣) ديوانه : / ، الزهرة : ١ / ٦٤ - ٦٥ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٧٣ ، خفاجي : ١٣١ ، شاکر : ٩١ .

ولعل سر الروعة والجمال في جملة " يدعو " أن الشاعر بلغ من الألم قتسه ،  
ومن الحزن أقصاه ، فهو مكتئب حزين ، وضجر أليم ؛ ولضيق نفسه وتوجعها  
حذف المسند إليه وابتدأ كلامه بالمسند ، فقال : " مكتئب " والأصل " هو  
مكتئب " .

ثم انظر إليه كيف قيد المسند بالوصف " نوكبد حرى " للكشف عن حقيقة حاله .  
وما أدق الشاعر حين اختار " الكبد " دون القلب أو أعضاء الجسم الأخرى ؛  
لأن الكبد هو عماد الجسم ، وجميع الأعضاء يتعلق عليها بعمله ، فإن مرض الكبد ،  
وقل إمداده للقلب بالدم ضعف الإنسان وهلك . قال الرسول صلى الله عليه وسلم  
" فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ (١) " فدل على أنه قوام الحياة ، ودل بذلك على أن الشاعر  
ليس مكلول الغؤاد فحسب بل إن جسمه كله قد أصابه الوهن ، وفتته الإعياء والتعب .  
ومن كانت هذه حاله حق للمقل أن تذرف عليه العبرات ،  
وتكر الشاعر لفظ " مقلة " ليدل على أن مقلًا كثيرة رثت لحاله .

وفي قصة هذا الحزن وعلية هذا اليأس أحس الشاعر بإحساس عميق ورغبة  
أكيدة في اللجوء إلى ربه ، فرفع يمينه ، وفي هذا بيان لشروعه في الدعاء ، وجاء  
بالفعل مضارعاً " يرفع " ليظهر تضرعه وحدوث الرفع منه مرة بعد مرة ، وكأنني بيديه  
تهتزان وتتحركان من شدة التضرع ، وخص اليد اليمنى بالرفع تفاعلاً ورجاءً  
بانقضاء هذه الحال ، ثم جاءت جملة " يدعو " وهي تكرار لمعنى " يرفع يمينه " .  
ولعل السرف في هذا الإطناب أن الشاعر حين رفع يده اليمنى أحس بمزيد رغبة في  
الدعاء ، فجاء بجملة " يدعو " ليفرغ فيها كل معاني الرجاء وكل معاني الأمل في  
الخلاص ما يجد ويحس ، فهي ليست زائدة إذناً لأنها حملت كل إحساس الشاعر  
وضراعتة ، ورغبته في النجاة من الحال المسيطرة عليه ، ومن الأساء التي تلم به

( ١ ) مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٣٧٥ / ٢ ، ٥١٢ ، السنن الكبرى للبيهقي : ١٨٦ / ٤ ،  
وورد في مسند الإمام أحمد بلفظ آخر : " في كل ذات كبد حراء " : ٢٢٢ / ٢ .

وجاء بها مضارعة " يدعو " ليصور إلحاحه واجتهاده في الدعاء .  
 وقوله " وطى الكبد اليسرى " ناسب المقام ، فالمقام هنا دعاء وتضرع ووضع يده  
 على كبده معناه خشيته عليها من التصدع والتمزق ، فهو مع أنه يدعو لا ينسسى  
 ما هو فيه من آلام الوجد ، وأيضا في وضع يده على كبده أثناء الدعاء استجداً  
 واستعطافاً .

الشاهد الواحد والأربعون : ( \* ) ( الكامل )

قول جرير : ( ١ )

لَمَنِ الدِّيَارُ بَبْرِقَةِ الرَّوْحَانِ . : . إِنْ لَا نَبِيحُ زَمَانِنَا يَزْمَانِ  
 صَدَعِ الغَوَانِي إِنْ زَمِينُ فُؤَادِهِ . : . صَدَعِ الزُّجَاجَةِ مَالِدَاكَ تَسْدَانِ ( ٣ )

( \* ) الدلائل ، رضا : ٧٣ ، خفاجي : ١٣١ ، شاکر : ٩٢ .

( ١ ) هو جرير بن عطية بن حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع .

كنيته أبو حزره ( ٢٨ هـ - ١١٠ هـ ) عُمر نيفاً وثمانين سنة ، ولد ومات  
 باليمامة ، أمه أم قيس بنت معبد من بني كليب بن يربوع ، وهو من الطبقة  
 الأولى من فحول الإسلام ، كانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقاش ،  
 كان عفيفاً ، ومن أغزل الناس شعراً . / انظر ترجمته :

طبقات ابن سلام : ١ / ٣٧٤ ، الشعر والشعراء : ١ / ٤٧١ - ٤٧٧ ،

الأغاني - دار الأحياء - : ٨ / ٣ - ٨٩ ، الموشح : ١٠٧ - ١٢٠ ،

وفيات الأعيان : ١ / ٣٢١ ، شرح شواهد المغني : ١ / ٤٥ - ٤٨ ،

خزانة البغدادي : - دار صادر - : ١ / ٣٦ - ٣٧ ، الأعلام : ١١٩ / ٢ .

( ٢ ) رواية الديوان والنقاش :

" صَدَعِ الطَّعَائِنُ يَوْمَ بَيْنِ فُؤَادِهِ "

( ٣ ) البيت الأول من بيتي الشاهد هو مطلع قصيدته التي أجاب بها

الفرزدق ، والبيت الثاني غير تال له بل هو كما في الديوان البيت السابع

عشر من القصيدة ، وفي النقائض هو البيت الثاني عشر منها .

وفي كتاب المنازل والديار ذكر البيت الأول فقط . / انظر البيتين في :

ديوان جرير : ٥٦٩ - ٥٧٠ ، النقائض : ١٩٨ - ٢٠٠ ، المنازل والديار :

وبعد البيت الأول :

إِنْ زُرْتُ أَهْلَكَ لَمْ يُبَالُوا حَاجَتِي . . وَإِذَا هَجَرْتُكَ شَفَّنِي هَجْرَانِي

وقبل البيت الثاني :

وَلَقَدْ أَبَيْتُ ضَجِيعَ كُلِّ مَخَضَّبٍ . . رَخِصِ الْأَنْبِيلِ طَيِّبِ الْأَرْضَانِ

عَطِرِ الشِّيَابِ مِنَ الْعَبِيرِ مَذْيَلٍ . . تَيْشِي الْهُوَيْنَا يَشِيَّةَ السَّكْرَانِ ( ١ )

وبعده :

هَلْ تُؤْنِسَانِ وَدَيْرُ أَرْوَى بَيْنَنَا . . يَا أَعْزَلَيْنِ بَوَاكِرِ الْأَطْعَمَانِ

موضع الشاهد قوله : " مَا لِدَاكَ تَدَانِ " ، والشاهد فيه حسن الاستئناف ،

قال الشيخ :

" أَنْظِرْ إِلَى قَوْلِهِ : " مَا لِدَاكَ تَدَانِ " ، وتأمل حال هذا الاستئناف ."

• جمال هذا الاستئناف يظهر إذا ما علمنا أن الشاعر قد بدأ قصيدته بهذا

المطلع الغزلي الذي يتحسر فيه على الديار ببرقة الروحان ، وجاء الاستفهام

" لمن الديار " ليظهر مدى التحسر والتأسف .

( ١ ) نَذِرْفِي النَّقَاضِ قَبْلَ بَيْتِ الشَّاهِدِ :

أَصْحَا فُؤَادَكَ أَيَّ حِينِ أَوْانٍ . . أَمْ لَمْ يَرُغِكَ تَحْمَلُ الْجِسْرَانِ

هَلْ تُبْصِرَانِ وَدَيْرُ أَرْوَى دُونَنَا . . يَا أَعْزَلَيْنِ بَوَاكِرِ الْأَطْعَمَانِ

وبعده :

فَرَقَمْتُ مَائِرَةَ الدُّفُوفِ أَمَلَهَا . . طُولُ الْوَجِيفِ عَلَى وَجَى الْأَمْرَانِ

ويبدو أن رواية الديوان للأبيات التي قبل الشاهد وعده أدق وأنسب

لبيت الشاهد من رواية النقاض ؛ وذلك لإتصال معاني الأبيات التي

وردت في الديوان ببیت الشاهد .

ويبدو أن رواية الشيخ لشطر البيت الأول من الشاهد " صَدَعَ الْغَوَانِي

إِنْ رَمِينَ فُؤَادَهُ " أجمل وأدق من رواية الديوان والنقاض ؛ لأن لفظ ( الرمي )

" أنسب وأقرب وأدق في رسم الصورة التي أراد الشاعر توضيحها وهي

صورة صدع الزجاج فالرمي يناسب الصدع .

ثم يذكر الشاعر ما أصاب فؤاده عندما رأى تلك الديار التي تذكره بالأمه،  
 وبعاطفته التي أصابها التصدع من هجر الفواني، واتخذ من تصدع الزجاج  
 صورة تجسد تصدع نفسه، فالزجاج المتصدع لا يمكن أن يعود صافياً سليماً كما كان.  
 ولما بلغ به الألم الغاية توهم أن هناك سائلاً سألته: هل عندك أمل في عودة  
 تلك الأيام، أو في قرب الأحباب وفي التئام الصدع؟ فأجاب: ما لئذاك تداني.  
 وطريقة السؤال والجواب تنبئ عما يعتل في نفس الشاعر من أحاسيس وانفعالات  
 تتصل بالألم والأمل.

وما أروع تضمن هذا الاستئناف اسم الإشارة "ذاك" الذي حمل كل معاني  
 الحرمان واليأس، وأظهر أن التواني بعيد المنال مستحيل الحصول، ولأن فسي  
 ذكر المشار إليه صراحة ما يشجي النفس ويحزنها.

ونظير قول جرير في المعنى قول الأعشى:

وَبَاتَتْ وَفِي الصَّدْرِ صَدْعٌ لَهَا . . . كَصَدْعِ الزَّجَاجَةِ لَا يَلْتَمُّ (١)

وقول الخضري:

وَإِنَّكَ لَوْ نَظَرْتَ قَدْتِكَ نَفْسِي . . . إِلَى كَيْدِي وَجَدْتِ بِهَا صُدُوعًا (٢)

(١) ديوانه: ٨٥.

(٢) محاضرات الأنبياء: ٣ / ٨٦.

ج- النظم يتحدد في الوضع ويدق فيه الصنع .

### النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع :

يرى الشيخ عبدالقاهر أن النمط العالي من الكلام والباب الأعظم فيه هو ما تحدث أجزاءه ، وتلاحت ، ودخل بعضها في بعض ، واشتد ارتباط الثاني منها بالأول ، واحتاجت إلى وضعها في النفس وضعاً واحداً ، وهو باب واسع عظيم لا يحصره حد ، ولا يحيط به قانون ، لأنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة ، قال الشيخ :-

« واعلم أن ما هو أصل في أن يدق النظر ، ويغض المسلك ، في توخي المعاني التي عرفت : أن تتحد أجزاء الكلام ، ويدخل بعضها في بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول ، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً ، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك . نعم ، وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعها بعد الأولين ، وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره ، وقانون يحيط به ، فانه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة (١) .

وضرب لذلك أمثلة من البديع منها التزاوج (٢) بين معنيين في الشرط والجزاء معاً .

- 
- (١) الدلائل ، رضا : ٧٣-٧٤ ، خفاجي : ١٣٢ ، شاكر : ٩٣ .  
 (٢) المزوجة ويقال التزاوج وهو أن يزاوج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء أي يجعل معنيين واقعين في الشرط والجزاء مزدوجين فسي أن يرتب على كل منهما معنى رتب على الآخر ، وليس معناه أن يجمع بين معنيين في الشرط ، ومعنيين في الجزاء . / انظر :  
 التلخيص : ٣٥٨ ، الإيضاح : ٢ / ٤٩٧ ، أنوار الربيع : ٦ / ١٠١ .



الشاهد الثاني والأربعون : ( \* ) ( الطويل )

قول البحترى :

إِذَا مَانَهِيَ النَّاهِي فَلَجَّ بِي الْهَوَى . . . أَصَاخَتْ إِلَى الْوَاشِي فَلَجَّ بِهَا الْهَجْرُ ( ٣ )

والبيت من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ، ومطلعها :

مَتَى لَاحَ بَرَقَّ أَوْ بَدَا طَلَّلَ قَفَرُ . . . جَرَى مُسْتَهْلٌ لَا بَكِيٌّ وَلَا نَسْرُ

وبعد البيت قبل الشاهد :

وَمَا الشَّوْقُ إِلَّا لَوْعَةٌ بَعْدَ لَوْعَةٍ . . . وَغَزْرٌ مِنَ الْآمَاقِ يَتَّبِعُهَا غَزْرُ

وبعد الشاهد وبعده :

وَيَوْمَ تَنَثَّتْ لِلْوَدَاعِ وَسَلَّمَتْ . . . بِعَيْنَيْنِ مَوْصُولٍ بِلَحْظِهِمَا السَّحْرُ  
تَوَهَّمْتُهَا الْوَى بِأَجْفَانِهَا الْكَسْرَى . . . كَرَى النَّوْمُ أَوْ مَالَتْ بِأَعْظَافِهَا الْخَسْرُ

ساق الشيخ البيت شاهداً على أن من حسن الصياغة والتركيب " المزوجة " فبيت الشاهد

صَوَّرَ تَعَلَّقَ الشَّاعِرُ بِمَحَبَّتِهِ ، وَشِدَّةَ وَلَهْوِهِ بِهَا ، فَهُوَ إِذْ نَهَاهُ نَاهٍ عَنْ حُبِّهَا ، وَحَاوَلَ مَنَعَهُ مَانِعٌ

إِذَا دَانَ تَعَلَّقًا بِهَا ، فَلَا يَفِيدُ مَعَهُ النَّهْيُ .

وجاء " بالفاء " في قوله : " فَلَجَّ " ليؤكد انصرافه السريع عن ذلك الناهي ، وعدم

استجابته له ، وقدم الجار والمجرور " بي " على الفاعل " الهوى " ، ليصور شدة وجدده ، وتغلب الهوى عليه .

أما هي ، فقد قابلت هذا الوفاء بالاستماع إلى الواشي ، وتصديقه ، ولزمت الهجر والتباعد .

ومأدق الشاعر حين اختار فعل الإصاخة " أصاغت " بدلاً من " استمعت " أو " أصغت "

وذلك لقوة دلالة هذا الفعل على الرغبة الشديدة في الاستماع .

وجاء بـ " الفاء " في قوله " فَلَجَّ " ، ليظهر سرعة استجابتها ، وتصديقها لذلك الواشي ،

وقدم الجار والمجرور " بها " ، ليدينها بذلك الفعل .

( \* ) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ١٣٢ ، شاکر : ٩٣ .

( ١ ) لَجَّ فِي الْأَمْرِ : تَادَى عَلَيْهِ ، وَأَبَى أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهُ . / اللسان " لج " : ٣٥٣ / ٣ .

( ٢ ) أصاغت : صخ الصوت الأذن يصخها صخاً : قرعها ، والصاخة صيحة تصخ الأذن أي

تطعنها فتصمها لشدها . / اللسان : " صخ " : ٣٣ / ٣ .

( ٣ ) انظر البيت في : ديوانه : ١٠١ / ١ ، الموازنة - تحقيق السيد أحمد صقر - : ٣٦ / ٢ ،

الطخيس : ٣٥٨ ، الإيضاح : ٤٩٧ / ٢ ، شرح أبيات الإيضاح : شاهد رقم : ( ٣٦٠ ) ،

خزانة الأدب للحموي : ٤٣٥ ، أنوار الربيع : ١٠١ / ٦ ، معاهد التنصيص : ٢٥٥ / ٢ ،

( ٤ ) التوى الماء في مجراه وتلوى : أنعطف ولم يجز على استقامة ، وتلوت الحية كذلك ،

واللبي الجدول والتتني ولأوت الحية الحية لواء التوت عليها / اللسان " لوى " :

فالشاعر هنا زاج بين نهبي الناهي، وإصاحتها إلى الواشي الواقعين فسي  
الشرط والجزاء في أن رتب عليهما لجاج شي، أو هو بمعنى آخر جعل معني  
لازماً للشرط، ثم جعل معني مقارناً له في الجزاء، فجعل لجاج الهوى به  
لازماً للشرط الذي هو نهبي الناهي، ثم جعل لجاج الهجر بها مقارناً في الجزاء  
الذي هو الإصاحة إلى الواشي (١).

الشاهد الثالث والأربعون: (\* ) ( الطويل )

قول البحثري:

إِذَا أَحْتَرَبْتَ يَوْمًا فَقَاضَتْ بِمَاؤَهَا (٢) (٣) . تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فَقَاضَتْ دُمُوعَهَا (٤) (٥)

- (١) أنوار الربيع : ٦ / ١٠٢ .
- (\*) الدلائل ، رضا ، ٧٤ ، خفاجي : ١٣٢ ، شاكر ، ٩٣ .
- (٢) فاض الماء والدمع ونحوهما يفيض فيضاً وفيوضاً وفيضاناً وفيوضاً  
أي كثر حتى سال على ضفة الوادي، وأفاض فلان دمه ، وأفاض المساء ،  
والمطر والخير إذا كثر . اللسان " فيض " : ٧ / ٢١٠ .  
ورواية الصناعتين : " ففاضت " .
- (٣) رواية الصناعتين : " نفوسها " .
- (٤) رواية الصناعتين : " ففاضت دموعها " .
- فاض : من غاض الماء يفيض غيضاً ومغيضاً ومغاضاً ، وأنغاض : نقص ،  
أو غار فذهب ، وفي الصحاح قلّ فنضب /  
الصحاح : " غيض " : ٣ / ١٠٩٦ ، اللسان : " غيض " : ٧ / ٣٠١ .
- (٥) انظر البيت في :
- ديوانه - تحقيق الصيرفي - : ٢ / ١٢٩٦ رقم (٥١٦) ، ديوانه  
- دار بيروت - : ١ / ١١ ، الأشباه والنظائر للخالدين : ١ / ٦ ،  
الصناعتين : ٣٢٩ ، زهر الآداب : ١ / ١١٢ ، المثل السائر :  
٣ / ٢٥٥ ، الإيضاح : ٢ / ٤٩٧ ، شرح أبيات الأيضاح - النسخة  
الأزهرية - شاهد رقم (٣٦١) ، مجموعة المعاني : ٦٢ .

والبيت من قصيدة في مدح أمير المؤمنين المتوكل على الله<sup>(١)</sup>، وذكر فيها صلح  
بني تغلب .

ومطلع القصيدة :

مُنَى النَّفْسِ فِي أَسْمَاءٍ لَوْ تَسْتَطِيعُهَا . : . بِهَا وَجَدَهَا مِنْ غَادَةٍ وَوَلُوْعَهَا (٢)

وبعده بيتان قبل الشاهد :

وَفَرَسَانٍ هَيَّجًا تَجِيْشُ صُدُورَهَا . : . بِأَحْقَابِهَا حَتَّى تَضِيقَ دُرُوعَهَا  
تَقْتَلُ مِنْ وَثْرِ أَعَزِّ نَفُوسِهِمْ . : . عَلَيْهَا بِأَيْدٍ مَا تَكَانُ تُطِيعُهَا

وبعدهما الشاهد وبعده :

شَوَاجِرُ أَرْبَاحٍ تُقَطِّعُ بَيْنَهُمْ<sup>(٤)</sup> . : . شَوَاجِرُ أَرْحَامٍ مَلُومٍ قَطُوعُهَا  
فَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَطَوْلُهُ . : . لَعَادَتِ جُيُوبٌ وَالذَّمَاءُ رُدُّوعُهَا (٥)

الشاهد في البيت كسابقه وهو حسن الغزوجة \* حيث زاج الشاعر هنا بين  
الاحتراب وتذكر القربى الواقعيين في الشرط والجزاء في ترتب فيضان شيء عليهم .

(١) هو أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن محمد بن الرشيد العباسي (٢٠٦ -

٢٤٧ هـ) أم ولد خوارزمية يقال لها : شجاع .

بويج بالخلاف بعد أخيه الواثق ، وكان جواداً مدحاً محباً للعمران ،  
قتل في سامراء باغراء من ابنه \* المنتصر \* / انظر ترجمته :

تاريخ الطبري : ٩ / ٢٢٢ - ٢٣٤ ، مروج الذهب : ٤ / ٨٥ - ١٢٨ ، تاريخ  
بغداد : ٧ / ١٦٥ .

(٢) الديوان : ١ / ٩ .

(٣) الوتر : الثأر . / اللسان \* وتر \* : ٥ / ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٤) شواجر : شجر بين القوم أي اختلف الأمر بينهم و \* اشترج \* القوم  
و \* تشاجروا \* تنازعوا ، و \* المشاجرة \* المنازعة / مختار الصحاح :  
\* شجر \* : ٣٣٠ .

(٥) ردوعها : أي طيبتها ، به رَدَعٌ من زعفران أي لطح ، وأثر / الصحاح :

\* رَدَعٌ \* : ٣ / ١٢١٨ .

ولقد روى أبو هلال العسكري البيت برواية أخرى فقال : " ففاضت نفوسها " بدلا من " ففاضت دماؤها " ، ويبدو أن رواية أبي هلال أدق في التصوير، وأدل على شدة الاحتراب ؛ لأن فيضان النفوس معناه انتهاءها مع السرعة والكثرة ، أما قوله ففاضت دماؤها ، فأقل دلالة ؛ لأن الدماء قد تفيض مع بقاء النفس .

وكذلك قال : " ففاضت دموعها " بدلا من " فاضت دموعها " ، ويبدو أن رواية ففاضت " أدل على شدة الحزن التي أصابت القوم ، وندمهم على تمزق الصلات ، فاحتبست الدموع في المحاجر ؛ لأنه كلما اشتد الحزن جمد الدموع .

قال كثير عزة : - ( من الطويل ) - في هذا المعنى :  
 وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْعَيْنَ قَبْلَ فِرَاقِهَا . : غَدَاةَ الشَّبَا (٢) مِنْ لَأَعِجَ التَّوَجُّدِ تَجَمُّدُ (٣)

أما البكاء فإن فيه شغافاً للنفس وراحة ؛ لأن الدموع تخفف الحزن والألم ، إلا أن هذه الرواية على الرغم من جمالها ودقتها تنفي المزاجية ، فينتفي بذلك موضع الشاهد ؛ لأن المزاجية بين الاحتراب ، وتذكر القربى الواقعيين في الشرط والجزاء تكون بترتب أمر واحد ، وهو فيضان شيء عليهما .

• تقطعت أوشاج الصلات بين بني تغلب ، وجاشت الصد وربالأحقاد حتى ضاقت بها الدروع ، فقوله :

" حتى تضيق دروعها " تصوير رائع لا متلاء النفس بالأحقاد .

ولقد فطن الشاعر إلى أن هذه النار المشتعلة في الصد ورلن يطفئها سكون الحرب ، وانقطاعها ، بل لن تخبو نارها إلا بكلمات رقيقة ، وأسلوب ناعم لطيف يحيى الحنين في النفوس ، ويوقظ العواطف والأحاسيس . فقال :

( ١ ) رواية الديوان : " فلم " .

( ٢ ) الشبا : واد بالأشيل من أعراض المدينة فيه عين يقال لها خيف

الشبا لبني جعفر بن إبراهيم من بني جعفر بن أبي طالب . /

معجم البلدان : ٣ / ٣١٦ .

( ٣ ) ديوانه : ٤٣٧ .

تَقْتَلُ مِنْ وَتَرٍ أَعَزَّ نَفُوسِيهَا . : . عَطِيهَا بِأَيْدٍ مَا تَكَادُ تُطِيعُهَا

فقوله : أعز نفوسها - بأيد ما تكاد تطيعها .

أن كل نفس من المتحاربين عزيزة على الأخرى ، وأنهم كانوا يتقاتلون رغما عنهم ، فعواطفهم الصادقة كانت تمنع الأيدي عن الطاعة .

وزيادة في إثبات هذه الصلات وتوكيدها لجأ إلى المزاوجة ، فبين لهم أن الخصومات التي قامت بينهم مهما اشتدت ، ومهما فاضت فيها النفوس فإن قلوبهم على الرغم من اشتداد الحرب كانت تتذكر صلات الرحم والقربى ، فيشتد حزنهم على تبرد هذه الصلات ويشد ندمهم .

وبأسلوب التحنان هذا استطاع الشاعر أن يلين القلوب ويطري النفوس ، ما زاد الأرواح تلاقياً وتقارباً .

وفيه أيضاً زجر وطمع للنفوس على قطع صلات القربى والاستهانة بها .

وبيت البحتري هذا مأخوذ من قول أبي تمام :

قَدْ آتَيْتَنِي بِالْمَنَائِيَا فِي أَسَنَّتِي . : . وَقَدْ أَقَامَ حَيَارَاكُمُ عَلَى اللَّقْمِ (١)

جَدُّ لَانَ مِنْ ظَفَرِ حَرَّانٍ أَنْ رَجَعْتُ . : . مَخْضُوبَةٌ مِنْكُمْ أَظْفَارُهُ (٢) بِسَدَمٍ (٣)

وقد نظر أبو تمام إلى أبيات المهلهل بن ربيعة التي يقول فيها :

(١) اللَّقْمُ : معظم الطريق أو وسطه أو الطريق الواضح . / اللسان " لقم " : ٥٤٦/١٢ .

(٢) رواية الديوان : " اظفاره منكم مخضوبة بدم " .

(٣) الديوان : - دار ضعب - : ٢٣٩ .

(٤) هو عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة من بني جشم ، من تغلب كنيته

" أبو ليلي " المهلهل ( . . . - نحو . . . ) ( ق ه ) ، وهو شاعر جاهلي من

أبطال العرب من أهل نجد ، وهو خال امرئ القيس الشاعر ، وقيل سمي مهلهلا ؛

لأنه أول من هلهل نسج الشعر أي رقع ، وكان أفصح الناس لساناً وأجملهم

وجهاً ، ويلقب أيضاً بزير النساء .

ولما قتل جساس بن مرة كليياً ثار المهلهل لأخيه ، فكانت وقائع بكر وتغلب

التي دامت أربعين سنة / انظر ترجمته في :-

يُكْرَهُ قُلُوبَنَا يَا آلَ بَكْرٍ . . . نُفَادِيكُمْ بِمَرْهَفَةِ النَّصَالِ  
لَهَا لَوْنٌ مِنَ الْهَامَاتِ جَوْنٌ . . . وَإِنْ كَانَتْ تُفَادِي بِالصَّاقَالِ  
وَتُبْرِي حِينَ تَذُكْرُكُمْ عَلَيْكُمْ . . . وَنَقَطُكُمْ كَأَنَّا لَا نَبَالِي (١)

وقد رأى الخالديان أن بيت البحتري أطرف وأبدع من بيت المهلهل قالاً :

" بيت البحتري أطرف وأبدع من بيت المهلهل إلا أنه أرشده إلى المعنى

ودلّ عليه (٢) :

وكذلك فضله أبو هلال العسكري على بيتي المهلهل، وأبي تمام ، قال : " وبيت

البحتري أجود من بيتها بغير خلاف " (٣)

وكذلك ذكره ابن الأثير في الضرب السابع من السلخ ، ورأى أن هذا الضرب

هو المحمود الذي يخرج به حسنه عن باب السرقة . قال :

" . . . وهو أن يؤخذ المعنى فيكسى عبارة أحسن من العبارة الأولى ،

وهذا هو المحمود الذي يخرج به حسنه عن باب السرقة ، فمن ذلك

قول أبي تمام :

جَدَّ لَانَ مِنْ ظَفْرِ حَرَّانٍ أَنْ رَجَعَتْ . . . مَخْضُوبَةٌ يَنْكُمُ أَظْفَارُهُ بِدَمٍ (٤)

أخذه البحتري فقال :

إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْمًا فَفَاضَتْ بِمَاؤُهَا . . . تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعَهَا (٥)

=== جمهرة أشعار العرب : ٢٠٧ ، الشعر والشعراء : ٣٠٣ / ١ - ٣٠٥ ،

الاشتقاق : ٦١ - ٧٧ ، ٢٥٩ ، ٣٣٨ ، ٣٥٤ - ٣٥٦ ، الأغاني

٥ / ٣٤ - ٦٤ ، الأعلام : ٤ / ٢٢٠ .

(١) الأشباه والنظائر : ١ / ٤ .

(٢) الأشباه والنظائر : ١ / ٧ .

(٣) الصناعتين : ٣٢٩ .

(٤) الديوان - دار صادر - : ٢٣٩ .

(٥) المثل السائر : ٣ / ٢٥٤ .

الشاهد الرابع والأربعون : ( \* ) (الوافر)

قول سليمان بن داود القضاعي : ( ١ )

فَبَيْنَا التَّرَاءُ فِي عَظِيَاءِ أَهْوَى . . وَنَحَطُّ أُتِيحَ لَهُ أَعْتِـلَاءُ  
وَبَيْنَا نِعْمَةٌ إِذْ حَالَ بُؤْسٌ . . وَبُؤْسٌ إِذْ تَعَقَّبَهُ شَرَاءُ ( ٢ )

قبل أن يذكر الشيخ البيهقي قال : " ونوع منه آخر " قول سليمان بن داود  
القضاعي .

ولعله أراد بقوله : " ونوع منه آخر " الإشارة إلى نوع آخر من البديع ،  
ففي الشاهد مقابلة حسنة لطيفة بين قول الشاعر " عِـيَاءِ أَهْوَى ، وبين " ونَحَطُّ  
أُتِيحَ لَهُ أَعْتِـلَاءُ " ، وبين " نِعْمَةٌ إِذْ حَالَ بُؤْسٌ " وبين " وَبُؤْسٌ إِذْ تَعَقَّبَهُ شَرَاءُ " .  
فروعة هذا الأسلوب في حسن صياغته ، ودقة تركيبه ، وجيد نظمه ، مما أكسب المعنى  
قوة وغزارة .

فالشاعر أراد أن يؤكد في النفوس حال الدنيا وتقلبها ، وأنها لا تثبت على حال ،  
فقد يكون المرء متربعا في قمم العز والمجد ، وفجأة يهوي به القدر ، وفي نفس  
اللحظة يرتفع شخص كان يلصق في الحضيض إلى تلك القمم .

وكذلك قد يكون الإنسان متدثرًا بثوب النعمة والرفاهية ، وفجأة يُقَرِّبه القدر  
منها ، فيحلبه البؤس والشقاء ، وفي نفس الوقت يكتسي بتلك النعمة ، وينعم  
بذلك الشراء شخص أضناه البؤس والشقاء .

وفي لجوء الشاعر إلى أسلوب المقابلة هذا ، وهو بيان المعنى وضده فسي  
بيان حال الدنيا وما فيها من أضرار ما يؤكد الحقائق في النفس ، ويبرهنها بطريق  
لا يدع مجالاً للشك .

( \* ) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ١٣٢ ، شاكر : ٩٤ .

( ١ ) لم أقف على ترجمة له .

( ٢ ) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر .

## الشاهد الخامس والأربعون : \* ( الطويل )

قول كثير :

(١) وَإِنِّي وَتَهَيَّيْ بِعِزَّةٍ بَعْدَمَا .: تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّيْتُ  
(٢)  
لَكَ الْمُرْتَجِي ظِلَّ الْغَمَامَةِ كُلَّمَا .: تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتْ  
(٣)  
(٤)

والشاهد من قصيدته التي يتغزل فيها بمحبوته عزة ، ومطلعها :

خَدِيلِي هَذَا رُبْعُ عَزَّةٍ فَأَعْقِلَا .: قُلُوبُ صِيكَمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّيْتُ

وقبل الشاهد أبيات تظهر مدى هيامه ، وتعلقه بعزة ، يقول فيط :

فَوَاللَّوِثُ اللَّوِ لَا حَلَّ بَعْدَهَا .: وَلَا قَبْلَهَا مِنْ خُلَّةٍ حَيْثُ حَلَّيْتُ  
وَمَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَيَّ كَيَوْمِهَا .: وَإِنْ عَظُمَتْ أَيَّامُ أُخْرَى وَجَلَّيْتُ

(\*) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ١٣٢ ، شاکر : ٩٤ .

(١) رواية المختار من شعر بشار : " فَإِنِّي " .

ورواية مجموعة المعاني : " أَرَانِي " .

(٢) رواية التمثيل والمحاضرة : " وَإِنِّي وَتَهَيَّيْ بِعِزَّةٍ " .

ورواية الإعجاز والإيجاز : " إِذَا لَمْ تَجِي ، ظِلَّ الْغَمَامَةِ كُلَّمَا " .

(٣) رواية محاضرات الأدباء : " لكالمبتغي " .

(٤) انظر البيتين في :

ديوانه : ١٠٣ ، الشعر والشعراء : ١ / ٥٢٣ ، الخصائص : ١ / ٣٤٠

أمالي القالي : ٢ / ١٠٩ ، المختار من شعر بشار : ١٧٠ ، التمثيل

والمحاضرة : ٧٢ ، الإعجاز والإيجاز : ١٥٣ - ١٥٤ ، أمالي

المرتضى : ١ / ٤١٤ ، زهر الآداب : ٢ / ٥٠٠ ، العمدة : ٧٧ -

٧٨ ، محاضرات الأدباء : ٢٨٤ ، نهاية الأرب : ٣ / ٧٧ ، شرح

شواهد المغني : ٢ / ٨١٣ ، تزيين الأسواق : ٤٢ - ذكر

البيت الأول فقط على بيتين آخرين - ، الكشكول : ٢ / ٢ / ٨٢ ،

مجموعة المعاني : ٦٩ .



وَحَلَّتْ بِأَعْيُنِي شَاهِقِي مِنْ فُؤَادِهِ . : . فَلَا الْقَلْبُ يَسْلَاهَا وَلَا النَّفْسُ مَلَّتْ  
فَوَاعَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتَرَفُوهُ . : . وَلِلنَّفْسِ لَمَّا وَطَّنتْ فَأَطْمَأْنَنْتْ

وبعد ها بيتا الشاهد وبعدهما :

كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابَةٌ مَمْجُولٌ . : . رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ آسْتَهَلَّتْ ( ١ )

استشهد الإمام عبد القاهر بهذين البيتين على اتحاد النظم في الوضع ودقة

الصنع .

ولعل سبيل النظم، ودقته في هذه الأبيات هو التشبيه المركب .

فالشاعر هنا يصف حاله بعد أن تقطعت الصلات بينه وبين عزة ، فهو  
على الرغم مما حصل بينهما لا يزال شديد الوله بها ، وعبر عن ذلك بأجمل  
ما يكون التعبير، فجاء بواو القسم ، وأداة التوكيد " إن " وأضاف اسم " إن " للضمير  
المتكلم ، ثم جاء بكلمة " تهيامي " - بدل " هيامي " - وهو مصدر للمبالغة من  
الهيام .

وقد تكون جملة " وَتَهْيَامِي بِعِزَّة " جملة اعتراضية من مبتدأ وخبر اعترض بها  
بين اسم " إن " وخبرها " لكالمترجي " ، وللجملة الاعتراضية هذه مذاقها الخاص  
في هذا التركيب ، فقد أظهرت وأكدت حبه وتهيامه ( ٢ ) ، فهي غنية بالعواطف ،  
غنية بالحنان الذي يمكن أن يروى نفسه الظمأى ، لكنها تتنعج ، وتتأى ، وهذا  
ما ألقى نفسه وأوجع قلبه ، فلجأ إلى التشبيه المركب ليصور حاله ويجسد آلامه  
وإحساسه ، فالحسرة في نفسه ، والألم الذي ألمَّ به قد بلغ المدى ، فهو كالإنسان  
الذي أحرقت حرارة الشمس فأخذ يبحث عن ظل غمامة يحتمي بها ، ولكنه كلما

( ١ ) ديوانه : ١٠٢ - ١٠٣ .

( ٢ ) قال ابن جنبي : " وسألته " يعنى أبا علي الفارسي " عن بيت كُثِّير  
" وَإِيَّاي وَتَهْيَامِي . . . " ، فأجاز أن يكون قوله : " وَتَهْيَامِي بِعِزَّة " جملة  
من مبتدأ وخبر ، اعترض بها بين اسم " إن " وخبرها الذي هو قوله :  
" لكالمترجي . . . " ، فقلت له : أيجوز أن يكون " وَتَهْيَامِي " بِعِزَّة قسماً ،  
فأجاز ذلك ولم يدفعه " / الخصائص : ١ / ٣٤٠ .

قوى ألمه في الظل، وأحس بالطمأنينة تركته من غير أن ترأف بحاله، فيظل يبحث عن ظلها، وتظل هي في هروب دائم .

ولما رأى الشاعر أن الحسرة مازالت تستكن في نفسه، وأن أحاسيسه وشعوره لم يفرغ في هذه الصورة التفرغ الكامل الموحى ككرر التشبيه بعد أن أضاف إلى الصورة الجديدة أبعاداً أخرى تبين شدة قسوتها، فهي شديدة العطاء وهو شديد الرجاء إلا أن عطاءها يتمنع عن رجائه، فهي كالسحابة المليئة بالمطر، مرت على رجل أرضه ممحلة مجدبة، فرجاها، وتوسم فيها الخير إلا أنها أصابته بالخيبة والألم، فلم تلقت لرجائه ولم ترحم جديه، بل زادت من عذابه، فبعد أن مرت به، وبعدت عنه أنهل غيشتها .

• رأى الثعالبي أن هذين البيتين من قلائد قصائد كثير وغررها . قال :

" من قلائد وغرر قصائده قوله :

" وَأِنِّي وَتَهْتِيَامِي بِمَعْرَةَ بَعْدَمَا ... (١)

وقارن المرتضى في أماليه بين بيت كثير عزة، وبيت عروة بن أذينة :

وَعَادَ الْهَوَى فِيهَا كِظْلٌ سَحَابِيَّةٌ . . . الْأَحْتِ يَبْرُقُ نَمْرٌ سَحَابِيَّةٌ

قال : " وهيهاات هذا البيت الأخير من قول كثير :

وَأِنِّي وَتَهْتِيَامِي بِمَعْرَةَ بَعْدَمَا ... (٢)

ونذكره ابن رشيق في باب التكرار . قال :

" . . . إلا أن كثيراً تصرف، فجعل رجاء الأول ظل الغمامة ليقيل تحتها

من حرارة الشمس، فأضحلت، وتركتها ضاحياً، وجعل السحل في البيت

الثاني يرجو سحابة ذات ماء، فأمرت بعدما جاوزته " (٣)

(١) الإعجاز والإيجاز : ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) أمالي المرتضى : ١ / ٤١٤ .

(٣) العمدة : ٢ / ٧٧ - ٧٨ .

وواضح أن في البيت " تضمينا " وهو تعليق البيت الأول بالثاني ، ورأى النقاد القدماء معاً ابن الأثير ، أنه عيب في الشعر .

الشاهد السادس والأربعون : ( \* ) ( الطويل )

قول البحتري :

لَعَمْرُكَ إِنَّا وَالزَّمَانُ كَمَا حَنَسْتُ . . ( ٢ )  
( ١ ) عَلَى الْأَضْعَفِ السَّوْهُونِ عَابِيَّةُ الْأَقْوَى ( ٣ )

البيت من قصيدته التي يمدح بها أبا عيسى بن صاعد ، ومطلعها :

لَنَا أَبَدًا بَثُّ نَعَابِيهِ فِي أَرْوَى . . وَحَزْوَى وَكَمْ أَدُّ نَتَكٍ مِنْ لَوَعَةٍ حَزْوَى ( ٥ )

وَوَادٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ عِنْدَكَ لَمْ يَكُنْ . . مَعْرَجْنَا مِنْهُ عَلَى الْعُدْوَةِ الْقَصْوَى

إِذَا مَا تَحَلَّلْنَا يَدَا عَنْهُ يَخْلَتَنَا . . لِنُقْصَانِنَا عَنْهَا حَمَلْنَا يَهَا رَضْوَى

وبعدهما الشاهد وبعده :

مَتَى وَعَدَّتْنَا الْحَايَاتُ إِدَالَةَ . . فَأَخْطِقُ يَدَاكَ الْوَعْدِ يَتَهَنَّ أَنْ يُلْوَى

لَعِنَ زَوِيَّتَ عَنَّا الْحُطُوطُ فَيُثَلِّمَهَا . . إِذَا خَسَّ فِعْلُ الدَّهْرِ عَنِ مِثْلِنَا يُزْوَى ( ٦ )

( \* ) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ١٣٢ ، شاكر : ٩٤ .

( ١ ) رواية الديوان : " أَجْدَكَ " .

( ٢ ) رواية الديوان والدلائل تحقيق شاكر : ٩٤ " كَمَا جَنَّتْ " .

( ٣ ) لم أجد البيت إلا في :

ديوانه - دار بيروت - : ١ / ٣٥٠ .

( ٤ ) هو أبو عيسى بن صاعد بن مخلد ، كان والده صاعداً وزيراً للموفق العباسي ،

وكان نصرانياً أسلم على يد الموفق ، فاستكتبه ، ووجهه في المهمات ،

ولقب يذوي الوزارتين ، وكان كريماً نبيلاً كثير الصدقات والصلوات ،

وقعت وحشة بينه وبين الموفق ، فأمر الموفق سنة ٢٧٢ هـ بالقبض

على صاعد ، وعلى جميع أهله ، وأصحابه ونهب منازلهم ، وقبض

ابنائه أبو عيسى وصالح ، وأخوه عبدون ، وللبحتري أشعار كثيرة في

مدح بني مخلد . / انظر :

أخبار البحتري للصولي : ٨١ ، ١١١ ، سراج الذهب : ٤ / ٢٠٩ ، الكامل

لابن الأثير : ٦ / ٦٠ ، الأعلام : ٣ / ١٨٢ .

( ٥ ) الديوان : ١ / ٣٤٨ .

( ٦ ) ديوانه : ١ / ٣٥٠ .

ولعل الشاهد فيه هو حسن صياغة التشبيه واشتماله على نوع من البديع، وهو الطباق بين الأضعف والأقوى .

يبدو أن رواية الديوان " كما جنت " أدق وأجمل من رواية الدلائل " كما حنت " ؛ لأنها أنسب للصورة التي يريد الشاعر تقريرها في النفوس حيث جعل عادة الأقوى جانبية على الأضعف ، وفي جناية القوي على الضعيف بالغ القسوة وعدم الرحمة ، وهذا ما قصد به الشاعر .

أما لفظ " حنت " ففيه معنى الحنو والمطف ، وليس هذا مراده إلا إذا كان مجيئاً الحنو هنا على سبيل التهكم والسخرية .

• بدأ الشاعر البيت بالقسم " لعمرك " ليؤكد أن ماسيروه ، ويصوره من حالة الناس مع الزمان هي صورة حقيقية ظاهرة .

وزيادة في التوكيد شبه حال الناس مع الزمان وما يصيبهم فيه من أهوال ومصائب ، بحالة إنسان ضعيف موهون القوي ، قست عليه وظلمته يد قوي معتد .  
ووصف الشاعر لفظ " الأضعف " بموهون ليبالغ في ضآلة قوته ، وقلة غناؤه قدرته .

وانظر إلى صياغة التشبيه وتركيبه ، وكيف ضمنه نوعاً من البديع وهو الطباق بين الأضعف والأقوى ، وجاء بهما على وزن " أفعل " اسم تفضيل كل ذلك لتتمكّن الأذهان من المقارنة بين القوتين ، فتتضح الصورة وتتأكد في النفوس .

الشاهد السابع والأربعون : ( \* ) ( البسيط )

قول حسان ( ١ ) :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدَّوَهُمْ . . . أَوْ حَارَبُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاءِهِمْ نَفَعُوا

( \* ) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ١٣٣ ، شاکر : ٩٤ .

( ١ ) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري أبو عبد الرحمن ، ويقال :

أبو الحسام ، ويقال : أبو الوليد ( . . . - ٥٤ هـ ) أمه القرينة بنت خالد بن

حبيش ، صحابي ، شاعر فحل مجيد ، وهو شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ،

سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ .: إِنَّ الْخَلَائِقَ فَأَعْلَمُ شَرَّهَا الْيَدَعَ (١)

هذان البيتان من قصيدة قالها حسان بن ثابت للرد على قول الزبير بن بدر (٢) حين قدم وفد تميم على الرسول صلى الله عليه وسلم مفتخرين ، وفيهم الأقرع بن حابس والزبير بن بدر ومعهم الخطيب عطار بن حاجب ، فقسام الزبير ، فقال :

نَحْنُ الْكِرَامُ فَلَا حَسَىٰ يُعَارِلُنَا .: مِنَّا الْكُلُوكُ وَفِينَا تَنْصَبُ الْبَيْعُ

==== وهو أحد المخضرمين ، كان من سكان المدينة واشتهرت مدائحه فسي الفسانيين ، وطوك الحيرة قبل الإسلام ، وعى قبل وفاته ، ولم يشهد مع النبي مشهداً لعله أصابته - وروى عن الرسول أحاديث كثيرة . / انظر ترجمته : سيرة ابن هشام : ٤ / ١٤٨ - ١٥٥ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٢١٥ ، الشعر والشعراء : ١ / ٣١١ - ٣١٤ ، تاريخ الطبري : ١ / ١١٥ - ١١٩ ، الأغاني : ٤ / ١٣٤ - ١٧٠ ، تاريخ ابن عساکر : ٤ / ١٢٨ ، نكت الهميان : ١٣٤ - ١٣٨ ، تهذيب التهذيب : ٢ / ٢٤٧ - ٢٤٨ ، الإصابة : ١ / ٣٢٥ رقم ١٧٠٣ ، خزنة البغدادي : - دار صادر : ١ / ١١١ ، الأعلام : ٢ / ١٧٦ .

(١) انظر البيتين في :

ديوانه : - دار صادر - : ١٤٥ ، شرح ديوان حسان - البرقوقسي :- ٣٠١ - ٣٠٢ ، السيرة النبوية لابن هشام : ٤ / ١٥٥ ، تاريخ الطبري : ٣ / ١١٧ ، الأغاني : ٤ / ١٤٩ ، المفتاح : ١٨٠ ، الإيضاح : ٢ / ٥٠٨ ، شرح أبيات الأيضاح :- النسخة الأزهرية - شاهد ٣٨٥ ، مجموعة المعاني : ١٧٤ .

(٢) هو الزبير بن بدر بن أمري ، القيس التميمي السعدي ( . . . - ٤٥ هـ ) صحابي من رؤساء قومه ، واسمه الحصين ، ولُقِّبَ بالزبير ، وهو مسن أسماء القمر لحسن وجهه ولآه الرسول صلى الله عليه وسلم صدقات قومه ، فتثبت إلى زمن عمر ، وكفَّ بصره في آخر عمره ، وتوفي في أيام معاوية ، وكان شاعراً فصيحاً فيه جفاء الأعراب . / انظر ترجمته : السيرة لابن هشام : ٤ / ١٥٢ - ١٥٧ ، عيون الأخبار : ١ / ٢٢٣ - ٢٢٦ ، تاريخ الطبري : ٣ / ١١٥ - ١١٩ ، المؤلف والمختلف : ١٣٨ ، جمهرة الأنساب : ٢١٨ .

تلك التكرار حزنناها مقارعة .: إذا الكرام على أمثالها اقترعوا (١)

فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى حسان بن ثابت ، فجاء فأمره أن يجيبه ،  
فقال قصيدته التي منها الشاهد (٢) وأولها :

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرِ وَلِخَوَاتِبِهِمْ .: قَدْ بَيَّنَّا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تَبَّعُ  
وقبل الشاهد :

يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ .: تَعْوَى إِلَهِ وَيَا لَأَمْرِ الذِّي شَرَعُوا  
وبعده الشاهد وبعده :

لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفَهُمْ .: عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا  
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَقَدَّهُمْ .: فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَدْنَى سَبَقِهِمْ تَبَّعُ  
(٣)

استشهد الشيخ بهذين البيتين على أن اتحاد النظم ، ودقة الصنع فيهما كان  
عن طريق التقسيم ، ثم الجمع ، وهو عنده أدق الأنواع وأجملها . وهذا النوع

(١) ديوانه : ٤٦ - ٤٨ .

(٢) انظر الخبر في :

السيرة لابن هشام : ٤ / ١٥٢ - ١٥٣ ، تاريخ الطبري : ٣ / ١١٥ - ١١٩ ،  
الأغاني : ٤ / ١٤٩ .

(٣) ديوان حسان - : دار صادر - : ١٤٥ ، شرح ديوان حسان - البرقوقي -  
٣٠١ - ٣٠٢ .

(٤) التقسيم نوع من أنواع البديع ، وهو أن بيتدي الشاعر فيضع أقساما  
فيستوفيها ، ولا يفاد رقسماً منها ، ولصحة التقسيم شروط منها :

١- أن تستوفي الأقسام فلا يخل بشيء منها ، مثال ما لم تستوف فيه الأقسام :  
صَارَتْ حَنِيفَةً أَثْلَاشًا فَتُلْثُهُمْ .: مِّنَ الْعَبِيدِ وَتُلْثُ مِّنْ مَّوَالِيهَا  
فهذه قسمة فاسدة من طريق الإخلال ؛ لأنه قد أخل بقسم من الثلاثة .

٢- ألا تتكرر مثال قول أبي تمام :

قَسَمَ الزَّمَانَ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا .: وَقَبُولِهَا وَدُبُورِهَا أَثْلَاشًا

فهذا فاسد من طريق التكرار ؛ لأن القبول هي الصبا على ما ذكره جماعة من  
أهل اللغة .

بحثت عنه عند ابن المعتز في كتابه " البديع " ، فلم أجد له أثراً ، وكذلك عند  
 قدامة بن جعفر فقد تحدث عن صحة التقسيم فقط ، ولم يذكر نوع التقسيم مـ  
 الجمع ، وكذلك في العمدة ، وسر الفصاحة لم أجد أحداً منهم قد تطرق إلى  
 ما تطرق إليه الشيخ ، ويبدو أن المتأخرين أخذوا هذا القسم عنه ، وكذلك  
 استشهدوا بنفس الشاهد الذي ذكره ، وهو قول حسان السابق .

فقد قَسَمَ حَسَّانُ حال القوم قسَمين :

ضرمهم للعدو ، ونفعهم للأشياء .

ثم جمع هذين الخلقين في قوله " سجية " .

فبيتا الشاهد أروع وأدق من قول الزيرقان بن بدر:

نَحْنُ الْعُلُوكُ فَلَا حَيٌّ يَقَارِنُنَا . . . البيتان .

فجواب حسان أبرع ؛ لأن الزيرقان افتخر بكونهم ملوكاً قد أخذوا مكارمهم  
 مقارعة وحرماً ، وحازوا عليها قهراً وقسراً ، فهي ليست من طبائعهم التي جبلوا  
 عليها ، أما حسان ، فقد جعل قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطاعة الخلائق  
 له تابعة عن رضى من أنفسهم وطواعية ، فلا قهر ولا جبر ، وأن السجايا التي يتصف  
 بها المسلمون إنما هي من طبيعتهم وفطرتهم ، فقس في بادئ الأمر أخلاقهم ، وجاء  
 بها عن طريق المقابلة إظهاراً لها ؛ ولتكون صورتها أبرز وأوضح ، ثم جمعها في  
 قوله : " سجية " تعظيماً ومفاخرة ، وتوكيداً وإقراراً لتلك السجية ، ثم جاء  
 باسم الإشارة " تلك " ليثبت بعد منزلتهم في الشرف والأخلاق ، ثم انظر إلى

==== ٣ - ألا يدخل بعضها تحت بعض ، مثاله قول نصيب :

أَبَايَرُ إِهْلَاكَ مَسْتَهْلِكِ . . . لِيَا لِي أَوْعَيْتَ الْعَايِثِ

فهذا فاسد لدخول أحد القسمين في الآخر ؛ لأن العايث داخل في

استهلاك المستهلك / انظر :

نقد الشعر : ١٣١ - ١٩٩ ، سر الفصاحة : ٢٢٦ - ٢٢٧ ، خزانة

الحموي : ٤٣٦ - ٤٣٧ .

الالتفات الذي جاء في صورة مؤكدة بأداة التوكيد ( إِنَّ ) - " ان الخلائق " - ،  
ثم تأمل الجملة الاعتراضية " فأعلم " ، وصنيع " الفاء " التي زادت فعل الأمر قوة  
وتبنيهاً ، قال صاحب شرح أبيات الايضاح :

" وقوله : - " فأعلم " - اعتراض بين الاسم والخبر ، وقوله : إِنَّ الخلائق - فأعلم -  
شَرَّهَا البدع جار مجرى المثل ، وهو التفات يصفهم بالاقتدار على ما يشاءون ، وَأَنَّ  
ما فيهم من الضر والنفع طبيعي غير محدث (١) .

وقبل ذلك كله أنظر كيف ابتدأ البيت بالمسند " قوم " وحذف المسند إليه ،  
فالأصل " هم قوم " ، فابتدأ بذكرهم إظهاراً لعظمتهم وإثباتاً لهيبتهم .  
وكيف بنى البيت على أسلوب الشرط ، بإذا " ليظهر تحقق وقوع ضرهم العدو ،  
ونفعهم الاشياء .

• وقد استحسّن الشيخ عبد القاهر التقسيم ، ثم الجمع ، فقال :

" ومنه " التقسيم " وخصوصاً إذا قَسَمْتَ ثم جمعت (٢)

ولكن ابن حجة الحموي رأى أن الجمع مع التقسيم : وهو أن يجمع الناظم بين  
شيئين فأكثر ، ثم يقسم أفضل من النوع الذي ذكره الشيخ . قال :  
" هذا النوع أعنى الجمع مع التقسيم هو أن يجمع الناظم بين شيئين فأكثر ،  
ثم يقسم كقول أبي الطيب المتنبّي :

الدَّهْرُ مُعْتَدِرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَظَرٌ . . . وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمَرْتَبَتُهُمْ (٣)

لِلسَّبِيِّ مَا نَكَحُوا وَالْقَتْلَ مَا وُلِدُوا . . . وَالنَّهْبَ مَا جَمَعُوا وَالنَّارَ مَا زَرَعُوا (٤)

وقد يتقدم التقسيم ويتأخر كقول حسان :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ . . . البيتان .

(١) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : شاهد رقم ( ٣٨٥ ) علم البديع

القسم المعنوي .

(٢) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ١٣٣ ، شاعر : ٩٤ .

(٣) ديوانه بشرح العكبري : ٢ / ٢٣٣ .

(٤) المصدر السابق : ٢ / ٢٢٤ .



فالأول أحسن، وأوقع في القلوب، وعليه مشى أصحاب البديعيات (١).

الشاهد الثامن والأربعون : ( \* ) ( البسيط )

قول القائل (٢) :

لَوْ أَنَّ مَا أَنْتُمْ فِيهِ يَدُومُ لَكُمْ . : . ظَنَنْتُ مَا أَنَا فِيهِ دَائِمًا أَبَدًا  
لَكِنْ رَأَيْتُ اللَّيَالِي غَيَّرَ تَارِكَةً . : . مَا سَرَّ مِنْ حَادِثٍ أَوْ سَاءَ مُطَّوِّرًا  
فَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى أَنِّي وَأَنْكُكُمْ . : . سَنَسْتَجِدُّ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدًا

( ١ ) خزانة الأدب للحموي : ٣٥٦ - ٣٥٧ .  
( \* ) الدلائل ، رضا : ٧٥ ، خفاجي : ١٣٣ ، شاكر : ٩٤ .  
( ٢ ) ذكر الأستاذ محمود محمد شاكر في تحقيق الدلائل أَنَّ الأبيات على الرغم

من شهرتها لم يقف لها على قائل .

ونسبها محقق الإيضاح الأستاذ : " خفاجي " لإبراهيم بن العباس الصولي ، وقد رجعت إلى ديوانه المطبوع ضمن كتاب الطرائف الأدبية ، فلم أجد الأبيات ، وراجعت ترجمته في معجم الأدباء والأغاني ، وفي كتب التراجم الأخرى فلم أجدها فيها .

وأشار كذلك إلى أن الأبيات قد تكون لابن الرومي ، وبحثت في ديوانه فلم أعثر عليها ، ولا أدرى على أي شيء اعتمد في نسبه هذه ؟ فقد بحثت عنها في كثير من كتب الأدب واللغة والنحو فلم أعثر عليها أو على قائلها .  
ومن الكتب التي رجعت إليها :

جبهة أشعار العرب / المفضليات / الكتاب / مجاز القرآن / معانسي  
القرآن للأخفش الأوسط / نوادر أبي زيد / الأصمعيات / كتاب الأمثال  
لابن سلام / شرح أبيات الكتاب للنحاس / إصلاح المنطق / البيان  
والتبيين / الشعر والشعراء / المعاني الكبير / الكامل / المقتضب  
مجالس ثعلب / البديع / أمالي اليزيدي / الخصائص / عيار الشعر /  
العقد الفريد / أخبار أبي تمام للصولي / أخبار البحري للصولي /  
نقد الشعر / أمالي الزجاجي / الوساطة / ديوان الأدب للغارباصي /  
الأغاني / أمالي القالي وذيله / الصاحبى / الموازنة / ديوان المعاني /  
الموشح / ثلاث رسائل في اعجاز القرآن / معاني أبيات الحماسة /

استشهد الإمام عبد القاهر بهذه الأبيات دليلاً آخر على حسن التقسيم، ثم  
الجمع، ورأى أنها في غاية الحسن. قال :

” سَنَسْتَجِدُّ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدًا ” جمع فيا قسم لطيف، وقد زاد لطفاً  
بحسن ما بناه عليه، ولطف ما توصل به إليه من قوله : ” فَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى أَنِّي  
وَأَنْتُمْ (١) ”

والأبيات في غاية اللطف، وغاية البراعة، فهي تحوي معنى غزيراً وعميقاً، فصدر  
الشاعر يعجُّ بالحنق والغیظ على بعض الأقسام الذين غرتهم الدنيا، فاطمأنوا  
إليها، وانساقوا وراءها، ولم يبالوا بغيرهم، ونسوا من يخالفهم في الحال، وأعتقدوا  
أن ما هم فيه من النعيم والاستقرار دائم أبداً، فجاء بهذه الأبيات؛ ليقرر لهم  
حقيقة حال الدنيا الغرور، فبدأ الأبيات بـ (لو)؛ ليؤكد امتناع دوام الحال، واستحالة  
استمراره .

ولجأ إلى التقسيم؛ ليجسد صورتها، فتبرز وتتضح، فما سر من حوادثها،  
وما ساء منها لا يمكن أن يكون مطرداً، ثم جمع ليكون التوضيح في صورة التقرير، فقال :  
” سَنَسْتَجِدُّ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدًا ” ، فهذا أمر آتٍ لا محالة، وقبل الجمع قال :

==== إعجاز القرآن للباقلاني / التنبيهات على غرائب التشبيهات /  
نثر الدر الآبي / الحماسة بشرح المرزوقي / التمثيل والمحاضرة /  
أحسن ما سمعت / محاضرات الأدباء / أمالي المرتضى / زهر  
الآداب / العمدة / بهجة المجالس / سر الفصاحة / المتع /  
أمالي الشجري / الإفصاح للفارقي / شرح الحماسة للتبريزي /  
الرسالة المصرية لأبي الصلت / المفتاح / المثل السائر / المغني  
/ الحماسة البصرية، التلخيص / الإيضاح / شرح ألفية ابن مالك /  
شرح أبيات الإيضاح / المستطرف / الإرشاد الشافي للدمنهوري /  
معاهد التنصيص / خزانة الأدب للبغدادبي / الطراز . وغيرها  
من الكتب .

"فَقَدْ سَكَنْتُ إِلَىٰ أُنْتِي وَأَنْتُمْ" فلفظ "سَكَنْتُ" يدل على سكون نفس الشاعر  
 النائرة وراحتها واطمئنانها إلى ما سيقرره ، وكأنَّ في إعلان سكونه تشفياً منهم .  
 وقوله : "أُنْتِي وَأَنْتُمْ" تعبير في غاية الدقة والإيجاز ؛ لأنَّ قوله "أُنْتِي"  
 إشارة إلى المأساة التي يربها ، وهذه المأساة رمز إلى السيِّء من حال الدنيا ،  
 فعبر عن ذلك كله بالضمير ، وقوله "أَنْتُمْ" إشارة إلى محبي الدنيا ، والمتعلقين  
 بأذنبها ، وهم رمز للمغريات ، والضلالات ، وهكذا حمل الضمير كثيراً من المعاني  
 والدلالات .

الشاهد التاسع والأربعون : ( \* ) ( الطويل )

قول أمري القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا . لَدَىٰ وَكِرْهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي ( ٢ ) ( ١ ) ( ٣ )

- ( \* ) الدلائل ، رضا : ٧٥ ، خفاجي : ١٣٣ ، شاكر : ٩٥ .  
 ( ١ ) العُنَابُ : العُنَابُ من الثمر معروف ، الواحدة عُنَابَةٌ ، وربما سمي ثمر  
 الأراك عُنَابًا / اللسان : "عنب" : ١ / ٦٣٠ .  
 ( ٢ ) الحشف : الحشف من التمر ما لم يُنَوِّ ، فإذا يَبَسَ صَلَبٌ ، وفسد لا طعم له ،  
 ولا لِحَاءَ ولا حلاوة . / اللسان "حشف" : ٩ / ٤٧ .  
 ( ٣ ) انظر البيت في :  
 ديوانه - شرح السندوبي - : ١٦٦ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٨١ ،  
 الحيوان : ٣ / ٥٣ ، المعاني الكبير : ١ / ٢٧٧ ، الكامل للمبرد  
 - دار الفكر - : ٢ / ٣ ، البديع : ٦٩ ، عيار الشعر : ٢٣ ، أخبار أبي تمام  
 للصولي : ١٧ ، الأغاني : ١٩٦ / ٣ - ٢٣٧ ، ذيل  
 الأمالي والنوادر : ٣٠ ، المصون : ٦٥ ، أمالي المرتضى : ١٢٥ / ٢ ، الصناعتين :  
 ٢٦٧ - ٢٧٢ ، المنصف في نقد الشعر : ٥٠ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ٧٣ ،  
 زهر الآداب : ٣ / ٨٢١ - ٨٢٢ ، العمدة : ١ / ٢٦٢ ، أشعار الشعراء  
 الستة الجاهليين : ١ / ٢٣ - ٢٥ ، سر الفصاحة : ٢٣٩ ، تحرير التعبير :  
 ١ / ١٦٣ ، الإيضاح : ٢ / ٣٦٧ ، شرح أبيات الإيضاح : " فيض الله " : ٧١ ،

والشاهد من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أَلَا يَمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الظَّلُّ البَالِي . . وَهَلْ يَعْصَمُ مَنْ كَانَ فِي العُصْرِ الخَالِي ( ١ )

وقبل بيت الشاهد :

كَأَنِّي يَفْتَحَاءُ الجَنَاحِينَ لَعَوَةٍ ( ٢ ) . . صَيُودٍ مِنَ العِيقَتَانِ طَاطَأْتُ شِمْلَالِ ( ٤ )

تَخَطَّفُ خِرَّانَ الشَّرْبَةِ بِالضُّحَى ( ٥ ) ( ٦ ) . . وَقَدْ حُجِرَتْ مِنْهَا شَعَالِيْبٌ أَوْزَالِ ( ٧ )

=== شرح شواهد المغني : ٣٤٢ / ١ ، أوضح المسالك : ٩٢ / ٢ رقم الشاهد :

« ٢٧٤ » ، خزانة الأدب للحموي : ١٨٩ ، معاهد التنصيص : ٨٠ / ٢ - ٨١ ،

الكشكول : ٣٢٢ / ٢ / ١ .

- ( ١ ) ديوانه - شرح السندوبي - : ١٥٨ .
- ( ٢ ) عقاب فتحاء : لينة لأنها إذا انحطت كسرت جناحيها ، وهذا لا يكون إلا من اللين / اللسان : \* فتح \* : ٤٠ / ٣ - ٤١ .
- ( ٣ ) لعوة : عقاب لينة الجناحين سريعة الاختطاف / اللسان : \* لقا : ٢٥٣ / ٥ .
- ( ٤ ) طاطأ : أسرع واشتد وبالغ / اللسان \* طاطأ \* : ١١٣ / ١ .
- ( ٥ ) خِرَّان : ذكور الأرنب وقيل ولد الأرنب / اللسان : ٣٤٥ / ٥ .
- ( ٦ ) الشربة : يقال لكل نحيزة من الشجر شربة ، والنحيزة طريقة سوداء فسي الأرض كأنها مستوية لا يكون عرضها ذراعين ، يكون ذلك من جبل وشجر وغير ذلك .

والشربة بنجد وادي الرمة يقطع بين عدنة والشربة فإذا جزعت الرمة فسي الشمال أخذت في عدنة ، والشربة بين الرمة وبين الجريب ، والجريب وادي يصب في الرمة ، والشربة أشد بلاد نجد قرأ ، وهي من بلاد غطفان . / انظر :

معجم البلدان : ٢٢٢ - ٣٣٣ ، معجم ما استعجم : ٧٩٠ / ٢ .

( ٧ ) أوزال : آخره لام ، أجبل ثلاثة سود في جوف الرمل الواحد ووزل ، فيقال :

الوزل الأيمن ، والوزل الأيسر ، والوزل الأوسط ، وحداهن مائة

لبنى عبدالله بن دارم يقال لها الورلة / انظر :

معجم البلدان : ٢٧٨ / ١ .

وبعدهما الشاهد وبعده :

( ١ )  
فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ . : كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ

والبيت أوردته الشيخ شاهداً على أن من جمال النظم ودقته ، وتلاحم أجزاءه

تشبيهه شيئين بشيئين ، <sup>( ٢ )</sup> فالتشبيهات على ضروب مختلفة منها تشبيه الشيء

بالشيء ، صورة وهيئة ، ومنها تشبيهه به لوناً ، ومنها تشبيهه به صوتاً ، وربما

امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض ، فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان

أو أكثر دل ذلك على قوة التشبيه ، وتؤكد الصدق فيه ، وكان الشعر بذلك حسناً ،

وبيت امرئ القيس من هذا النمط العالي ، وهو تشبيه الشيء بالشيء ، صورة

وهيئة . <sup>( ٣ )</sup>

والمقصود به إيضاح الشيء ، لأن مشاهدة العناب والحشف أكثر من مشاهدة

قلوب الطير رطبة ويابسة . <sup>( ٤ )</sup>

والبيت في صفة العقاب ، وخفته ، وبراعته في الصيد ، فهو كثير الاصطياد ، فأوكاره

دائماً مليئة بما يحمله من الطير حتى اجتمعت فيها القلوب ، فمنها الطير كالعناب ،

وهي قلوب الطير الحديثة الصيد ، ومنها اليابس كالحشف البالي ، وهي قلوب

الطير التي انقضت عليها زمن طويل . قال ابن وكيع :

... فشبّه القلوب الرطبة بالعناب ، واليابسة بالحشف ، وخصّ قلوب

الطير ؛ لأنها أطيبها ، فإذا صادت جاءت بقلوب الطير إلى أفراخها ،

وذكر عن الأصمعي أنه قال : الجارح لا يأكل قلوب الطير . وإنما خصّها

<sup>( ٥ )</sup>

دون غيرها لبقائها في وكر العقاب لليلة التي ذكرها .

( ١ ) ديوان امرئ القيس : ١٦٦ - ١٦٧ .

( ٢ ) والبيت يستشهد به النحاة على أن رطباً ويابساً حالان متضمنان معنوي

الفعل ؛ فلذا وجب تأخيرهما / المفني : ١ / ٣٦٥ ، رقم الشاهد : ٦٤٣ ٦٤٤

شرح شواهد المفني : ١ / ٣٤٢ ، ٢ / ٥٩٥ ، ٨١٩ .

( ٣ ) عيار الشعر : ٢٣ .

( ٤ ) سر الفصاحة : ٢٣٩ . ( ٥ ) المنصف في نقد الشعر : ٥٠ .

وهذا البيت من معاني أمري القيس المخترعة التي لم يسبق إليها ، ولم يعمل أحد من الشعراء ، قبله نظيرها ، أو ما يقرب منها ، فهو أول من بدأ بتشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد . (١)

• ولقد أجمع النقاد على استحسان هذا البيت . جاء في الكامل للمبرد :  
 " قال أبو العباس ، وهذا باب طريف نصل به هذا الباب الجامع المذني ذكرناه ، وهو بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب والمحدثين يعد هم ، فأحسن ذلك ما جاء بإجماع الرواة ما مر لأمري القيس في كلام مختصر أي بيت واحد من تشبيه شيء في حالتين بشيئين مختلفين ، وهو قوله :  
 كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا . . . (٢)

ثم يلفت المبرد الأنظار إلى روعة التركيب ودقته فلو أنه فصل ، وقال : كأنه رطباً العناب ، وكأنه يابساً الحشف ؛ لصرف الكلام عن رونقه ، وزالت عنه فصاحته .  
 وأخذ الشيخ عبد القاهر كلام المبرد هذا ، وضمنه كتابه أسرار البلاغة فقال :

" . . . وكذلك لو فرقت التشبيه ، فقلت : " كأن الرطب من القلوب عناب ، وكان الياسن حشف بال " لم تر أحد التشبيهين موقوفاً في الفائدة على الآخر . . . (٣)

وذكره ابن المعتز في " محاسن الكلام " ، قال :  
 (٤)  
 " ومنها حسن التشبيه نبدأ بإمام الشعراء ، قال امرؤ القيس . . . البيت " وكذلك ذكره الصولي في رسالته إلى مزاحم بن فاذك ، وذكر أن الناس

(١) انظر: المصون : ٦٥ ، العمدة : ١ / ٢٦٢ ، باب المخترع والبديع  
 (٢) الكامل - دار الفكر - : ٣ / ٠٢ .  
 (٣) أسرار البلاغة : هـ ، ريت : ١٧٢ .  
 (٤) البديع : ٦٩ .

استحسنوه ، ونفوا قدرة أحد على الإتيان بمثله (١) .

وقد أعجب بشار بهذا البيت إعجاباً جعله يشغل نفسه بالإتيان بمثله ، فلم يهدأ بالاً حتى قال :

كَأَنَّ مُنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا . . . وَأَشْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ (٢)

وقد رأى أبو هلال العسكري أن البيت - بيت أمري القيس - في غاية الجودة .

قال :

" فمن بديع التشبيه قول أمري القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا . . . البيت

فشبه شيئين بشيئين مفصلاً - الرطب بالعناب ، واليابس بالحشف ، فجاء

في غاية الجودة (٣) .

وقد سأل عبد الملك بن مروان عن أشعر الناس ، فأجابه روح بن زبناع ، أشعرهم

الذي يقول :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا . . . البيت (٤)

وأورده أبو إسحاق القيرواني على أنه من أجمل ما قاله العرب في الوصف ،

وذكر قصة عبد الملك بن مروان السابقة الذكر (٥) .

فالبيت إن شاء الله شاهد على التشبيه الملقوف ، وهو أن يؤتى بمشبهين ثم المشبه

بهما ، فهنا شبه الرطب الطري من قلوب الطير بالعناب ، واليابس القديم منها

بالحشف البالي .

(١) أخبار أبي تمام : ١٧٠ .

(٢) الأغاني : ٣ / ١٩٦-٢٣٧ ، أشعار الشعراء الستة الجاهليين : ٢٣ / ١ ،

سر الفصاحة : ٢٣٩ .

(٣) الصناعتين : ٢٧٢ .

(٤) ذيل الأمالي والنوادر : ٢٩ - ٣٠ .

(٥) زهر الآداب : ٣ / ٨٢١ - ٨٢٢ .

الشاهد الخمسون : \* ( الكامل )

بيت الفرزدق :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ (٢) . . لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِهِ نَهَارٌ (٥) (٣) (٤)

والبيت من قصيدته التي مطلعها :

- (\*) الدلائل ، رضا : ٧٥ ، خفاجي : ١٣٤ ، شاكر : ٩٥ .  
 (١) رواية المستطرف : " ينقض في الشباب " .  
 (٢) رواية الديوان ، والكامل والاقتضاب وريحانة الألبا :  
 " والشيب ينهض في السواد " .

ويبدو أن رواية الدلائل أبلغ ، لأن الشاعر قصد ظهور المشيب في فسترة محددة ووقت معين ، وهو انقضاء فترة الشباب واللهو واللعب . أما رواية " والشيب ينهض في السواد " فهي أقل دقة ، لأن الوقت فيها يكون مطلقاً غير محدد ، فالشيب قد يظهر بعد سن البلوغ مباشرة ، وقد يظهر في سن الشباب ، وقد يتأخر ، فتحدد الوقت أدق في الصورة التي أراد الشاعر رسمها .

- (٣) رواية الأغاني : " ليل يسير " ويبدو أن رواية " يصيح أجمل ؛ لأن لفظة " يصيح " أكثر حركة وأنسب لموقف الزجر والتأنيب .  
 (٤) رواية المستطرف : " بعارضيه " ، ورواية أنوار الربيع : " بحافتيه " .  
 (٥) انظر البيت في :-

الديوان : ١ / ٣٧٢ ، حماسة البحتري : ١٨٣ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٣٦٨ ، الشعر والشعراء : ١ / ٧٤ ، الكامل للمبرد : ١ / ٢٤ ، الأغاني : ٢١ / ٣٠٩ ، الصناعتين : ٢٧٧ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ٨٢ ، الموشح : ٩٣ - ٩٤ ، العمدة : ١ / ٢٦٧ ، الغيث المسجم : ١ / ٢٩٤ ، المستطرف : ٢ / ٣٣ ، الاقتضاب : ١٤٦ ، ريحانة الألبا : ٢ / ٣٨٢ ، أنوار الربيع : ٤ / ٤٠ ، ٥ / ٢٣٥ .



( ١ ) ( ٢ ) ( ٣ )  
 أَعْرَفَتْ بَيْنَ رُوَيْتَيْنِ وَحَنْبَلٍ . : دِمْنًا تَلُوحُ كَأَنَّهَا الْأَسْطَارُ ( ٤ )

وقبل بيت الشاهد :

إِنَّ التَّلَامَةَ مِثْلُ مَا بَكَرَتْ بِهِ . : مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهَا عَلَيْكَ نَوَارُ  
 وَتَقُولُ كَيْفَ يَسِيلُ مِثْلُكَ لِلصَّبَا . : وَعَلَيْكَ مِنْ سِتَةِ الْحَلِيمِ عِذَارُ  
 وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ . : لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ تَهَارُ

وبعده :

إِنَّ الشَّبَابَ لَرَايِحٌ مِّنْ بَاعِهِ . : وَالشَّيْبُ لَيْسَ لِبَائِعِهِ تِجَارُ ( ٥ )

استشهد به الإمام عبد القاهر على النظم العالي الذي ندر ولطف مأخذه ،

ودق نظر واصفه ، وهو من تشبيه الشيبين بالشيبين قال :

" وإن قد عرفت هذا النمط من الكلام ، وهو ما تتحد أجزاءه حتى يوضع

وضعا واحداً ، فأعلم أنه النمط العالي ، والباب الأعظم الذي لا تسرى

سلطان المزية عظم في شيء ، كعظمه فيه ، وما ندر منه ، ولطف مأخذه ،

ودق نظر واضعه ، وجلّى لك عن شأوق قد تحسروا ونه العتاق ، وغاية

يعنى من قبلها المذاكي القرح ، الأبيات المشهورة في تشبيه شيبين

بشيبين " . ( ٦ )

( ١ ) رُوَيْتَيْنِ : بضم أوله وفتح ثانيه ، وتشديد الياء المثناة من تحت كأنه تصغير

رَيْةً واحدة الرّي من العطش ، وقيل روية بالهمزة ماء في بلاد بني الروية ، وبنو

الروية من قرى اليمن . / معجم البلدان : ١٠٥ / ٣ - ١٠٦ .

( ٢ ) حَنْبَلٌ : بفتح أوله واسكان ثانيه وبالياء المعجمة هو موضع ما بين البصرة

ولبينة / معجم ما استعجم : ١ / ٤٧١ .

( ٣ ) الأسطار : أراد الأثر الخفي منه المطار ، وأصله من السَطْر والسَطْر ، وهو

الخط من الكتابة . تاج العروس : " سطر " : ٣ / ٢٦٦ - ٢٦٧ .

( ٤ ) ديوانه : ١ / ٣٧١ .

( ٥ ) ديوان الفرزدق : ١ / ٣٧٢ .

( ٦ ) الدلائل ، رضا : ٧٥ ، خفاجي : ١٣٤ ، شاكر : ٩٥ ،

ثم ذكر بيت آمري، القيس \* كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا \*

وبيت الفرزدق : \* وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ \*

وبيت يشار : \* كَأَنَّ مَثَارَ النَّقَعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا (١) \*

وعد علماء البلاغة بيت الفرزدق \* بيت الشاهد \* من أجود شعره ، ويستشهدون

به على جيد التشبيه والاستعارة .

فهو عند العبرد واضح المعنى غريب اللفظ قريب المأخذ (٢) .

ورد هذه العبارة المرزباني في الموشح (٣) ، وذكره الباقلاني في البديع من

الكلام (٤) .

وأورد ابن رشيق في باب المجاز ، ورأى أنه من أناشيد هذا البيت (٥) .

أما ابن سلام فيرى أنه من الكلام المتداخل المعقد ، وذكر أن الفرزدق كان

يُداخل الكلام ، وكان ذلك يُعجب أصحاب النحو (٦) .

- ولا أعلم وجه ذلك الإعجاب - ، وأورده مع قوله :

\* وَأَصْبَحَ مَا فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلُكًا \*

وكذلك رأى ابن قتيبة أن هذا البيت من الضرب الذي جاد معناه ، وقصرت

الفاظه عنه (٧) .

ورأى الصفي أن الصياح هنا لا مناسبة له ولا معنى (٨) .

(١) سيأتي ذكره ، وهو الشاهد الواحد والخسون .

(٢) الكامل - دار الفكر - : ٢٤ / ١ .

(٣) الموشح : ٩٣ - ٩٤ .

(٤) إعجاز القرآن : ٨٢ .

(٥) العمدة : ١ / ٢٦٧ .

(٦) طبقات فحول الشعراء : ١ / ٣٦٨ .

(٧) الشعر والشعراء : ١ / ٧٤ .

(٨) الغيث المسجم : ١ / ٢٩٤ .

وذكر في "أنوار الربيع" أنه من فساد التشبيه الذي يأتي منكوساً قيل :  
 \* فذكر أن الشيب بيد وفي الشباب ، ثم ترك ما ابتدأ به ، ووصف الشباب  
 بأنه كالليل ، والذي تقتضيه المقابلة الصحيحة أن يقول :

كَمَا يَنْهَضُ نَهَارٌ فِي جَانِبِي اللَّيْلِ (١) .

وعلى الرغم مما قيل فإنَّ التمعن في هذه الأبيات يجعل الخيال يخلق فسي  
 أجواءً من المتعة النفسية ، والحركة الفكرية مما يدفع النفوس للإعجاب بذوق وخيال  
 الشاعر .

فراى الأستاذ محمود شاكر أن الاستشهاد بالبيت وحده معنىً مفسـولاً  
 لا خير فيه ، وإنما يظهر جماله ورونقه ، ويكمل معناه مع الأبيات التي حوله .  
 فقله :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ . : لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِيهِ نَهَارٌ

من تمام البيت الذي قبله ، وهو قوله :

وَتَقُولُ كَيْفَ يَهْمِلُ مِثْلَكَ لِلصَّبَا . : وَعَلَيْكَ مِنْ سِمَةِ الحَلِيمِ عَذَارٌ

فهو من قول النوار (٢) في ملامتها له .

والبيت الذي بعده :

إِنَّ الشَّبَابَ لَرَابِحٌ مِّنْ بَاعِئِهِ . : وَالشَّيْبُ لَيْسَ لِيَأْتِيَهُ تَجَارٌ

زفرة زفرها الفرزدق بعد أن سمع ملامتها ، فجاءت تقطر حسرات على مافات  
 من شبابه ، فهي تقول له أن الإنسان إذا كبر ، وبلغ من العمر مبلغاً ، وشباب  
 عارضه كَفَّ الشيب من عنفوانه ، وانبعثت تجاربه تذكره ، وتندره ، وتوقظه ، وتهديسه  
 إلى حياة أخرى غير حياة اللهو واللعب ، فتنقشع الغشاوة عن عينيه ، وينهتسك

(١) أنوار الربيع : ٥ / ٢٣٥ .

(٢) هي النوار ابنة أعين بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي - وهي

ابنة عم الفرزدق - تزوجها ولزواجه منها قصة . / انظر :

الأغاني : ٢١ / ٢٨٦-٢٨٧ .

ظلام الغفلة التي كانت مطبقة عليه ، ثم شبيحت هذا كله بالفجر إذا أقبل فأسفر على القوم النيام ، فانبعثت الأصوات في نواحي الحي . . كلب ينيح ، وشاة تتفوه ، وبعير يرغو ، وديك يؤذن ، وداع يصيح ، وبناد ينادي ، وأقدام تدب ، وأصوات الحياة في ظلمة الليل ، وهدأته تنذر التّوام أن النهار قد أقبل بغورته يطرد الظلام المطبق ، فجد الجد ، وطارت الأحلام ، فهو هنا أراد تشبيه حالة مجتمعة بحالة أخرى مجتمعة لا تشبيه لون بلون ، فإنه إسقاط للشعر . ( ١ )

يبدو أن ما ذهب إليه الأستاذان شاكر يرفع من قيمة الأبيات ، ويزيد من روعتها وجمالها .

ومن اللغات الجميلة في البيت حسن اختيار الزمن ، فالشاعر جعل وقته ملامتها له ، وحديثها معه في وقت الليل ، وهو وقت الراحة والسكون والهدوء ، ووقع العلامة فيه أشد ؛ لأن النفس تكون فيه أدعى للإستجابة ، والأحاسيس تكون في قمة صفائها وشفافيتها ، ثم صاغ ملامتها في أسلوب الاستفهام " وتقول كيف يعلى مثلك للصبا " ، وهو أقوى في الزجر والتأنيب ، ثم جعل " الشيب ينهض في الشباب " وكأنه شخص حكيم أزجه مارأى من طيش الشباب ، فهبّ وأسرع مصطحباً الأناة والصبر يريد النصح والتقويم ، ومع حركة النهوض ودبيها تدب التجربة ، ويدب العقل ليوقظ النفس من طيشها ، وينفي عنها جهلها .

وقوله : " يصيح بجانبه نهار " يُضفي على الأبيات مزيد حركة وخفة ؛ لأن الصياح هنا يقابل النهوض في المشبه ، فالصورة كلها حركة ، وضجيج ، وسرعة ، وثورة على تلك النفس التي تريد أن تخرج عن قارها .

( ١ ) هامش طبقات فحول الشعراء - تحقيق محمود شاكر - : ١ / ٣٦٨ .

وجعل بعضهم الصياح هنا بمعنى انصاح الثوب انصياحا إذا تشقق .  
ورأى آخرون أنه الصياح بعينه وهو الدعاء ، ورأى البطليوسي أن الوجه  
الثاني أدق وأصح قال :

" وإنما الصياح ههنا مجاز أو استعارة ؛ لأن النهار لما كان آخذاً في  
الإقبال ، وكان الليل آخذاً في الإدبار شبه النهار بالمهازم الذي من  
شأنه أن يصيح على المهزوم ؛ ولذلك شبهوا الليل بالقتيل ، وقد صرح  
الشماخ بهذا المعنى في قوله :

وَلَا قَتَّ بِأَرْجَاءِ الْبَسِيطَةِ سَاطِعاً . . . مِّنَ الصُّبْحِ لَتَاصِحَ بِاللَّيْلِ نَقْرًا \* (٢)

وبعد تلك الزومعة والضجيج يتحسر الشاعر على الشباب ، ويستهيمن بالشيب ،  
فالأول لعزته ونفاسته يجد له مشترياً إذا أراد بيعه ؛ لأن المشتري ربح فيه .  
أما الشيب لهمواتهم ، فلا تاجر يشتريه إذا أراد صاحبه أن يبيعه .  
وكانه يريد أن يقول : إن الناس يرغبون في الشباب ليستعينوا به ، ويزهدون  
في الشيب لأنهم لا يجدون في صاحبه معيناً ولا مساعداً . وهذا ما أراد به بالبيوع  
والشراء .

الشاهد الحادي والخسون : ( \* ) (الطويل)

بيت بشار :

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا (٣) . . . وَأَسْيَافَنَا لَيْلٍ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ (٤) (٥)

(١) لم أجده في ديوانه . (٢) الاقتضاب : ١٤٧ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٧٥ ، خفاجي : ١٣٤ ، شاکر : ٩٦ .

(٣) رواية الديوان وإعجاز القرآن للباقلاني ، وخاص الخاص ، والمرتضى " رؤوسهم " ،

ورواية المبرد في الفاضل : " كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فِينَا وَفِيهِمْ " .

(٤) رواية طبقات فحول الشعراء : " تهاوت كواكبه " .

(٥) انظر البيت في :

ديوانه : ١ / ٣٣٥ ، الفاضل : ٤٥ ، طبقات الشعراء لابن المعتز : ٢٨ ، =====

والبيت من قصيدته في مدح <sup>(١)</sup> مروان بن محمد بن مروان <sup>(٢)</sup>، ومطلعها :

جَفَا وَدُهُ فَازُورًا أَوْ مَلَّ صَاحِبُهُ . : وَأَزْرَى بِهِ أَنْ لَا يَزَالَ يُعَايِنُهُ

وقبل الشاهد :

وَجَيْشٍ كَجَنَحِ اللَّيْلِ يَرْجِفُ بِالْحَصَى <sup>(٣)</sup> . : وَيَالِشَوْلٍ وَالْخَطِيَّ حُمُرَ ثَعَالِبُهُ

غَدَوْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خِذْرِ أُمَّهَا . : تَطَّالِعْنَا وَالطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَائِبُهُ

يَضْرِبُ يَدُوقُ السَّوْتِ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ . : وَتَدْرِكُ مَنْ نَجَّى الْفِرَارُ مَثَالِبُهُ

=== الوساطة : ٣١٣ ، الأغاني ————— : ١٩٦/٣ ، الأشباه والنظائر  
للخالدين : ٣٥٤/٢ ، المنصف في نقد الشعر : ٥١-٣١٧-٤٣٦ ، إعجاز  
القرآن للباقلاني : ٧٢ ، شمارالقلوب : ٢٢٤ ، بيتية الدهر : ١٣٣/١ ،  
العمدة : ٢٩١ ، خاص الخاص : ١٠٧ ، أمالي المرتضى : ١٢٦/٢ ،  
ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - الرسالة الشافية : ١٣٨ ، حواسنة  
ابن الشجري : ٥٧-٢٣٤ ، تحرير التحبير : ٣ / ٤٨٣ ، الإيضاح :  
٢ / ٣٤٦ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - ملت - : ٦٥ أ ،  
المستطرف : ١ / ٦١ ، معاهد التنصيص : ٢ / ٢٨ - رقم الشاهد :

٧٧-٠

(١) جاء في الأغاني أنه مدح في هذه القصيدة يزيد بن عمر بن هبيرة ،

ولكن لم يرد ذكره في القصيدة ، وإنما الوارد اسم مروان بن محمد بن  
مروان .

(٢) هو آخر خلفاء بني أمية ، وهو الملقب بالحمار \* بكسر الحاء وتخفيف

الميم \* ، وكان ذا رأى ومكيدة ، ويسأله في الحروب ، أخذ الخلافة

غضباً ، وأراد ضبط الدولة حين أشرفت على الانحلال ، فغلبته ، واضمح

أمره ، ولُقِّب بالحمار ؛ لأنه كان يحرن في الحرب فلا يتزحزح ، وكسنيته

أبو عبد الملك ، ويعرف بمروان الجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم ،

كان بليغاً له رسائل تجمع ، ويقتدي بها (٧٢٢هـ-١٣٢هـ) / انظر ترجمته :

تاريخ الطبري : ٢٨١-٣٤٣ ، المسعودي : ٢٤٧/٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢-٢٦٥ ،

الكامل لابن الأثير : ٢٨٣-٣٢٢ .

(٣) رواية الأغاني : " يزحف " .

ويبدو أن رواية الأغاني أدق ؛ لأن الشاعر أراد تشبيه صورة كثرتهم بصورة =====

وبعد ها الشاهد وبعده :

بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الْفَجَاءَةِ إِنَّنَا .: بَنُو الْمَلِكِ خَفَّاقٌ عَلَيْنَا سَبَائِكُهُ  
فَرَاخَوْ فَرِيْقًا فِي الْإِسَارِ وَمِثْلُهُ .: قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَأَنَّا بِالْبَحْرِ هَارِيْكُهُ  
(١)

رأى الطاهر بن عاشور محقق ديوان بشار أن رواية الديوان " فوق رؤوسهم " أرشق وأجمل من الرواية المشهورة في كتب الأدب : " فوق رؤوسنا " قال :  
" وكتب في الديوان " فوق رؤوسهم " ، ورواية الأغاني وأكثر كتب العربية والأدب " رؤوسنا " ، والرواية التي في الديوان أرشق ؛ لأن النقع وإن كان فوق رؤوس الفريقين إلا أن الشاعر أراد أن يتوصل بجعل النقع فوق رؤوس الأعداء إلى إفادة أن سيوف جيش قومه كانت واقعة على رؤوس الأعداء مع ذلك النقع ؛ لأن أسيافنا مفعول معه ، أو معطوف عليه ، ولو قال :  
" فَوَقَّ رُؤُوسِنَا " لما كان لذكر الرؤوس خصوصية ، إذ يكفي أن يقول :  
(٢)  
فوقنا ."

ويبدو لي أن رواية " فوق رؤوسنا " وهي الرواية الأكثر شيوعاً ودوراناً ، والتي ردها الأستاذ طاهر بن عاشور أدق من رواية الديوان " رؤوسهم " ، وهي أنسب للصورة التي يريد الشاعر رسمها ؛ لأن الغبار حين يثور يعم الجميع ، فكون الغبار على رؤوس الأعداء فقط يدل على أنه لا تراحم ولا تلاحم ، فكثرة الغبار وعمومه على جميع الرؤوس مع كونهم متلاحمين يدل على شدة المعركة وقوتها ، فأضافت إلى الصورة نوعاً من الحركة والاضطراب ، وهذا ما أراد الشاعر .  
أما رواية المبرد في الغاضل " فينا وفيهم " ، فإنها تجعل الصورة التي يريد الشاعر رسمها وتصويرها ناقصة مبتورة .

=== الليل ، فهم من كثرتهم ، وتزاحمهم لا يبرى منهم إلا سواد رؤوسهم ، أما الرجيف ،

فهو دوى الأصوات ، فلا وجه لتشبيهه أصواتهم بجنح الليل .

(١) ديوان بشار - تحقيق الطاهر بن عاشور - : ١ / ٣٣٦ .

(٢) المصدر السابق : ١ / ٣٣٥ .

والشاهد فيه كسابقه ، وهو أن النظم ودقته وتلاحم أجزائه كان من تشبيهه شيئين بشيئين ، واستحسنه الشيخ ورأى أنه من النمط العالي الذي دق نظـر واضعه ولطف مأخذه (١) .

فالتشبيه مركب حيث صور المعركة ، وما فيها من شدة التلاحم والحركة التي أثارَت النقع فوق الرؤوس ، فحجب الرؤيا وساد الظلام ، وأصبحت حركات السيوف تعلو وتهبط في جهات متعددة ، شبه ذلك كله بصورة الليل المظلم الحالك السواد الذي تتساقط وتتهاوى فيه النجوم في كل جانب ، وقوله " تتهأوى " يدل على كثرة الحركة وشدتها مما يجعل حركة الشيء المتهأوى غير منتظمة .  
وقد لاحظ المبرد في التشبيه أجزاءه المتفرقة ، فكانه أراد به التشبيه المتعدد ؛ وذلك لأن تحد يد التشبيه وتحقيقه لم يظهر في عصره بعد . قال :

" وأنشد الأصمعي قول الشاعر ، ولم نر تشبيها في بيت أحسن من هذا :

كَأَنَّ مَنَارَ النَّقْعِ فِينَا وَفِيهِمْ . . . وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

شبه الغبار بالليل ، وشبه السيوف في الغبار بالكواكب المنقضة في الليل (٢) .  
ولقد استحسن ابن المعتز في طبقاته هذا البيت ؛ وذلك لإحكام رصفه ، وحسن رصفه . قال :

" وما يستحسن لِبشار ؛ لإحكام رصفه ، وحسن رصفه كلمته التي يقول فيها —

بيته الذي ذكرناه في التشبيه - يقصد قوله كَأَنَّ مَنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا - فأولها :

جَفَا جَفْوَةً فَازُورٌ إِذْ مَلَّ صَاحِبُهُ . . . وَأَزْرَى بِهِ أَنْ لَا يَزَالَ يُصَاحِبُهُ . . . (٣)

وكذلك استحسنه الباقلاني ، فقال :

" واستبدعوا تشبيه شيئين بشيئين على حسن تقسيم ، ويزعمون أن أحسن

(١) الدلائل ، رضا : ٧٥ ، خفاجي : ١٣٤ ، شاکر : ٩٦ .

(٢) الفاضل : ٤٥ .

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز : ٢٧ .



ما وجد في هذا للمحدثين قول بشار :

كَأَنَّ مَنَارَ النَّعْمِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ . . . (١)

ورأى ابن رشيق<sup>(٢)</sup> أنه إن كان مراد بشار الترتيب ، فصدق ولم يقع بعد بيت امرئ القيس في ترتيبه كبيته ، وإن كان المراد تشبيهه ، فقد قال الطرمحاح في صفة ثور وحشي :

يَبْدُو وَتَضْمِيرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ . . . سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيَغْمَدُ (٣)

وقد تعجب ابن المعتز والثعالبي من حسن تصوير بشار ودقة تشبيهه ؛ لأنه

كان أعنى أكمة لم يبصر ، وقال بيته هذا ، فكان بذلك أستاذ عصره . (٤)

وقال ابن وكيع في بيت بشار : \* وَكُلُّ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى يَسْقُطُ دُونَ

قول بشار . . . هذا شعر يجمع حسن اللفظ والمعنى لأن فيه تشبيهين

في تشبيهين لا يحتاج البيت فيهما إلى غيره ، وبيت أبي الطيب<sup>(٥)</sup> يفسره

ما قبله ، فيكون اللفظ الطويل الذي جاء به الشعراء قبله في الموجز

القليل ، والسابق أحق بقوله . (٦)

ورأى ابن الشجري أن بشاراً قد بلغ بيته هذا الغاية . قال :

\* وقال بشار في تشبيه السيوف في الغبار ، فبلغ الغاية . . البيت (٧)

ورأى الطاهر بن عاشور أن بيت بشار قد فاق بيت امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا . . .

(١) إعجاز القرآن : ٧٢ .

(٢) العمدة : ٢٩٠ - ٢٩١ .

(٣) ديوانه : ٣٢١

(٤) طبقات الشعراء لابن المعتز : ٢٦ ، خاص الخاص : ١٠٧ ، شارالقلوب :

٢٢٤ .

(٥) يقصد قوله : فَكَأَنَّمَا كُسِيَ النَّهَارُ بِهَا دُجَى . . . لَيْلٍ وَأُطْلَعَتِ الرَّمَاحُ كَوَاكِبَنَا

(٦) المنصف : ٤٣٦ .

(٧) حماسة ابن الشجري : ٢٣٤ .

- على الرغم من إعجاب بشار به، وولوعه بالإتيان بمثله. (١)  
 وقد أخذ معنى بيت بشار منصور النمري، (٢) فقال :  
 لَيْلٌ مِّنَ النَّقَعِ لَا نَجْمٌ (٣) وَلَا قَسْرٌ . . . إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ (٤)  
 وأخذه مسلم بن الوليد (٥) في قوله :  
 فِي عَسْكَرٍ تَشْرِيقُ الْأَرْضِ الْغَضَاءُ بِهِ . . . كَاللَّيْلِ أَنْجُمُهُ الْقُضْبَانُ وَالْأَسْأَلُ (٦)

- (١) ديوان بشار ، تحقيق الطاهر بن عاشور : ١ / ٣٣٥ .  
 (٢) هو منصور بن الزبير بن سلمة بن شريك النمري ، أبو القاسم ، من بني النمريين قاسط ( . . . - نحو ١٩٠ هـ ) ، كان تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي ، وكانت بينهم صحبة انقلبت بعد ذلك إلى وحشة ، وأخذ كل منهما يسمى في هلاك صاحبه . فأوغر العتابي صدر الرشيد عليه ، فأرسل يطلب رأسه ، فوصل الرسول في اليوم الذي مات فيه النمري . / انظر ترجمته :  
 الشعر والشعراء : ٢ / ٨٦٣-٨٦٦ ، الإعجاز والإيجاز : ١٦٦ ، جمهرة الأنساب : ٣٠٢ ، تاريخ بغداد : ١٣ / ٦٥-٦٩ ، سبط اللاكبي : ١ / ٣٣٦ ، نهاية الأرب : ٣ / ٨٥ ، الأعلام : ٧ / ٣٠٠ .  
 (٣) رواية الأشباه والنظائر : " لاشمسن " .  
 (٤) ديوانه : ١٠١ .  
 (٥) هو مسلم بن الوليد الأنصاري بالولاء ، أبو الوليد ، الملقب بصريع الفواني ، شاعر غزل ، هو أول من أكثر من " البديع " ، فتبعه الشعراء ، وهو من أهل الكوفة ، اتصل بكبار رجال الدولة ومدحهم ، وتولى بريد جرجان إلى أن مات فيها . / انظر ترجمته :  
 الشعر والشعراء : ٢ / ٨٣٦-٨٤٦ ، الإعجاز والإيجاز : ١٧١ ، المؤلف والمختلف : ٣٧٢ ، سبط اللاكبي : ١ / ٤٢٧ ، تاريخ جرجان : ٤٦٣ ، نهاية الأرب : ٣ / ٨٥ ، الأعلام : ٧ / ٢٢٣ .  
 (٦) شرح ديوان صريح الفواني : ٢٥١ .

وكذلك أخذه ابن المعتز حيث يقول :

وَعَمَّ السَّمَاءَ النَّقْعُ حَتَّى كَانَتْهُ . دُخَانٌ وَأَطْرَافُ الرِّيحِ شَشْرَارُ ( ١ )

وكذلك أخذه المتنبي في قوله :

فَكَأَنَّهَا كَسِيَتْ النَّهَارَ بِهَا دُجَى . لَيْلٍ وَأَطْلَعَتْ الرِّيحُ كَوَاكِبَهَا ( ٢ )

وقوله :

يَزُورُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءٍ عَجَاجَةٍ . أَسْنَتْهَا فِي جَانِبَيْهَا كَوَاكِبُ ( ٣ )

ومثله قول بعضهم :

نَسَجَتْ حَوَافِرُهَا سَمَاءً قَوَقَنَا . جَعَلَتْ أَسْنَتَنَا نَجُومَ سَمَائِهَا

ومثله :

تَبَيَّنَتْ سَنَائِكُهَا مِنْ فَوْقِ هَامِيهِمْ . لَيْلًا كَوَاكِبَهُ الْبَيْضُ الْمَبَاتِيْرُ ( ٤ )

وبيت الشاهد ذكره الشيخ في الأسرار<sup>(٥)</sup> مفصلاً شرحه مع مقارنته بنظائره،

وسيان وجه تفضيله ، وسنورد ذلك في فصل لاحق إن شاء الله .

الشاهد الثاني والخمسون : ( \* ) (الطويل)

قول زياد الأعجم : ( ٦ )

( ١ ) ديوانه : - دار صادر - : ١٩٤٠ .

( ٢ ) ديوانه بشرح العكبري : ١ / ١٢٨ .

( ٣ ) رواية الديوان : أَسْنَتْهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ .

انظر : الديوان بشرح العكبري : ١ / ١٠٧ .

( ٤ ) انظر البيت في : الأشباه والنظائر : ٢ / ٣٥٤ ، المنصف في نقد الشعر :

٣١٧ ، معاهد التنصيص : ٢ / ٣١ .

( ٥ ) الأسرار هـ ، ريتز : ١٧٩ ، ١٨٣ - ١٨٥ .

( \* ) الدلائل ، رضا : ٧٦ ، خفاجي : ١٣٤ ، شاکر : ٩٦ .

( ٦ ) هوزياد بن سلمى بن عبد القيس أبو أمانة العبيدي المعروف بزياد الأعجم ،

مولى عبد القيس ، قيل له الأعجم للكنة كانت فيه ، أدرك أبا موسى

الأشعري ، وعثمان بن أبي العاص ، وشهد معهما فتح اصطخر ، وهو من =====

وَأَنَا وَمَاتَّقِي لَنَا إِنَّ هَجَوْتَنَا .: لَكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَغْرَقُ (٣)

وهو من قصيدته في هجاء الفرزدق ، فقد روى أن الفرزدق همَّ بهجاء  
عبد القيس (٤) ، فبلغ ذلك زياداً الأعجم ، فبعث إليه لا تعمل حتى أهدى إليك  
هدية ، فانتظر الفرزدق الهدية ، فبعث إليه :

مَا تَرَكَ الْهَاجُونَ لِي إِنْ هَجَوْتَهُ .: مَصْحَافاً آرَاهُ فِي أَيِّمِ الْفَرَزْدَقِ (٥)

==== شعراء الدولة الأموية ، عنده ابن سلام في الطبقة السادسة من شعراء الاسلام /  
انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ١/٤٣٧-٤٤٠ ، الأغاني : ١٥/٣٨٠-٣٩٤ ، المؤلف  
والمختلف : ١٣١-١٣٢ ، معجم الأدباء : ١١/١٦٨ ، خزانة البغدادى :  
١٩٣/٤

(١) رواية الأغاني والعمدة : " فَأَنَا وَمَاتَّقِي لَنَا " ، ورواية خزانة البغدادى والديوان :  
" وَأَنَا وَمَاتَّقِي لَنَا " ، ويبدو أن هاتين الروايتين أبلغ من رواية الدلائل  
" وَأَنَا وَمَاتَّقِي " لأن الإهداء هنا يتضمن معنى التحقير والاستهزاء  
بالمهجو ، وهذا ما أراد الشاعر .

(٢) ضبطت " أن " في شرح أبيات الإيضاح بالفتح فتؤول هي وما بعد هـا  
بصدره ، والمعنى فإنك وماتقي لنا بهجائك ، وضبطت في الدلائل " إن " .  
بللكسر على أنها شرطية ، وهذا أولى بالسياق كما سيأتي في التحليل .

(٣) انظر البيت في : شعر زياد الأعجم : ٨٨ .  
الشعر والشعراء : ١/٤٣٨ ، معجم الأدباء : ١١/١٦٩ ، الأغاني :  
١٥/٣٩٣ ، العمدة : ١/٦٥ ، الإيضاح : ٢/٣٧٤ ، شرح أبيات الإيضاح  
- النسخة الأزهرية - شاهد رقم ٣٠٣ ، خزانة الأدب للبغدادى ، دار صادر : ١٩٣/٤ .

(٤) هو عبد القيس بن أقصى بن دعيم بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار -  
جمهرة أنساب العرب : ٢٩٥ .

(٥) رواية معجم الأدباء وخزانة البغدادى : " مَا تَرَكَ الْهَاجُونَ " .  
وهذه الرواية أولى ؛ لأن ترك «الفاء» يجعل في البيت خرمًا أي حذف حرف  
من أول البيت ، والشعر من الطويل .

(٦) رواية الأغاني : " إِنْ أُرْدَتْهُ " .

(١) وَلَا تَرْكُوا عَظْمًا يُرَى تَحْتَ لَحْمِهِ . . . لِكَاسِرِهِ أَبْقَوْهُ لِلْمَتَعَرِّقِ  
 (٢) سَاكِسِرٌ مَا أَبْقَوْهُ لِي مِنْ عِظَائِهِ . . . وَأَنْكَتْ مَخَّ السَّاقِ مِنْهُ وَأَنْتَقِي  
 وَإِنَّا وَمَا تَهْدِي لَنَا إِنْ هَجَوْتَنَا . . . لَكَالْبَحْرِ تَهْمَا يُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَغْرَقُ

فلما بلغ الفرزدق هذا الشعر طلب من زياد أن يتشاركوا ، وقال : ليمس  
 لي هجاء هؤلاء مادام هذا العبد فيهم (٣) .

رأى الشيخ عبد القاهر أن هذا البيت في غاية الدقة ، وهو أعجب من سابقه  
 - يقصد قول - آمرى القيس ، وبشار ، والفرزدق \* وإنتما كان أعجب ؛ لأن عمله أدق  
 وطريقه أغض ووجه المشابهة فيه أغرب (٤) .

الشاهد من أوجع أبيات الهجاء ، وأشد ها تهكماً ، فالشاعر هنا أوسع الفرزدق  
 تحقيراً ، فهو لوضاعة شأنه لم يتركه أحد من الشعراء إلا وأوجعه زماً وهجاءً حتى  
 أنهم وصلوا إلى داخل جسمه ، وما تحت اللحم من العظام ، فلم يبق له إلا أن  
 يفت تلك العظام . وأراد الشاعر من هذا كله الإغلاء من شأن نفسه والإكبار  
 من قدرته وبراعته في هذا الفن ، فهو إن هجا سحق خصمه سحقاً وأفناه فنساءً  
 محققاً تاماً ، ثم أخذ يستهين بقدره الفرزدق طس الهجاء ، فهو قصير الباع فسي  
 هذا المضمار .

وزيادة في التهكم جعل هجاء الفرزدق لهم ، وكأنه هدية ؛ لأنه كلا هجاء ،  
 وجاء به " إن " الشرطية " إن هجوتنا " ليشكك في وقوع الهجاء منه ، وكذلك جعل  
 هجاءه لخفته وتفاهته كالشيء الخفيف الوزن إذا ربي في البحر غاص في الأعماق ،  
 ولم يعد له أثر ، فهجاءه فإن لا يبقى له أثر في نفس المهجو ، فهو ليس كهجاء زياد

(١) رواية البروان : وَمَا تَرْكُوا لِحْمًا يَدُ قَوْنِ عَظْمِهِ . . . لِكَاسِرِهِ أَبْقَوْهُ لِلْمَتَعَرِّقِ

رواية الأغماني : \* وَمَا تَرْكُوا لِحْمًا يَدُ قَوْنِ عَظْمِهِ \* .

( ) ورواية معجم الأدباء وخزانة البغدادى : \* وَمَا تَرْكُوا عَظْمًا \* .

(٢) رواية الأغماني : \* سَاكِسِرٌ مَا أَبْقَوْهُ لِي مِنْ عِظَائِهِ \* .

ورواية البروان والعمدة : \* سَاكِسِرٌ مَا أَبْقَوْهُ لِي مِنْ عِظَائِهِ \* .

ورواية \* سَاكِسِرٌ \* أنسب للبيت لأن الحَظْمَ أشد من الكسر .

(٣) انظر : الأغماني : ١٥ / ٣٩٣ ، العمدة : ١ / ٦٥ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٧٦ ، خفاجي : ١٣٤ ، شاکر : ٩٦ .

الذي يفث العظم ويبقى أثره خالدا .

فالشاعر شبه صورته وقومه حين يتلقون هجاء الفرزدق، وأثر ذلك على أنفسهم بالبحر الواسع الذي لا يتأثر بالأشياء التافهة التي ترمي فيه، وبذلك مبالغة في الاستهانة بأمر الفرزدق ، والتصغير من شأنه .

فالشاعر استطاع أن يبرز الأمر المعنوي في صورة المحسوس، وأن يوجد بينهما علاقة وارتباطاً على الرغم من تباعد طرفيهما .

والبيت لاشك في براعته إلا أن الشيخ عبد القاهر بالغ في استحسانه إذ فضله

على كل ماسبق ، فهو عندي ليس بأفضل من قول بشار :

كَأَنَّ مَنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا . . .

ولا من قول الفرزدق :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ . . .

الشاهد الثالث والخمسون :- ( \* ) ( الطويل )

قول ابن المعتز :

وَأَيْ عَلَى إِشْفَاقٍ عَيْنِي مِنَ الْعِدَى . : ( ١ ) لَتَجْمَحُ مِنِّي نَظْرَةٌ ثُمَّ أَطْرُقُ ( ٢ ) ( ٣ )

( \* ) الدلائل ، رضا : ٧٧ ، خفاجي : ١٣٦ ، شاكر : ٩٨ .

( ١ ) رواية ديوانه - دار المعارف - : " القذى " .

( ٢ ) لتجمح : وهي من فرس جموح إذا لم يثب رأسه وجمح الفرس بصاحبه

جمحاً وجماحاً ذهب يجرى جرىاً غالباً واعتز فارسه وغلبه ، ويقال جمح

وطمح إذا أسرع ولم يرد وجهه شيء / اللسان \* جمح \* : ٤٢٦ / ٢ .

( ٣ ) أشار الأستاذ عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية إلى أن

البيت غير موجود في ديوان ابن المعتز ، وقد راجعت ديوانه طبعاً

- دار صادر - فلم أجده فيه ، ووجدته في ديوانه - دار المعارف - :

١ / ٣٨٨ .

وعلى الرغم من بلاغة البيت، ولطافته وحسنه، فهو نادر الوجود في كتب

ومطلع القصيدة :

أَلَا هَلْ لَأَسْرَى أَخَذِ عَيْنِكَ مُطْلِقُ . . وَهَلْ مُسْتَرْقٌ يَشْتَكِي الشَّوْقَ مُعْتَرِقُ

وبعد ه بيت قبل الشاهد :

أَضَقَّتْ إِلَى أَحْشَائِهِ حَرَقَ الْهَيَّوَى . . وَنَفَرَتْ قَلْبًا بَيْنَ جَنْبَيْهَا يَخْفَرْتُ

وبعد ه الشاهد وبعد ه :

كَمَا حُلِيَّتْ عَنْ بَرْدِ مَاءٍ طَرِيْدَةٌ . . تَمُدُّ إِلَيْهِ جِيدَهَا وَهِيَ تَفْرَقُ

وَلِي دَمْعَةٌ مَحْبُوسَةٌ فِي جَفُونِهَا . . وَأُخْرَى مُخَلَّاةٌ عَلَى الْخَدِّ تَطْلُقُ ( ١ )

بيد وأن هذا الشاهد من الشواهد التي تفرد بها الشيخ عبد القاهر ، وقل

دورانها في كتب الأدب والبلاغة ، مع أن فيه لفتات بلاغية جميلة فتق أكامها

الشيخ ، حيث استشهد به على أن العزية ليست للفظ وحده بل تعود إلى النظم

أيضاً قال :

” واعلم أن هذا - أعني الفرق بين أن تكون العزية في اللفظ ، وبين أن

تكون في النظم - باب يكثر فيه الغلط ، فلا تزال ترى مستحسناً قد

أخطأ بالاستحسان موضعه ، فينحل اللفظ ما ليس له ، ولا تزال ترى

=== العربية وآدابها ، فقد بحث عنه في الكتب التالية ، ولم أجده في واحد

منها - :

أمالى اليزيدي / الخصائص / عيار الشعر / العقد الفريد / أخبار

أبي تمام / أدب الكاتب / الوساطة / الأغاني / أمالى القالى /

الأشياء والنظائر / الصناعتين / الموشح / ثلاث رسائل فسي

إعجاز القرآن / معاني أبيات الحماسة / نثر الدر الآبسي /

شرح الحماسة للمرزوقي / التمثيل والمحاضرة / خاص الخاص /

مجالس العلماء / أمالى المرتضى / زهر الآداب / العمدة /

بهجة المجالس وأنس المجالس / سر الفصاحة / الممتع / آمالسي

الشجري / الإفصاح / شرح الحماسة للتبريزي / مفتاح العلوم /

الإيضاح / شرح أبيات الإيضاح / المستطرف / أنوار الربيع / الطراز .

الشبهة قد دخلت عليك في الكلام قد حسن من لفظه ونظمه ، فظننت  
أن حسنه ذلك كله للفظ منه دون النظم ، مثال ذلك أن تنظر السبي  
قول ابن المعتز :

وَأَيْتِي عَلَى إِشْفَاقٍ عَيْنِي مِنَ الْعَيْدَى . . . لَتَجْمَحُ مِنِّي نَظْرَةٌ ثُمَّ أُطْرِقُ  
فترى أن هذه الطلاوة ، وهذا الظرف إنما هو لأن جعل النظر يجمع ،  
وليس هو لذلك ؛ بل لأن قال في أول البيت " وَأَيْتِي " حتى دخل  
اللام في قوله : " لتجمح " ثم قوله : " مِنِّي " ثم لأن قال " نظرة " ولم  
يقل " النظر " مثلاً ثم لمكان " ثم " في قوله : " ثم أطرق " وللطيفة  
أخرى نصرت هذه اللطائف ، وهي اعتراضة بين اسم " إِنَّ " وخبرها  
بقوله : " عَلَى إِشْفَاقٍ عَيْنِي مِنَ الْعَيْدَى (١) .

ويكتفي الشيخ عبدالقاهر بهذا البيان الموجز في شرح جمال النظم ، وإن وراء  
هذا الإيجاز لشرحاً طويلاً ، كان على الشيخ إبرازه ليتذوق القاري به أسرار  
حسن النظم في البيت ، فليت شعري ، أكان وضوحه أمام عينيه مظنة اعتقاده بأنه  
واضح أمام قارئيه (٢) .

وعلى كل فإن الخصائص التي حددها الشيخ في البيت تدل على أنه استطاع  
بحق أن يضع يده على مواطن الجمال بل على إبراز الملامح الدالة فيه .  
فالاستعارة التي جاء بها ابن المعتز ، وهي استعارة الجموح للنظرة استعارة  
رائعة بلا شك ، ولكن روعتها لا ترجع لمجرد استعارة الجموح للنظرة ؛ لأن الجموح  
وحده ما كان ليبلغ هذا التأثير لولا تلك العناصر التي جمعها الشاعر ، والتي نجحت  
كل النجاح في الإفصاح عن عاطفته وعن موقفه النفسي ، فالموقف في البيت موقف شاعر

(١) الدلائل ، رضا : ٧٧ - ٧٨ ، خفاجي : ١٣٦ ، شاكر : ٩٨ - ٩٩ .

(٢) عبدالقاهر ، أحمد بدوي : ١٢١ - ١٢٢ .



محب يرى حبيته أمامه ، وهو شديد الלהفة إلى إطفاء شوقه إليها ، قوَّة لو استطاع أن يتمتع عينه بالنظر إليها ، ولكنه لسوء حظه محوط بالأعداء من كل جانب ، وجميعهم ينظر إليه ويرقبه ، وهو أمام هذا كله بين أمرين : إمَّا أن يخضع لعاطفته المشبوبة ، فيبعث بنظرته إلى حبيته ضارباً عرض الحائط بهذه الأنظار المصوِّبة نحوه من أعدائه ، فيفتضح أمره ، ويكشف عن حبه ، وإمَّا أن يذعن لخوفه وإشفاقه من أعدائه ، ورغبته في إخفاء هذه الحقيقة عنهم ، فيحرم نفسه من النظر إلى حبيته حرصاً منه على نفسه وعلينا .

وما أبرع مجي ، اللام في قوله " لتجمع " ، ومجي ، الجار والمجرور " مني " حيث أبرز عدم استطاعته كتمان حبه ، وكبت لهفته وشوقه ، فعلى الرغم من مقاومته إذا بالشوق يغلبه ، وإذا بهذه العاطفة الحبيسة في صدره تنطلق رغماً عنه ، وعن القيود التي تقيدها ، فتجمع منه نظرة ثم يطرق ، وفي أفراد لفظ " نظرة " وفي إطراقه هذه إحساس عميق بكل معاني الإشفاق ، والخجل التي تصطرع في نفسه ودخيلته ، وما كان لهذا الجموح ، وهذا الإحساس أن يظهر على أنه أمر محتوم لا مفر منه لولا أن سبقته عبارة " على إشفاق عيني من العدى " ، ثم تتالت هذه الأجزاء في وحدة لتلتحم أخيراً بقوله : " ثم أطرق " ، فيضيف بذلك إضافة رائعة ، ومهمة قوت مسن الإحساس بالحذر والحيلة ، فعلى الرغم من انطلاق النظرة منه يحس بالخوف من حوله .

وانظر إلى دور حرف العطف " ثم " فهو لم يأت لمجرد العطف مع التراخي فحسب ، وإنما تعدى هذا إلى إضافة معنى يتناسب مع موقف الشاعر الخائف ، فالتراخي فترة زمنية تمثل في أثنائها الخوف والقلق من المصير المجهول .<sup>(١)</sup>

(١) انظر: قضايا النقد الأدبي : ٢٤٤ - ٢٤٥ ، النقد التحليلي

وهكذا يبلغتنا الشيخ إلى أن تنظيم الكلمات، وتلاحم أجزاء الجملة وتراحمها عنصر هام في إبراز جمال الاستعارة إذ أنه ينفى عليها روح الخفة والجدّة، فدراستها مستقلة تتنافى مع طبيعة الأشياء ، وتنطس بذلك الصور البيانية ، ويذهب رونقها وجمالها .

الشاهد الرابع والخمسون :- ( \* ) (الرجز)

قول بعض الأعراب :  
 (١) الليل داج كنفًا جلبابيه . (٤) .  
 (٢) . (٣) .  
 (٥) .  
 (٦) الليل مخجور على غرابيه

الشاهد فيه كسابقه ، وهو أن الروعة والجمال في البيت ليس في الاستعارة وحدها بأن جعل الليل جلباباً، بل ترجع الروعة إلى مجموعة الدلالات والصيغ التي تركبت منها الاستعارة وتركب منها البيت كله .

- ( \* ) الدلائل ، رضا : ٨١ ، خفاجي : ١٣٩ ، شاكر : ١٠٢ .  
 (١) لم أقف على قائله .  
 (٢) الدَّجِي : سواد الليل مع غيم وأن لا ترى نجماً ولا قرماً ، وقيل هو إذا ألبس كل شيء وليس هو من الظلمة ، وقد دجا الليل يدجو دجواً ودجواً فهو داج ودجي / اللسان " دجا " : ١٤ / ٢٤٩ .  
 (٣) رواية اللسان :  
 " والقيش داج كنفًا جلبابيه " ، والمراد بذلك خفض العيش وترفيه .  
 (٤) كنف : الكنف والكنفة : ناحية الشيء ، وناحيتا كل شيء كنفاه والجمع أكناف / اللسان : " كنف " : ٩ / ٣٠٨ .  
 (٥) ذكر الأستاذ " شاكر " أنه جاء في رواية إحدى مخطوطات الدلائل :  
 " والليل مخجور على غرابيه " ، وذكر أنه سهو من الناسخ .  
 (٦) لم أقف على البيت على الرغم من مراجعتي لكثير من كتب الأدب ،  
 والبلاغة ، إلا في :  
 اللسان : " دجا " : ١٤ / ٢٥١ .

وقد أشار الشيخ إلى الأسرار الخفية في الصيغ ، والتي أنارت الأحاسيس المظلمة في نفس الشاعر . قال :

ليس كل ماترى من الملاحه ؛ لأن جعل الليل جلباباً ، وحجر على الغراب ، ولكن في أن وضع الكلام الذي ترى فجعل الليل مبتدأ ، وجعل داج خبراً له ، وفعلاً لما بعده ، وهو الكنفان ، وأضاف الجلباب إلى ضمير الليل ؛ ولأن جعل كذلك البين مبتدأ ، وأجرى محجوراً خبراً عنه ، وأن أخرج اللفظ على مفعول ، يبين ذلك أنك لو قلت : " وغراب البين محجور عليه أو : قد حجر على غراب البين ، لم تجد له هذه الملاحه ، وكذلك لو قلت : قد دجا كنفاً جلباب الليل لم يكن شيئاً (١) .

لم يسق الشيخ هذا البيت ليحدثنا عن وصف هذا الشعر لظلمة الليل ، وبقائه الوصال ، ونهاب الفراق ؛ لأن هذا المعنى سطحي يدركه كل من يعرف هسذه اللغة ، وإنما ليقود الذهن والإحساس قسراً إلى أفق آخر تدرك فيه حركة وجدان الشاعر ، وكيفية إحساسه بمعناه ، فالشاعر أحس بالليل إحساساً طاغياً فرمى به في صدر كلامه ، وبنى عبارته عليه ، ثم أخبر عنه بلفظ " داج " ، فجعل ظلمته ظلمة مطبقة لا يرى فيها نجم ولا قمر ، وإنما هو ليل ملبس كله ؛ ولشدة إحساس الشاعر بهذه الظلمة المطبقة شعر أن هذه الإبانة لم تغر بإحساسه ، فركب المعنى تركيباً آخر ، فوصل الخبر بما بعده ، وجعله فعلاً للكنتين أي الجانبين ، ثم لم يجعل الكنتين لليل ، ولم يقل والليل داج كنفاه أي جانباه ، وإنما جعل ذلك لجلباب الليل ، فجعل لليل جلباباً ، ثم تحدث عن كنفى هذا الجلباب ، وهذا التركيب لظلمة الليل ليس بالتركيب السهل ، وهذا الإحساس بهذه الظلمة ليس بإحساس سادج ، وإنما هي أحاسيس بُني بعضها على بعض ، فهناك إحساس

(١) الدلائل ، رضا : ٨١ ، خفاجي : ١٣٩ ، شاكر : ١٠٢ - ١٠٣ .

بأهمية هذا الليل ، ثم إحساس بظلمته المطبقة ، فهو داج ، ثم إحساس بأن هذه الظلمة متكاثفة ، وكأنها جلباب شديد سواد الجانبين ، ثم إحساس بتشخيص الليل أي بصيرورته في وجدانه شخصاً يرتدي جلباباً شديد الدجوى على جانبي الوجود ، فلا يدع فيه شيئاً إلا أحاط به ، وكأنه مارد عملاق يشق برأسه السماء ، ويطوي بين يدي المغربين - الليل داج كنفها جلبابه - ، وكذلك أحس الشاعر بالبين إحساساً عميقاً بارزاً ، فرمى به في صدر عبارته الثانية " والبين محجور " ، وبنى الجملة عليه ؛ لأن أهم ما يعنيه في هذا السياق هو أن يخبر عنه ، وأنه محجور على غرابه ، ثم إن الشاعر تأمل الكلمات ، وأدارها في نفسه ثم أختار كلمة محجور بصفتهما هذه ، وفضلها على كلمة حجر على غرابه ، أو قد حجر على غرابه ، لأن محجوراً فيها إحساس بدوام الحجر ، وليس هذا الإحساس في صيغة الفعل .

وفي هذين الموقعين في الجملة يكن إحساس الشاعر ، فلو أنه زُحج لفظ " البين " ، وقُدِّم " غراب " عليه وقيل : " وغراب البين محجور عليه لكان شيئاً مخالفاً لإحساس الشاعر ومراده ، ويتبين هذا الفرق إذا تأملنا الفرق بين جملة " زيد عظيم قدره " وجملة : " وقدر زيد عظيم " ، ففي الأولى إخبار عن زيد بعظمة القدر ، وفي الثانية إخبار عن قدر زيد بالعظمة ، وباعد ما بينهما لمن يحس إدراك الفروق .

وهكذا ندرك رهافة حس الكلمة بالكلمة ، وأن أقل قدر من الاهتزاز في هذه المناسبة بين الكلمتين يؤدي إلى تغيير جوهري في المعنى .  
(١)

الشاهد الخامس والخمسون : ( \* ) ( الخفيف )

قول المتنبي :

غَضِبَ الدَّهْرَ وَالطُّوْكَ عَلَيْهِمَا . : فَبَنَاهَا فِي وَجْنَةِ الدَّهْرِ خَالًا ( ١ )

وهو من قصيدته في مدح سيف الدولة ، ويذكر فيها نهوضه إلى الثغر ( ٢ )

واستيلاءه على قلعة الحدث ( ٣ ) ، وذلك في جمادى الأولى سنة أربعين وثلاثمائة ،

وقبل سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ، ومطلعها :

يُذِي الْمَعَالِي فَلْيَعْلُونَ مَنْ تَعَالَى . : هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَسَلَا ( ٤ )

وقبل الشاهد :

أَيُّ عَيْنٍ تَأْتَلُكَ فَلَا قَتَّكَ ( م ) . : وَطَرَفِي رَنَا إِلَيْكَ فَالَا

( \* ) الدلائل ، رضا : ٨١ ، خفاجي : ١٤٠ ، شياكر : ١٠٣ .

( ١ ) لم أجد البيت فيما رجعت إليه من مصادر إلا في ديوانه ، وكأنه مسن

الشواهد الخاصة بالشيخ / انظر :

ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ١٤٥ ، العرف الطيب : ٢٧٩ / ٤ .

( ٢ ) الثغر : كل موضع قريب من أرض العدو ويسمى ثغراً كأنه مأخوذ من الثغرة

وهي الفرجة في الحائط ، وهو في مواضع كثيرة ، منها : ثغر الشام ،

وجمعته ثغور ، وهذا الاسم يشمل بلاداً كثيرة / انظر :

معجم البلدان : ٢ / ٧٩ .

( ٣ ) الحدث : قلعة حصينة بين ملطية وسُميساط ومرعش من الثغور يقال لها

الحمراء ، لأن تربتها جميعاً حمراء ، وقلعتها على جبل يقال له :

الأحيدب ، وكان حصن الحدث ما فتح في أيام عررضي الله عنه . / انظر :

معجم البلدان : ٢ / ٢٢٧ .

( ٤ ) والمعنى : يقول مشيراً إلى ما فعله سيف الدولة بجيوش الروم ،

وانهزامهم بين يديه ، ومنعه لهم ما كانوا عليه من حجارة

إن هذه هي المعالي التي تؤثر ، والمكارم التي تخلد على أئبست

حقائقها ، وأبعد غاياتها ، فمن تعاطى الإقدام والقوة ، والتعالي

والرفعة ، فلينهض بمثلها ، وليتقدم إلى فعلها ، وهكذا سبيلها ووجهها

فلا يتعرض الرؤساء لها ، ولا يتميزون بها ، وكرر " لا " على سبيل

التوكيد / شرح العكبري : ٣ / ١٣٤ .

مَا يَشُكُّ اللَّعِينُ فِي أَخْذِكَ الْجَيْدِ . : شَ فَهَلْ يَبْعَثُ الْجِيُوشَ نَوَالًا  
 تَالِمَنُ يَنْصَبُ الْحَبَائِلَ فِي الْأَرْضِ . : ضِ وَمَرْجَاهُ أَنْ يَصِيدَ الْهَلَالَ  
 إِنْ كُنَّ عَلَى الدَّرْبِ وَالْأَحْبِ . : دَبِّ، وَالتَّهْرِ مَخْلَطًا مَزِيَالًا (٥)

وبعدها الشاهد وبعده :

فَهِيَ تَمْشِي مَشْيَ الْعُرُوسِ اخْتِيَالًا . : وَتَتَنَّى عَلَى الزَّمَانِ دَلَالًا (٦)

والشاهد فيه كسابقه ، وقد علق عليه الشيخ بقوله :

" قد ترى في أول الأمر أن حسنه أجمع في أن جعل للدهر " وجنة "   
 وجعل البنية " خالا " في الوجنة ، وليس الأمر على ذلك ، فإن موضع   
 الأعجوبة في أن أخرج الكلام مخرجه الذي ترى ، وأن أتى " بالخال "   
 منصوباً على الحال من قوله : " فبناها " أفلا ترى أنك لو قلت : " وهي   
 خال في وجنة الدهر " لوجدت الصورة غير مأتى ؟ (٧)

- 
- (١) الدرب : المدخل من أرض العدد . شرح العكبري : ٣ / ١٤٥ .  
 (٢) الأهدب : جبل عليه قلعة الحدث ، ويقال له الأهدب . / انظر :  
 معجم ما استعجم : ١ / ١٢١ .  
 (٣) موضع بقرب الحصن . / شرح العكبري : ٣ / ١٤٥ .  
 (٤) مَخْلَطٌ مَزِيَالٌ : يخالط الأمور : أي موصوف بالشجاعة ، وسداد الرأي . /  
 الصحاح : " خلط " : ٣ / ١١٢٥ .  
 (٥) والمعنى أن هذه القلعة لا يمكن الوصول إليها ؛ لأن حاميها رجل مخلط   
 مزيال كثير المخالطة للأمور يخالطها ثم يزيالها ، يحمي حريمها ،   
 ويقاوم الأعداء عنها ، أو دونها ملك مقتدر مزيال عن أطراف بلاده   
 مخلط بالأعداء فيها عند قصدهم لها سريع لا يتأخر عن سطوته . /  
 ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ١٤٥ .  
 (٦) انظر الأبيات في :  
 ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ١٤٣ - ١٤٥ ، العرف الطيب :  
 ٢٧٨ - ٢٧٩ .  
 (٧) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤٠ ، شاعر : ١٠٣ .

في هذا البيت يغمز المتنبى الإحساس بالفرحة ، وتزهو نفسه بالانتصار الذي أحرزه المدوح ، فهو انتصار لا يتمكن منه إلا شخص متمرس قوي الشكيمة ، وإحساسه بعظمة هذا الشخص وقوته ، قال :

” غَضَبَ الدَّهْرَ وَالْمَلُوكَ عَلَيْهَا ”

فهولم ينتزعها من أقرانه ” الملوك ” فقط ، وإنما تمكن منها وأخذها من الدهر عنوة .

وقد وفق الشاعر في اختيار لفظ ” غَضَبَ ” بدلاً من أخذ، مثلاً لما له هذه الكلمة من أبعاد دلالية وإيحاءات خفية ، فهي توحى بصورة كروفر قامت بسين الدهر والمدوح ، وفيها نوع من المخاطرة والمجازفة بالنفس ، وفيها أيضاً دلالة على إرادته وقوته الجبارة وفي طريقة بناء الكلام ما يبعث في النفس التشويق حيث أجهم في صدر البيت ، ثم فاجأ النفوس بقوله : ” فبناها ” ، فإن الشيء الذي حارب من أجله وغضب الدهر والملوك عليه هو ” بناء ” ، وجاء بالفاء فدللت على سرعة البناء ، فهولم يستغرق وقتاً طويلاً في بنائها ، ثم جاء بالحال ” خالاً ” ؛ ليصور روعة ذلك البناء ودقته وعظمته ، فهذه المدينة قد جل قدرها ، فكأن الدهر زين بها وجهه ، ووسم برفعتها نفسه ، فهذه الروعة ، وهذا الجمال هو الذي دفع المدوح لينازل ويحارب أكبر القوى ، وقد استحسّن العكبري هذه الاستعارة فقال :

” وهذه استعارة حسنة لم يعمل في بيته مثلها (١) ”

الشاهد السادس والخمسون : ( \* ) (المجتث )

قول ابن المعتز :

يَا مِسْكَةَ الْعَطَّارِ . . . وَخَالَ وَجْهَ النَّهَارِ

( ١ ) ديوان المتنبى بشرح العكبري : ٣ / ١٤٥ .

( \* ) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤٠ ، شاکر : ١٠٣ .

وهو مطلع قصيدة يصف امرأة سوداء وبعد عدة أبيات هي تمام القصيدة :

وَلَعَبَةً أَحْكَمْتُمَهَا .: عِنَايَةَ النَّجَارِ  
 مِنْ آتِنُوسٍ تَسْمَى .: بِالْيَمِينِ بَيْنَ الْجَوَارِي  
 وَأَطْيَبَ النَّاسِ رِيْقًا .: لِمُعْتَدٍ وَلِسَارِ  
 وَلَيْسَ ذَا يَعْجِيبِ .: وَلَيْسَ فِي ذَا تَمَارِي  
 لَا تَشْرَبُ الْخَمْرَ إِلَّا .: مَبْرُوءَةً مِنْ قَارِ (١)

استشهد به الشيخ علي أن الملاحاة والطرافة ليس في استعارة لفظ الخال

بل لتتابع الإضافات قال :

" وكانت الملاحاة في الإضافة بعد الإضافة لاني استعارة لفظة الخال ،

إن معلوم أنه لو قال : يا خالا في وجه النهار أو يامن هو خال فسي

وجه النهار لم يكن شيئاً ، ومن شأن هذا الضرب أن يدخله الاستكراه

قال صاحب : " إياك والإضافات المتداخلة " (٢) فإن ذلك لا يحسن (٣) .

يظهر هذا البيت نفسية الشاعر المرححة السهلة الميالة للفكاهة والملح ، فموسيقى

البيت التي اختارها موسيقى خفيفة تتنقل في جوانب النفس بسرعة وخفة ، فبدأ

البيت بالنداء " يامسكة " ؛ ليوثظ النفوس ويلفت الأذهان إلى أنها هي المسك

بمعينه ، فكونها مسكة أمر ليس فيه شك ، وهذه مبالغة طريفة من الشاعر ، وزادها

طرافة إضافة لفظه " مسكة " إلى " العطار " ؛ ليؤكد طيب رائحتها ويثبت هذه

الصفة فيها .

(١) لم أجده فيما رجعت إليه من مصادر إلا في : ديوان ابن المعتز - دار

صادر - : ٢٥٣ ، ديوان أشعار الأمير أبي العباس : - دار المعارف -

٠١٨٢ / ٢

(٢) في الدلائل نسخة شاكر " المتداخلة " .

(٣) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤٠ - ١٤١ ، شاكر : ١٠٣ - ١٠٤ .



ثم استعار لفظ خال لتلك الجارية ؛ ليدل على شهرتها وجمالها ، ثم أضاف الخال للوجه ، وأضاف الوجه للنهار ، فجعل الجملة كلها أجزاء متلازمة ؛ ليؤكد أن شهرتها بالبرقة والجمال ملازمة لها لا تخفى على أحد .

الثلهد السابع والخمسون : ( \* ) ( الخفيف )

قول القائل : ( ١ )

يَا عَلِيَّ بْنَ حَمْزَةَ بْنِ عَمَّارَةَ . : أَنْتَ وَاللَّهِ ثَلْجَةٌ فِي خِيَارَةِ ( ٣ )

البيت حكي عن الصاحب بن عمَّال ( ٤ ) ، وأثبتته صاحب عقود الدرر للصاحب قال :

\* أقول هذا البيت للصاحب بن عمَّال ( ٥ )

( \* ) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤١ ، شاکر : ١٠٤ .

( ١ ) لم أفق على قائله .

( ٢ ) هو علي بن حمزة بن عمَّارة بن حمزة بن يسار بن عثمان الأصبهاني

أبو الحسن وعثمان هذا الذي انتهت نسبة هذا إليه هو والد أبي سلم الخراساني ويسار أخوه ، وعلي بن حمزة هذا من أولاد أخيه يسار ، وكان أحد أدباء أصفهان المشهورين بالعلم والشعر والفضل والتصنيف و صنف كتباً منها :

\* كتاب الشعر \* ، \* كتاب فقر البلغاء \* يشتمل على الاختيار من شعر عامة

الشعراء ، \* كتاب قلائد الشرف في مفاخر أصفهان وأخبارها \* وغير ذلك /

انظر ترجمته :

معجم الأدباء : ٧ / ١٣ / ٢٠٣ - ٢٠٨ .

( ٣ ) انظر البيت في : -

الإيضاح : ١ / ٧٩ ، شرح التلخيص : عروس الأنسراج : ١ / ١١٦ ،

شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٥ ب ، عقود الدرر : ١٠ ب ،

شرح شواهد كتاب في البلاغة ، مخطوط ( ق ١ - ١٢ ) رقم ١٣٠٥ ، ١١١ .

( ٤ ) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٥ ب .

( ٥ ) عقود الدرر : ١٠ أ ، شرح شواهد كتاب في البلاغة مخطوط ( ق ١ - ١٢ ) رقم

١٣٠٥ ، ١١١ .

استشهد به الشيخ على أن تتابع الإضافات يحسن في مواضع الهجاء والذم .

قال :

" وذكر - أي صاحب بن عباد - أنه يستعمل في الهجاء، ... ولاشبهة

في ثقل ذلك على الأكثر ، ولكنه إذا سلم من الاستكراه لطف و ملح (١) .

حيث أضاف (بن) الأولى إلى حمزة وأضاف ( بن ) الثانية إلى عمارة ، ويسدو

أن عبارة الشيخ أدق من عبارة صاحب ، لأن الشيخ احتاط حين قال .

" ومن شأن ... الخ " أما صاحب فعمم الحكم في قوله ( وإياك ... ) .

واعترض ابن السبكي على أن في البيت إضافات متتابعة قال :

" قلت فيما قالوه نظراً ، وأين تتابع الإضافات هنا (٢) "

وذكره أيضا في البديع (٣) ، وجعله من الاطراد (٤) .

ورأى صاحب عقود الدرر أن الشاهد في البيت تتابع الإضافات الموجبة للثقل (٥) ،

وهذا خلاف ما ذهب إليه الشيخ ، وحسن تتابع الإضافات هنا ؛ لأن الإضافة عرفت

شخصية المهجو تعريفاً تاماً ، وفي ذلك تشهير به ، ثم هجى هجاء لاذعاً ليكون

به الأزم ، وهو به أحق حيث جعل المهجو يارد الإحساس متحجر الشعور قوصيف

بشدة البرودة ، فالخيار يارد بالطبع وزاد من برودته أنه جمع مع الثلج . قال

الشيخ عبد القاهر :

(١) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤١ ، شاکر : ١٠٤ .

(٢) شروح التلخيص ، عروس الأفراح : ١ / ١١٦ .

(٣) المصدر السابق : ٤ / ٤١١ .

(٤) الاطراد : وهو أن يأتي بأسماء الممدوح ، أو غيره وآبائه على

ترتيب الولادة من غير تكلف في السبك حتى تكون الأسماء في

تحدرها كالماء الجاري في اطراده ، وسهولة انسجامه . /

التلخيص : ٣٨٢ - ٣٨٨ .

(٥) عقود الدرر : ١٠ ب .

\* يريد هذا الخيار الذي يؤكل، وأراد وصفه بشدة البرودة؛ لأن الخيار بارد بالطبع، فإذا تجمع مع الثلج كان غاية فيها<sup>(١)</sup> .  
\* والكلام هنا على القلب، والأصل أنت خياره في ثلجة، فإن الخيار بارد، ويتضاعف بارده إذا وضع في الثلج بخلاف العكس، ووجه الحُسن فيه المبالغة في وصفه بالبرودة المفرطة حتى كأن الثلجة داخل الخيار<sup>(٢)</sup> .

الشاهد الثامن والخمسون :- (\*) (الطويل)

قول ابن المعتز :

(٣) وَظَلَّتْ تَدِيرُ الرَّاحَ أَيْدِي جَانِرٍ :: (٤) عَتَاقٍ دَنَانِيرِ الْوُجُوهِ مِسْلَاحٍ (٧)

(١) ذكر العاطلي في شرح أبيات الإيضاح أن هذا من كلام الشيخ قال في بداية

الكلام : \* حاشية عن خط الشيخ " وفي نهايته قال : " نقلت هذا من غير

تغيير عن حاشية دلائل الإعجاز " : ه ب .

(\*) الدلائل، رضا : ٨٢، خفاجي : ١٤١، شاكر : ١٠٤ .

(٢) عقود الدرر : ١٠ - ١١ .

(٣) رواية عقود الدرر : \* فظلت \* .

(٤) الراح : الخمر / مختار الصحاح ، " روح " : ٢٦٢ .

رواية أبيات الإيضاح وعقود الدرر : " تدير الكأس " وكذلك ذكر محقق

ديوان أشعار الأمير أبي العباس أن هذه هي إحدى نسخ الديوان .

(٥) الجَوْدُرُ ، والجَوْدَرُ ، يفتح الذال وضما ولد البقرة الوحشية ، والجمع

جَانِرٌ / مختار الصحاح ، : " جانر " : ٩٠ .

(٦) عتاق : " العتق " : الكرم وهو أيضا الجمال / مختار الصحاح " عتق " :

٠٤١١

(٧) انظر البيت في :-

ديوان ابن المعتز - دار صادر :- ١٤٥ ، ديوان أشعار الأمير أبي العباس

- دار المعارف :- ٢٣٥ / ٢ ، الإيضاح : ٧٩ / ١ ، شرح أبيات الإيضاح ،

- فيض الله - : ه ب ، النسخة الأزهرية ، شاهد رقم : ١٥ ، عقود الدرر :

١٠٠٠ . وأعتقد أن هذا البيت من شواهد الشيخ الخاصة به والتي

أخذها عنه المتأخرون مثل القزويني في الإيضاح والسبكي في عروس الأفرح ،

واستشهدوا به على نفس الموضوع .

لَيْسَنَا إِلَى الْخَمَّارِ وَالنَّجْمِ غَائِرٌ<sup>(٢)</sup> . غِلَالَةَ لَيْلٍ طُرِّزَتْ بِصَبَّاحِ<sup>(١)</sup>

ذكر الشيخ عبد القاهر أن تتابع الإضافات إذا أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان فهو مخل بالفصاحة ، وإذا سلم من الاستكراه ملح ولطف .  
 واستشهد ببيت ابن المعتز على تحسن الإضافات المتتابعة ، حيث أضاف عتاق إلى دنانير ، وأضاف دنانير إلى وجوه ، ولعلها حسنت لأن الإضافة وقعت بين المشبه والمشبه به ، فأصبحا جزأين متلازمين تلازم المضاف والمضاف إليه ، فقرر بذلك أن المشبه به وهو الدنانير في صفاتها وحسنها صفة حقيقية لتلك الوجوه ، فلا تفاوت بين المشبه والمشبه به ، وهذا التعبير أقوى في الدلالة على الصفاء والحسن من قولنا : " وجوه كالدنانير " ، وأقوى في تعميق الصورة في النفس .

ولعلها حسنت أيضا لأن في البيت إضافتين ، وإنما يستكره في تتابع الإضافات أن تكون ثلاثة فأكثر<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) رواية عقود الدرر : " غَدَّ وَنَا " .

( ٢ ) رواية عقود الدرر : " غَائِرَةٌ " .

( ٣ ) وذكر ابن السبكي من شروط كراهة تتابع الإضافات :

أن تكون ثلاثة فأكثر ، وأن لا يكون واحد منها جزءاً ، أو كالجزء ، وأن لا يكون المضاف إليه الأخير ضميراً ، وأن لا يكون فيها إضافة في علم كقول أبي سفیان لقد أمر أمر ابن أبي كبشة ، فليس في مثل ذلك استكراه .

ورأى أن أحسن ما يستدل به على فصاحة تتابع الإضافات قوله تعالى :  
 " ذِكْرٌ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا " - مريم : ( ٢ ) - وقد ينزاع فيه فيقال : إن الإضافات ههنا ترجع إلى إضافتين أو إضافة ، فإن ذكر الرحمة رحمة ، ورحمة الله صفته ، ويؤيد ذلك قول النحاة أنه يرد الحال من المضاف له ، إذا كان المضاف جزءاً أو كجزءه ؛ لأنه يصير وجود الإضافة كعدمها ثم المضاف إليه ضمير . /

في هذين البيتين تشيع النشوة والغبطة في نفس ابن المعتز ، حيث قصد وصحبه الخمارة حين غار النجم ، وأشرف على المغيب ، وتلفع الليل بفلالته رقيقة تشف عما تحتها ، وهذا دليل على قرب الصباح ، ولما كان النور يظهر أول ما يظهر في الجوانب ويكون نوره فيها أشد جعل تلك الغلالة مزينة ومطرزة بخيوط الصباح ، وازدادت هذه الصورة روعة حين قال : " لبسنا " فجعل الليل كاللباس يحيط بهم ويعممهم ويتستر عليهم .

وظلت تلك الروح المرححة تداعجه داخل الخمارة ، حين ظلت كؤوس الخمر تدور من غير انقطاع ، وزاد من نشوته وانبساطه أن اللواتي يدن الراح بلفن الغايمة في الجمال ، فهن الدنانير بعينها في صفائها وبريقها ، وأحس الشاعر أن تأثير جمالهن متغلغل في داخله ، فزاد لفظ " ملاح " زيادة في الوصف .

الشاهد التاسع والخمسون : ( \* ) (المنسرح)

قول الخالدي : ( ١ )

وَيَعْرِفُ الشَّعْرَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي . . . وَهُوَ عَلَى أَنْ يَزِيدَ مَجْتَهِدُ  
وَصَيْرَفِي الْقَرِيضِ وَازِنُ دِيْنَارِ الْمَعَانِي الدَّقَاقِي مَنْقِيْدُ ( ٤ )  
( ٢ ) ( ٣ )

( \* ) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤١ ، شاکر : ١٠٤  
( ١ ) هو أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي من شعراء اليتيمة ، وكان في حاشية سيف الدولة الأدبية ، وقيم دار كتبه مع أخيه أبي بكر محمد ، وكان السري الموصل يذعي عليهما سرقة شعره .

انظر : يتيمة الدهر : ٢ / ١٨٣ - ٢٠٨ .

( ٢ ) رواية الدلائل : رضا ، خفاجي ، شاکر : " وزان " .

( ٣ ) رواية الديوان : " الجياد " .

( ٤ ) انظر البيتين في :

ديوان الخالدين - أبي عثمان سعيد بن هاشم - : ١٢٢ / ٢ ، خاص

الخاص : ١٥٦-١٥٧ ، الإيضاح : ١٠ / ٧٩ ، شرح أبيات الإيضاح

- فيض الله - : ه ب .

(١)  
وهذان البيتان لأبي عثمان الخالدي في وصف غلام له يسمى رشاً .  
والشاهد من قصيدة مطلعها :<sup>(٢)</sup>

مَا هُوَ عَبْدٌ لَكِنَّهُ وَلَدٌ . . . خَوْلَانِيهِ الْمَهْمِينُ الصَّمَدُ  
وقبل الشاهد :

خَازِنُ مَا فِي يَدِي وَحَافِظُهُ . . . قَلْبَيْنِ شَيْءٍ لَدَيَّ يُفْتَقَدُ  
يَصُونُ كُتُبِي فَكُلُّهَا حَسَنٌ . . . يَطْوِي ثِيَابِي فَكُلُّهَا جُسْدُ  
وَحَاجِبِي فَالْخَفِيفُ مُحْتَبَسٌ . . . عِنْدِي بِهِ وَالثَّقِيلُ مُطَّرَدُ  
وبعد هذا الشاهد وبعده :

وَحَافِظُ الدَّارِ إِنْ رَكِبْتُ فَمَا . . . عَلَى غَلَامٍ سِوَاهُ أُعْتَبِرُ  
الشاهد هنا كسابقه وهو حسن تتابع الإضافات قال :

" وما جاء منه حسناً جميلاً قول الخالدي في صفة غلام له <sup>(٣)</sup> .

ولعل الإضافة هنا حسنة ؛ لأنها ربطت بين المشبه به والمشبه ، وجعلتهما  
كالجزء الواحد ، ولأن تتابع الإضافات ولَّدَ مبالغة عظيمة في وصف الغلام بعظيم  
الخبرة والدقة ، فالدينار وهو شيء محسوس أضيف إلى شيء معنوي ، وهو " المعاني "

(١) قال أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي أنه رآه بعد موت  
مولاه أبي عثمان في ناحية أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف قال :  
وهو اليوم وزير قراد العقيلي والي البلد والجامعين والقصر /  
شارالقلوب : ٢٢٩ .

(٢) قال الشعالي : قرأت أنا بخطه - أي بخط الغلام رشاً - في مجموعة  
من شعر الخالدين بخط أحد الأخوين في دفتر أعارنيه أبو نصر  
سهل بن المرزبان :

كتب ابن سكرة الهاشمي إلى أبي عثمان يسأله عني فكتب إليهم :  
ما هو عبدٌ لكنه ولدٌ . . . القصيدة / انظر :

ديوان الخالدين : ١١٩ - ١٢٠ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤١ ، شاكر : ١٠٤ .

فأكسبه تجسيدا وحسا ، فكأنه جعل الشبيء المعنوي هو ذلك الشبيء المحسوس بعينه ، فهو لشدة خبرته ودقيق نظرتة يحس بالمعاني ، ويلمسها ، ويقلبها على شتي وجوهها كما يقرب الدينار عند الوزن .

فالخالدي في هذه الأبيات يضرب بغلامه المثل في الكياسة والشهامة والنفاذ في حسن الخدمة ، وجمع له محاسن المماليك ، ومناقب العبيد ، فهو يصفه في هذين البيتين بمعرفة الشعر معرفة مولاة ، وأن له حاسة ذوقية تمكنه من الوقوف على دقائق الشعر ، وأسارته مثل وقوف مولاة ، بل إن فيه روح الجرأة والاجتهاد وحب الاطلاع ، فهو يبدل وسعه في أن يزيد على مولاة في معرفة الشعر .

\* وهو صيرفي القريض يتصرف في الشعر بدقة نظره فيه ، ويجعل لبعضه عيارا على البعض بعلمه ، وزان المعاني الدقيقة الشبيهة بالدنانير في العزة وميل النفوس إليها يزنها ويقدرها بميزان العقل والفكر لبيودي سالمه من زيادة ونقصان ، منتقد فميز جياذ الأشعار من رديها ، والله أعلم (١)

الشاهد الستون : ( \* ) ( الكامل )

قول أبي تمام :

خُذْهَا أَبْنَةَ الْفِكْرِ الْمُهَذَّبِ فِي الدُّجَى . . . وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الْجِلْبَابِ (٢)

وهو من قصيدته في مدح مالك بن طوق التغلبي (٤) ، ومطلعها :

(١) شرح أبيات الايضاح : شاهد رقم : ١٦ ، - النسخة الأزهرية -

(\*) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، حناحي : ١٤١ ، شباكر : ١٠٤ .

(٢) رواية العمدة : " حالك الجلباب " .

(٣) انظر البيت في :

ديوان أبي تمام - دار صعب . - : ٢٥ ، العمدة : ٢٠ / ٢ ، تحرير التحبير :

٤٠٢ / ٣ ، أنوار الربيع : ١٥٤ / ٥ .

(٤) مالك بن طوق : هو مالك بن طوق بن عتاب " غيات " التغلبي ، أبوكلثوم

( ٢٥٩-٠٠ وقيل : ٢٦٠ ) ، أمير كان من الأشراف الأجواد الفرسان

لَوْ أَنَّ دَهْرًا رَدَّ رَجَعَ جَوَابِي . : أَوْ كَفَّ مِنْ شَأْنِيهِ طُولَ عَتَابِي

وبعد ه أبيات قبل الشاهد :

لَعَذَلْتُهُ فِي دَمْنَيْنِ تَقَادَمَا . : مَحْوُوتِينَ لِزَيْنَبٍ وَرَبَابِ  
يَا مَالِكُ اسْتَوْدَعْتَنِي لَكَ مِنْمَةً . : تَبَقَى ذَخَائِرُهَا عَلَى الْأَحْقَابِ  
يَا خَاطِبًا مَذْحِي إِلَيْهِ بِجُودِهِ . : وَلَقَدْ خَطَبْتَ قَلِيلَةَ الْخَطَابِ

وبعد ها الشاهد - وبعد ه :

يُكْرَأُ تَوَرَّثَ فِي الْحَيَاةِ وَتَنَشَّئِي . : فِي السَّلْمِ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْأَسْلَابِ  
وَيَزِيدُهَا مَرَّ اللَّيَالِي جِدَّةً . : وَتَقَادِمُ الْأَيَّامِ حُسْنَ شَبَابِ

ذكر الشيخ أنه شاهد آخر على حسن تتابع الإضافات وموضع الشاهد قوله :

" وَاللَّيْلِ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الْجَلْبَابِ " ، حيث أضاف أسود إلى رقعة ، وأضاف رقعة إلى السي  
الجلباب ، وربما حسنت الإضافة ؛ لأن في البيتين إضافتين لا أكثر ، ولعل الشاعر  
لجأ إلى تتابع الإضافات ؛ ليبالغ في وصف الليل بشدة السواد .  
وفي البيت وجوه جمالية أخرى أضفت عليه حسنا وطلاقة .

أنظر إلى قوله : " خَذَهَا " حيث أبهم ؛ ليشوق النفس إلى معرفة هذا الشيء ،  
المقدم ، وفي استعمال فعل الأمر زيادة تشويق ، ثم بين بعد ذلك ماهية الشيء ،  
المأخوذ ، وفي قوله " خذها " تظهر النفس المليئة بالثقة بما حاكت وصورته ،  
ثم كنى عنها بقوله : " ابنة الفكر " ، فهناك صلة وثيقة بين هذه القصيدة ، وبين  
فكره كصلة الأبوة والبنوة ، فهو لم يُنشئها إلا بعد أن تفاعلت أفكاره ، فولدت هذه  
المعاني .

====  
ولي إمرة دمشق للمتوكل العباسي ، وبنى بمساعدة الرشيد بلدة  
" الرحبة " التي على الفرات وتعرف برحبة " مالك " نسبة إليه ،  
وكثر سكانها في أيامه وكان فصيحاً له شعر . / انظر ترجمته فسي :  
معجم البلدان : ٣ / ٣٤ ، قوات الوفيات : ٣ / ٢٣١ ،  
النجوم الزاهرة : ٣ / ٣٢ ، مختارات البارودي : ١ / ١٣٥ - ١٣٧ ، الأعلام :  
٥ / ٢٦٢ .



وفي اختياره لزمن تولد القصيدة دليل على أن ألفاظها ومعانيها خرجت من نفس صادقة هادئة ، لأنه صاغها في وقت الدُّجى ، وقت اشتداد الظلمة ، فكلما اشتد الكون ظلمة اشتدت النفس إنارة وضاء ، فتسلل الأحاسيس مسن الداخل لتسكن في كلمات صادقة معبرة .

قال ابن أبي الاصبغ :

" فإنه إنما خصَّ تهذيب الفكر بالدُّجى لكون الليل تهدأ فيه الأصوات ، وتسكن الحركات ، فيكون الفكر فيه مجتمعاً ، والخاطر خالياً ، ولا سيما في وسط الليل عندما تأخذ النفس حظها من الراحة ، وتنال قسطها مسن النوم ، ويخف عليها ثقل الغذاء ، فحينئذ يكون الذهن صحيحاً ، والصدر منشرحاً ، والقلب منبسطاً ، واختياره وسط الليل دون السحر مع ما فيه من رقة الهواء ، وخفة الغذاء ، وأخذ النفس سهمها من الراحة ، لما يكون في السحر من انتباه أكثر الحيوان الناطق والبهيم ، وارتفاع معظم الأصوات ، وجرس الحركات ، وتفتُّع الظلماء بطلائع الأضواء ، وببعض ذلك يتقسم الفكر ، ويتذبذب الخاطر ، ويشتغل القلب ، ويتفرق مجتمع الهم ، ووسط الليل خال عما ذكرنا ، ولهذا خصَّ أبو تمام تهذيب الفكر بالدُّجى عادلاً عن الطرفين لما فيهما من الشواغل التي ذكرناها (١) .

ولقد كره ابن رشيق كلمة "الدُّجى" في هذا البيت ورأى أنها حشوا لا فائدة

منه ، قال :

" .. فقولُه "الدُّجى" حشو (٢) ، لأن في القسم الثاني ما يدل عليه من زيادة

(١) تحرير التحبير : ٣ / ٤٠٣ .

(٢) الحشو : وسماه قوم الاتكاء ، وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر

لفظ لا يفيد معنى ، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن ، فإن كان ذاك في

القافية ، فهو استدعاء ، وقد يأتي في حشو البيت ما هو زيادة في حسنه

وتقوية لمعناه كالذي تقدم من التنجيم والالتفات وغير ذلك مما ذكرناه

أنفا. / العمدة : ٢ / ٦٩ .

استعارتين مليحتين ، فإن لم يكن في القسم الأول حشو كان القسم الثاني بأثره فضلة (١).

ولقد رث ابن أبي الإصبع على من قال إن في البيت حشواً وأبرز سر إتيان الشاعر بهذه اللفظة فلفظ "الدُّجى" قد يطلق على الليل كله سواء كان مظلماً أو مقمراً ، لكنه إطلاق مجازي ، وحقيقته أن الدُّجى هو شدة الظلمة ، وطرفا الليل لقربهما من الشمس لا يكون غيبهما شديد الظلمة ، وأبو تمام أراد هنا الإطلاق الحقيقي لا المجازي لقصد المبالغة ، ولما رأى أن لفظ "الدُّجى" فيه عموم فهو يصلح أن يكون اسماً لليل كائناً ما كان في حالتها الحقيقية والمجاز ، احترس من ذلك بما جاء به من التذييل ليخلص من الاشتراك الحاصل من لفظة "الدُّجى" على أفرادها ، وكل ذلك مبالغة في وصف القصيدة .

قال ابن أبي الإصبع :

" وإنما دخلت لفظة الدُّجى على وسط الليل ؛ لأنها جمع دجية ، وطرفا الليل لقربهما من الشمس لا يكون غيبهما شديد الظلمة ، والدُّجى شدة الظلمة ؛ لأنه مجموع ظلمات ، وإن كان الدُّجى قد يطلق على الليل كله ، سواء كان مظلماً أو مقمراً ، لكنه إطلاق مجازي حقيقته ما ذكرناه ، وأبو تمام أرادها هنا الحقيقة لا المجاز ؛ لقصد المبالغة ، ولما لحظ أبو تمام أن لفظة الدُّجى لعمومها وصلاحياتها في حالتها المجاز والحقيقة ؛ إلى أن تكون اسماً لليل كائناً ما كان ، احترس من ذلك بما جاء به التذييل حيث قال :

... .. واللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقَعَةٍ الْجَلْبَابِ

ليخلص من الاشتراك الحاصل من لفظة الدُّجى على أفرادها ؛ وليتبين أنه أراد الليالي السود التي سمَّتها العرب بالدَّآري ، لا الليالي

البيض ، ولا غيرها من الليالي التي فيها وقت مُضيء في الجملة فراراً من ليل لا يخلو من الأصوات والحركات ، مبالغة في وصف القصيدة بالتنقيح المرضي في الوقت المختار لذلك ، وقد جمع الكتاب العزيز هذه المعاني ، وأتى بها في أوجز لفظه وأجزله حيث قال سبحانه : \* إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً (١) (٢) .

### الشاهد الحادي والستون : ( \* ) ( الطويل )

قول المتنبى :

وَقَيْدَتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً . . . وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا (٣)

وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويهنيه بعيد الأضحى ، ومطلع القصيدة :

لِكُلِّ أَمْرٍ يَوْمِينَ نَهْرِهِ مَاتَعَسَوْنَا . . . وَعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطُّعْنُ فِي الْعَدَا (٤)

وقبل الشاهد :

تَرَكْتُ السَّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ . . . وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنَعْمَاكَ عَسَجَدَا

وبعد الشاهد وبعده :

وَإِنَّا سَأَلْنَا الْإِنْسَانَ أَيَّامَهُ الْفِنَى . . . وَكَانَتْ عَلَيَّ بَعْدَ جَعْلِكَ مَوْعِدَا

استشهد به الشيخ على حسن النظم ، ورأى أن استعارة القيد في الأصل

مبتدلة عامية إلا أن الطريق الذي سلكه المتنبى أخرجها من العامية المبتدلة

إلى الاستعارة النادرة . قال :

(١) سورة المزمل ، آية (٦) . (٢) تحرير التعبير : ٣ / ٤٠٣ .

(\*) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤١ ، شاكر : ١٠٥ .

(٣) ديوانه بشرح العكبري : ١ / ٢٩١ ، العرف الطيب : ٢ / ١١٩ ،

نهاية الأرب : ٣ / ١٠٢ .

(٤) ديوانه بشرح العكبري : ١ / ٢٨١ ، العرف الطيب : ٢ / ١١١ .

الاستعارة في أصلها مبتدلة معروفة ، فإنك ترى العامي يقول للرجل  
 يكثر إحسانه إليه وبره له ، حتى يألفه ، ويختار المقام عنده قد قيد نسي  
 بكثرة إحسانه إليّ وجميل فعله معي حتى صارت نفسي لا تطاوعني على  
 الخروج من عنده ، وإنما كان ما ترى من الحسن بالمسلك الذي سلك  
 في النظم والتأليف (١) .

ولعل الاستعارة لَطُفَتْ وندرت ؛ لأنه بناها بناءً نادراً فيه جِدَّةٌ وطرافة ،  
 فاستعارة القيد عادة تَبَنَّى على الإحسان ، فهو الذي يُرغم العواطف ، ويجعلها  
 تنقاد قسراً ، ولكن الشاعر لصدق عاطفته ، وفرط محبته للمدح خرج بها عن  
 الوجه المعتاد ، فبناها على المحبة الخالصة ، فانقاد شعوره طائعاً مختاراً ، فهو  
 الذي قيد نفسه من غير أن تدفعه المصلحة لذلك .

فشعوره وارتباطه بالمدح أرفع وأسمى من أن يقيد به الإحسان وحده .  
 ونصب محبةً على المفعول لأجله ؛ ليبين أنها محبة مطلقة غير محددة .  
 وقوله : " مَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقِيدًا " تذييل لطيف خرج مخرج المشمل ،  
 والحكمة ؛ ليؤكد أن الإحسان في أصله قيد فكيف إذا أُضيفت إليه المحبة الخالصة ؟  
 وذكر العكبري أنه نظر إلى قول الطائي :

وَتَرَكِي سُرْعَةَ الصَّدْرِ اغْتِيَاطًا . . . يَدُلُّ عَلَى مَوَافَقَةِ السُّرُورِ . ( ٢ )

ومثله :

هِيَ مَعْلُوقَةٌ عَلَيْكَ رِقَابُهَا . . . مَغْلُوبَةٌ إِنَّ الْوَفَاءَ إِسَارُهَا ( ٣ )

بيد وأن الشيخ أول من اتخذ بيت الشاهد شاهداً على الاستعارة النادرة .

( ١ ) الدلائل ، رضا : ٨٣ ، خفاجي : ١٤١ ، شاكر : ١٠٥ .

( ٢ ) ديوان أبي تمام : - دار صعب - : ٩٦ .

( ٣ ) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ٢٩١ .

# الفصل الرابع :

شواهد التقديم والتأخير

٥ - التقديم والتأخير مع الاستفهام .

ب - التقديم والتأخير مع السفي .

٢ - التقديم والتأخير في الجهد .

٤ - تقديم مثل وغير .

مواضع التقديم والتأخير :-

ذكر الشيخ عبد القاهر أن باب التقديم " . . . باب كثير الفوائد جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتَرُّك عن بدعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروك مَسْمَعَه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ، ولطف عندك أن قُدِّم فيه شيء ، وحوَّل اللفظ عن مكان إلى مكان (١) .  
ورأى أن كل تقديم لا بد أن يكون له غرض معنوي ، وأنه من الخطأ أن يُقسَّم الأمر في التقديم والتأخير إلى مفيد تارة وترجع إفادته إلى معنى الكلام ، وغير مفيد تارة أخرى بل الفرض منه أمر لفظي ، وهو التوسعة على الشاعر حتى يستقيم له الوزن . قال الشيخ :-

" وأعلم أن من الخطأ أن يُقسَّم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين ، فيجعل مفيداً في بعض الكلام ، وغير مفيد في بعض ، وأن يعلَّل تارة بالعناية ، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب حتى تطرد لهذا قوافيه ، ولذلك سجعهم ، ذاك لأنَّ من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ، ولا يدل أخرى ، فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام أنه قد أُختَصَّ بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير ، فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكلِّ حال . (٢)

فإفادة التقديم عنده مطردة في كل شيء وفي كل حال ، وقد خالفه في ذلك ابن الأثير فرأى أن التقديم له فائدتان :

إحداها : أن يكون للاختصاص .

وثانيهما : مراعاة النظم (٣) وعلى هذا سار كثير من علماء البلاغة المتأخرين . (٤)

(١) الدلائل ، رضا : ٨٣ ، خفاجي : ١٤٢ ، شاكر : ١٠٦ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٨٦-٨٧ ، خفاجي : ١٤٥ ، شاكر : ١١٠ .

(٣) المثل السائر : ٢ / ٢١٨ .

(٤) انظر : شروح التلخيص : ٢ / ١٥٠-١٥١ .

ثم ذكر الشيخ بعد ذلك مسائل التقديم ، ورأى أنه لا يستطيع أحد أن يتمتع من التفرقة بين تقديم ما قدم فيها ، وترك تقديمه ، فتمرض لتقديم همزة الاستفهام على الفعل والاسم ، ومواضع التقديم والتأخير مع النفي ، ومواضع التقديم والتأخير في الخبر المثبت ، ثم نكتة تقديم " مثل " و " غير " ، وأخيراً تقديم النكرة على الفعل وعكسه - وهذا الفصل لم يورد فيه شواهد شعرية - ، وكان الشيخ يُقَلِّب كل موضع على وجوهه المختلفة تقليب الخبر المتمرس ، ويبين الدلالات الفنية لكل وجه ، وأثرها في المعنى ، وأثر هذا المعنى في النفس ، فدل ذلك على أصالة فكره ، وبعد نظره ، وقدرته على سبر أغوار النفس ، وكشف خفاياها وأسرارها .

## ٢ - التقديم والتأخير في الفعل المضارع مع الاستفهام :

الشاهد الثاني والستون :- ( \* ) ( الطويل )

أَيَقْتَلِنِي وَالتَّشْرِفِي مَضَاجِعِي . . . وَمَسْنُونَةٌ زَرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ (٤) (٣)

( \* ) الدلائل ، رضا : ٩١ ، خفاجي : ١٥٧ ، شاكر : ١١٧ .

( ١ ) المَشْرِفِي : السيف يَنْعَمُ بالجودة ، ومَشْرِفِي منسوب إلى مشارف الشام ،

وهي أرض من قرى العرب ، تدنو من الريف ، وقيل هذا خطأ ، بل هي نسبة إلى

موضع من اليمن . / المصباح المنير " شرف " : ٣٣٢ / ١ ، وانظر :

معجم ما استعجم : ٢ / ١٢٣٠ .

( ٢ ) مسنونة زرق : أي نصال الرماح والسهام يعني سهماً محددة الأزجعة ،

ونعتت بزرق للدلالة على أنها صافية مجلوة فهي لشدة التماعها وبريقها تُرى

زرقاً ، والعرب تصف كل خبيث بالزرق ، ولذلك يقال هو أزرق العين . /

اللسان " زرق " : ١٣٨ / ١٠ - ١٣٩ .

( ٣ ) أغوال : مفرد غول ، وهو حيوان وهمي ، وذكره للتحويل وهو من السعالي

والجمع غيلان وأغوال ، وكل ما اغتال الإنسان وأهلكه فهول غول . /

المصباح المنير : ١١١ / ٢ .

( ٤ ) انظر البيت في ديوان أمري والقيس - السندوبي : ١٦٢ ، طبقات فحول

الشعراء : ٨٣ / ١ ، المعاني الكبير : ١٠٤٩ / ٢ ، شار القلوب : ٧٨ ، شرح

أورده الشيخ من غير نسبة ، وهو لامري والقيس من قصيدته التي مطلعها :  
 أَلَا عَيْمٌ صَبَاحًا أَيُّهَا الظَّلُّ البَالِي . . . وَهَلْ يَعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي العُصْرِ الخَالِي  
 وقبل الشاهد :

فَأَصْبَحْتَ مَعْشُوقًا وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا . . . عَلَيْهِ القَتَامُ سَيِّئِي وَالظَّنُّ وَالْبَسَالِ  
 يَفْطُ غَطِيطَ البَكْرِ شَدَّ خِنَاقَهُ . . . لِيَقْتُلَنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ يَقْتَالَ

وبعدهما بيت الشاهد وبعده :

وَلَيْسَ يَدْرِي رُمِحَ فَيَطْعَنُنِي بِهُ . . . وَلَيْسَ يَدْرِي سَيْفٍ وَلَيْسَ يَنْبِيَّالِ  
 لِيَقْتُلَنِي أَنِّي شَفَقْتُ فَرَادَهَا . . . كَمَا شَفَعَ المَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي

استشهد الشيخ بهذا البيت على أن الهزة هنا للإنكار التكنيدي بمعنى  
 " لا يمكن أن يكون " ، فعنده أن الهزة إذا دخلت على الفعل كان الشك في  
 الفعل نفسه ، وكان الإنكار متوجهاً إليه ، فإن كان الفعل مضارعاً كان الإنكار  
 تكنيدياً بمعنى " لا يكون " ، وإن كان ماضياً كان بمعنى " لم يكن " ومثاله قوله تعالى :  
 \* أَفَأَضْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِينَ ، وَاتَّخَذَ مِنَ المَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا <sup>(١)</sup> \*  
 فهذا تكذيب للمشركين ورد لما يفترونه ، فقد زعموا أن الملائكة إناث ،  
 وأن الله اصطفاهم ، واختصهم بالبينين ، فجاء الفعل أصطفى ، وقد قدمت عليه  
 الهزة للتكذيب أي أنه لم يكن .

وقد يكون الإنكار بمعنى التوبيخ أي " ما كان ينبغي أن يكون " هذا إذا كان  
 الفعل ماضياً ، ومعنى : " لا ينبغي أن يكون " إن كان الفعل مضارعاً يُراد به الحال .  
 ورأى الشيخ أن التقرير لا يكون إلا بالماضي والحال ، ولا يكون بالفعل المراد به  
 الاستقبال .

هذا ملخص ما أورده الشيخ من دخول الهزة على الفعل . قال :

=== الفصل : ٢ / ٩ / ٩٧ ، الإيضاح : ١ / ٢٢٦ - ٢٧٥ ، التلخيص : ٢٤٤ ، شرح  
 أبيات الإيضاح :- فيض الله :- ٣٧ ب ، شرح التلخيص - باب التشبيه : ٣٧ / ٣ .  
 ( ١ ) سورة الإسراء ، آية . ٤ .



"... وهذه مسائل لا يستطيع أحد أن يمتنع من التفريق بين تقديم ما قُدم فيها وترك تقديمه .

ومن أبين شيء في ذلك " الاستفهام بالهمزة " فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت : " أفعلت ؟ " ، فبدأت بالفعل ، كان الشك في الفعل نفسه ، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده .

وإذا قلت : " أنت فعلت ؟ " فبدأت بالاسم ، كان الشك في الفاعل من هو ، وكان التردد فيه . ومثال ذلك أنك تقول : " أبنيت السدار التي كنت على أن تبنيها ؟ " ، " أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقولهُ ؟ " ، " أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبهُ ؟ " تبدأ في هذا ونحوه بالفعل ؛ لأن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه ؛ لأنك في جميع ذلك مترددٌ في وجود الفعل وانتقائه ، مجوّزٌ أن يكون قد كان ، وأن يكون لم يكن .

وتقول : " أنت بنيت هذه الدار ؟ " ، " أنت قلت هذا الشعر ؟ " ، " أنت كتبت هذا الكتاب ؟ " ، فتبدأ في ذلك كله بالاسم ، ذاك لأنك لم تشكّ في الفعل أنه كان .

كيف ؟ وقد أشرت إلى الدار مبنية ، والشعر مقولاً ، والكتاب مكتوباً ، وإنما شككت في الفاعل من هو ؟

فهذا من الغرق لا يدفعه دافعٌ ، ولا يشكّ فيه شاكٌ ، ولا يخفى فسادهُ أحدهما في موضع الآخر .

فلو قلت : " أنت بنيت الدار التي كنت على أن تبنيها ؟ " ،... خرجت من كلام الناس ، وكذلك لو قلت أبنيت هذه الدار ؟ ... قلت ماليس بقول . ذاك لفساد أن تقول في الشيء المشاهد الذي هو نصب عينيك أوجودٌ أم لا ؟

ومثلاً يُعلم به ضرورة أنه لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم أنك

تقول : " أقلت شعراً قطَّ " ، " أ رأيت اليوم إنساناً ؟ " ، فيكون كلاماً مستقيماً ، ولو قلت : " أأنت قلت شعراً قط ؟ " ، " أأنت رأيت إنساناً " ، أخلت ، وذلك أنه لا معنى للسؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا ؛ لأن ذلك إنما يتصور إذا كانت الإشارة إلى فعل مخصوص نحو أن تقول : " من قال هذا الشعر ؟ " ، و " من بنى هذه الدار ؟ " . . . وما أشبه ذلك مما يمكن أن ينص فيه على معين ، فأما قيل شعراً على الجملة . . . فمحال ذلك فيه ؛ لأنه ليس ما يختص بهذا دون ذاك حتى يسأل عن عين فاعله . . . واعلم أن هذا الذي ذكرت لك في الهمزة وهي للاستفهام قائم فيها إذا هي كانت للتقرير ، فإذا قلت : " أأنت فعلت ذاك ؟ " ، كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل ( ١ ) .

ثم ذكر الشيخ أن للهمزة مذهباً آخر وهو إنكار أن يكون الفعل قد كان من أصله . قال :

" وأعلم أن الهمزة فيما ذكرنا تقرير بفعل قد كان ، وإنكار له لم كان ، وتوبيخ لفاعله عليه .

ولها مذهب آخر ، وهو أن يكون الإنكار أن يكون الفعل قد كان من أصله . ومثاله قوله تعالى :

\* أَفَأَصْحَابُكُمْ يُالْبِنِينَ ، وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا . . . \* ( ٢ ) ( ٣ )

وهذه الفروق الأربعة كانت بين تقديم الفعل ، وتقديم الاسم ، والفعل ماضٍ .

أما عن الفرق إذا كان الفعل مضارعاً فقد قال الشيخ :-

" والقول في ذلك أنك إذا قلت : " أتفعل ؟ " و " أأنت تفعل ؟ " لم يخل

( ١ ) الدلائل ، رضا : ٨٧-٨٨ ، خفاجي : ١٤٦-١٥١ ، شاکر : ١١١-١١٤ .

( ٢ ) الإسراء : ٤٠ .

( ٣ ) الدلائل ، رضا : ٨٩ ، خفاجي : ١٥٢-١٥٥ ، شاکر : ١١٤ .

من أن تريد الحال، أو الاستقبال، فإن أردت الحال كان المعنى شبيهاً بما مضى في الماضي، فإذا قلت: "أَفْعَلْتِ؟" و "أَأَنْتِ تَفْعَلِينَ؟" لم يخل من أن تريد الحال، أو الاستقبال. فإن أردت الحال كان المعنى شبيهاً بما مضى في الماضي، فإذا قلت: "أَفْعَلْتِ؟" كان المعنى أنك أردت أن تقرّره بفعل هو يفعله، وكنت كمن يُوهم أنه لا يعلم بالحقيقة أن الفعل كائن، وإذا قلت: "أَأَنْتِ تَفْعَلِينَ؟" كان المعنى على أنك تريد أن تقرّره بأنه الفاعل، وكان أمرُ الفعل في وجوده ظاهراً وحيث لا يحتاج إلى الإقرار بأنه كائن، وإن أردت به "تفعل" المستقبل، كان المعنى إذا بدأت بالفعل على أنك تعتمد بالإنكار إلى الفعل نفسه، وتزعم أنه لا يكون، أو أنه لا ينبغي أن يكون، فمثال الأول:

أَيَقْتَلْنِي وَالْمَشْرِفِي مَضَاجِعِي . . . . .

ومثال الثاني:

أَأَتْرُكُ أَنْ قَلَّتْ دَرَاهِمُ خَالِدٍ . . . زِيَارَتَهُ إِنِّي إِذَا لِلدَّائِمِ (١).

فامرؤ القيس قدم الهمزة على الفعل المضارع المراد به الاستقبال، فيكون الإنكار موجهاً للفعل نفسه لا للفاعل، ويراد به التكذيب، فقوله: "أَيَقْتَلْنِي" ليس إنكاراً لأن يكون القتل من الفاعل بل هو إنكار لفعل القتل، وأنه لن يكسبون. قال الشيخ:

"فهذا تكذيب منه لإنسان تهدده بالقتل، وإنكار أن يقدر على ذلك ويستطيعه (٢) فامرؤ القيس قد جرد بعل محبوبته من كل صفات البطولة، فهو منحط الشأن، كثير الهذيان، ليس له إلا الغطيط، وهو ليس بقاتل، وليس بذي رمح، وليس بذي سيف ولا نبل، وهذه الأوصاف كلها توهم بأن الإنكار في قوله: "أَيَقْتَلْنِي"

(١) الدلائل، رضا: ٩١-٩٢، خفاجي: ١٥٦-١٥٧، شاکر: ١١٦-١١٧.

(٢) الدلائل، رضا: ٩١، خفاجي: ١٥٧، شاکر: ١١٧.

متوجه إلى ذلك البعل أي "أهو يقتلني" ، ولكن الصورة التي رسمها أمرؤ القيس لنفسه تنفي هذا الوهم . حيث جعل سيفه مضاجعاً وملازماً له ، ثم استعانته بصورة الغول ، وهو أمر وهمي ليضفي الرعب والهول على صورة استعداد ، فهذا الاستعداد ، وهذا التأهب لا يمكن أن يكون لأجل شخص تلك صورته ، ومنزلته في الحقارة " وكان أميراً القيس لما أفرغ هذا الرجل من كل ما يهتم به الخصم من أحوال خصمه استشعر أن وراء هذا أنه لو كان أمراً ذا شأن لأخاف الشاعر ، فقال : أيقتلني ليرشد إلى أن قتله مستبعد منه ومن غيره ، وذكر عدته ؛ ليؤكد ذلك ، وبهذا يحقق معنى دقيقاً بين محظورين ، فلو أنه اكتفى بوصفه بالضعف ، والخور لما كان في ذلك تنويه بشجاعة الشاعر واقتداره ، ولو أنه اكتفى بوصف نفسه بالقوة ، وكمال العدة لأوهم أن صاحبها ما يحتفل بملاقاته (١) .

قال الشيخ :

" وجملة الأمر أن تقديم الاسم يقتضي أنك عمدت بالإنكار إلى ذات مسن قيل " إنه يفعل " أو قال هو " إني أفعل " وأردت ما تريد إذا قلت : ليس هو بالذي يفعل ، وليس مثله يفعل ، ولا يكون هذا المعنى إذا بدأت بالفعل فقلت : " أتفعل ؟ " .. وقد يتوهم المتوهم في الشيء من ذلك أنه يحتمل ، فإذا نظر لم يحتمل ، فمن ذلك قوله : " أيقتلني والمشرقي مضاجعي ؟ " وقد يظن الظان أنه يجوز أن يكون في معنى أنه ليس بالذي يجيء منه أن يقتل مثلي ، ويتعلق بأنه قال قبل :  
يَغْرِطُ غَطِيطَ الْبَكْرِ شَدَّ خِنَاقَهُ . . . لِيَقْتُلَنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ يَقْتَالَ  
ولكنه إذا نظر علم أنه لا يجوز ، وذلك لأنه قال : " والمشرقي مضاجعي " ، فذكر ما يكون منعاً من الفعل ، ومحال أن يقول : هو ممن لا يجيء منه الفعل ومع من يصح منه ، لا من هو منه محال ، ومن هو نفسه عنه عاجز ، فأعرفه (٢) .

(١) دلالات التراكيب : ٢٥١ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٩٢-٩٣ ، خفاجي : ١٥٩ ، شاکر : ١١٩ .

والبيت أوردته الخطيب في التلخيص شاهداً على التشبيه الوهمي في قوله :  
 " كَأَنْيَابِ أَعْوَالٍ " ، والتشبيه الوهمي : هو التشبيه غير المدرك بإحدى الحواس ،  
 ولكنه لو أدرك كان مدركاً بها ، فإن أنياب الغول مما لا يدركه الحس لعدم  
 تحققها مع أنها لو أدركت لم تدرك إلا بحس البصر .<sup>(١)</sup>

وأوردته في الإيضاح شاهداً على موضعين :

في باب الإنشاء<sup>(٢)</sup> ، وفي باب الفصل والوصل<sup>(٣)</sup> .

الشاهد الثالث والستون : ( \* ) ( الطويل )

أَتَرَكَ أَنْ قَلَّتْ دَرَاهِمُ خَالِدٍ . : زِيَارَتُهُ إِنِّي إِذَا لِلدَّيْمِ<sup>(٥)</sup>

- (١) التلخيص : ٢٤٤ ، الإيضاح : ٢ / ٣٣٦ .  
 (٢) الإيضاح : ١ / ٢٣٦ . (٣) المصدر السابق : ١ / ٢٧٥ .  
 (٤) الدلائل ، رضا : ٩٢ ، خفاجي : ١٥٧ ، شاكر : ١١٧ .  
 (٤) رواية الأغانى : " إن بكسر الهمة ، ويبدو أن رواية الدلائل أصوب ،  
 لأن " إن " بكسر الهمة تكون شرطية ، بمعنى أن الترك لن يكون  
 إلا إذا حصلت قلة الدراهم ، فصورت حالة الفقر بأنها لم تقع بعد .  
 أما " أن " بفتح الهمة فتكون بمعنى " لأن " ، فتصور أن حالة الفقر  
 وقلة الدراهم قد وقعت وحصلت ، وهذا ما تدل عليه الأبيات .  
 جاء في شرح أبيات الإيضاح : " تروى بفتح الهمة وبكسرها ، فإن  
 روى بفتح الهمة أريد لأن ، وإن روى بكسر الهمة كان شرطاً جزاءه  
 في قوله : أتترك .

(٥) انظر البيت في :

- الكامل - دار الفكر - : ١ / ٢١٢ ، الأغانى : ٢٤ / ٢٥٥ ،  
 العمدة : ١ / ٧٠ ، حماسة ابن الشجري : ١٣٣ ، الإيضاح : ١ / ٢٣٧ ،  
 شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٩ ، المستطرف : ١ / ١٦٥ .

أورده الشيخ من غيرنسبة ، وهو لعمارة بن عقيل<sup>(١)</sup> يمدح به خالد بن يزيد  
ابن يزيد الشيباني<sup>(٢)</sup> ، ويذم تميم بن خزيمة<sup>(٣)</sup> .  
ويعنده :

(١) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفي ، وكنيته أبو عقيل  
وهو شاعر ابن شاعر ، مقدم فصيح ، كان يسكن بادية البصرة ،  
ويزور الخلفاء في الدولة العباسية فيجزلون له العطاء ، ويمدح  
قوادهم وكتابهم ، فيحظي منهم بكل فائدة ، وكان النحاة يأخذون عنه  
اللغة ، وفيه قال محمد بن يزيد المبرد \* \* \* ختمت الفصاحة في شعر  
المحدثين بعمارة بن عقيل \* اتصل عمارة بإسحاق بن إبراهيم المصعبي ،  
وله فيه مدح كثير ، واجتمع الناس وكتبوا شعره ، وبقي إلى أيام الواثق ،  
ومدحه وعمى قبل موته ، ولد سنة ١٨٢ هـ ، وتوفي «سنة ٢٣٩ هـ» . /  
انظر ترجمته في : /

معجم الشعراء للمرزباني : ٢٤٧ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٦ ،  
الأغاني : ٢٤ / ٢٤٥ - ٢٥٨ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي :  
٢ / ١٤٣٩-١٤٣٢ ، الأعلام : ٥ / ٢٧ .

(٢) هو خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني أحد الولاة في  
العصر العباسي \* اشتهر بالجد والكرم \* ت : ٢٣٠ هـ ، ولعمارة  
ابن عقيل فيه مدائح كثيرة منها :  
تَأْتِي خَلَائِقُ خَالِدٍ وَفِعَالُهُ . . . إِلَّا تَجَنَّبَ كُلَّ أَمْرٍ عَائِبٍ  
وَإِذَا حَضَرْنَا الْبَابَ عِنْدَ عَدَائِهِ . . . أَنْ نَنْفُذَ لَنَا بِرَغْمِ الْحَاجِبِ  
انظر ترجمته في :

أخبار أبي تمام للصولي : ١٥٦ ، ١٥٨-١٦٦ ، الأغاني : ٢٤ / ٢٥٤-  
٢٥٥ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٢٤٨ ، جمهرة أنساب العرب :  
٣٢٦-٣٢٧ ، الأعلام : ٢ / ٣٠١ .

(٣) هو تميم بن خزيمة بن حازم النهشلي ، شيخ من شيوخ بني تميم ، وأمير من  
أمرائها ، عاصر المأمون ، وقد قصده الشاعر عمارة في حاجة له ، فلم يلتفت  
إليه ، ولم يُجِبْ مطلبه ، وحُجِبَ عنه ، فقصد خالد بن يزيد ، فأكرمه ، فقال الأبيات  
التي منها الشاهد / انظر : الأغاني : ٢٤ / ٢٥٣-٢٥٥ .

- (١) (٢) (٣) (٤)  
 وَقَدْ يَسْلَعُ الْمَرْءُ اللَّئِيمُ اصْطِنَاعَهُ .: وَيَعْتَلُّ نَقْدَ الْمَرْءِ وَهُوَ كَرِيمٌ  
 فَتَىَّ وَاسْطَفَى فِي ابْنِي نِزَارٍ مُحَبَّبًا .: إِلَى ابْنِي نِزَارٍ فِي الْخُطُوبِ عَمِيمٌ (٥)  
 فَلَيْتَ بِثَوْبِيهِ لَنَا كَانَ خَالِدًا .: وَكَانَ لِبَكْرِ بِالشَّرَاءِ تَمِيمٌ  
 فَيُصْبِحُ فِينَا سَابِقٌ مَتَمَّ سَلٌّ .: وَيُصْبِحُ فِي بَكْرِ أَعْمٌ بِهِ سِيمٌ (٦)
- والشاهد فيه كسابقه حيث قدم الهمزة على الفعل المضارع المراد به الاستقبال ،  
 فيكون الإنكار للفعل ذاته ، وهو بمعنى " لن يكون ذلك مني " ، وهو إنكار تكذيبي ،  
 فالشاعر حين أنكر تحقق ترك الزيارة ، أكد بذلك وفاءه للممدوح في جميع  
 الأحوال ؛ لأن حدث ترك الزيارة معناه إثبات صفة اللؤم ولزومها له ، وهذا أمر  
 يستقبحه الشاعر ، ولكي يزجر النفوس عن ترك الأعبة في وقت الشدة جاء بقوله :  
 " إِيَّتِي إِذَا لِلئِيمِ " ، فأكد صفة اللؤم التي تنفر منها النفوس " بأن " و " لام التوكيد "

- (١) رواية الأغاني : " فقد " .  
 (٢) السَّلْعُ : الشَّقُّ ، وَالسَّلْعُ شَقٌّ فِي الْجَبَلِ كَهَيْئَةِ الصَّدْعِ ، وَجَمْعُهُ أَسْلَاعٌ ،  
 وَسَلْعٌ / اللِّسَانُ : " سَلْعٌ " : ١٦٠ / ٨ .  
 (٣) يَرُوعُ بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ لِلئِيمِ ، أَوْ عَلَى النَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ شَبِيهُ بِالْمَفْعُولِ  
 بِهِ ، جَاءَ فِي الْكَامِلِ : " مِنْ رَفْعِ الْمَرْءِ نَصْبَ اصْطِنَاعِهِ ، وَمِنْ نَصْبِ الْمَرْءِ رَفْعَ  
 اصْطِنَاعِهِ " .  
 (٤) ذَكَرَ فِي الْأَغَانِي أَنَّ الْبَيْتَ بَعْدَ الشَّاهِدِ :  
 فَلَيْتَ بِثَوْبِيهِ لَنَا كَانَ خَالِدًا .: وَكَانَ لِبَكْرِ بِالشَّرَاءِ تَمِيمٌ  
 (٥) هَذَا الْبَيْتُ غَيْرُ مَذْكُورٍ فِي الْأَغَانِي .  
 (٦) ذَكَرَ هَذَا الْبَيْتَ فِي الْأَغَانِي بَعْدَ قَوْلِهِ :  
 " فَلَيْتَ بِثَوْبِيهِ لَنَا كَانَ خَالِدًا " .  
 هَذِهِ الْأَبْيَاتُ لَمْ تَذَكَرْ إِلَّا فِي :  
 الْكَامِلِ لِلْمَبْرَدِ - دَارُ الْفِكْرِ - : ١ / ٢١٣ ، الْأَغَانِي :  
 ٢٤ / ٢٥٥ ( مَاعِدَا الْبَيْتِ الثَّانِي ) ، وَذَكَرَ بَعْضُهَا فِي حِمَاسَةِ ابْنِ الشَّجَرِيِّ :  
 ١٣٣ ، وَرَوَايَةُ ابْنِ الشَّجَرِيِّ لِلْبَيْتِ الْأَخِيرِ :  
 فَيُصْبِحُ فِي قَوْبي أَعْرُ مَحْجَلٌ .: وَيُصْبِحُ فِي بَكْرِ أَعْمٌ بِهِ سِيمٌ .

وذلك لاستبعاد الترك ، وكأنه يعرّض بهذه الجملة بتعيم بن خزيمة ، وأن هذا الأمر يحصل منه ، فهو على بخله لئيم ، فالرجل قد يكثر ماله ، وهو ذميم ، وقد ينضب مال رجل آخر ، وهو مع ذلك كريم رفيع المحامد ، وأراد بالأخير ، وصف خالد بن يزيد بالكرم والمجد مع قلة ماله .

ومثل قول عمارة في المعنى قول أبي نواس يعتذر إلى ابن الهيثم :  
أَقْنَعُ الْمَعْرُوفَ وَهُوَ كَأَنَّهُ . : قَمَرُ الدُّجَى إِنِّي إِذَا لِللَّيْمِ ( ١ )

الشاهد الرابع والستون : ( \* ) ( الكامل )

قول ابن أبي عيينة : ( ٢ )

- ( ١ ) تحرير التعبير : ٣ / ٦١٩ .  
( \* ) الدلائل ، رضا : ٩٥ ، خفاجي : ١٦٠ ، شاكر : ( ١٢ ) .  
( ٢ ) جاء في الأغاني : أن ابن أبي عيينة هو محمد بن أبي عيينة قال : \* وابن أبي عيينة هو محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة \* : ٢٠ / ٧٥ ، وذكر في موضع آخر أن محمداً هو أبوه قال :  
\* أبو عيينة الشاعر هو أبو عيينة بن المنجاب بن أبي عيينة بن المهلب ، وكان محمد بن أبي عيينة أبو أبي عيينة الشاعر ، يتولى الري ، لأبي جعفر المنصور \* : ٢٠ / ٧٩ .  
وجاء في معجم الشعراء للمرزياني : -  
\* أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة \* : ٢٦٧ .  
وجاء في الكامل للمبرد أن ابن أبي عيينة هو عبد الله بن محمد بن أبي عيينة ، وقد أورد هذا البيت منسوباً إليه مع بعض الأبيات الأخرى .  
وإبن أبي عيينة شاعر مطبوع غزال هجاء . قال الجاحظ : -  
\* والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلي ، والسيد الحميري ، وأبو العتاهية ، وابن أبي عيينة . . . . \*  
وعنه قال المرزياني : - \* وأبو عيينة هذا من أطبع الناس وأقربهم مأخذاً في الشعر وأقلهم تكلفاً \* .

ويبدو أن الشيخ عبد الهادي العدل في كتابه \* دراسات تفصيلية لبلاغة =====



فَدَعِ الْوَعِيدَ فَمَا وَعَيْدَكَ ضَائِرِي . . أَطْنِينَ أَجْنِحَةَ الذَّبَابِ يَضِيرُ  
 (٢) وهذا البيت قاله عبد الله بن أبي عيينة لعلي بن محمد بن جعفر  
 (٣) وكان دعاه إلى نصرته حين ظهرت المبيضة فلم يجبه ، فتوعده ، فقال عبد الله :  
 (٤)

====  
 عبد القاهر \* قد نسب الأبيات إلى محمد بن أبي عيينة والد الشاعر .  
 أما الشيخ العباسي في معاهد التنصيص ، فقد ذكر أنه لا يعرف قائلها ،  
 وأنا رأيت صاحب الدر الفريد ينسبها إلى عبد الله بن محمد بن أبي عيينة .  
 وهذا ما ورد في كتاب الكامل للمبرد / انظر ترجمته . في :  
 البيان والتبيين : ١ / ٥٠ - ٣٦١ ، ٤ / ٤٨ - ٧٦ ، الشعر والشعراء :  
 ٢ / ٨٧٦ ، الكامل للمبرد : - مكتبة المعارف - : ١ / ٢٤٩ - ٢٥٨ ، معجم  
 الشعراء : ٢٦٧ ، الأغانى : ١١٩ - ٧٥ / ٢٠ .

( ١ ) رواية الكامل : \* أَطْنِينَ أَجْنِحَةَ الْبَقُوضِ \* .

( ٢ ) انظر البيت في :

الكامل للمبرد : - مكتبة المعارف - : ١ / ٢٥٧ ، التلخيص : ٣٩٦ . أورده  
 القزويني في علم البديع في " رد العجز على الصدر " من غير نسبة .  
 الإيضاح : ٢ / ٥٤٦ ، وذكره في علم البديع من غير نسبة ، معاهد  
 التنصيص : ٣ / ٢٨٨ ، رقم الشاهد ( ١٧٦ ) ، أنوار الربيع : ٣ / ١٠٣ ،  
 ذكره في " رد العجز على الصدر " .

( ٣ ) هو علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي  
 طالب رضي الله عنهم . كان والده محمداً شيخاً وداعاً محبوباً في الناس  
 مفارقاً لما عليه كثير من أهل بيته من قبح السيرة ، وكان يروى العلم عن أبيه  
 جعفر ، اجتمع عليه ابنه علي ، والحسين بن الحسن الأقطس وأقنعوه بقبول  
 الخلافة ، وكان كارهاً لها ، فقبلها علي مضمض ، وكان ليس له من الأمر  
 إلا اسمه ، وكان ابنه علياً أسوأ ما كان سيرة وأقبح ما كان فعلاً . انظر :  
 تاريخ الطبري : ٨ / ٥٣٧ - ٥٣٨ ، رأى الشيخ عبد الهادي العدل أن الخطاب  
 هنا موجه لابن عم الشاعر خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ،  
 ولعله توهم ذلك لما لابن أبي عيينة من أهاج كثيرة في ابن عمه هذا .

( ٤ ) المبيضة : بكسر الياء فرقة من الثنوية ، وهم أصحاب المقتع سموا بذلك  
 لتبييضهم ثيابهم خلافاً للسودة من أصحاب الدولة العباسية .

أَعْلَىٰ إِنَّكَ جَاهِلٌ مَفْسُورٌ .: لَا ظَلَمَةٌ لَكَ لَا وَلَا لَكَ نُورٌ  
أَكْتَبْتُ<sup>(١)</sup> تُوَعِدُنِي أَنْ آسْتَبْطِئْتَنِي .: إِيَّتِي بِحَرْبِكَ مَا حَيَّيْتُ جَدِيرُ

وبعدها الشاهد وبعده :

وَإِذَا أَرْتَحَلْتُ فَإِنَّ نَصْرِي لِلأُولَى .: أَبَوَاهُمُ المَهْدِيُّ وَالْمَنْصُورُ  
نَبَّتَ عَلَيْهِ لِحَوْمَنَا وَدِمَائُنَا .: وَعَلَيْهِ قَدَّرَ سَعِينَا المَشْكُورُ<sup>(٢)</sup> (٣)

الشاهد في البيت : أن إنكار الأمر المستحيل الوقوع بالهمزة إنما يأتي  
على سبيل التمثيل ، وذلك بتنزيل المخاطب الذي يطلب الأمر المستحيل بمنزلة  
من يستطيعه .

قال الشيخ :

" . . . وإن قد عرفت ذلك فإنه لا يقرَّر بالمحال وما لا يقول أحد إنـه  
يكون إلا على سبيل التمثيل ، وعلى أن يقال له إنك في دعواك ما أديعت  
بمنزلة من يدعي هذا المحال ، وإنك في طمعك في الذي طمعت فيه  
بمنزلة من يطمع في الممتنع<sup>(٤)</sup> ."

فالكلام في البيت ليس على ظاهره ، وإن لا يدعي أحد أن طنين الذباب  
يضير ؛ لأن وقوع الضرر منه مستحيل ، فهو وإن ا على التمثيل ، وذلك بتنزيل المخاطب  
- في دعواه أن وعيده الذي لا يؤبه له " يضير " - منزلة من يدعي أن طنين أجنحة  
الذباب يضير ، ووجه الشبه أن كلا قد ادعى دعوى كاذبة<sup>(٥)</sup> .

=== انظر: تاريخ الطبري: ٩/٢٥٧، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣١١، ٣٤٣، اللسان :

" بيض " : ١٢٨/٧ .

(١) رواية المعاهد : " أبعثت " .

(٢) رواية معاهد التنصيص : " بُنيت " .

(٣) انظر الأبيات في :

الكامل للمبرد - مكتبة المعارف - : ١ / ٢٥٧ ، معاهد التنصيص : ٢٨٨/٣ ،

رقم الشاهد : " ١٧٦ "

(٤) الدلائل ، رضا : ٩٤ ، خفاجي : ١٥٩-١٦٠ ، شاکر : ١٢٠ .

(٥) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر : ٢٦٨ .

قال الشيخ :

" جهله كأنه قد ظن أن طنين أجنحة الذباب بمثابة ما يضير حتى ظن أن وعيده يضير (١) ."

والبيت فيه استخفاف، واستهانة بالمهجوم من عدة وجوه : حيث استعمل فعل الأمر " دع " وفيه تحقير أي اترك الوعيد ، فأنت أعجز وأصغر شأنًا من أن تتوعد . استعماله النفي : " فما وعيدك ضائري " وفيه استبعاد حصول الضرر . ولكي تكتمل صورة الاستخفاف جاء بالتشبيه الضمني في أسلوب الاستفهام الإنكاري ، فدخلت الهمزة على الاسم ، وهذا معناه إنكار الفاعل ، وهو الطنين ، وبالتالي إنكار وعيده ، حيث شبه وعيده الذي لا يعبا به بطنين أجنحة الذباب ، ووجه الإنكار لهما عن طريق الهمزة .

والبيت يستشهد به البلاغيون في علم البديع على موضوع " رد العجز على الصدر " وهو من النوع الذي يقع فيه أحد اللفظين الملحقين بالمتجانسين في آخر البيت ، والآخري في آخر المصراع الأول (٢) .

وأشار الشيخ عبد القاهر في هذا الفصل إلى فائدة جليلة وهي : أن محض المعنى في الأبيات السابقة ليس هو الإنكار ، ولو كان محض المعنى هو الإنكار لم يكن هناك فرق بين الإنكار بالهمزة ، والإنكار بالنفي الصريح .

فالإنكار بالهمزة له ميزة أخرى وهي إشراك السامع في التفكير في الحقائق المعروضة ، فهو لا يفرض عليه الحكم فرضاً ، لأن طريقة الفرض فيها ثقل على النفس ، وإنما فيه تنبيه للسامع بأن يراجع نفسه ، ويعرف حقيقته ، فيرتدع ، كأن يدعي القدرة على فعل ما لا يقدر عليه ، أو أن يهمل بفعل ما لا يستصوب فعله ، فإذا رُوجع تنبه وعرف الخطأ . قال الشيخ :-

(١) الدلائل ، رضا : ٩٥ ، خفاجي : ١٦٠ ، شاكر : ١٢١ .  
(٢) انظر : التلخيص : ٣٩٣ ، معاهد التنصيص : ٣ / ٢٨٨ ، أنوار البديع :

• وأعلم أنا وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار، فإن الذي هو محض المعنى أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل، ويرتدع ويعيى بالجواب، إما لأنه قد ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه، فإذا ثبت على دعواه قيل له: " فافعل "، فيفضحه ذلك، وإما لأنه هم بأن يفعل ما لا يستصوب فعله، فإذا روجع فيه تنبه وعرف الخطأ، وإما لأنه جوز وجود أمر لا يوجد مثله، فإذا ثبت على تجويزه وبخ على تعنته وقت قيل له: " فأرنا في موضع وفي حال، وأقم شاهداً على أنه كان في وقت " ولو كان يكون للإنكار، وكان المعنى فيه من بدء الأمر، لكان ينبغي أن لا يجيء فيما لا يقول عاقل إنه يكون، حتى ينكر عليه كقولهم: " أتصعد إلى السماء؟ "، " أتستطيع أن تنقل الجبال؟ "، " أإلى رث ماضى سبيل؟ " (١).

٥ - مواضع التقديم والتأخير مع النفي :-

الشاهد الخامس والستون :- (\* ) ( المتقارب )

قوله :-

وَمَا أَنَا أَسَقَمْتُ جِسْمِي بِهِ . : وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا ( ٢ )

والبيت أوردته الشيخ من غير نسبة، وهو للمتنبى من قصيدة يعتذر فيها

لسيف الدولة حين استبطأ مدحه، ومطلعها :-

أَرَى ذَلِكَ الْقُرْبَ صَارَ أَزْوَرًا . : وَصَارَ طَوِيلَ السَّلَامِ آخِصًا زَارًا

( ١ ) الدلائل، رضا: ٩٣-٩٤، خفاجي: ١٥٩، شاكر: ١١٩-١٢٠.

( \* ) الدلائل، رضا: ٩٧، خفاجي: ١٦٢، شاكر: ١٢٥.

( ٢ ) انظر البيت في: ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٩٥/٢، الطرائف

الأدبية " المختار من دواوين المتنبى والبحثري وأبي تمام " : ٢١٣، الإيضاح

١/١٣٧، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٢١ ب .

وقبل الشاهد :

وَأَعْلَمُ أَنِّي إِذَا مَا عَفَّزْتُ (م) . تِ إِلَيْكَ أَرَادَ أَعْتَدَارِي أَعْتَدَارَا  
وَلَكِنْ حَتَّى الشَّعْرَ إِلَّا الْقَلْبَ . لَمْ هَمُّ حَتَّى النَّوْمِ إِلَّا غِرَارَا  
كَفَرْتُ مَكَارِمَكَ الْبَاهِرَا . تِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنِّي أَخْتِيَارَا  
(١)

ومعدها الشاهد ومعده :

فَلَا تُزِمَّنِي ذُنُوبَ الزَّمَانِ (م) إِلَى أَسَاءٍ وَإِيَّايَ ضَارَا  
وَعِنْدِي لَكَ الشَّرُّ السَّائِرَا . تِ لَا يَخْتَصِمَنَّ مِنَ الْأَرْضِ دَارَا  
قَوَافٍ إِذَا يَسْرَنَ عَنِّي يَقُولِي . وَثَبْنَ الْجِبَالَ وَخَضْنَ الْبَحَارَا (٢)

استشهد الشيخ بهذا الشاهد على أن تقديم الاسم يقتضى وجود الفعل ،  
فالقاعدة عنده أنه إذا ولي الاسم حرف النفي ، فإن النفي يتجه إلى نفي فاعل  
فعل قد ثبت حصوله ، وتحقق ، أما إذا ولي الفعل النفي كان النفي لشيء ، لم  
يثبت حصوله . قال الشيخ :

" وإن قد عرفت هذه المسائل في الاستفهام ، فهذه مسائل فسي

النفي إذا قلت : ما فعلت ، كنت نفيت عنك فعلاً لم يثبت أنه مفعول ،

وإذا قلت : ما أنا فعلت كنت نفيت عنك فعلاً ثبت أنه مفعول (٣) .

وإذا تقدم الاسم على الفعل مع تقدم حرف النفي لا يجوز أن يكون المنفسي

عاماً ، بل يجب أن يكون محدداً ، فلا يجوز أن تقول :

" ما أنا قلت شعراً قط ، وما أنا أكلت اليوم شيئاً " ؛ لأنك تنفي الفعل عن

ذاتك ، وتثبت أن هناك أحداً قد قال كل شعر ، وأكل كل شيء ، وهذا محال .

(١) ذكر في الطرائف الأدبية قوله :

وَلَكِنْ حَتَّى الشَّعْرَ إِلَّا الْقَلْبَ . لَمْ هَمُّ حَتَّى النَّوْمِ إِلَّا غِرَارَا

قبل بيت الشاهد .

(٢) ديوانه بشرح العكبري : ٢ / ٩٤ - ٩٥ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٩٧ ، خفاجي : ١٦٢ ، شاکر : ١٢٤ .

أما إذا تقدم النفي على الفعل ، فيجوز أن يكون الفعل عاماً ، فلك أن تقول :  
 " ما قلت شعراً قط " ، لأنك نفيت الفعل عن نفسك من غير أن تشنيه لغيرك .

قال الشيخ :-

" ومن أجل ذلك صلح في الوجه الأول أن يكون المنفي عاماً كقولك : " ما قلت شعراً قط " ، " وما أكلت اليوم شيئاً " ، " وما رأيت أحداً من الناس " ، ولم يصلح في الوجه الثاني ، فكان خلفاً أن تقول : " ما أنا قلت شعراً قط " ، " وما أنا أكلت اليوم شيئاً " ، " وما أنا رأيت أحداً من الناس " ، وذلك لأنه يقتضي المحال ، وهو أن يكون ههنا إنسان قد قال كل شعر في الدنيا ، وأكل كل شيء يؤكل ، ورأى كل أحد من الناس فنفيت أن تكونه " (١) .

فالشاعر في بيت الشاهد يثبت أن السقم ثابت موجود ، وليس القصد إلى نفيه بل أن يكون هو الجالب له ، وأن يكون قد جره إلى نفسه ، وأثبتته بذلك للهائم الذي اعتراه . قال الشيخ :

" المعنى كما لا يخفى على أن السقم ثابت موجود ، وليس القصد بالنفي إليه ، ولكن أن يكون هو الجالب له ، ويكون قد جره إلى نفسه " (٢) .

ففي تقديم المسند إليه المسبوق بنفي على الخبر الغعلي قصر واختصاص هذا على مذهب الشيخ عبد القاهر .

فقد اختلف علماء البلاغة في صور إفادة تقديم المسند إليه على الخبر الغعلي القصر ، فأشترط الإمام عبد القاهر أن يتقدم المسند إليه حرف نفي ، سواء كان المسند إليه نكرة أم معرفة ظاهراً أم مضمراً ، فإن لم يتقدمه حرف نفي أصلاً ، أو كان متأخراً فتارة يفيد التقديم الاختصاص ، وأخرى يفيد التقوي من غير تفريق

(١) الدلائل ، رضا : ٩٧ ، خفاجي : ١٦٢ ، شاكر : ١٢٤ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٩٧ ، خفاجي : ١٦٣ ، شاكر : ١٢٥ .

بين النكرة والمعرفة ، ظاهرة أو مضمرة ، فحاصل مذهبه التعويل على حرف النفي .

هذا على ما ذكره صاحب الإيضاح ، وعبارته :

« . . . لأن ظاهر كلام الشيخ فيما يليه حرف النفي ، القطع بأنه يفيد

التخصيص مضمراً كان أو مظهراً ، معرفاً أو منكرًا ، من غير شرط ، لكنه لم يمثّل

إلا بالمضمّر (١) .

أما السكاكي ، فحاصل مذهبه : إن كان المسند إليه نكرة ، فهو للتخصيص ،

وإن كان معرفة « اسماً ظاهراً » ، فلا يكون إلا للتقوي ، أما إذا كان معرفة مضمرة ،

فيحتمل الأمرين التقوي والتخصيص ، ولم يشترط السكاكي ما اشترطه الإمام عبد القاهر

من تقديم حرف النفي ، وإنما اشترط في إفادة التقديم الاختصاص عدة أمور منها :

جواز تأخير المسند إليه على أن يكون فاعلاً في المعنى فقط كقول القائل :

« أنا درست » ، فيجوز أن تقدر أن أصله « درست أنا » على أن يكون الضمير

« أنا » تأكيداً للفاعل في درست .

ومنها : تقدير كونه مؤخراً في الأصل ، وقدم لإفادة التخصيص . (٢)

فالشاعر في بيت الشاهد « يكن لسيف الدولة حياً صادقاً ، ووفاءً عجيباً ، فحسين

علم بلومه وعتابه ، ثارت أحاسيسه ، وأراد أن يُبْرِئَ نفسه ، ويمحو ماطق في نفس

سيف الدولة ، فلم يَرِ طريقاً للبراءة إلا أسلوب القصر يحمله كل أعذاره ، وينفي عنه

نفياً قاطعاً كل ما اتهم به . » فقله : « ما أنا أسقت جسي » معناه أن هذا السقم

في جسي ، وهذا الضنى لم أفعله أنا وإنما فعله غيري ، وقوله : « . . . ولا أنا

أضرت في القلب ناراً » أي أن هذا الجوى ، وهذا الوجد الذي يستعر في فؤادي

لم أشعله أنا ، ووراء هذا التركيب معنى لطيف هو عجز الشاعر أمام عواطفه

المشبوذة ، والتي سببت هذا السقم ، وهذا الوجد ، وكأنه يقول : لو كان الأمر

(١) الإيضاح : ١ / ١٤٤ .

(٢) انظر : المفتاح : ١٠٠-١٠١ ، الإيضاح : ١ / ١٤٤-١٤٧ ، شرح التلخيص :

بيدي لأنفذت نفسي من هذا الذي أجده ، ولكن لا طاقة لي بذلك ، وهذا  
معنى جيد (١) .

الشاهد السادس والستون : ( \* ) ( الطويل )

قوله :

وَمَا أَنَا وَحْدِي قَلْتُ ذَا الشَّعْرُ كُلَّهُ . . .

أورد الشيخ الصدر ون العجز، ومن غير نسبة ، والشاهد صدر بيت للمتنبى  
وتامسه :-

وَلَكِنَّ لِشِعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرٌ ( ٢ )

وهو من قصيدة يمدح بها علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي (٣) ، مطلعها :

أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ قَوَارِسِهَا الدَّهْرُ . . . وَحِيدًا وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ ( ٤ )

وقبل الشاهد :

وَمَا قَلْتُ مِنْ شِعْرٍ تَكَادُ بِيَوْمَتِهِ . . . إِذَا كَتَيْتَ يَبِيضُ مِنْ نُورِهَا الْحَبْرُ  
كَأَنَّ الْمَعَارِنِي فِي فَصَاحَةِ لَفْظِهَا . . . نَجْمُ الثَّرْيَا أَوْ خَلَائِقُكَ الزُّهْرُ  
وَجَنَّبَنِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ مَقْتَبَهَا . . . وَمَا يَقْتَضِينِي مِنْ جَمَاعِمِهَا النَّسْرُ

( ١ ) خصائص التراكيب : ١٧٧ .

( \* ) الدلائل ، رضا : ٩٧ ، خفاجي : ١٦٣ ، شاكر : ١٢٥ .

( ٢ ) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١٥٨ / ٢ ، العرف الطيب : ٦٧ / ٣ .

( ٣ ) هو علي بن أحمد الأنطاكي الملقب بالمجتبي أبو القاسم " . . . - ٣٧٦ هـ "

حاسب مهندس ، من أهل أنطاكية ، استوطن بغداد وتوفي فيها ، وكان  
من أصحاب عضد الدولة ابن بويه ، المقدمين عنده ، له مؤلفات عدة  
منها : " التخت الكبير " في الحاسب الهندسي ، و " تفسير الأرتماطيقى "  
و " شرح إقليدس " و " استخراج التراجم " ، كان فصيحاً من الموصوفيين  
بحسن البيان . / انظر :

تاريخ الحكماء : ٢٣٤ ، الأعلام : ٤ / ٢٥٣ - ٢٥٤ .

( ٤ ) ديوانه بشرح العكبري : ١٤٨ / ٢ ، العرف الطيب : ٥٩ / ٣ .



وَلَرَّيْتُ رَأَيْتُ الضَّرَّ أَحْسَنَ مَنظَرًا . . وَأَهْوَنَ مِن مَرَأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبَرُ  
لِسَانِي وَعَيْنِي وَالْفَوَادُ وَهَمَّيْتِي . . أَوَدُّ اللَّوَاتِي ذَا اسْمِهَا مِنكَ وَالشَّطْرُ

وبعد هذا البيت وعده :

وَمَاذَا الَّذِي فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ رَوْنَقًا . . وَلَكِنْ بَدَا فِي وَجْهِهِ نَحْوُكَ الْبِشْرُ  
وَلَرَّيْتُ وَلَوْ نِلْتِ السَّمَاءَ لَعَالِمٌ . . بِأَنَّكَ مَا نِلْتِ الَّذِي يُوجِبُ الْقَدْرُ  
أَزَالَتْ بِكَ الْأَيَّامَ عَتِّي كَأَنَّهَا . . بَنُوهَا لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عُدْرُ (١)

الشاهد فيه كسابقه، وهو أن تقديم الاسم المنفي يقتضي وجود الفعل، فالشاعر هنا لم يرد نفي قول الشعر وإنما أراد أن ينفي عن نفسه شيئاً ثبت حصوله، وهو قول الشعر، فالشاعر أراد أن يثبت لمدوحه عظيم الخصال، ورفع الصفات، فجاء بأسلوب القصر هذا وركبه أحسن ما يكون التركيب، فأعقب النفي " ما " الضمير " أنا " وأكدته بلفظ " وحدي "، وجاء بأسم الإشارة " ذا " ليعلي من قيمة الشعر المقول، ويثبت كثرته، فنفي عن نفسه أن يكون هو وحده الذي صاغ هذا الشعر الفخم الكثير، وأثبت ذلك لصفات المدوح . فهي لعظما وحسنا، وفخامتها ألهمته وأوحت إليه بالكثير من القول الجيد، فكانها بهذا الإلهام هي التي قالت هذا الشعر.

هـ - التقديم والتأخير في الخبر :

الشاهد السابع والستون :- ( \* ) ( الطويل )

مَهْمٌ يُفْرِشُونَ اللَّبَدَ كُلَّ طَيْرَةٍ . . وَأَجْرَدَ سَبَّاحٌ يَبْدُ الْمُغَالِيَا (٩)  
(٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨)

(١) ديوانه بشرح العكبري : ٢ / ١٥٧ - ١٥٩ ، العرف الطيب :

٦٧-٦٥/٣

( \* ) الدلائل ، رضا : ١٠٠ ، خفاجي : ١٦٥ ، شاكر : ١٢٩ .

(٢) يُفْرِشُونَ : بضم الياء يجعلون اللبد فراشاً لظهور كل حجر وثابسة ،

وكل فحل كريم ، ويروي بعضهم يُفْرِشُونَ بفتح الياء .

وهو من فَرَشَ الشَّيْءَ وَيَفْرِشُهُ وَيَفْرِشُهُ فَرَشًا وَفَرَشَهُ فَاثْفَرَشَ =====

.....

- ====
- (٣) وافترشه : بسطه / اللسان : " فرش " : ٦ / ٣٢٦ .  
 اللَّيْدُ : أي لَيْدُ السَّرَجِ ، وَالْبَيْدُ السَّرَجِ عمل له لَيْدًا ، وَاللَّيْدَةُ كمل  
 شَعْرٍ أو صوفٍ مُلْتَبِدٍ بعضه على بعض / اللسان " ليد " :
- ٣ / ٣٨٦ .
- (٤) طِمْرَةٌ : الفرس الجواد ، وقيل هو : المستفز للوثب ، والعدو ، وقيل :  
 هو الطويل القوائم الخفيف ، وقيل المستعد للعدو / اللسان " طمر " :
- ٤ / ٥٠٣ .
- (٥) وأجرد : الأجرد من الخيل والدواب كلها : القصير الشعر حتى يقال :  
 إنه لأجرد القوائم ، وقيل الأجرد الذي رق شعره وقصر ، وهو مدح /  
 اللسان : " جرد " : ٣ / ١١٦ .
- (٦) سَبَّاحٌ : صيغة بالغة من سَبَّحَ ، سَبَّحَ الفرس : جَرَّه ، وفرس سببوح  
 وسابح يسبح بيديه في سيره أي سريع الجري / اللسان : " سبح " :
- ٢ / ٤٧٠ .
- (٧) يئذ : يسبق وهو من بَدَّ القوم يئذ هم بَدَأُ : سبقهم وغلَّبهم ، وكل غالب  
 بان / اللسان " بئذ " : ٣ / ٤٧٧ .
- (٨) المغاليا : إن ضمت الميم جاز أن يراد به السهم نفسه ، أو فرس يفاليه ،  
 وجاز أن يراد به الرافع يده بالسهم يريد به أقصى الغاية ، ويقال : بيني  
 وبينه غلوة سهم ، كما يقال قيد رمح وقاب قوس ، وإن فتحت الميم يكون  
 جمعاً للمغلاة ، وهي السهم يتخذ للمغلاة ، والمُعالي بضم الميم والعين  
 غير معجمة الذي يريد أن يعلوه ولا يقدر على ذلك لطوله . / انظر :  
 شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٧٦٤ ، شرح الحماسة للتبريزي :  
 ٤ / ١٣٦ ، ورواية الدلائل والإيضاح : " المغاليا " بالباء .
- (٩) انظر البيت في :
- الحماسة : ٢ / ٣٧٨ ، الزهرة : ٢ / ٧٥٤ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي :  
 ٤ / ١٧٦٣ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ١٣٦ ، الإيضاح :  
 ١ / ١٤١ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٢١ ب .

أورده الشيخ من غير نسبة ، وهو للمعذل بن عبد الله الليثي (١) .

والشاهد أحد أبيات خمسة هي :

جَزَى اللَّهُ فِتْيَانَ الْعَتِيكِ وَإِنَّ نَأْتِ . . . بِي الدَّارِ عَنْهُمْ خَيْرَ مَا كَانَ جَارِيَا  
 هُمْ خَلَطُونِي بِالنَّفُوسِ وَأَكْرَمُوا الـ (٢) صَحَابَةَ لَمَّا حَمَّ مَا كُنْتُ لَأَقِيَا  
 هُمْ يُفْرِشُونَ اللَّبَدَ كُلَّ طِمْرَةٍ . . . وَأَجْرَدَ سَبَّاحٍ يَبْذُ الْمُغَالِيَا  
 طَعَامَهُمْ فَوْضَى قَضَا فِي رِحَالِهِمْ . . . وَلَا يُحْسِنُونَ السَّرَّ إِلَّا تَنَابِيَا  
 كَأَنَّ دَنَابِيرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ . . . إِذَا الْمَوْتُ لِلْأَبْطَالِ كَانَ تَحَاسِيَا  
 (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨)

(١) في الزهرة المعذل العبيدي ، وفي معجم الشعراء المعذل البكري ، وهو أحد بني قيس بن ثعلبة شاعر إسلامي كان موجوداً في دولة بني أمية ، قدم على المهلب بن أبي صفرة بخراسان ، وأنشده شيئاً من شعره ، فأعطاه خمسين وصيفاً ، ومدح أيضاً النّهاس بن ربيعة العتكي . / انظر ترجمته : معجم الشعراء : ٣٨٨ ، شرح الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٧٦٣-١٧٦٥ ،

شرح الحماسة للتبريزي : ٤ / ١٣٦-١٣٧ .

(٢) ذكر المرزباني مكانه : « مَتَاعُهُمْ فَوْضَى قَضَا فِي دِيَارِهِمْ . . . »  
 وجعل قبل البيت الأخير : « هُمْ خَلَطُونِي بِالنَّفُوسِ وَأَكْرَمُوا . . . »

(٣) رواية معجم الشعراء : « مَتَاعُهُمْ . . . »

ورواية الزهرة : « أَكْرَمُوا . . . »

(٤) رواية الزهرة : « بِمَا فِي رِحَالِهِمْ . . . »

(٥) رواية معجم الشعراء : « فِي دِيَارِهِمْ . . . »

(٦) رواية معجم الشعراء واللسان : « الشَّرَّ . . . »

(٧) رواية الزهرة : « فِي الْأَبْطَالِ . . . »

(٨) انظر الأبيات في :

الحماسة - تحقيق عسيلان - : ٢ / ٣٧٨-٣٧٩ ، الزهرة : ٢ / ٧٥٤ ،

معجم الشعراء : ٣٨٨ ، ذكر أربعة أبيات ما عدا بيت الشاهد ، شرح

ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٧٦٣-١٧٦٤ ، زهر الآداب :

ذكر أربعة أبيات ما عدا بيت الشاهد ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي :

٤ / ١٣٦-١٣٧ ، اللسان : « فَضَا » : ١٥ / ١٥٨ ، ذكر البيت الرابع فقط .

وهذه الأبيات قالها المعذل في مدح النهاس<sup>(١)</sup> بن ربيعة العتكي، لأنسه كفل به، وكان المعذل أخذ بجرم، فأطلقه النهاس وأمره أن ينجو بنفسه، وأسلم نفسه مكانه، فقال له المعذل أخيرك بين أن أمدحك، وبين أن أمدح قومك، فقال أمدح قومي، فمدحهم بهذه الأبيات، وكان المهلب بن أبي صفرة يعجب بها إعجاباً شديداً فقدم عليه مرة، فقال: يامعشر الأزد هذا الذي يقول: وأنشد الأبيات، فجمعوا له خمسين وصيفاً وأعطاه المهلب مثلها<sup>(٢)</sup>.

والشاهد في البيت أن تقديم المسند إليه "هم" على الخبر الفعلي المثبت "يفرشون" لم يفد هنا الاختصاص بل التقوي، لأن القصد ليس إلى الفاعل بل إلى التوكيد والتحقيق بأن الفاعل قد فعل الفعل، ومنع السامع من الشك.

فذهب الشيخ في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي المثبت أنه قد يفيد الاختصاص تارة، ولا يفيد أخرى، بل يفيد التقوي<sup>(٣)</sup> وذلك بحسب القصد، فإن كان القصد إلى الفاعل بإثبات الفعل له وحده دون غيره، فهذا يفيد الاختصاص، وإن كان القصد لا إلى الفاعل بل إلى توكيد المعنى، وتحقق وقوع الفعل، كسان التقديم للتقوي. قال الشيخ:

(١) في ديوان الحماسة وشرحها للمرزوقي والتبريزي:

"النَّهَّاسُ بْنُ رَبِيعَةَ".

(٢) انظر: معجم الشعراء للمرزباني: ٣٨٨، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي:

١٧٦٣/٤، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٤ / ١٣٦.

(٣) وهذا ما أجمع عليه جمهور البلاغيين وإنما اختلفوا في تقديم الاسم

الظاهر على الخبر الفعلي، فهو يفيد الاختصاص عند الشيخ بشرط تقدم النفي. أما عند السكاكي فهو يفيد التقوي ليس غير، فحاصل

مذهب الشيخ التعويل على النفي، وحاصل مذهب السكاكي إن كان

المسند إليه نكرة فهو للتخصيص، وإن كان معرفة واسماً ظاهراً، فلا يكون

إلا للتقوي، أما إذا كان معرفة مضمرة فيحتمل الأمرين التقوي والتخصيص،

انظر: الأمر مفصلاً في: الدلائل، رضا: ٩٦-١٠٦، خفاجي: ١٦٢-١٧١، شاكر:

١٢٤-١٣٨، المفتاح: ١٠٠-١٠١، شروح التلخيص: ١/٤٠٠-٤٢٣.

\* وأعلم أنّ الذي بان لك في الاستفهام، والنفي من المعنى في التقديم قائم  
 مثله في \* الخبر المثبت \* ، فإذا عمدت إلى الذي أردت أن تحدث عنه  
 بفعل، فقدمت ذكره، ثم بنيت الفعل عليه، فقلت: \* زيد قد فعل \* ،  
 و \* أنا فعلت \* ، و \* أنت فعلت \* ، : اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى  
 الفاعل إلا أن المعنى في هذا القصد ينقسم قسمين : أحدهما جلي  
 لا يشك، وهو أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنصّ فيه على واحد،  
 فتجعله له، وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر، أو دون كل أحد، ومثال  
 ذلك أن تقول: \* أنا كتبت في معنى فلان، وأنا شفعت في بابسه \* ،  
 تريد أن تدعي الانفراد بذلك، والاستبداد به، وتزيل الاشتباه فيه،  
 وتردّ على من زعم أن ذلك كان من غيرك، أو أن غيرك قد كتب فيه كما  
 كتبت، ومن اليبين في ذلك قولهم في المثل: \* أتعلمني بضبّ أنا حرشته<sup>(١)</sup> \*  
 والقسم الثاني: أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى، ولكن على  
 أنك أردت أن تحقّق على السامع أنه قد فعل، وتمنع من الشك، فأنت  
 لذلك تبدأ بذكره، وتوقعه أولاً ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه،  
 لكي تباعده بذلك من الشبهة، وتمنعه من الإنكار، أو من أن يظنّ بسك  
 الغلط أو التزيّد، ومثاله قولك: \* هو يعطي الجزيل \* ، و \* هو يحسب  
 الشناء \* ، لا تريد أن تزعم أنه ليس هنا من يعطي الجزيل ويحبّ الشناء  
 غيره، ولا أن تعرّض بإنسان، وتحطه عنه، وتجعله لا يعطي كما يعطي،

(١) المثل مشهور وهو في مجمع الأمثال للميداني: ١٢٥ / ١، وروى من غير تقديم  
 الهمزة \* تعلمني بضبّ أنا حرشته \* ويضرب لمن يخبرك بشيء أنت به منه  
 أعلم، وانظر كذلك كتاب الأمثال لابن سلام: ٢٠٢، الرواية هنا بتقديم  
 الهمزة، جمهرة الأمثال: ٧٦ / ١، والحرش والتحريش: اغراؤك الإنسان،  
 والأسد ليقع بقرنه، وحرش الضب: صيده وهو أن يحكّ الجحر الذي هو  
 فيه يتحرش به، فإذا أحسه الضب حسبه شعباناً فأخرج إليه ذئبه فيصا  
 حينئذ / اللسان: ٢٨٠ / ٦.

ولا يرغب كما يرغب ، ولكنك تريد أن تحقّق على السامع أن إعطاء الجزيل  
وَحَبَّ الثناء دأبه ، وأن تُمْكِّن ذلك في نفسه (١) .

فالشاهد عند الشيخ إذا يُفيد التقوي ، لأن بين الشاعر وبين المدوح مودة  
عميقة ، وعاطفة متأصلة ، فهم قد خلطوه بنفوسهم أي أنهم أقاموه بينهم ، وأسقطوا  
الحشمة - كما يقول المرزوقي - بينه وبينهم ، وجعلوه يشاركهم في خيرهم وصاحبوه  
مصاحبة كريمة لَمَّا قَدَّر له ما كان يكابده ، ولَمَّا كان الموقف موقف مدح ، ولَمَّا كان  
إحساس الشاعر بحب هؤلاء القوم عظيماً لجأ إلى تأكيد المعنى وتقويته ، وتقريره  
في النفوس بتقديم المسند إليه على المسند " هُمْ خَلَطُونِي " " هُمْ يُفْرِشُونَ " . قال  
الشيخ :

" لم يرد أن يدعي لهم هذه الصفة دَعَوَى من يَفْرُدُّهم بها ، وَيُنصُّ عليهم  
فيها ، حتى كأنه يُعَرِّض بقوم آخرين ، فينفي أن يكونوا أصحابها . هذا محال !  
ولمَّا أراد أن يصفهم بأنهم فرسان يمتهدون صهوات الخيل ، وأنهم  
يقْتَعِدُون الجياد منها ، وأن ذلك دأبهم من غير أن يُعَرِّض لنفيه عن  
غيرهم ، إلا أنه بدأ بذكرهم لينبه السامع لهم ، ويُعَلِّمُ بدياً قصده إليهم  
بما في نفسه من الصفة ، لينعمه بذلك من الشك ، ومن توهم أن يكون قد  
وصفهم بصفة ليست هي لهم ، أو أن يكون قد أراد غيرهم فغلط إليه " (٢) .

(١) الدلائل ، رضا : ٩٩ ، خفاجي : ١٦٤-١٦٥ ، شاكر : ١٢٨-١٢٩ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٠٠ ، خفاجي : ١٦٥ ، شاكر : ١٢٩ .

الشاهد الثامن والستون :- (\*) (الطويل)

(١) هُم يَضْرِبُونَ الكَبْشَ يَبْرِقُ بَيْضُهُ . : عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الدَّمَاءِ سَبَائِبُ (٧) (٦) (٥) (٤) (٣) (٢)

أورده الشيخ من غير نسبة، وهو للأخضس بن شهاب التغلبي . (٨)

(\*) الدلائل ، رضا : ١٠٠ ، خفاجي : ١٦٦ ، شاکر : ١٣٠ .

(١) رواية الحماسة - تحقيق عسيلان - ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ،

والإيضاح : " قَمَمٌ " .

(٢) الكبش : " الكبش " واحد " الكِبَاش " و " الأَكْبَش " ، و ( كَبَشُ ) القسوم

سيد هم . / مختار الصحاح : " كبش " : ٥٦٢ .

(٣) رواية نظام الغريب : " تَبْرِقُ " .

(٤) بَيْضُهُ : واحدة " بيضة " وهي الخوذة الواقية للرأس في الحرب ، والمقصود

هنا ببيضه أدوات القتال على التغليب ، أو هي خوذة جيشه على المجاز

المرسل ، ويبرق ببيضه موضع الحال من الكبش ، والعامل فيه يضربون ،

وعلى وجهه من الدماء سبائب في موضع الحال أيضا من قوله يبرق . / شرح

التبريزي : ٢ / ١٢٥ .

(٥) رواية الحماسة - تحقيق عسيلان - : " على خده " .

ورواية شرح أبيات الإيضاح : " على مُبْصِرٍ " .

(٦) سبائب : الطرائق ، الواحدة سببيه ، والمراد هنا طرائق الدم . / اللسان :

" سبب " : ١ / ٤٥٨ - ٤٥٩ .

(٧) انظر البيت في :

الفضليات : ٢٠٣ ، رقم (٤١) الحماسة - ت - عسيلان : ١ / ٣٧٦ ،

شرح الحماسة للمرزوقي : ٢ / ٢٢٧ ، شرح الحماسة للتبريزي : ٢ / ١٢٥ ،

الإيضاح : ١ / ١٤١ ، ذكر الشطر الأول فقط ، شرح أبيات الإيضاح - فيضاللم-

(٨) ٢٢٢  
نسب البيت في نظام الغريب (٧٨) " لعيينة بن شهاب " ، والمشهور

أنه للأخضس ، وهو الأخضس بن شهاب بن شريق بن شامة بن أرقم بن عدي

ابن معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب . . . . . نحو ٧٠ ق هـ " والأخضس تأخر

الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة .

وهو أحد شعراء الفرسان ، وهو صاحب العصا ، و " العصا " فرسه

كما جاء في نيل الأمالي والنوادر : ١٨٥ ، والأخضس شاعر جاهلي ، وقد ظن

والشاهد من قصيدة مطلعها :

لِابْنَةِ حِطَّانَ بَيْنَ عَوْفٍ مَنَازِلٍ . : كَمَا رَقَّشَ الْعُنْوَانَ فِي الرَّقِّ كَاتِبُ (١) (٢) (٣)

وقبل الشاهد :

تَرَى رَائِدَاتِ الْخَيْلِ حَوْلَ بِيوتِنَا . : كِمَعْرَى الْجِجَارِ أَعْجَزَتْهَا الزَّرَائِبُ (٤)  
فَيَغْبِقْنَ أَحْلَابًا وَيُصْبِحْنَ مِثْلَهَا . : فَهِنَّ مِنَ التَّعْدَاءِ قَبُّ شَوَازِبُ (٥) (٦) (٧) (٨) (٩)

==== صاحب القاموس المحيط مادة "خنس" - أنه صحابي خلط بينه وبين الأخنس

ابن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة ، ولقب بالأخنس لأنه رجع ببني زهرة بن بدر ، وفي صحبته خلاف ، وخلط البكري في السمط بينه وبين بكير بن الأخنس الثقفي . / انظر ترجمته وبعض أخباره في :

أمالى القالي : ٩٧/٢ - ٢٤٣ - ١٨٥/٣ ، المؤتلف والمختلف : ٢٧ ، شرح

ديوان الحماسة للتبريزي : ١٢٠ - ١٢٥ ، القاموس المحيط "خنس" :

٢/٢٢٠ ، الأعلام : ١ / ٢٧٧ .

(١) رَقَّشَ : نَمَّقَ وَحَسَّنَ / أساس البلاغة "رقش" : ١٧٣ .

(٢) العنوان : الأثر والعلامة . / اللسان : "عن" : ٨٣ / ٢٩٤ .

(٣) الرَّقُّ : بفتح الراء وكسرهما ، جلد رقيق يكتب فيه ، أو الصحيفة البيضاء .

اللسان : "رقق" : ١٠ / ١٢٣ .

(٤) الرائدات : التي ترعى لا تعلق في البيوت ، فهي ترود الرعي من كثرتها . /

اللسان : "رود" : ٣ / ١٨٨ .

(٥) يغبقن : من الغبوق وهو شرب العشي / اللسان : "غبق" : ١٠ / ٢٨١ .

(٦) أحلاب : جمع حَلَب - بفتح الحاء - وهو اللبن المحلوب . / اللسان : "حلب" :

١ / ٣٢٢ - ٣٢٩ .

(٧) يصبحن : من الصبوح ، وهو شرب الغداة / تاج العروس : "صبح" :

٢ / ١٧٥ .

(٨) قُبُّ : القُبُّ الضوامر الخواصر واحد ها أقب وقباء / اللسان : "قب" : ١ / ٦٥٨ .

(٩) شواذب : الضوامر مفرد ها شاذب / اللسان : "شذب" : ١ / ٤٩٤ .



(١) فَوَارِسَهَا مِنْ تَغْلِبِ ابْنَةِ وَاِئِيلٍ . : حَمَاةٌ كَمَاةٌ لَيْسَ فِيهَا أَشَاءِبُ

وبعد ها الشاهد وبعده (٢) :

بِجَاوَاءٍ يَنْفِي وَرَدَّهَا سَرَعَانَهَا . : كَأَنَّ وَضِيحَ الْبَيْضِ فِيهَا الْكَوَاكِبُ (٣) (٤) (٥)

وَإِنْ قَصَرَتْ أَشْيَافُنَا كَانَ وَضَلَهَا . : خَطَانَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ نَضَارِبُ (٦)

الشاهد فيه كسابقه حيث قدّم الضمير "هم" على الخبر الفعلي المثبت  
 "يضرِبون الكِبشَ" للتقوية والتوكيد ، وتنبيه السامع لقصد هم بالحدث من غير  
 أن يدّعي انفرادهم بالضرب دون غيرهم .

قال الشيخ :

" لم يرد أن يدّعي لهم الإفراد ، ويجعل هذا الضرب لا يكون إلا منهم ،

ولكن أراد الذي ذكرت لك من تنبيه السامع لقصد هم بالحدث من قبل

(٧)

ذكر الحديث ليحقق الأمر ويعزّكه ."

(١) أشائب : الأخطا والأدناس ، والأقدار / المصباح المنير : " شوب " :

٠٣٥٠ / ١

(٢) تُذكر في الحناسة أن بعد الشاهد :

لِكُلِّ أَنْاسٍ مِنْ مَعْدِ عِسَارَةٍ . : عَرُوضُ الْبَيْتِهَا يَلْجَأُونَ وَجَانِبُ

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ . : وَتَقْصُرُ عَمَّا يَفْعَلُونَ الذِّوَائِبُ

(٣) الجأواء : الكتيبة الكثيرة الدروع المتغيرة الألوان لطول الغزو ، مأخوذة

من الجؤوءة - بضم الجيم - وهي حمرة تضرب إلى السواد / اللسان (جأي) :

٠١٢٧ / ١٤

(٤) سرعانها : سرعان الناس وسرعانهم : أوائلهم المستبقون إلى الأمر ، وسرعان

الخلي أوائلها . / اللسان : " سرع " : ٠١٥٢ / ٨

(٥) وضوح البيض : ما وضح منها وظهر . / اللسان " وضح " : ٠٦٣٤ / ٢

(٦) رواية الحناسة تحقيق عسيلان .

" خَطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَضَارِبُ " .

(٧) الدلائل ، رضا : ١٠٠ ، خفاجي : ١٦٦ ، شاكر : ٠١٣٠ .

فالأخنس بن شهاب يريد أن يفتخر بشجاعة قومه النادرة ، وسالتهم الفاتحة ، فأخذ يقوي معاني تلك البطولة في النفوس ، لتأنس بها ، وتعجب ، واستعمل لذلك عدة طرق ، وأساليب منها : تقديم المسند إليه على المسند " هُمْ يَضْرِبُونَ " لينبسه السامع إليهم ، ويشوق النفس لمعرفة قوتهم ، ويلفت الأنظار إلى صور بطولتهم بتأكيد حصول الضرب منهم .

ثم استعمل لفظ " كبش " والمراد به رئيس القوم . وأي كبش أراد ؟ إراد الكبش القوي المحتاط الذي لبس خوذته واحتاط للمقارعة كل ذلك ليبين أنهم إنما يقارعون الأبطال ورؤساء الكتائب الشجعان دون الأوساط منهم والمعجزة . ثم أنظر إلى إهماله زمن المقارعة وكيفيتها : ليوجه النفس إلى الأمر الهام الذي يريد تقويته وتقريره ، وهو قوتهم المتناهية ، فأصدر النتيجة بقوله :

" وعلى وجهه من الدماء سباب " فصورة قضائهم على العدو كانت صورة سريعة لم تستغرق منهم وقتاً ، ولم تستنفذ منهم جهداً . وأنظر إلى تركيب صورة القضاء هذه ، حيث قدم المسند " الجار والمجرور " على وجهه " على المسند إليه " سباب " ، وخص الوجه بالذكر دون سائر الأعضاء إمعاناً في الذل والهوان اللذين لحقا به ؛ لأن الوجه موضع الأنفة والكبرياء .

الشاهد التاسع والستون : ( \* ) ( الهزج )

قول عروة بن أنيسة : ( ١ )

( \* ) الدلائل ، رضي : ١٠٠ ، أخفاجي : ١٦٦ ، شاکر : ١٣٠ .  
 ( ١ ) هو عروة بن أنيسة ، واسمه يحيى بن مالك بن زحل بن يعمر الشدآخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة بن خزيمة ، ويكنى عروة بأبي عامر ، وهو شاعر غزل مُقَدِّم ، من شعراء أهل المدينة ، وهو معدود من الفقهاء والمحدثين ، روى عنه مالك بن أنس وعبيد الله بن عمر العدوي . انظر : المؤلف والمختلف : ٥٤ ، الأغاني : ١٨ / ٣٢٢ - ٣٣٥ .

سَلِينِي أَرْمَعْتُ بَيْنَنَا <sup>(١)</sup> . فَاَيْنَ تَقُولُهَا <sup>(٢)</sup> أَيَّنَا <sup>(٣)</sup>

ذكر الأستان شاكراً أنه ورد في هامش "المخطوطة" مانصه : " وبعده :

وَقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابٍ . كَلَهَا زَهْرٍ تَلَاقَيْنَا

تَعَالَيْنَ فَقَدْ طَابَ <sup>(٤)</sup> لَنَا الْعَيْشُ تَعَالَيْنَا

وَقَابَ الْجَرَمَ اللَّيْسَ <sup>(٤)</sup> . سَلَّةَ وَالْعَيْنُ فَلَا عَيْنَا

إِلَى مِثْلِ مَهَاةِ الرَّمَى . حَلِ تَكْسُو الْمَجْلِسِ الزَّيْنَا <sup>(٥)</sup>

تَمْنِينَ مَنَاهُنَّ <sup>(٦)</sup> (٤) فَكُنَّا مَا تَمَنَيْنَا

الشاهد في البيت تقديم الاسم الظاهر "سُلَيْمِي" على الخبر الفعلي المثبت "أرمت" ، وهو يفيد التقوي هنا ؛ لأن القصد توكيد وتحقيق أمر الإزاع ، وليس القصد جعل الإزاع خاصاً بها دون غيرها . قال الشيخ :

" وذلك أنه ظاهر معلوم أنه لم يرد أن يجعل هذا الإزاع لها خاصة ، ويجعلها من جماعة لم يُزَمع البين منهم أحد سواها . هذا محال ، ولكنه أراد أن يحقق الأمر ويؤكد ، فأوقع ذكرها في سمع الذي كَلَّم ابتداءً ، ومن أول الأمر ليَعْلَمَ قبلَ هذا الحديث أنه أرادَها بالحديث ، فيكون ذلك أبعده له من الشك <sup>(٧)</sup> .

(١) رواية الأغاني : " أجمعت " .

(٢) رواية العقد الفريد : " بوصلها " .

(٣) انظر البيت في :-

ديوانه : ٣٩٨ ، العقد الفريد - دار الفكر - الأغاني : ٣٢٧/١٨ .

(٤) الجرَم : بفتح الراء جمع أبرام ، ومعناه : اللثام " / اللسان " برم :

٠٤٣ / ١٢

(٥) ذكر في الأغاني بيتاً قبله ، وهو :

" فَأَقْبَلْنَ إِلَيْهَا مُسْتَرِغَاتٍ يَتَهَادَيْنَا "

(٦) انظر الأبيات في : ديوانه : ٣٩٨ - ٤٠٠ ، الأغاني : ٣٢٧/١٨ ، الدلائل - شاكراً - : ١٣٠ .

(٧) الدلائل ، رضا : ١٠١ ، خفاجي : ١٦٦ ، شاكراً : ١٣١ .

بعد أن أزمعت "سُلَيْمِي" البين والفرق تصارعت في صدر الشاعر الآلام، فحبس شكواه داخل روحه حتى ضاقت بها النفس، فعزم أن يعلنها للوجود لعله يجد في إعلانها بعض السلوى، فكانت أول صرخة يطلقها: "سُلَيْمِي" لينبه الأسماع إلى أنها هي سبب آلامه وشكواه، فتتشوق للإصغاء إليه ومعرفة كنه تلك الشكوى، وجاء بالخبر الفعلي المثبت "أَزْمَعْتَ" ليؤكد ويقرر تحقق وقوع ذلك الازماع، ولجأ الشاعر إلى أسلوب التقوية هذا لأن إضرار المحب بمحبوبه شيء يستبعده الناس وهو أمر غريب يخالف الواقع، فلكي يمنع السامعين من الشك في شكواه نبسه الأسماع إليها أولاً، ثم أكد هذه الشكوى.

وأنظر إلى تصغير الاسم "سُلَيْمِي" وما فيه من لفتات نفسية وعاطفية جميلة، ففيه آستعطاف، وحنين، وترجّح - ولوم .

وتأمل في الشطر الثاني "فَأَيْنَ تَقُولُهَا أَيْنَا" هذا الاستفهام، وهذا التكرار "أَيْنَ - أَيْنَا"، وهذا الظن، وما ينطوي تحتها من معانٍ حبيسة، ولوعة مكتومة في نفس الشاعر .

وما أجل ألف الإطلاق التي جعلها قافية لأبياته، وكأنه وجد فيها مراحاً إلى إطلاق زفرات الأكم، والأسى، واللوعة الحبيسة .

الشاهد السبعون : ( \* ) ( الطويل )

هُمَا يَلْبَسَانِ الْمَجْدَ أَحْسَنَ لَيْسَةٍ . شَحِيحَانِ مَا اسْطَاعَا عَلَيْهِ كِلَاهُمَا ( ١ )

( \* ) الدلائل ، رضا : ١٠١ ، خفاجي : ١٦٦ ، شاكر : ١٣١ .

( ١ ) انظر البيت في :

الحماسة - ت عسيلان - : ٥٣٧ / ١ رقم ٣٨٧ ، شرح ديوان الحماسة

للمرزوقي : ١٠٨٢ / ٣ رقم ٣٨٦ ، فرحة الأديب : ٥١ ، شرح ديوان

الحماسة للتبريزي : ٣ / ٦١ ، نهاية الإيجاز : ١٢٢ ، الإيضاح :

١ / ١٤١ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٢١ ب ، شاعرات العرب

- ت . عبد البديع صقر - : ٢٧٧ .

أورده الشيخ من غير عزو، وهو لعمره الجشمية، وقيل الخثعمية<sup>(١)</sup>، ترثي أبيها،  
وقيل أخويها.

وأول القصيدة :

أَبِي النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا هُمَاهُمَا . . . وَلَوْ أَنَّ اسْتَطَعْنَا لَكَاْنَا سِوَاهُمَا<sup>(٢)</sup>  
بَنِيًا عَجُوزٍ حَرَمَ الدَّهْرُ أَهْلَهَا . . . فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْإِلَهُ سِوَاهُمَا<sup>(٤)</sup>

(١) ذكر الاستاذ عسيلان محقق كتاب الحماسة أنه ذكر في بعض مخطوطات الحماسة أن البيت لعمره الجشمية، وذكر في هامش الأصل أنها لعمره الخثعمية. وكذلك ذكر المرزوقي والتبريزي لقب الخثعمية. وذكر التبريزي أن أبا رياش رجح أن يكون هذا البيت - مع بقية الأبيات التي سوف أوردها - لدرماء بنت سيار بن عبيدة الجحدرية ترثي أخويها.

ولقد نقل الأستاذ شاكرفي تحقيقه الدلائل رأي أبي رياش خطأ، فذكر أنه رجح أن تكون لدرماء بنت سيار بن عبيدة الخثعمية، ولعله سهو منه أو خطأ من الطابع؛ لأن الذي ذكره أبو رياش لقب الجحدرية كما ذكرت آنفاً.

ونسبت الأبيات في فرحة الأديب لدرنئ بنت سيار بن صبرة بن حطان ابن سيار بن عمرو بن ربيعة.

(٢) رواية شاعرات العرب: "يقولا" ولعله سهو من الجامع، أو خطأ من الطابع لأن "الناس" جمع فيناسبه واوالجماعة لا ألف الاثنين، فالضمير في القول يرجع إلى "الناس" وليس إلى المرثيين.

(٣) رواية فرحة الأديب: "لكانوا".

ورواية شاعرات العرب: "لكان".

(٤) البيتان ذكرهما التبريزي: (٦٣/٣)، وذكر كذلك في "شاعرات العرب":

٢٧٧، وورد البيت الأول في فرحة الأديب: ٥٠، ولم يردا في الحماسة

تحقيق عسيلان، ولا في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

لَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي جَزَعْتُ عَلَيْهِمَا . : . وَهَلْ جَزَعٌ أَنْ قُلْتُ وَابَا هُمَا  
هُمَا أَخَوَانِي فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَالَهُ . : . إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبُوءَةَ فَدَعَا هُمَا

وبعدهما الشاهد وبعده :

شِهَابَانِ مِنَّا أَوْ قَدَا ثُمَّ أَخِيدَا . : . وَكَانَ سَنَا لِلْمُدَلِّجِينَ سَنَا هُمَا  
إِذَا نَزَلَا الْأَرْضَ الْمَخُوفَ بِهَا الرَّدَى . : . يُخَفِّضُ مِنَ جَاشِيهِمَا مُنْصَدِرًا هُمَا

إِذَا اسْتَفْتَيْتَا حُبَّ الْجَمِيعِ إِلَيْهِمَا . : . وَلَمْ يَنَأَ عَن نَّفْعِ الصِّدِّيقِ غِنَاهُمَا (٤)  
(٣)

(١) رواية النوادر :

وَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي جَزَعْتُ عَلَيْهِمَا . : . وَهَلْ جَزَعٌ إِنْ قُلْتُ يَا أَبَاهُمَا

(٢) رواية الخصائص، وفرحة الأديب : " إِذَا هَبَطَا " .

(٣) رواية فرحة الأديب : " وَجَادَ عَلَى الْأَدْنَيْنِ فَضْلُ غِنَاهُمَا " .

(٤) ذكر الغندجاني في فرحة الأديب تسعة أبيات مع اختلاف ترتيبها  
عمن المذكور آنفا . وزاد على الأبيات المذكورة ثلاثة أبيات إلا أنه  
لم يذكر البيت الثاني .

والأبيات السبعة مع بيت الشاهد المذكورة في :-

شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣ / ٦١ - ٦٢ ، شاعرات العرب :

٢٧٧ - ٢٧٨ ، والأبيات جميعها ما عدا (١ - ٢) في : الحماسة

(ت - عسيلان) : ١ / ٥٣٧ - ٥٣٨ ، شرح ديوان الحماسة

للمرزوقي : ٣ / ١٠٨٢ - ١٠٨٧ ،

والبيت (٢ - ٤) في شرح أبيات سيويه للسيرافي منسوبا لدُرْنِي

بنت سيار بن صبرة بن حِطَّان بن سَيَّار بن عمرو بن ربيعة ،

والبيت (٣) في الحماسة البصرية لعمر الخثعمية ترشيحي

ولديها : ١ / ٢٢٦ .

والبيت (٣ - ٤) في النوادر لأبي زيد : ١١٥ - ١١٦ ونسبها لامرأة جاهلية

من بني سعد ، والبيت (٤) في الكتاب منسوبا لدُرْنِي بنت عبيد من

بني قيس بن ثعلبة ، والبيت (٦) في الخصائص لابن جني : ١ / ٢٩٦ ، ونُسب

لدُرْنَا بنت ععبية ، والبيت (٧) مع بيت آخر في المختار من شعر بشار

عزاه إلى أعرابية ترشي ابنيها .

الشاهد في البيت تقديم المسند إليه الضمير "هما" على الخبر الفعلي  
المثبت "يليسان"، وهو هنا يفيد التقوية، لأن الشاعرة لم ترد قصر صفة  
ليس المجد عليهما دون غيرهما بل القصد تنبيه الأسماع إليهما .  
قال الشيخ عبد القاهر :

"لا شبهة في أنه لم يرد أن يقصر هذه الصفة عليهما ولكن نبه لهما  
قبل الحديث عنهما".

أصيبت الشاعرة بفقد عزيزين عليها، يملكان فؤادها، فلم يبق لها بعد  
رحيلهما إلا أن تتغنى بذكرهما، وأن تقر في الأذهان أجمل صورة لهما، وتؤكد  
في النفوس أبلغ صفاتها، وفي هذا التقرير والتوكيد ما يبعث الراحة والسهولة  
في نفسها، فقد تم المسند إليه على المسند لتنبيه الأسماع إلى ما سذكروه عنهما  
من جميل الخصال، وطيب الصفات، فتأكد بذلك وتقوى في النفس، فهي لم  
تقتصر على وصفها بالمجد بل بالغت في ذلك بأن جعلته لباسها الذي يترينان  
به، فكما أن الإنسان لا يستغني عن اللباس، فكذلك هما لا يستغنيان عن المجد،  
ولا يستغني هو عنهما، فهو ملازم لهما مستمر معهما في كل زمان ومكان .  
ومن المعلوم أن الشح والبخل صفة مذمومة إلا أن الشاعرة قلبت تلك الصورة،  
فشوقت النفس إلى معرفة ذلك الشح المحمود، حيث جعلت الشح بالمجد من  
أنبل الصفات وأساها .

قال المرزوقي :

"وصفتها بأنهما يكتسبان المجد، ويستمتعان به أحسن استمتاع، وأجمل  
اكتساب، وأنهما يفضلان به حيث ظهر وطلع فلا يتركانه لأحد ما دام  
يستطيعان كسبه، والفوز به، وانتصب "أحسن لبسة" على أنه مصدر، وارتفع  
شحيحان "على أنه خبر مقدم، والمبتدأ "كلاهما" و"ما أسطاعا" فسي

موضع الظرف ، وأسم الزمان محذوف معه ، وأسطاع منقوص عن أستطاع ،  
وتقدير الكلام : كلاهما شحيحان به ما استطاعا عليه ، أي ما قدرًا عليه ،  
ومعنى " يلبسان المجد " أي يتملئانه ، ويبتغان به . قال :

لَيْسْتُ أَبِي حَتَّى تَلَيْتُ عَيْشَهُ . . . وَبَلَيْتُ أَعْمَامِي وَبَلَيْتُ خَالِيَا (١)

ورأى الشيخ عبد القاهر أن قول الشاعرة " هما يلبسان المجد " أبلغ وأكد ففي  
جعلهما يلبسانه من أن يقال : " يلبسان المجد " فالسرفي إفادة تقديم المسند  
إليه على الخبر الفعلي المثبت التوكيد أن الأسم لا يؤتى به معرًى من العوامل  
إلا لحديث قد نوي إسناده إليه ، فإذا ابتدئ بالمسند إليه شعر القلب  
بأنك أردت الحديث عنه ، فإذا جئ بالحديث دخل على القلب دخول المأنوس  
به ، وقبله قبول المطمئن إليه ، فالإعلام عن الشيء وبغته ليس كالإعلام به بعينه  
التنبه عليه ، والتوطئة له ، فالتنبه عليه يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد  
والإحكام ، وإضمار الشيء ثم تفسيره أفخم من أن يذكر من غير تقدم إضمار .

قال الشيخ :

" فإن قلت فمن أين وجب أن يكون تقديم ذكر المحدث عنه بالفعل أكد  
لإثبات ذلك الفعل له ، وأن يكون قوله : " هَمَا يَلْبَسَانِ الْمَجْدَ " أبلغ  
في جعلهما يلبسانه من أن يقال : " يَلْبَسَانِ الْمَجْدَ " ؟  
فإن ذلك من أجل أن لا يؤتى بالأسم معرًى من العوامل إلا لحديث قد  
نوي إسناده إليه ، وإذا كان كذلك ، فإذا قلت " عبد الله " فقد أشعرت  
قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه ، فإذا جئت بالحديث ، فقلت  
مثلاً قام ، أو قلت : خرج ، أو قلت : قدم ، فقد علم ما جئت به ، وقد  
وطأت له ، وقدّمت الإعلام فيه ، فدخل على القلب دخول المأنوس به ،  
وقبله قبول المتبهي له المطمئن إليه ، وذلك لا محالة أشد لثبوتة وأنفسى

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣ / ١٠٨٤ ، وانظر كذلك : شرح ديوان

الحماسة للتبريزي : ٣ / ٦١ .



للسببية وأمنع للشك ، وأدخل في التحقيق ، وجملة الأمر أنه ليس  
 بإعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له ،  
 لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام ، ومن ههنا  
 قالوا : إن الشيء إذا أُضْمِرَ ، ثم فُسِّرَ كان ذلك أفخم له من أن يُذكر  
 من غير تقدم إضمار (١) .

ولعل الشيخ يقصد بتنبيه السامع ما يترتب على التنبيه من التشويق ، فمن الأمور  
 الفطرية أن الشيء إذا جاء بعد التشويق إيد كان أوقع في النفس ، وآنس للقلب .  
 فنظرة الشيخ عبد القاهر نظرة ذوقية تدل على قدرته على التحليل النفسي ،  
 أما المتأخرون ، فقد نظروا للمسألة نظرة نحوية يحتمل ، فرأوا أن السرف في إفساده  
 تقديم المسند إليه التقوي هو تكرر الإسناد ، فمثلا : " زيد قام " أسند القيام  
 إلى الضمير المستتر في قام ثم أسند جملة قام إلى زيد ، فتصبح بذلك الجملة في  
 قوة جملتين . قال الشيخ السكاكي :

" . . . هو أن المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعي أن يسند إليه شيء ، فإذا جاء  
 بعده ما يصلح أن يستند إليه صرفه المبتدأ إلى نفسه ، فينعقد بينهما حكم ،  
 سواء كان خالياً عن ضمير المبتدأ نحو : " زيد غلامك " أو كان متضمناً له  
 نحو : " أنا عرفت " و " أنت عرفت " و " هو عرف " أو " زيد عرف " ، ثم  
 إذا كان متضمناً لضميره صرفه ذلك الضمير إلى المبتدأ ثانياً ، فيكتسي الحكم  
 قوة (٢) .

( ١ ) الدلائل ، رضا : ١٠١ - ١٠٢ ، خفاجي : ١٦٨ ، شاكر :

( ٢ ) المفتاح : ٩٦ ، وانظر كذلك : شروح التلخيص : ١ / ٣٩٧ -

## الشاهد الحادي والسبعون :- ( \* ) ( الكامل )

وَلَأَنْتَ تَقْرِي مَا خَلَقْتَ وَيَعْفُ . . . خُسُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِى (٤) (٥)

- ( \* ) الدلائل ، رضا : ١٠٤ ، خفاجي : ١٦٩ ، شاكر : ١٣٤ .
- ( ١ ) رواية الكتاب ومعاني القرآن للأخفش الأوسط ، والأغانى ، والصناعتين ، وشرح أبيات سيويه للسيرافي ، ورواية همع الهوامع : " وَأَرَاكَ تَقْرِي " .  
ورواية الديوان : " فَلَأَنْتَ تَقْرِي " .
- ( ٢ ) تَقْرِي : أصل الْفُرْي الْقَطْع ، قَرَيْتَ الشَّيْءَ أَفْرِيهِ فَرِيًّا قَطَعْتَهُ لِأَصْلِحِهِ ، وتقرى في البيت معناه تَنْفَذَ مَا تَعَزَمَ عَلَيْهِ وَتَقْدِرُهُ ، ويقال للشجاع : مَا يَفْرِى قَرِيَّةً أَحَدًا . / اللسان : " فَرَا " : ١٥ / ١٥٣ .
- ( ٣ ) الخلق : التقدير ، يقال خلقت الشيء إذا قدرته ، وفي اللسان الخلق في كلام العرب : ابتداء الشيء على مثال لم يسبق إليه ، ومعناه أيضًا التقدير . / جمهرة اللغة " خلق " : ٢ / ٢٤٠ ، اللسان " خلق " : ١٠ / ٨٢ .
- ( ٤ ) رواية الكتاب ، وشرح أبيات سيويه للنحاس ، وشرح أبيات سيويه للسيرافي بحذف الياء .  
يستشهد به النحاة على جواز حذف الياء في الوقف من قوله : " يَفْرِى " فيمن سكن الراء ، ولم يطلق القافية ، وإثبات الياء أكثر وأقيس ، لأنه فعل لا يدخله التنوين ، ويعاقب ياءه في الوصل ، فيحذف لذلك كقاضي وغاز ، وما أشبههما .  
جاء في الكتاب : " والأسماء أجدر أن تحذف ، إذا كان الحذف فيها في غير الفواصل والقوافي ، وأما القوافي فنحو قوله - وهو زهير - :  
وَأَرَاكَ تَقْرِي مَا خَلَقْتَ وَيَعْفُ . . . خُسُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِى  
وإثبات الياءات ، والواوآت أقيس الكلامين ، وهذا جائز عربي كثير " / الكتاب : ٤ / ١٨٥ .
- وقال في موضع آخر : وأعلم أن الياءات ، والواوآت اللواتي هن لامات إذا كان ما قبلها حرف الروي فعل بها ما فعل بالياء والواو اللتين ألحقتا للمد في القوافي ؛ لأنها تكون في المد بمنزلة الملحقة ، ويكون ما قبلها رويًا كما كان ما قبل تلك رويًا ، فلما ساوتها في هذه المنزلة ألحقت بها في هذه المنزلة الأخرى ، وذلك قولهم - لزهير :

أورد الشيخ الشاهد من غير نسبة، وهو من قصيدة لزهير بن أبي سلمى (١)

=== \* وَيَعْضُ الْقَوْمَ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْسِرُ \* ===

وكذلك "يفزؤ" لو كانت في قافية كنت حازية فيها إن شئت " / الكتاب : ٢٠٩ / ٤  
واستشهد به الأخفش الأوسط والجاحظ - في الحيوان - عند تفسير  
قوله تعالى : " أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ " - المؤمنون : ١٤ - في بيان معنى الخلق .  
وكذلك استشهد به ابن قتيبة في " المعاني الكبير " وفي " تأويل مشكل  
القرآن " عند تفسير معنى " الخلق " أيضا .

( ٥ ) انظر البيت في :

ديوانه - صنعة أبي العباس ثعلب - : ٨٢ ، ديوانه : صنعة الأعمى  
الشنترى - : ١١٩ ، ديوانه - داركرم - : ٨٨ ، الكتاب : ٢٠٩ - ١٨٥ / ٤ ،  
تفسير الطبري : ٩ / ١٨ ، معاني القرآن للأخفش : ٤١٧ ، من غير نسبة ،  
شرح أبيات سيويه للنحاس : ٢٥٤ ، من غير نسبة ، الحيوان : ٣ / ٣٨٣ ،  
المعاني الكبير : ١ / ٥٣٩ ، تأويل مشكل القرآن : ٥٠٧ ، جمهرة اللغة :  
" خلق " : ٢ / ٢٤٠ ، العقد الفريد : ٦ / ٣٠٩ ، الأغاني : ١٠ / ٣٠٤ ،  
الصناعتين : ٤٣١ - ٥٠٧ ، البحر المحيط : ١ / ٩٣ ، ٢ / ٤٦٥ ، شرح  
أبيات سيويه للسيرافي : ٢ / ٣٤٤ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي :  
٤ / ١٨٢٩ ، اللسان : " خلق " : ١٠ / ٨٧ ، " فرا " : ١٥ / ١٥٣ ،  
همع الهوامع : ٢ / ٢٠٦ ، من غير نسبة ، وذكر الطبري أن البيت يروى  
وَلَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا فَرَيْتَ وَتَعْدُ . : خُسُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْسِرِي

( ١ ) هو زهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رباح المزني ( . . - ١٣ ق هـ ) من  
مصر ، ولد في بلاد مزينة بنواحي المدينة ، وكان يقيم في الحاجر من  
ديار نجد ، ذكر البغدادي أن هناك من يظن أن زهيراً من بلاد عطفان  
قال : كانت محلّتهم - أي بني " مزينة " في بلاد عطفان ، فيظن الناس  
أنه من عطفان أعني زهيراً وهو غلط . وكان هذا رد على ما قاله ابن قتيبة  
في كتابه الشعر والشعراء حيث قال : " هو زهير بن ربيعة بن قُرط والناس  
ينسبونه إلى مزينة وإنما نسبه إلى عطفان " وزهير حكيم الشعراء فسي

=====

يمدح هرم بن سنان،<sup>(١)</sup> ومطلعها :  
 لَمِنَ الدِّيَارِ يُقَنَّةَ الحِجْرِ . : . أَقْوِينَ مِنْ حَجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ<sup>(٦)</sup>  
<sup>(٣)</sup> <sup>(٢)</sup> <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> <sup>(٧)</sup>

- ====  
 الجاهلية، وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة، وكانت  
 عائلته كلها شعراء فخاله شاعر، وأخته سلمى شاعره، وابناه كعب وجبير  
 شاعران، وأخته الخنساء شاعرة . / انظر ترجمته في :  
 طبقات فحول الشعراء : ١ / ٦٣، الشعر والشعراء : ١٤٣/١، ١٥٩،  
 شرح شعر زهير - صنعة ثعلب - : ١٣/١٥، الاشتقاق : ٣٦-١٨٢ ،  
 الأغاني - دار الأحياء - : ١٠/٢٨٨-٣١٦، الاستيعاب - ضمن الإصابة -  
 ٣/٢٨٥-٢٨٠، أسد الغابة : ١ / ١٩٧، الإصابة : ٣ / ٢٧٩ رقم  
 (٧٤١٣) ، خزانة البغدادي : - دار صادر - : ١/٣٧٥، الأعلام : ٣/٥٢ .  
 (١) هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المري من مرة بن عون بن سعد بن  
 ذبيان ( . . - ١٥ ق هـ ) من أجواد العرب في الجاهلية يُضرب به  
 المثل ، وقد أكثر زهير من مدحه ، ومدح ابن عمه الحارث بن عوف بن أبي  
 حارثة لإصلاحهما بين عيس وذبيان ، ومات هرم قبل الاسلام فسي  
 أرض لبني أسد يقال لها " رزاء " . / انظر ترجمته في :  
 شرح ديوان زهير صنعة ثعلب : ١٥ ، الأغاني : ١٠/٢٩٣-٢٩٤ ،  
 الأعلام : ٨/٨٢ .  
 (٢) القننة : أعلى الجبل وأراد به هنا : ما أشرف من الأرض .  
 (٣) الحجر : اسم موضع وهو بالكسر حجر ثمود ، وهو موضع عند وادي القرى ،  
 وبالفتح هو حجر اليمامة . / شعر زهير صنعة أبي العباس ثعلب : ٧٦ ،  
 شعر زهير صنعة الأعم : ١١٤ .  
 (٤) أقوين : خلون وأققرن / شرح ثعلب : ٧٦ ، شرح الأعم : ١١٤ .  
 (٥) رواية الأغاني : " مذ حجج ومذ دهر " .  
 (٦) رواية الأعم : " ومن شهب " .  
 (٧) ديوانه - صنعة الأعم - : ١١٤ .

وقبل الشاهد :

(١) مَتَّصِرْفٍ لِلتَّجْدِ مُعْتَرِفٍ .: لِلنَّائِبَاتِ يُرَاحُ لِلذِّكْرِ (٢) (٣) (٤)  
 جَلْدٍ يَحْتُّ عَلَى الْجَمِيعِ إِذَا .: كَرَهُ الظَّنُونَ جَوَامِعَ الْأَمْرِ (٥)

وبعدهما الشاهد وبعده :

وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ حِينَ تَتَّجَهُ (٦) .: أَبْطَالٌ مِنْ لَيْثِ أَبِي أَجْرٍ (٧)  
 وَرِدٍ عَرَاضِ السَّاعِدَيْنِ حَدِيدٍ .: مِنَ النَّابِ بَيْنَ صَرَاعِمِ غُثْرِ (٨) (٩)  
 يَصْطَانُ أَحْدَانَ الرَّجَالِ فَمَا .: تَنْفَكُ أَجْرِيهِ عَلَى نَخْسِرِ (١٠) (١١)

استشهد الشيخ بالبيت على أنه تكثر إفادة تقديم المسند إليه على الفعل ،  
 التوكيد والتقوية في مواضع المدح والافتخار ؛ لأن من شأن المادح ، أو المفتخر  
 أن ينزع السامعين من الشك فيما يمدح به ، ويباعدهم من الشبهة . قال الشيخ :

- 
- (١) رواية ثعلب : " للحمد " .  
 (٢) رواية ثعلب : " لِلرُّزْءِ " .  
 (٣) رواية ثعلب : " تَهَاضِ " .  
 (٤) رواية ثعلب : " إِلَى الذِّكْرِ " .  
 (٥) الظنون : الذي ليس يوثق بما عنده ، والظنون : البئر القليلة الماء  
 التي لا يوثق بها . / ثعلب : ٨١ ، الأعم : ١١٩ .  
 (٦) تتجه : يواجه بعضها بعضاً . / ثعلب : ٨٢ ، الأعم : ١٢٠ .  
 (٧) أجرٍ : جمع جرو ، والجرو للسباع ، وغيرها من الكلاب ، وأمثالها ، وجمعه  
 أجرٍ وجراء . / شرح شعر زهير صنعة ثعلب : ٨٢ .  
 (٨) ورد : أي تعلولونه حمرة / شعر زهير الأعم : ١٢٠ .  
 (٩) غُثْرُ : الغُثْرُ الغُبْرُ / ثعلب : ٨٢ ، الأعم : ١٢٠ .  
 (١٠) أحدان : جمع واحد والهمزة بدل من واو أي يسطان الرجال واحداً  
 يعد واحد / الأعم : ١٢١ .  
 (١١) نَخْرُ : ما يدخر لما بعد اليوم / الأعم : ١٢١ .

... وكذلك يكثر في المدح كقولك : " أنت تعطي الجزيل " ،  
 " أنت تقري في المخل " " أنت تجود حين لا يجود أحد " ،  
 وكما قال :

" وَلَا أَنْتَ تَقْرِي مَا خَلَقْتَ وَبِعَد . : خُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْـرِي

وكقول الآخر :

" نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفْلَى "

وذلك أن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به ،  
 ويباعد هم من الشبهة ، وكذلك المفتخر (١) .

• لهرم ابن سنان في التاريخ مواقف أخلاقية جليلة يُضرب بها المثل ، فأراد  
 الشاعر أن يؤكد هذه الأخلاق ، فمدحه بمغضاء العزم ، فهو إذا قَدَّرَ أمراً ، أو هَمَّ  
 به مضي ، ولم يتوقف لشجاعته ، وجرأته ، وجودة رأيه ، ولم يثنه عن عزمه حين ولا هيبه ،  
 فقدم الشاعر المسند إليه على المسند الفعلي ؛ ليؤكد هذه الصفات ويقررها في نفوس  
 السامعين ، ويبنعهم من الشك فيما يمدح به ، ويباعد هم من الشبهة ، وزاد الأمر  
 تأكيداً بإدخال لام التوكيد على المسند إليه . قال الأعمى :

" المعنى : إنك إذا تهيأت لأمر مضيت له ، وأنفذته ، ولم تعجز عنه ، وبعضُ

القوم يُقَدِّرُ الأمر ، ويتهيأ له ، ثم لا يُقَدِّم عليه ، ولا يُمضيه عجزاً وضعف (٢) .

ثم أنظر إلى موقع " ثم " ، وكيف ساعدت على إظهار تقاعسهم عن إمضاء الأمر

الشاهد الثاني والسبعون : - ( \* ) (الرجل)

\* نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفْلَى \* (٣) (٤)

(١) الدلائل ، رضا : ١٠٣-١٠٤ ، خفاجي : ١٦٩ ، شاکر : ١٣٤ .

(٢) شعر زهير - صنعة الأظم - : ١٢٠ .

(٣) الدلائل ، رضا : ١٠٤ ، خفاجي : ١٦٩ ، شاکر : ١٣٥ .

(٤) المشتاة : أيام الشتاء ، وأراد وقت القحط . / اللسان " شتاء " : ١٤ / ٤٢٢ .

(٤) الجفلى : قال الأخفش : دُعي فلان في النقرى لاني الجفلى ، والأجفلى : =====

(١) ذكر الشيخ صدر البيت فقط، ومن غير نسبة ، وهو لطرفة بن العبد ،  
وعجزه :

لَا تَسْرَى الْأَدِيبَ (٢) فِينَا يَنْتَقِرُ (٣) (٤)

- ====
- (١) هو طرفة بن العبد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبية  
الشاعر المشهور ( نحو ٨٦ - ٦٠ ق هـ ) وكنيته أبو إسحاق ، ويقال :  
أبو سعد ، وقيل : أبو عمرو ، وقيل عمرو اسمه . ، وأمه وردة بنت قتادة  
ابن مشنوء ، وهو شاعر جاهلي جعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من  
فحول الشعراء ، ولد في بادية البحرين ، وتنقل في بقاع نجد ، وكان  
من ندماة الملك عمرو بن هند الذي أرسله فيما بعد إلى عامله - علي  
البحرين وعمان - المكعبر برسالة يأمره فيها بقتله لأبيات بلغ الملك  
أن طرفة هجاه بها ، فقتله المكعبر ، وهو ابن عشرين ، وقيل : ابن ست وعشرين /  
انظر ترجمته في :-  
طبقات ابن سلام : ١ / ١٣٨ - ٢٠٢ ، الشعر والشعراء : ١ / ١٩١ ، مختارات  
ابن الشجري : ١٧٢ - ٢٠٧ ، وانظر كذلك : شعراء النصرانية : ١ / ٢٩٨ -  
٣٢٠ ، شعر الشعراء الستة الجاهليين : ٢ / ٤ - ١٠٥ ، معجم شعراء  
اللسان : ٢٤٢ ، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين : ٢٦٩ - ٢٧٠ ،  
الأعلام : ٣ / ٢٢٥ .  
(٢) الأدب : الداعي إلى المأدبة .  
(٣) ينتقر : من نقر ، وانتقر الشيء ، وتنتقره ، ونقر عنه كل ذلك : بحث عنه ،  
ودعاهم النقرى إذا دعا بعضاً دون بعض ، والنقرى خلاف الجفلى /  
اللسان : ٥ / ٢٣٠ .  
(٤) انظر البيت في :
- شرح ديوان طرفة بن العبد - دار مكتبة الحياة - : ٤٥ ، النوادر فسي  
اللغة : ٨٤ ، أمالي المرتضى : ١ / ٣٤٥ ، مختارات ابن الشجري : ١٨٩ ،  
اللسان : ٥ / ٢٣٠ ، "نقر" : ٥ / ٢٣٠ ، "جفل" : ١١ / ١١٤ ، الإيضاح : ١ / ١٤١ ،  
شرح أبيات الإيضاح :- فيض الله - : ٢٢ ، شعراء النصرانية : ١ / ٣٠١ ،

وهو من قصيدة يفتخر بها، ويصف نفسه، وقومه بشدة الكرم، ومطلعها :  
 أَصْحَوَتِ الْيَوْمَ أُمَّ شَاقَتِكَ هِرٌّ . . . وَمِنْ الْحَبِّ جُنُونٌ مُسْتَعِزٌّ

وبعد الشاهد وعده :

حِينَ قَالَ النَّاسُ فِي مَجْلِسِهِمْ . . . أَقْتَارٌ ذَاكَ أُمَّ رِيحٌ قُطْرٌ (٤)  
 بِجِفَانٍ تَعْتَرِي نَائِيْنَا . . . مِنْ سَدِيفٍ حِينَ هَاجَ الصَّنِيرُ (٥)  
 كَالْجَوَابِي لَا تَبِي مُتْرَعَةً . . . لِقَرَى الْأَضْيَافِ أَوْلِلِّمُحْتَضِرُ (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١)

- (١) شاقتك : الشوق والاشتياق نزاع النفس إلى الشيء، يقال شاقه الشيء، فهو شائق، ومشوق، وشوقه، وشوقه فتشوق أي هيج شوقه. / مختار الصحاح : " شوق " : ٣٥١
- (٢) هِرٌّ : بلد وموضع في جفاف، وهي أرض لأسد وحنظلة واسعة يألفها الطير " هبر "، و " هِرٌّ " بالضم والتشديد قف باليامة. / انظر : معجم ما استعجم : ١/٢/٣٨٧/٤/٢٠١٣٥٠، معجم البلدان : ٥/٣٩٧ اللسان : " هير " : ٥ / ٢٦٢
- (٣) قُتَارٌ : رائحة اللحم المشوي / اللسان " قتر " : ٥ / ٧١
- (٤) قُطْرٌ : العود الذي يحرق ليتخبر به، يعني أنهم جادون في وليمتهم. / اللسان " قُطْرٌ " : ٥/١٠٧
- (٥) جِفَانٌ : جمع جفنة وهي القصعة أي القدر الكبيرة الضخمة. / تاج العروس : " جفن " : ٩ / ١٦٢
- (٦) السديف : شحم السنام المقطع / التاج : " سدف " : ٦ / ١٣٦
- (٧) الصَّنِيرُ : وهو البرد الشديد القارس، وهو القَرُّ والزمهيرير مثله. / فقه اللغة : ٣٥٢
- (٨) الْجَوَابِي : الجوبة شبه رهوة تكون بين ظهرا نبي دور القوم يسيل منها ماء المطر، وقيل هي الحفرة المستديرة الواسعة. / اللسان " جوب " ١/٢٨٦، وقال الشعالي : الجابية الحوض الكبير / فقه اللغة : ٢٩٠
- (٩) المترعة : ترع الشيء بالكسر ترعاً، وهو ترعٌ وترعٌ : امتلأ / اللسان " ترع " : ٨ / ٣٢
- (١٠) القرى : خدمة الضيف واستضافته. / اللسان " قرا " : ١٥ / ١٧٩
- (١١) المحتضر : الذي يأتي الحضر. / التاج : " حضر " : ٣ / ١٤٩



الشاهد فيه كسابقه ، وهو أن المسند إليه قَدِّم على الخبر الفعلي في موضع الافتخار ليؤكد الشاعر ما يريد الافتخار به ، ويمنع السامع من الشك فيما يفتخر . فالشاعر في البيت أراد أن يصف قومه بالكرم الشامل ، والجود العمام ، فأخرج هذا الافتخار في أبداع صورة وأغربها ، وأجمل أسلوب وآتفه .

فقد اختار الزمن ، فأحسن الاختيار ، فقدم الجار والمجرور " في الشتاة " على متعلقه " ندعو " ليثبت ويظهر أنهم ليسوا كرماء في وقت الرخاء فقط ، فهذا الوقت يكثر فيه المتصارعون على الكرم ، أما وقت القحط والجدب حين تنقبض أيدي الكرماء تمتد أيديهم ، ويشتد كرمهم ، وليس هذا فحسب ، فبعد أن وفق في اختيار الزمن أخذ يضيف على موقفهم نوعاً من الغرابة ، فهم في وقت الشتاة ، وهو وقت القحط تمتد أيديهم للعمام والخاص ، للصغير والكبير ، للفني والفقير ، فدعوتهم عامة شاملة ، وهذا أعظم ما يكون الكرم .

فاجتماع زمن القحط ، وكون الدعوة عامة أمر غريب تتعجب له النفس وتستغربه ، وتدهش له .

ولأن الأمر فيه نوع من الغرابة قد يشك السامع فيها ، قدم المسند إليهم على الخبر الفعلي " نحن في المشتاة ندعو " ؛ لينبه الأسماع ويوقظها ، حتى إذا ما وقعت النفس على تلك الصفات تقررت فيها وقويت وتأكدت ، وزال عنها كسل شك .

الشاهد الثالث والسبعون :- ( \* ) ( الرجز )

• قَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ لَمْ تَكَلِّمْ ( ١ )

( \* ) الدلائل ، رضا : ١٠٥ ، خفاجي : ١٧٠ ، شاكر : ١٣٦ .  
( ١ ) لم أقف عليه فيما اطلعت عليه من مصادر ، ولم أعر على قائله .

ذكره الشيخ من غير نسبة ، ولم يذكر نصفه الآخر .  
 واستشهد به على أن الكلام البليغ هو أن تبدأ بالاسم ثم تبني الفعل عليه ،  
 فإذا كان الفعل مضارعاً ، وقع بعد واو الحال ، لم يصلح إلا مبنياً على الاسم ؛  
 لأن الأمر يصير بمعرض الشك . قال :

" فإذا كان الفعل فيما بعد هذه الواو التي يُراد بها الحال مضارعاً  
 لم يصلح إلا مبنياً على اسم ، كقولك : " رأيتَهُ وهو يكتب " ، و " دخلت  
 عليه وهو يبلي الحديث " (١)

وعنده أن الفعل إذا كان ما لا يُشك فيه ، ولا يُنكر بحال ، كان خلفاً من القول  
 أن تأتي به مبنياً على الاسم ، فإذا أردت الإخبار عن رجل من عاداته أن يخرج في  
 كل غداة قلت : " قد خرج " ، ولم تحتج إلى أن تقول : " هو قد خرج " ، لأن خروجه  
 ليس بشي . يشك فيه السامع فتحتاج أن تحققه ، فإن أردت أن تخبر عن حال رجل  
 على نية الركوب والمضي ، ولم يكن شك ، وتردد أنه يركب أو لا يركب كان خبرك  
 فيه أن تقول : " قد ركب " ولا تقول : " هو قد ركب " ، ولكن إن جئت بهذا الكلام ،  
 ووضعت بعد واو الحال حسن ؛ لأن الحكم تغير ، وصار الأمر بمعرض الشك ،  
 وذلك أنه إنما يقول هذا من أنه يصادفه في منزله ، وأن يصل إليه من قبسل  
 أن يركب ، فإن قلت ، فإنك قد تقول : " جئته وقد ركب " بهذا المعنى ومسع  
 هذا الشك ، فإن الشك لا يقوى حينئذ قوته في الوجه الأول (٢) .

(١) الدلائل ، رضا : ١٠٤ ، خفاجي ، ١٧٠ ، شاكر : ١٣٦ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٠٤ - ١٠٥ ، خفاجي : ١٧٠ ، شاكر :

الشاهد الرابع والسبعون :- ( \* ) ( الطويل )

( ١ ) تَمَزَّتْهَا وَالَّذِيكَ يَدْعُو صَبَاحَهُ . : إِذَا مَا بِنُو نَعَشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّسُوا ( ٢ ) ( ٣ ) ( ٤ )  
أورد الشيخ الشاهد من غير نسبة ، وهو للنايضة الجعدي ( ٥ ) من قصيدة

أولها :-

( \* ) الدلائل ، رضا : ١٠٥ ، خفاجي : ( ١٧ ) ، شاكر : ١٣٧ .

( ١ ) رواية الديوان ، والكتاب ، والمفصل ، ومفني اللبيب ، وشرح شواهد المفني :  
" شربت بها " .

ورواية مجاز القرآن : " شربت إذا ما الذيك " .

ورواية معاني القرآن للأخفش الأوسط : " بَاكَرْتَهَا وَالَّذِيكَ . . . "

ويبدو أن رواية الدلائل ومن وافقها أدق وأجمل من هذه الروايات  
لأن التميز معناه شرب الشراب قليلاً قليلاً فيوجد له طعم / اللسان  
" مزز " : ٥ / ٤١٠ .

أضف إلى ذلك أن على كل رواية من الروايات السابقة مأخذا ، فرواية  
" شَرِبْتُ بِهَا وَالَّذِيكَ يَدْعُو صَبَاحَهُ " عدت شرب بالباء ، وهو متعد بنفسه .

ورواية : " شَرِبْتُ إِذَا مَا الَّذِيكَ . . . " حذف المفعول لغير سر بلاغي  
ورواية : " بَاكَرْتَهَا وَالَّذِيكَ . . . " البيت فيه خرم وهو اسقاط الحرف  
الأول من الجزء الأول ، فيما هو مبني على الأوتاد المجموعة ، وذلك  
يكون في خمسة أوزان من العروض : الطويل ، والوافر ، والهزج ، والمضارع ،  
والمتقارب / ، كتاب القواني : ٦٩ .

( ٢ ) بنات نعش : من منازل القمر الثمانية والعشرين ، سببت بحملة العرش  
في تربيعتها ، وهي سبعة كواكب : أربعة منها نعش لأنها مربعة ،  
وثلاثة بنات نعش .

وقوله : " إِذَا مَا بِنُو نَعَشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّسُوا " موضع شاهد عند النحاة ،  
فقد استشهد به سيوييه على تذكر بنات نعش ، لإخباره عنها بالدنو  
والتصويب كما يخبر عن الآدميين حيث صارت هذه الأشياء عند هم تومر  
وتطبيع وتفهم الكلام بمنزلة الآدميين .

وذكر ابن هشام أن واو ضمير الذكور قد تستعمل لغير العقلاء إذا نُزِلُوا

.....

==== منزلتهم نحو قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّعْلُ آذِخُوا مَسَاكِنَكُمْ " وذلك

لتوجيه الخطاب إليهم ، وشذ قوله :

شَرِبْتَ بِهَا وَالذِّيكُ يَدْعُو صَبَاحَهُ .: إذا ما بنو نَعَشٍ دَنَاوا فَتَصَوَّبُوا

والذي جرَّاه على ذلك قوله : " بَنُو " لا بَنَاتُ ، والذي سَوَّغ ذلك أن

مافيه من تذيير نظم الواحد شبيهه بجمع التكسير ، فسهل مجيئه لغير

العاقل ، ولهذا جاز تأنيث فعله نحو : " إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوسُ

إِسْرَائِيلَ " مع افتتاع قامت الزيدون .

(٣) تَصَوَّبُوا : التَّصَوَّبُ الانحدار / اللسان " صوب " : ٥٣٤/١

(٤) انظر البيت في : أي دنوا من الأفق للغروب .

ديوان النابغة الجعدي : ٤ ، الكتاب : ٢ / ٤٧ ، مجاز القرآن

لأبي عبيدة : ٢ / ٨٣ ، معاني القرآن للأخفش الأوسط : ٤٢٤ ،

شرح أبيات سيويه للنحاس : ١٥٠ ، المقتضب : ٢ / ٢٢٤ ، الصحاح

" نَعَشٌ " : ٣ / ١٠٢٢ ، الموشح : ١٠٢ ، الصاحبي : ٤١٩ ،

العمدة : ٢ / ٢٨٢ - ٢٨٣ ، المقتصد في شرح الإيضاح : ١ / ٢٠٠ ،

شرح المفصل : ١ / ٥ / ١٠٥ ، مغني اللبيب : ٢ / ٣٦٥ ، شرح

شواهد المغني : ٢ / ٧٨٢ ، لسان العرب : " نَعَشٌ " : ٦ / ٣٥٥ ،

خزانة الأدب للبغدادي : ٨ / ٨٢ ، الشاهد رقم (٥٨٩) .

(٥) ذُكِرَ البيت في " الكتاب " و " مجاز القرآن " و " معاني القرآن

للأخفش " و " شرح أبيات سيويه للنحاس " و " المقتضب "

و " الصحاح " و " المقتصد في شرح الإيضاح " و " شرح المفصل "

و " مغني اللبيب " و " شرح شواهد المغني " و " خزانة الأدب "

من غير نسبة .

ونسبه المرزباني وابن رشيق للنابغة الذبياني .

وَمَوْلَى جَفَّتْ عَنْهُ الْمَوَالِي كَأَنَّهَا . : يَرَى وَهُوَ مَطْلِي بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ (١)

وبعدہ بیتان قبل الشاهد :

رَئِيتُ إِذَا لَمْ تَرَامِ الْبَازِلُ ابْتَهَا (٢) . : وَلَمْ يَكْ فِيهَا لِلْمَيْسِينِ مَطَلَبُ (٤)  
وَصَهْبَاءٌ لَا تَخْفِي الْقَدَى وَهِيَ نُوْتُهُ . : تَصَفَّقُ فِي رَاووقِهَا ثُمَّ تَقَطَّبُ (٥) (٦) (٧) (٨) (٩)

وبعدهما الشاهد وبعدہ :

وَبِيضَاءٌ مِثْلَ الرَّثْمِ لَوْ شِئْتُ قَدْ صَبْتُ (١٠) . : إِلَى وَفِيهَا لِلْمَحَاضِرِ مَلْعَبُ

- (١) القار والقيربالكسر لغتان : وهو صعد يذاب فيستخرج منه القار، وهو شي أسود يُطلى به السفن فيمنع الماء من الدخول ، وكذا الإبل عند الجرب اللسان : " قير " : ٥ / ١٢٤ .
- (٢) رَئِيتُ : عطفْتُ وهو من رَئِيتُ الناقة ولدها تَرَامُهُ رَأْمًا ورَأْمَانًا عطفت عليه، ولمزمته / اللسان " رَام " : ١٢ / ٢٢٣ .
- (٣) البازل : الناقة التي يُزل نابها أي سُق / اللسان : " بزل " : ١١ / ٥٢ .
- (٤) الميسين : جمع ميسٍ ، وهو الذي يقول للناقة بسبس حتى تدر / اللسان ، ٦ / ٢٧ .
- (٥) وصهباء : أي رب صهباء، وهي الخمر المصنوعة من العنب/ فقه اللغة : ٢٧٦ .
- (٦) القذى : القذى في الشراب ما يقع فيه من ذباب وغيره . / التاج : " قَذِي " : ١٠ / ٢٨٩ .
- (٧) تَصَفَّقُ : التصفيق تحويل الشراب من إناء إلى إناء مزوجاً ليصفو . / اللسان " صفق " : ١٠ / ٢٠٢ .
- (٨) الراوق : ناجود الشراب ، الذي يروق به فيصفى ، والشراب يستروق منه بغير عصر . أي المصفاة : " روق " : ١٠ / ١٣٤ .
- (٩) تَقَطَّبُ : تزج بالماء / اللسان : " قطب " : ١ / ٦٨٠ .
- (١٠) الرَّثْمُ : بالكسر : الطبي الخالص البياض ، وجمعه أَرَامٌ وآرَامُ / اللسان " رَام " : ١٣ / ٢٢٤ .

موضع الشاهد قوله : \* وَالَّذِي يَدْعُو صَبَاحَهُ \* .

والشاهد فيه كسابقه، وهو أن الكلام البليغ أن تبدأ بالاسم، ثم تبنى الفعل عليه ، فإذا كان الفعل مضارعاً، وقع بعد واو الحال لم يصلح إلا مبنياً على الاسم؛ لأن الأمر يصير بمعرض الشك .

فالشاعر هنا أراد أن يصف الوقت الذي ترتاح فيه نفسه للشرب ، فجاء بسواو الحال ، وقدم المسند إليه على الفعل ليبالغ في وصفه بشدة البكور، فيمنع بذلك المستمع من الشك في الخبر، وهذا أحسن وأدق وصفاً مما لو قال :

\* تَمَزَّزْتُهَا وَيَدْعُو الدَّيْكَ صَبَاحَهُ \* .

وفي جعل الديك ينادي على الصباح لطافة وحسن في التعبير وأناقة وابتكار من الخيال .

#### ٤ - مواضع التقديم والتأخير - مثل وغير :

الشاهد الخامس والسبعون : ( \* ) ( السريح )

بِثُّكَ يَثْنِي المَزْنَ عَنْ صَوْبِهِ ( ١ ) . وَيَسْتَرِدُّ الدَّمَغَ عَنْ غَرْبِهِ ( ٢ ) .  
( ٣ )

( \* ) الدلائل ، رضا : ١٠٦ ، خفاجي : ١٧٢ ، شاکر : ١٣٨ .  
( ١ ) رواية الديوان والدلائل تحقيق شاکر وشرح أبيات الإيضاح ، ونغية الإيضاح :

\* بِثُّكَ يَثْنِي المَزْنَ عَنْ صَوْبِهِ \* .

ورأى الاستاذ عبد المتعال الصعيدي أن رواية " المزن " لا تناسب مقام الرثاء ، وكذلك رأى الشيخ عبد الهادي المعدل في كتابه ( دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر ) أن رواية " المزن " تحريف لم يفتن الناشر له . وأثبت الخطيب في الإيضاح والشيخ محمد رشيد رضا والاستاذ عبد المنعم خفاجي رواية " المزن " من غير تعليق أو إنكار .

( ٢ ) الصوب : نزول المطر وهو أيضا القصد ، فلان مستقيم الصوب إذا لم

يَزِغَ عن قصده يمينا وشمالاً في مسيره . / اللسان " صوب " : ٥٣٦ / ١ .

( ٣ ) غربه : الضروب : مجاري الدمع ، وللعين غريان ، مقدمها ومؤخرها . قال

الأصمعي : يقال بعينه غُرب إذا كان يسيل ، ولا تنقطع دموعها ، والغُربُ =

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وهو لأبي الطيب المتنبي من قصيدة له قالها  
( ١ )  
يعزي أبا شجاع عضد الدولة - وقد ماتت عته - ومطلع القصيدة :-

آخِرَ مَا التَّمَّكَ مَعَزَى بِهِ . : هَذَا الَّذِي أَشَّرَ فِي قَلْبِهِ

وقبل الشاهد :

( ٢ )  
حَاشَاكَ أَنْ تَضَعَفَ عَنْ حَمَلِ مَا . : تَحَلَّ السَّائِرُ فِي كُتُبِهِ

====  
مسيل الدمع ، والغرب : انهما له من العيين ، والغروب : الدموع حين  
تخرج من العيين ، والغروب أيضا مجاري الدمع / اللسان " غرب " :  
٠٦٤٢ / ١

( ٤ ) انظر البيت في : -

ديوانه بشرح العكبري : ١ / ٢١٦ ، نهاية الإيجاز : ١٢٤ ، الإيضاح :  
١ / ١٤٨ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٢٢٢ .  
( ١ ) هو السلطان عضد الدولة " أبو شجاع " فناخسرو بن ركن الدولة حسن  
ابن بويه الديلمي ، تملك فارس بعد عمه عماد الدولة ، ثم اتسعت مملكته ،  
وسار إليه المتنبي ، ومدحه وأخذ صلته .

قصد عضد الدولة العراق ، والتقى بأبن عمه عز الدولة وقتله ، وملك العراق ،  
ودانت له الأم ، كان بطلا شجاعا مهيبا نحويا أدبيا عالما جبارا عسوقا  
شديد الوطأة ، وله صنف أبو علي الفارسي كتابي " الإيضاح " و " التكملة " .  
ومدحه فحول الشعراء ، وكانت وفاته سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ببغداد  
ودفن بمشهد الشَّجَف ، وحكم بعده ابنه صمصام الدولة . / انظر ترجمته :  
يتيمة الدهر : ٢ / ٢١٦-٢١٨ ، الكامل لابن الأثير : ٧ / ١١٣-١١٥ ،  
العبر : ٢ / ١٣٨-١٣٩ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٥٠-٥٥ ، النجم الزاهرة :  
٤ / ١٤٢-١٤٣ ، بغية الوعاة : ٢ / ٢٤٧-٢٤٨ ، شذرات الذهب :  
٣ / ٧٨-٧٩ ، سير أعلام النبلاء : ١٦ / ٢٤٩-٢٥٢ .

( ٢ ) السائر : الذي حمل إليه الكتاب بوفاها يقول : إذا كان قد أطاق

حمل ذكر وفاتها ، فحكم قلبك أن يكون أشد طاقة له ، وهذه مغالطة ،  
وإنما أراد تسكينه ، فتوصل إليه بكل وجه . / شرح العكبري : ١ / ٢١٦ .

وَقَدْ حَمَلَتِ الثَّقَلِ مِنْ قَبْلِهِ . : فَأَغْنَتِ الشَّدَّةُ عَنْ سَخِيهِ  
 يَدْخُلُ صَبْرُ الْعَرَّةِ فِي مَدِّ جِسْمِهِ . : وَيَدْخُلُ الْإِشْفَاقُ فِي ثَلْبِهِ  
 (١)

وعدها الشاهد وعده :

(٢)  
 إِيْمًا لِإِبْقَاءِ عَلَى فَضْلِهِ . : إِيْمًا لِتَسْلِيمِ إِلَى رَبِّهِ  
 وَلَمْ أَقُلْ يَشْكُكَ أَعْنِي بِهِ . : سِيَوَاكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشْبِهِ

استشهد الشيخ بالبيت على أنه إذا قصد بـ " مثل " ما أضيفت إليه ، ولم يقصد بها المعنى اللغوي الظاهر ، وهو الشبيه والنظير - أي إذا استعملت كناية من غير تعريض - كان تقديمها على الخبر الفعلي كاللزام ، وإنما كان التقديم فيها كاللزام ، ولم يكن لازماً ؛ لأنه لا شيء يوجب من جهة القياس " ، ولا من جهة الكناية ، وإنما هو ما يساعد على الفرض المقصود منها ، وهي حاصلة مع التقديم والتأخير ، فليس هذا اللزوم إلا في استعمال البلغاء " .  
 (٣)

والسرف في تقديم مثل ، وغيره ، إفادة تقوي الحكم . قال البلا والسيكي :

(٤) (٥)

" والسرفيه أن تقديمها يفيد تقوي الحكم " .

(١) ثلبه ثلباً : إذا صرح بالعيب فيه ، وتنقصه . قال الراجز :

" لا يحسن التعريض إلا ثلباً " .

والمثالب : العيوب ، الواحد " مثلبة " . / شرح العكبري : ٢١٦ / ١ .

(٢) إِيْمًا : يريد إِيْمًا أَنشُدْ ثَلْبُ قَالَ :

يَا لِيْتِمَّا أَمْنًا سَأَلْتَ نَعَامَتَهَا . : أَيْتِمًا إِلَى جَنَّةٍ أَيْتِمًا إِلَى نَارِ

والمعنى : أنك إذا فعلت ما قلت لك : إما لتبقى ، فلا تهلك من الجزع ،

وإما لتسلم الأمر إلى الله ، فإن الأمر له فيما شاء في عباده . / .

شرح العكبري : ٢١٢ / ١ .

(٣) بغية الإيضاح : ١٥٦ / ١ .

(٤) يقصد " مثل وغير " .

(٥) شرح التلخيص : - عروس الأفرح - : ٤٢٥ / ١ .



قال الشيخ :

" وما يُرى تقديم الاسم فيه كاللزام " مثل " و " غير " في نحو قوله :  
 مِثْلُكَ يَثْبِي الْعِزَّنَ عَنِّ صَوْبِهِ . . . وَيَسْتَرِدُّ الدَّمَاعَ عَنِّ غَرْبِيهِ  
 وقول الناس : " سترك رعى الحق والحرمة " ، وكقول الذي قال له الحجاج :  
 لأحلبنك على الأدهم يريد القيد ، فقال على سبيل المغالطة : ومثل  
 الأمير يحمل على الأدهم والأشهب ، وما أشبه ذلك ما لا يقصد فيه بمثل  
 إلى إنسان سوى الذي أُضيف إليه ، ولكنهم يعنون أن كل من كان مثله في  
 الحال والصفة كان من مقتضى القياس ، وموجب العرف ، والعادة أن يفعل  
 ما ذكر أو أن لا يفعل (١) .

" ووجه الدلالة فيه : أنه إذا ثبت أن من كان مثله ، وعلى أخص أوصافه  
 يفعل كذا ، أو لا يفعل لزم عقلاً أنه هو أيضاً يفعله أو لا يفعله ، لأن ما ثبت  
 لأحد المثليين أو نفي عنه يجب أن يثبت مثله للآخر ، أو ينفي عنه ،  
 فكأنك تقول : أنت تفعل كذا ؛ لأن مثلك يفعله ، فهو من استعمال  
 الملزوم في اللزام (٢) .

وذكر الشيخ أن هذا الأسلوب الكنائي أفخم من الأسلوب الصريح ، فهو مركوز  
 في الطباع ، وجار في عادة كل قوم ، فلو قيل : " يثنى العزن عن صوبه مثلك ، و " رعى  
 الحق والحرمة مثلك " رأيت كلاماً مقلوباً عن جهته ، ومغيراً عن صورته ، ورأيت  
 اللفظ قد نبا عن معناه ، ورأيت الطبع يأبى أن يرضاه (٣) .  
 فالشاعر في البيت أراد أن يصف المدوح بقوة الصبر ، والجلد عند المصاب ،

(١) الدلائل ، رضا : ١٠٦ - ١٠٧ ، خفاجي : ١٧٢ ، شاکر : ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر : ٢٨٩ .

(٣) الدلائل ، رضا : ١٠٧ - ١٠٨ ، خفاجي : ١٧٣ ، شاکر : ١٤٠ .

فأخذ يقوّي هذا المعنى في نفس مدوحه، فجاء به مثل \* مضافة إلى ضمير المخاطب  
 " المدوح " وأراد بذلك أنت \* . . . . . تقدر على دفع الحزن عن قصده، وتغلبه  
 بالصبر، وترد الدمع إلى قراره ومجراه، بأن تصرفه عن المجرى، وكيف لا تفعل  
 هذا وأنت لا تشبه لك (١).

وهذا الأسلوب أمضى للعزم، وأدعى للصبر، وأحث على الجلد، وأريح للنفس.

### الشاهد السادس والسبعون : ( \* ) ( السريح )

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلَكَ أَعْنِي بِـ . . . سَوَاكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشْبِهٍ (٢)

أورد الشيخ البيت من غير عزو، وهو للمتنبي من قصيدته التي منها الشاهد  
 السابق، والتي قالها لتعزية عضد الدولة، وقد ماتت عمته، وهو آخر بيت في  
 القصيدة .

استشهد به الشيخ للتنظير على القول الذي ساقه في بيان أن مقصوده من  
 \* مثل \* التي يكون تقديمها كاللازم هي ما كان معناها نفس المعنى الذي قصده  
 الشاعر، وهو أنت أعني لا سواك أي أن المقصود بها ما أضيفت إليه دون التعريض .

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٢١٦/١ .

(\*) الدلائل، رضا : ١٠٧، خفاجي : ١٧٣، شاكر : ١٣٩ .

(٢) ذكر الشيخ عبد القاهر في المختار من دواوين المتنبي والبحثري وأبي تمام،  
 أن البيت قبل الشاهد \* وجعل القافية ساكنة \* :

يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ . . . مَوْتَةَ جَالِيْنُوسٍ فِي طَبَّاسِهِ  
 وهذا البيت في الديوان هو الخامس عشر من القصيدة، وبيت الشاهد هو  
 البيت الأخير منها وهو الخامس والثلاثون .

انظر البيت في :

الديوان بشرح العكبري : ٢١٧/١، الطراف الأدبية : ٢٠٥، وفي التثليل  
 والمحاضرة ذكر أربعة أبيات من القصيدة، ولم يذكر ضمنها بيت الشاهد :

٤٠٥، الإيضاح : ١٤٧/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٢٢ ب .

الشاهد السابع والسبعون : ( \* ) ( البسيط )

\* غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا (١) النَّاسِ يَنْخَدِعُ (٢)

ذكر الشيخ الصدر دون العجز وسن غير نسبة، وهو لأبي الطيب المتنبّي، والشاهد مطلع قصيدة قالها في مدح سيف الدولة، ويذكر فيها الواقعة التي حدثت في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، وهي الواقعة التي نكب فيها المسلمون. (٤)

وعجز البيت :

\* إِنْ قَاتَلُوا جَبَّنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَّعُوا \* (٥)

(\*) الدلائل، رضا : ١٠٧، خفاجي : ١٧٣، شاکر : ١٣٩.  
(١) الناس اسم من أسماء الجموع عبر عنه بإشارة الواحد على اللفظ لا على المعنى،

ولو أراد المعنى لقال: هؤلاء. / شرح الديوان للعكبري : ٢٢١/٢.  
(٢) ينخدع : يفتر، وأصله من خدع الضَّبُّ في جحره إذا دخل فيه، ومنه قول الشاعر- المعزق العبدي :-

أَرِقْتُ فَلَمْ تَخْدَعْ بَعِينِي نَعْسَةً . . . وَمَنْ يَلْقَ مَا لَاقَيْتَ لَابِسًا يَأْرُقُ  
أي لم تدخل بعيني نعسة، والخداع : المنع، والخداع : الحيلة، وخدع الضَّبُّ يَخْدَعُ خَدْعًا، وانخدع : استروح ربح الإنسان، فدخل في جحره لئلا يحترش، والخدع إظهار خلاف ما تخفيه وخذعه يخدعه خدعًا بالكسر مثل سحره يسحره سحرًا. / اللسان : " خدع " : ٦٣-٦٦.

(٣) ذكر صاحب العرف الطيب أنه قالها في رثاء أبي شجاع فاتى، وقد توفي بمصر سنة (٣٥٠هـ) / العرف الطيب : ٣١/٤.

وليس البيت عنده مطلع القصيدة، بل مطلعها :  
الْحُزْنَ يَقْلِسُقُ وَالتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ . . . وَالدَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَيِّبٌ  
وبيت الشاهد هو البيت الثاني والأربعون منها.

وقبله :

لَا قَلْبَتِ أَيْدِي الْقَوَارِسِ بَعْدَهُ . . . رُمْحًا وَلَا حَمَلَتْ جَوَادًا أَرِيحُ  
وبعد الشاهد :

أهل الحفيظة . . . .

(٤) جاء في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير: أن سيف الدولة بن حمدان دخل إلى بلاد الروم فغزا، وأوغل فيها، وفتح حصونًا كثيرة وسبى، وغنم، فلما أراد الخروج من بلد الروم أخذوا عليه المضايق فهلك من كان معه من المسلمين أسرا وقتلوا، واسترد الروم الغنائم والسبي، وغنموا أثقال المسلمين وأموالهم، ونجا سيف الدولة في عدد يسير. / انظر:

تاريخ الطبري : ١١ / ٣٧٢، الكامل لابن الأثير : ٦ / ٣٣٤.  
(٥) ديوانه بشرح العكبري : ٢ / ٢٢١، العرف الطيب : ٤ / ٣٩.

وبعد :

أَهْلُ الْحَفِيفَةِ إِلَّا أَنْ تُجَرَّبَهُمْ . : . وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ الْغَيِّ مَا يَنْزَعُ  
وَمَا الْحَيَاةُ وَنَفْسِي بَعْدَ مَا عِلِمَت . : . أَنَّ الْحَيَاةَ كَمَا لَا تَشْتَهِي طَبَعُ

والبيت شاهد على أن " غير " إذا سلك بها سلك " مثل " كانت مثلها

في الحكم .

قال الشيخ :

" وكذلك حكم " غير " إذا سلك به هذا السلك فقل : " غيري يفعل  
ذاك " ، على معنى أنني لا أفعله ، لا أن يُؤيىء به " غير " إلى إنسان فيخبر  
عنه بأن يفعل كما قال :

" غيري بأكثر هذا الناس ينخدع " ، وذلك أنه معلوم أنه لم يُرد أن يُعرض  
بواحد كان هناك ، فَيَسْتَنْقِصَهُ ، وَيَصِفُهُ ، بأنه مضعوف يُغَرُّ وَيُخَدَعُ ، بل  
لم يُرد إلا أن يقول : إنني لست ممن ينخدع ، وَيَخْتَرُ (١) .

وهذا الاستعمال الكنائي لـ " غير " أبلغ وأقوى من الأسلوب الصريح ؛ لأنه

كدعوى الشيء ببيئته . (٢)

" ووجه الدلالة : أنك إذا حكمت على غيرك على سبيل العموم بحكمهم ،  
لزم ثبوت ضده لك ، فإذا نفيت عن غيرك أمراً لزم ثبوت ضده لك ، وإذا أثبت له  
أمراً لزم نفيه عنك ، فالذي يقول : " غيري ينخدع " أثبت لغيره الانخداع ، فلزم  
نفيه عن نفسه ، والذي يقول : " غيرك لا يوجد ، نفي عن غير المخاطب الجسود ،  
فلزم إثباته له ، وهكذا (٣) .

(١) الدلائل ، رضا : ١٠٧ ، خفاجي : ١٧٣ ، شاكر : ١٣٩ .

(٢) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر : ٢٩٢ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

## الشاهد الثامن والسبعون : ( \* ) ( الوافر )

قال أبو تمام :-

(١) وَغَيْرِي يَأْكُلُ الْمَعْرُوفَ سَخْتًا .: (٢) وَتَشْحَبُ عِنْدَهُ بَيْضُ الْأَيْدِي (٤) (٥)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد (٦) ، ويعتذر

( \* ) الدلائل ، رضا : ٥١٠٧ ، خفاجي : ١٧٣ ، شاکر : ١٣٩ .

(١) يأكل : يجحد .

(٢) السَّخْتُ والسَّخْتُ كل حرام قبیح الذکر ، وقيل : هو ما خُبِتَ من المكاسب

وحرّم ، فلزم عنه العار ، والسَّخْتُ : الحرام الذي لا يحلّ كسبه ، لأنه

يسخّت البركة أي يذهبها / اللسان " سحت " : ٢ / ٤١ .

(٣) روي الفعل في شرح أبيات الإيضاح مبنياً للمجهول : " تشحب " .

وتشحب : من شحب لونه وجسمه يشحب ، ويشحب بالضم شحوباً ، وشحب

شحوبةً ، تغيّر من هزال ، أو عمل ، أو جوع أو سفر / اللسان : " شحب " :

١ / ٤٨٤ .

(٤) بيض الأيدي : وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وهو مجاز بليغ ،

فالمراد بالأيدي هنا النعم ، والمراد ببياضها شهرتها ، وأنها غير مشوية

بالتش / شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٢٣ .

(٥) انظر البيت في :

ديوان أبي تمام - دار صعب - : ٧٢ - ٧٣ ، شرح ديوان أبي تمام

محمد محيي الدين عبد الحميد - : ١ / ٢٣٠ ، الإيضاح : ١ / ١٤٩ ، شرح

أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٢٣ .

(٦) هو القاضي أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد فرج بن جرير القاضي

( ١٦٠ هـ - ٢٤٠ هـ ) كان فصيحاً مفوهاً وشاعراً جواداً مدحاً رأساً

في التجهم ، وهو الذي شغب على الإمام أحمد بن حنبل وأفتى بقتله ،

وكان من المعتزلة ، وله مكانة عند المؤمن والمعتصم ، وهو أول من بدأ

الخلفاء بالكلام ، وكانوا لا يتكلمون حتى يتكلموا ، وكان بينه وبين ابن الزيات

ضغينة وسهاجة عظيمة ، توفي بالفالج في خلافة المتوكل / انظر ترجمته :

تاريخ الطبري : ٩ / ١٩٧ ، أخبار أبي تمام : ١٤١ - ١٥٧ ، تاريخ

إليه عما اتهمه به الوشاة من أنه <sup>(١)</sup> هجاء ، ومطلع القصيدة :  
 سَقَى عَهْدَ الْجَمِيِّ سَبِيلَ الْعَهْدَانِ . : وَرَوَى حَاضِرٌ مِنْهُ وَيَسَارِ <sup>(٢)</sup>  
 وقبل الشاهد :

وَكَانَ الشُّكْرُ لِلْكَرْمَاءِ خَصْلًا . : وَمَيْدَانًا كَمَيْدَانِ الْجِيَارِ  
 عَلَيَّ عَقْدَتْ عَقْدِي وَلَا حَسْتُ . : مَوَاسِمُهُ عَلَى شَيْبِي وَعَارِي <sup>(٤)</sup>  
 وبعدهما الشاهد وبعده :

=== بغداد : ٤ / ١٤١ - ١٥٦ ، العبر : ٣٣٩ / ١ ، ميزان الاعتدال :  
 ٩٧ / ١ ، وفيات الأعيان : ١ / ٨١ - ٩١ ، لسان الميزان :  
 ١ / ١٧١ ، شذرات الذهب : ٢ / ٧٥ - ٨٧ - ٩٣ ، سير أعلام  
 النبلاء : ١١ / ١٦٩ .

(١) جاء في أخبار أبي تمام :-

أن أبا تمام مر بقوم فاستوقفوه وسألوه : أي رجل أنت لو لم تكن  
 في اليمن ، فقال : ما أحب أتي بغير الموضع الذي اختاره الله  
 لي ، فمن تحبون أن أكون ، فقالوا : من مَضَّر ، فقال : أبو تمام  
 إِنَّمَا شَرَفَتْ مَضَّرَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قَيْسُوا  
 بِلُوكِنَّا ، وَفِينَا كَذَا ، وَفِينَا كَذَا ، فَفَخِرَ وَذَكَرَ أَشْيَاءَ عَابَ نَفْرًا مِّنْ  
 مَضَّرَ ، فَانْتَقَلَ الْخَبْرَ إِلَى أَبِي نَدْوَانَ ، وَزَادَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا أَحَبُّ  
 أَنْ يَدْخَلَ إِلَيَّ أَبُو تَمَامٍ ، فَلْيُحْجَبْ عَنِّي ، فَقَالَ أَبُو تَمَامٍ الْأَبْيَاتُ يَمْتَنِدُ  
 إِلَيْهِ وَيَمْدَحُهُ / ونظر :

أخبار أبي تمام : ١٤٧ - ١٤٨ .

(٢) رواية - دار صادر - : سيبك ، ويروى : " صوب العهد " ، وسبيلُ  
 العهد : مطريجي ، بعضه في إثر بعض / نظر :

فقه اللغة : ٢٨٥ .

(٣) ديوانه - دار صادر - : ٧١ ، شرح الديوان - محمد محيي الدين - :

٢٢٣ .

(٤) ويروى " عَلَيْهِ عَقْدَتْ عَوْدِي " ، والعَوْدُ - بضم العين ، وفتح الواو جمع عودَة ،

وهي ما يوضع على الصبي ليقيه العين والحسد " نقلًا عن شرح ديوان أبي تمام  
 - محمد محيي الدين - : ٢٣٠ .

- (١) تَشَبَّثَ إِنْ قَوْلًا كَانَ زُورًا .: أَتَى النَّعْمَانَ قَبْلَكَ عَنْ زَيْتَارِ  
 وَأَرْثَ بَيْنَ حَتَّى بَنِي جَسْلَاحٍ .: شَبَابًا حَرْبٍ وَحَتَّى بَنِي مَصَّارِ  
 وَقَادَرِي فِي صُدُورِ الدَّهْرِ قَتْلَى .: بَنِي بَدْرِ عَلَى ذَاتِ الإِصَّارِ  
 فَمَا قَدْ حَاكَ لِلبَّارِي وَلَيْسَتْ .: مَتُونٌ صَفَاكَ مِنْ نَهْزِ السَّرَادِي  
 وَلَوْ كَشَفْتَنِي لَوَجَدْتَ خِرْقًا .: يُصَافِي الأَكْرَمِينَ وَلَا يُصَاصِرِي

الشاهد في البيت كسابقه ، فالشاعر هنا لم يرد التعريف بشاعر آخر ، فيزعم

أن ما اتهم به عند الممدوح كان من ذلك الشاعر ، بل كل الذي أراد ، هو أن يقوي معنى براءته في نفس الممدوح ، بقوله : " إني لا أكل معروفك سحتا ، ولا اتعاطى إحسانك حراماً ، ولا تتغير عندي أياديك البيض ، وعطاياك المشهورة الجميلة

(١) المقصود بزياد هنا : النابغة الذبياني ، والمقصود بالنعمان النعمان ابن المنذر ملك العرب في الحيرة ، وكان قد بلغ النعمان أن النابغة يشبب بأمراته ، فحقد عليه النعمان ، فهرب النابغة ، ثم ما زال يعتذر له بقصائد جواد حتى صفح عنه . / انظر : الأغانى : ١١ / ٨ - ١٤ - ٢٨ - ٢٩ .

(٢) أَرَّثَ : أفسد ، والتأريث الإغراء بين القوم ، وهو من أَرَّثَ النار أوقدها / اللسان " أَرَّثَ " : ٢ / ١١١ .

(٣) بنو جلاح : أصل اسمهم " بنو الجلاح " بالألف واللام ، وهم سمن كلب بن وبرة / ، نظر : جمهرة أنساب العرب : ٤٥٨ .

(٤) بنو مَصَّارِ : هم من بني عليم بن جناب ويرجعون فنسبهم إلى كلب ابن وبرة . / انظر : جمهرة أنساب العرب : ٤٥٢ .

(٥) بنو بدر : أراد حذيفة بن بدر وأخوته / جمهرة أنساب العرب : ٢٥٦ .

(٦) ذات الإصَّارِ : الردهة التي قتل عليها قيس بن زهير حذيفة بن بدر ،

وهي موضع ماء بالهبة / معجم ما استعجم : ١ / ١٦٢ .  
 (٧) قَدْ حَاكَ : القِدْحُ : السهم قبل أن يراش وَيُنْصَلَ / اللسان " قدح " ٢ / ٥٥٦ .

الصافية عن الشوائب بالكفران والغمط ، ولما اتهمت به من الهجاء<sup>(١)</sup> .  
قال الشيخ :

" لم يرد أبو تمام بقوله :

وغيري يأكل المعروف سحناً . . . وتشحَبُ عنده بيض الأيدي  
أن يعرض مثلاً بشاعر سواه ، فيزعم أن الذي قرِف<sup>(٢)</sup> به عند المدوح من  
أنه هجاه كان من ذلك الشاعر لا يئنه ، هذا محال ، بل ليس إلا أنه نفَى  
عن نفسه أن يكون ممن يكفر النعمة ويلوم<sup>(٣)</sup> .

وما أجمل تصويره إنكار المعروف في صورة أكل السحت ، للتقبيح والتشنيع من  
هذا الفعل .

وفي قوله : " تشحَبُ عنده بيض الأيدي " مجاز رائع بليغ ، وهو مجاز مرسل  
علاقته المحلية ، لأن اليد هي محل النعمة وموضعها ، فالعرب يطلقون اليسد ،  
ويريدون بها النعمة .

فالروعة في هذا المجاز أنه أتى في جملة تلاحت أجزاءها ، وتشابكت  
ألفاظها ، فخرجت صورة رائعة ومختصرة عن الشخص اللئيم الذي ينكر الفصل  
العظيم ، فعبر عن النعمة باليد ، وعبر عن عظمها وفضلها بالبياض ، ثم عبر عن  
إنكارها بالشحوب وتغير اللون ، وقدّم الظرف " عنده " على " بيض الأيدي " .  
إمعاناً في وصفه باللوم .

( ١ ) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٢٣ .

( ٢ ) قرِفَ : أي اتهم . / اللسان « قرِفَ » : ٢٨ / ٩ .

( ٣ ) الدلائل ، رضا : ١٠٧ ، خفاجي : ١٧٣ ، شاكر : ١٣٩ .



# الفصل الخامس

شواهد القول في الحذف

٢ - حذف مبتدأ .

٣ - حذف لفعول به .

الحذف :

قدم الشيخ عبدالقاهر لهذا الفصل بمقدمة بيّن فيها أهميته فسي  
 التراكيب اللغوية ، وأثر هذه التراكيب في نفس السامع أو القاري ، فهو . . . باب  
 دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به  
 ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق  
 ما تكون إذا لم تتطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين ، وهذه جملة قد تنكرها  
 حتى تخبر ، وتدفعها حتى تنظر (١) .

ثم عرض بعد ذلك كثيراً من الشواهد التي لم يزد فيها على أن بين موضع  
 الحذف ، ثم ترك للقاري حرية التدقيق .

وقد تحدث في هذا الفصل عن :

١- حذف المبتدأ .

٢- حذف المفعول به .

وفيما يلي سأعرض شواهد في هذا الفصل محاولة بيان مظهر لي من أسرار

الحذف .

---

(١) الدلائل ، رضا : ١١٢ ، خفاجي : ١٧٨ ، شاكر : ١٤٦ .

## ٢- حذف المبتدأ:

الشاهد التاسع والسبعون : ( \* ) (البسيط)

أَعْتَادَ قَلْبَكَ مِنْ لَيْلَى عَوَائِدُهُ . . . وَهَاجَ أَهْوَاءَكَ التَّكُونَةَ الطَّسَلُ (١) (٢) (٣)

رَبْعٌ قَوَاءٌ أَدَاعَ الْمَعْصِرَاتِ بِهِ . . . وَكَلَّ حَيْرَانَ سَارِ مَآوُهُ خَضِيلُ (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١)

البيتان ذكرهما الشيخ من غير عزو، إلا أنه أشار إلى أنهما في أبيات الكتاب.

- ( \* ) الدلائل ، رضا : ١١٢ ، خفاجي : ١٧٨ ، شماكر : ١٤٦ .
- ( ١ ) رواية الكتاب ، وشرح أبيات سيويه للنحاس ، والخصائص ، وشرح أبيات سيويه للسيرافي ، والمغني : " اعتاد قلبك من سلسي " .
- ( ٢ ) رواية شرح أبيات سيويه للنحاس : " عَوَائِدُهَا " .
- ( ٣ ) رواية شرح أبيات سيويه للنحاس : " وهاج أهوالها " .
- ورواية مغني اللبيب وشرح شواهد المغني : " وهاج أحزانك " ، ورواية الأهواء أجود لأنها أعم وأشمل ، فهي تشمل الحزن ، وكل ما يضرب في جوانح النفس مسن أحاسيس تهيجها الذكريات .
- ( ٤ ) الربيع : المنزل والوضع الذي أقاموا به ، وهو من رَّبَعَ بالمكان أقام به ، وأقاموا فسي ربعمهم وربوعهم ورباعهم ، وهذا مربعمهم / أساس البلاغة : ( ربيع ) : ١٥٢ .
- ( ٥ ) قواء : أي قفر خال ، أقوت الدار من أهلها ، ونزلوا بالقواء واليقى : بالقفر / أساس البلاغة " قوى " : ٣٨٣ .
- ( ٦ ) أداع المعصرات به : أن هبته وطمست معالمه . / اللسان " ذبيح " : ٩٩ / ٨ .
- ( ٧ ) رواية شرح شواهد المغني : " أداع المعصرات بها " .
- ( ٨ ) حيران : السحاب المتحير ، وهو سحاب ثقيل متردد ليس له ربح تسوقه لكثرة مائه ، فلا يبرح مكانه حتى يصب مطره . / اللسان : " حير " : ٢٢٣ / ٤ - ٢٢٤ .
- ( ٩ ) سار : عام ، وهو من : سار الشيء وسرته ، فَعَمَّ / اللسان : " سير " : ٣٩٠ / ٤ .
- ( ١٠ ) خضيل : أي غزير شديد ، وهو من : أخضلتنا السماء : بَلَّتْنَا بِلَا شَدِيدًا . / اللسان : " خضل " : ٢٠٨ / ١١ .
- ( ١١ ) لم أقف على البيتين في ديوانه . . . انظرهما في :  
الكتاب : ٢٨١ / ١ ، شرح أبيات سيويه للنحاس : ١١٦ ، الخصائص : ٢٢٦ / ٣ -  
٢٩٦ / ١ ، شرح أبيات سيويه للسيرافي : ٣٩١ / ١ ، اللسان : " ذبيح " : ٩٩ / ٨ -  
ذكر الشطر الأول من البيت الثاني فقط - مغني اللبيب : ٦٠١ / ٢ ، شرح شواهد المغني : ٩٢٤ / ٢ .

ونسبهما البغدادي في شرح شواهد المغني<sup>(١)</sup> لعمر بن أبي ربيعة<sup>(٢)</sup>،  
وعلى قوله هذا سار كثير من المحققين<sup>(٣)</sup>.

وموضع الشاهد قوله : " ربيع " ، والشاهد فيه : رفع " ربيع " على أنه خبر  
مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هو ربيعٌ قواه اعتاده قلبك مرة بعد مرة . قال  
سيبويه :

" كأنه قال : " وذاك ربيع " ، أو " هو ربيع " ، رفعه على ذا ، وما أشبهه ،  
سمعناه من يرويه عن العرب<sup>(٤)</sup> .

ومنع حمله على البدل ؛ لأن الرفع أكثر من الطلل ، ولا يجوز أن يبدل الأكثر  
من الأقل .

وروي أن السيرافي أجاز كونه بدلاً ، ورد ذلك ابن جني والنحاة . جاء في الخصائص<sup>(٥)</sup> :

( ١ ) نقلاً عن تحقيق شرح كتاب سيبويه للسيرافي حيث ورد فيه " هو عمر بن أبي  
ربيعة وذلك عند البغدادي في شرحه لشواهد المغني الشاهد ( ٨٣٤ ) ورقة  
٧٥٥ / ١ مخطوط استانبول ( طبع منه أربعة أجزاء ) وفيه ( أحزانك ) بدل  
أهواءك ) / شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ٣٩١ / ١ .

( ٢ ) ذكر البيتان في الكتاب ، وشرح أبيات سيبويه للنحاس ، والخصائص ،  
وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ، واللسان ، والمغني ، وشرح شواهد  
المغني من غير نسبة .

( ٣ ) انظر : معجم شواهد العربية : ٢٩١ ، الكتاب : - تحقيق عبد السلام  
هارون - : ٢٨١ / ١ ، الخصائص - تحقيق - محمد علي النجار - ٢٢٦ / ٣ ،  
٢٩٦ / ١ ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي - تحقيق محمد علي سلطاني -  
٣٩١ / ١ ، الدلائل - تحقيق - شاکر : ١٤٦ .

( ٤ ) الكتاب : ٢٨٢ / ١ .

( ٥ ) ذكر في تحقيق كتاب شرح أبيات سيبويه للسيرافي - محمد علي سلطاني -  
أنه وجد ذلك مذكوراً على حاشية الكتاب . قال المحقق :  
" وقال السيرافي على حاشية الكتاب يجوز أن يكون " ربيع " بدلاً من  
الطلل كأنه قال : وهاج أهواءك ربيع .

قلت : ولكنه على هذا يفقد المعنى عنصر التأثير إذ يجعل البيتين =====

" والبدل لا يجوز إذا كان الثاني أكثر من الأول ، كما يجوز إذا كان الأول أكثر من الثاني ، ألا ترى أنهم لم يُجيزوا أن يكون " رُبْع " . . . بدلاً من " الطلل " ، من حيث كان الربيع أكثر من الطلل ، ولهذا حمله سيبويه على القطع والابتداء دون البدل والإتياع (١) .

وذكر آبن هشام علة أخرى لمنع البدل ، وهو لئلا يصير الشعر معيماً لتعلق أحد البيتين بالآخر ، إذ البدل تابع للبدل ، وهذا ما يسميه علماء القوافي تضييماً (٢) .

ولقد رد الشيخ عبد القاهر مقاله سيبويه والنحاة في هذا الموضوع ولم يزد عليهم شيئاً يبين السر البلاغي لهذا الحذف .

فالببت إذاً محمول على القطع والاستئناف ، ولعل السر في هذا الحذف أنه حين طرقت قلب الشاعر الذكريات ، ومرت بخياله صور الأطلال هاجت في صدره الأهواء التي كان يكتنحها ويستترها ، وثار شعوره الجياش وإحساسه المتوتر ، فقطع الكلام ، واستأنف كلاماً جديداً عميق الصلة بكوا من نفسه باعنا معه زفرات الحسرة والألم على تلك الديار الخالية ، وقد أدَّهَبَت الأمطار معالمها وطمستها ، وقد زاد من حزنه وألمه اشتداد تلك الأمطار على هذه الديار ، فالسحاب حسيبان لا يبرح مكانه حتى يصب مطره ، وهذا ما زاد في اندثارها .

واستعماله لفظ " هاج " أضفى على البيت قيمة شعرية ، وازدادت هذه القيمة حين أسند الهيجان إلى الطلل الذي هو سبب في هيجان الأشواق المكنونه ، لكي يَظْهَر شدة تلك الأشواق .

" وهو من باب المجاز العقلي " .

===  
كليهما لغرض واحد محدد ، مع أن في البيت الثاني انطلاقة أخرى مسع  
الذكريات ، وتعبيراً مثيراً عن الحسرة والألم لخلو الربيع من أهله " : ٣٩٢ / ١ .

( ١ ) الخصائص : ٢ / ٢٢٦ .

( ٢ ) المفتي : ٢ / ٦٠١ .

الشاهد الثمانون :- ( \* ) ( البسيط )

هَلْ تَعْرِفُ الْيَوْمَ رَسْمَ الدَّارِ وَالطَّلَا . . . كَمَا عَرَفْتَ بِجَفْنِ الصَّيْقَلِ الْخَلَا (١) (٢) (٣)  
 دَارَ لِمَرْوَةَ إِذْ أَهْلِي وَأَهْلُهُمْ . . . بِالْكَانِسِيَّةِ تَرَعَى اللَّهْوَ وَالْفَرْلَا (٤) (٥) (٦)  
 أورد، الشيه من غير نسبه ، (٧) ونسبه سيبويه في الكتاب لعمر بن أبي ربيعة ،  
 وهو وارد في ديوانه ، وذكر السيرافي في شرح أبيات سيبويه أنه نسبها إلى عَوْجِ  
 ابن حَزَامِ الطَّائِي (٨) .

- ( \* ) الدلائل ، رضا : ١١٢ ، خفاجي : ١٧٨ ، شاكر : ١٤٦ .
- ( ١ ) الجفن : غمد السيف / معجم مقاييس اللغة : ( جفن ) : ٤٦٥ / ١ .
- ( ٢ ) الصيقل : صانع السيوف وِجَلًاوُهَا / اللسان " صقل " : ١١ / ٣٨٠ .
- ( ٣ ) الخلا : وهو جمع الخلة ، وهي جلود تنقش ، وتليس جفون السيف ،  
 فشيبه ن هاب الرسم والآثار بذا هاب هذه النقوش وانطاسهسا /  
 اللسان : " خلل " : ١١ / ٢٢٠ .
- ( ٤ ) رواية شرح أبيات سيبويه للنحاس : " وأهلها " .
- ( ٥ ) رواية شرح أبيات سيبويه للسيرافي : " بالكاسية " .  
 والكانسية : موضع ، ولم أجده في معجم البلدان لياقوت ولا في معجم  
 البكري ، والموجود هناك " كاس " ، وهو مكان بنجد ، وجاء في  
 اللسان : الكناسة والكانسية موضعان .
- ( ٦ ) انظر البيتين في : -  
 ديوان عمر بن أبي ربيعة - دار صادر - : ٣٢٠ ، الكتاب : ١ / ٢٨٢ ،  
 شرح أبيات سيبويه للنحاس : ١١٧ ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي :  
 ١٩٩ / ١ - ٢٠٠ ، اللسان : " كئس " : ٨ / ٨٣ .
- ( ٧ ) وذكر البيت من غير نسبه في :  
 شرح أبيات سيبويه للنحاس ، اللسان .
- ( ٨ ) لم أشر على ترجمته :  
 قال السيرافي : " قال سيبويه قال عَوْجِ بن حَزَامِ الطَّائِي " ثم ذكر أربعة  
 أبيات سأذكرها .

وبعد البيتين :

أَسَى شَبَابِكَ عَنَّا الْغَضُّ قَدْ رَحَلَا . : . وَلَا حَ فِي الرَّأْسِ شَيْبٌ حَلٌّ فَاشْتَعَلَا  
إِنَّ الشَّبَابَ الَّذِي كُنَّا نَزْنُ بِهِ . : . وَلَمْ نَقْضِ مِنْ لَذَاتِهِ أَمَلَا  
وَلَى الشَّبَابُ حَمِيدًا غَيْرَ مَرْتَجِعٍ . : . وَاسْتَبَدَلَ الرَّأْسُ مِنِّي شَرًّا بَدَلَا

وفي شرح أبيات سيبويه للسيرافي ذكر بعد البيت الأول :

رَسْمًا كَسَتْهُ اللَّيَالِي بَعْدَ جِدَّتِهِ . : . دُقَاقُ تَرَبِّ سَفْتِهِ الرِّيحُ فَانْتَحَلَا  
وَكَلُّ أَسْحَمٍ رَجَافٌ لَهُ زَجَجُلٌ . : . وَاهِي الْعَزَالِي إِذَا مَا أَنَهَلْ أَوْ وَبَلَا<sup>(١)</sup>

والبيتان يستشهد بهما النحاة على رفع " دار " على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره " هي دار " ، أو " تلك دار " ، ولم يجعلوه بدلاً من قوله : " هل تعرف اليوم رسم الدار " بل استأنف الكلام به ، فقيل " دار " ، قال النحاس في شرح أبيات سيبويه :

" لم يقل داراً ، وقد قال هل تعرف رسم الدار ، لأنه لم يعطفه على الفعل ، ولكنه ابتداءً به كأنه قال : <sup>(٢)</sup> تلك دار . "

وقال السيرافي :

" الشاهد فيه أنه رفع " دار " ، والذي قبله : " هل تعرف اليوم رسم الدار " ، فلم يجعله بدلاً مما قبله ، وأستأنف الكلام به ، فقال : " دار " رفع ، وجمله خبر ابتداء محذوف ، كأنه قال : هو " دار لمروة " <sup>(٣)</sup>

" إنا نذكرت الكانسية فاضت نفس عمر بن أبي ربيعة حيناً ، وأنبعثت فيها الذكريات العذبة ، ففيها قضى أجمل فترات حياته ، وفيها ذاق متعة الحياة والصبا ، وما أجمل تعبيره عن تلك المتعة بقوله :

( ١ ) شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ١ / ٢٠٠ .

( ٢ ) شرح أبيات سيبويه للنحاس : ١١٧ .

( ٣ ) شرح أبيات سيبويه للنحاس : ١ / ١٩٩ - ٢٠٠ .

” نَرَعَى اللَّهَوَ وَالْغَزَلَ ” ، فدل على أنها متعة مستمرة لا يشوبها كدر ولا طلق .  
 فحين وقعت عين عمر على أطلال دار مروة تحسّر على آنصرام تلك الأيام الحلوة ،  
 وأندثار تلك الديار الحبيبة ، وأنبعثت من قلبه كلمات حيرى تدل على الأسى  
 الذي يكايد الشاعر ، فلجأ إلى الاستفهام وحملته كل معاني الحزن والحسرة التي  
 تضطرم في نفسه ، ” هَلْ عَرَفْتِ لِمَوْمَ رَسَمِ الدَّارِ وَالظَّلَلَا ”  
 ولأن تلك الرسوم البالية - هي رسوم ديار مروة ، حسنت في عينيه ، فشبهها ،  
 بالخلل والنقوش التي تكون على جفون السيف :

” كَمَا عَرَفْتَ بِجَفْنِ الصِّقْلِ الْخِلَلَا ”

ولشدة تعلقه بتلك الرسوم ضاقت نفسه بألم الذكرى ، فقطع الكلام واستأنف  
 كلاماً جديداً يعلن فيه سبب تعلقه بتلك الديار - فهي ديار مروة !

الشاهد الواحد والثمانون :- ( \* ) ( البسيط )

دِيَارِ مَيْمَةَ إِذْ مَيَّي تَسَاعَفْنَا (١) . وَلَا يَرَى مِثْلَهَا عَجْمٌ وَلَا عَـسْرَبٌ (٣)  
 ( \* ) الدلائل ، رضا : ١١٣ ، خفاجي : ١٧٩ ، شاکر : ١٤٧ .

( ١ ) ذكر شارح الديوان للإمام أبو نصر الباهلي أنه يروى ” دَارِ لَيْمَةَ ” اتفق الرواة  
 على أن ” مَيْمَةَ ” هذه هي حفيدة الصحابي الجليل قيس بن عاصم المنقري  
 سيد أهل البوهر كما سماه الرسول صلى الله عليه وسلم ، واختلفوا في اسم أبيها  
 فجاء في طبقات ابن سلام : ٥٥٩ / ٢١ ، والأغانى ( ٢٥ / ١٨ ) أنها مَيْمَةُ بنت  
 طَلْبَةَ بن قيس ، وورد في جمهرة الأنساب ( ٢١٦ ) ، والوفيات : ( ١١ / ٤ ) ،  
 والبداية والنهاية لابن كثير ( ٣١٩ / ٩ ) أنها بنت مقاتل بن طَلْبَةَ ، وفي الشعر  
 والشعراء ( ٥٣٣ / ١ ) مَيْمَةُ بنت فلان بن طَلْبَةَ ، فأهل ذكر أبيها ، وفي السمط  
 ( ٨٢ / ١ ) مية بنت عاصم ، ورجح محقق الديوان أنها مية بنت منذر بن طَلْبَةَ  
 لوورد أسم منذر في القصيدة .

( ٢ ) تساعفنا : المساعفة : المساعدة والمواتاة ، والعرب في حسن مضافة ومعاونة /

اللسان ” سعف ” : ١٥٢ / ٩ .

( ٣ ) انظر البيت في : ديوان ذي الرمة - شرح الإمام أبي نصر الباهلي - تحقيق =====



( ١ )

ذكره الشيخ من غير نسبة ولكنه ذكر أنه من أبيات الكتاب ، والبيت لذي الرمة ، وهو من بائته المشهورة <sup>(٢)</sup> التي مطلعها :

مَا بَالَ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ . : كَأَنَّهُ مِنْ كَلْبِي مَقْرِيَّةً سَسْرِبُ

====  
عبد القدوس أبو صالح : ٢٣/١ ، نوادر أبي زيد الأنصاري : ٣٢ ، شرح أبيات سيوييه للنحاس : ١١٦ ، همع الهوامع : ١٦٨/١ ، خزانة البغدادي ٣٣٩/٢ ، شاهد رقم (١٤٠) . وانظر كذلك : ٣٤٥ .

( ١ ) هو غيلان بن عقبة بن بهيش ( بهيم ) بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن مضر ( ٧٧-١٩٧ هـ ) أبو الحارث ذو الرمة ، وهو شاعر من الطبقة الثانية من فحول الإسلام ، قال أبو عمرو بن العلاء ، فُتِحَ الشعر بآمرى القيس ، وختم يذي الرمة ، وكان ذو الرمة مدور الوجه حسن الشعر جعداً أغمى خفيف العارضين أكحل حسن الضحك مَفْوَهًا إذا كلك كلك أبلغ الناس ، وهو من عشاق العرب المشهورين . / انظر ترجمته في :-

طبقات فحول الشعراء : ٥٥٩/٢ ، الشعر والشعراء : ٥٣١/١-٥٤٣ ، الأغاني : ١٨/١-٤٧ ، الموشح : ١٥٥-١٦٨ ، وفيات الأعيان : ١١/٤-١٧ الأعلام : ١٢٤/٥ .

( ٢ ) وردت في كتب الأدب أخبار كثيرة تدل على شهرة هذه القصيدة ، وفخامتها منها : ماجاء في الأغاني من حديث ذي الرمة عن شعره قال :-  
" من شعري ما طأ وعني فيه القول ، وساعدني ، ومنه ما أجهدت نفسي فيه ، ومنه ما جئنت به جنونا . . . أما ما جئنت به جنوناً فقولني :

" مَا بَالَ عَيْنِكَ مِنْهَا الدَّمْعُ يَنْسَكِبُ "

ورود أيضا في كتاب الأغاني أن عمارة بن عقيل قال :  
كان جرير يقول : ما أحببت أن ينسب إلي من شعر ذي الرمة إلا قولـــــــــــــــــه :  
" مَا بَالَ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ "

فإن شيطانه كان له فيها ناصحاً / : ٢٢/١٨-٢٣ .  
وجاء في الموشح : " وقال أبو عمرو بن العلاء قال جرير : لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته : " مَا بَالَ عَيْنِكَ . . . " كان أشعر الناس . / ١٥٦ .

=====

وقبل الشاهد :-

(١) لَابِلٌ هُوَ الشَّقُّ مِنْ دَارٍ تَخَوَّنَهَا .: ضَرْبُ السَّحَابِ وَمَرِّيَّارِحٌ تَسْرِبُ  
 تَيْدٌ وَلِعَيْنَيْكَ يَنْهَا وَهِيَ مُزِينَةٌ .: نَوْيٌ (٤) وَسْتَوْقَدٌ بِأَلٍ وَمَحْتَطَبٌ  
 إِلَى لَوَائِحَ مِنْ أَطْلَالِ أَحْوِيَةٍ .: كَانَتْهَا خِلَلٌ مَوْشِيَةٌ قَشَبٌ (٦)  
 بِجَانِبِ الزُّرْقِ لَمْ تَطْمِسْ مَعَالِمَهَا .: دَوَارِجُ العُورِ وَالْأَمْطَارُ وَالْحَقَبُ (٧) (٨) (٩)

وبعد هـ :

(١٠) بَرَاقَةُ الجِيدِ وَاللَّبَاتِ وَاضِحَةٌ .: كَانَتْهَا ظَبْيَةٌ أَفْضَى يَهَا لَيْسَبُ (١١)

وجاء في أساس البلاغة :

====  
 وعن ذي الرمة : قلت مابال عينك - بيتا واحداً - ثم أرتج علي فمكنت حولاً  
 لأضيف إلى هذا البيت شيئاً حتى قدمت أصبهان فحيمت بيها حُمسِي  
 شديدة فهديت لهذه القصيدة فتسائلت - أي تتابعتم - علي قوافيها  
 فحفظت ما حفظت منها، ونُهب علي منها / سئل \* : ٢٠٢ .

- (١) تخونها : تعهدها / اللسان \* خون \* : ١٣ / ١٤٥ .
- (٢) البارح : الريح الحارة في الصيف / القاموس المحيط ( برح ) : ١ / ٢٢٣ .
- (٣) تَرِبٌ : كثير التراب أو ريح تسوق التراب / اللسان \* ترب \* : ١ / ٢٢٨ .
- (٤) نَوْيٌ : النوى حفرة حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر / الصحاح : نأى \*  
 ٦ / ٢٥٠٠ .
- (٥) أَحْوِيَةٌ : بيوت مجتمعة من الناس على ماء / اللسان \* حوا \* : ١٤ / ٢١٠ .
- (٦) قَشَبٌ : جدد / اللسان \* قشب \* : ١ / ٦٧٤ .
- (٧) الزُّرْقُ : أكتبة رمل بالدهناء / اللسان \* زرق \* : ١٠ / ١٣٨ .
- (٨) الدَّوَارِجُ : إذا درجت الريح حتى يرى لها ذيل كالرسن في الرمل فهسي  
 الدَّروج / فقه اللغة : ٢٧٨ .
- (٩) العُورُ : التراب الذي تمور به الريح / فقه اللغة : ٢٩٦ .
- (١٠) اللبَاتُ : وسط الصدر والمنحر \* اللسان \* ( لبب ) : ١ / ٧٣٣ .
- (١١) اللبب : ما انحدر من الرمل، أو ما استترق منه / فقه اللغة : ٢٩٩ - ٣٠١ .

بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ مِنْ عَقْدٍ (١) . عَلَى جَوَانِبِهِ الْأَسْبَاطُ وَالْهَدَبُ (٤)

البيت أيضا - من أبيات الكتاب ، استشهد به سيويه والنحاة ، وتبعهم الشيخ  
عبد القاهر على أن ديار منصوبة بإضمار فعل " كأنه قال : أذكر ديار مية ، ولكنه  
لا يذكر أذكر لكثرة ذلك في كلامهم واستعمالهم إيّاه (٥) .

وذكر سيويه أن من العرب من يرفع ديار كأنه يقول تلك ديار فلانة أي أن  
المحذوف المبتدأ لا الفعل (٦) .

وذكر البغدادي في خزانة الأدب أنه يجوز أن يكون مجروراً على أنه يمدل  
من دار في بيت قبله ، وهو :

لَا بَلَّ هُوَ الشَّوْقُ مِنْ دَارٍ تَخَوَّنَهَا . . . مَرًّا سَحَابٌ وَمَرًّا بَارِحٌ تَسْرِبُ (٧)

وعلى هذا التقدير ينسفي موضع الشاهد .

ويبدو أن حمل البيت على حذف الفعل ، أو المبتدأ يضيف على البيت سحرًا  
جماليًا ، ويكشف عن الخواطر ، والأحلام التي امتلأت بربها نفس الشاعر .  
فلذكري الأطلال أثر في نفس المحب ، والإطالة في ذكرها يثير في نفسه  
الشجون ، ويحرك كوامن الأسي ، ففضل الشاعر هنا ذكر الديار بسرعة ، فحذف  
الفعل " أذكر " منعاً للنفس من التألم والأسى ، فوصف الديار حين كانت

(١) العقد : ماتعقد من الرمل / فقه اللغة : ٣٠٠ .

(٢) السَّبَطُ : بالتحريك نبتُّ الواحدة سَبَطَةٌ / اللسان ( سببط ) :

٣٠٩/٧ .

(٣) الهَدَبُ : كل ورق ليس له عرض / اللسان ( هدب ) : ٧٨١/١ .

(٤) أنظر الأبيات في : ديوانه : ١٩/١ - ٢٧ .

(٥) الكتاب : ١ / ٢٨٠ .

(٦) المصدر السابق : ١ / ٢٨١ .

(٧) خزانة الأدب للبغدادي : - مكتبة الخانجي - : ٢ / ٣٤١ .

مَيَّ توأصله وتواتيه بأنها تلغ من الروعة والجمال إلى حد ينبغي أن لا يكون لها مثل عند العجم والعرب .

وللدكتور أبي موسى تعديل لطيف للحذف عند ذكر الديار . قال :  
 \* وقد يقال : إِنَّ الديار والمنازل من المثيرات التي تهز النفس  
 فتتراحم فيها الخواطر والأطياف والأحلام التي بددتها الأيام  
 في طغيان قاس عنيف ، فالشاعر في هذا الموقف مستلبي النفس  
 أعظم الامتلاء متوتر الحس أشد التوتر وهذه حال . تدعو إلى أن تكون  
 الصياغة مركزة أشد التركيز ، ليكون الأسلوب أشبه بالنفس ،  
 وقد يُقَوَّى هذا أنك إذا راجعت النظر في الأبيات السابقة  
 التي بُنيت على الحذف تجدها تذكر معنى هو أهم بقلب الشاعر  
 من سابقه ، لأنه يخصص الديار ، ويحددها ، فهي دار مروءة ،  
 أو دار سلس ، أو ديار مئة ، وبهذا التحديد تم أحسن الذكرى  
 وتطوف به أعذب الأطياف ، وهذا موقف يعظم سلطانه على  
 النفس الشاعرة ، وهذا التفسير الذي نفسر به هذه الخصوصية  
 في سياق الأطلال هو ما نراه تفسيراً للخصوصية نفسها عند ذكر  
 الرجال مدحاً أو قدحاً ، فإنهم حين تحسى نفوسهم بذكر المناقب  
 أو المثالب يقطعون الكلام ليستأنفوا مقطعاً جديداً من مقاطع  
 المعنى ، ويبنون هذا المقطع الثاني على إسقاط المسند إليه ،  
 وكأنَّ الحذف هنا تمييز ، وفصل بين لونين من ألوان المعنى (١) .

(١) خصائص التراكيب : ١٢٠ - ١٢١ .

الشاهد الثاني والشانون :- ( \* ) ( الكامل )

وَعَظِمْتَ أَنْتَ يَوْمَ تَدَا (١) . كَ مَنَازِلَ كَعْبَاءَ وَنَهْدًا  
قَوْمٌ إِذَا لَيْسُوا الْحَسِيدِ . سَدَ تَنَمَّرُوا حَلَقًا (٢) وَقِيدًا (٣)

ذكرهما الشيخ من غير عزو ، وهما لعروبين معدي كرب ، من قصيدة قالها  
في حربته نهداً وكعباً محالفاً جرماً التي خذلته ، فجرم ونهد قبيلتان من قضاة  
من بني الحارث بن كعب ، قتلت جرم رجلاً من أشرف بني الحارث ، فأرتحلت  
عنهم ، وتحولت في بني زبيد ، فخرجت بنو الحارث يطلبون دم أخيهم ، فالتقوا ،  
فعباً عمرو جرماً لنهد ، وتعباً هو وقومه لبني الحارث ، ففرت جرم ، واعتلت بأنها  
كرهت دماً نهداً (٤) .

( \* ) الدلائل ، رضا : ١١٣ ، خفاجي : ١٧٩ ؛ شاکر : ١٤٨ .

( ١ ) يومذاك : ويجوز أن يكون المشار إليه أمراً قد علمه السامعون ، وهو  
الحرب ، ويجوز أن يكون المشار إليه السلاح الذي زعم أنه أعده ،  
ويوم السلاح يوم الحرب ، ويجوز أن يكون أشار به إلى الحدشان ؛  
لأنه قد قال : " أعددت للحدشان " . / انظر :

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ١٧٦ .

( ٢ ) حَلَقًا : انتصب حَلَقًا على أنه بدلٌ من الحديد ، ويريد به الدروع  
التي نُسِجَتْ حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ ، والقِدُّ أراد به اليلب ، وهو شبيه  
بِرُعٍ كان يُتَّخَذُ مِنَ القِدِّ ، ويروي : " حَلَقًا وَقَدًّا " ، ويكون انتصاب  
حَلَقًا على التمييز ، أي تشبهاً بالنير في أخلاقهم وخلقهم ، ودَلَّ  
على الخلق قوله : قَدًّا . / انظر :

شرح الحماسة للمرزوقي : ١ / ١٧٦ .

( ٣ ) انظر البيتين في :-

ديوان عمرو بن معدي كرب : ٦٨ ، ديوانه - مطبوعات مجمع اللغة  
العربية - : ٦٤ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ١٧٤ ،  
شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ٩١ ، لسان العرب :  
" نمر " : ٥ / ٢٣٥ .

( ٤ ) شرح الحماسة للتبريزي : ١ / ٨٤ .

ومطلع القصيدة :-

يَا أَيُّهَا الْمُفْتَا بِنَا .: . جَهْلًا بِنَا وَوَلِدَتْ عَبْدًا  
وبعد أبيات قبل الشاهد :

لَيْسَ الْجَمَالَ بِيئُ زُرٍ .: . فَأَعْلَمُ وَإِنْ رُدِّيَتْ بُرْدًا  
(١)  
إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ .: . وَمَنَاقِبُ أَوْثَنَ مَجْدًا  
(٢)  
أَعْدَدْتُ لِلْعَدْتَانِ سَا .: . بِفَمَةٍ وَعَدَاءً عُنْدِي  
(٤) (٥) (٦)  
نَهْدًا وَذَا شَطْبٍ يَقْدُ (م) .: . الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانَ قَدًا  
(٧)

وبعد هذا الشاهد وبعد :

كُلُّ أَمْرِي يَجْرِي إِلَى .: . يَوْمِ الْهَيْجِاجِ يَمَا آسَسْتَعْدَا  
(٨) (٩)  
لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا .: . يَفْحَصُنَ بِالْمَعْرَاءِ شَدَا

(١) رواية حساسة البحرني : " معادن ومآثر " .

ورواية عيون الأخبار : " معادن وسوارث " : ١ / ٣٠٠ .

(٢) رواية لباب الآداب : " للهيحاء " .

(٣) علندي : أصل الكلمة ثلاثي ، والنون والألف زائدتان ، فهو من العَلْد ، وهو الغليظ الشديد من كل شيء ، وذكر بعضهم أن العَلْدِي : الضخم من الإبل ، والخيل جيما ، وجمعه " علايد " ، وإن شئت : " علايد " والألف في علندي لللاحاق بدليل أنه يقال للمؤنث علنداة ، وينسون ، فيقال علندي . / انظر :

شرح ديوان الحساسة للمرزوقي : ١ / ١٧٥ ، التبريزي : ١ / ٩١ .

(٤) نهدي : أي فرساً غليظاً . / المرزوقي : ١ / ١٧٥ .

(٥) وسيفاً ذا شُطْبٍ : ذا طرائق يقطع البيض والدرع قطعاً ، ويقال سيف فيه شُطُوب وطرائق . / المرزوقي : ١ / ١٧٦ .

(٦) القَدُّ : القطع طولاً ، والقط القطع عرضاً . / المرزوقي : ١ / ١٧٦ .

(٧) البَدَن من الدرع : قدر ما يستر البدن . / المرزوقي : ١ / ١٧٦ .

(٨) يفحصن : يؤثرن لشدة العدو في المعرأة ، ويروى " يفحصن " والمحصن :

العدو والشديد . / المصدر السابق : ١ / ١٧٧ .

(٩) الأمعر والمعرأة : الأرض الحزنة ذات الحجارة ، والأصل في المعزر

وَبَدَتْ لِمَيْسُ كَأَنَّهَا . . . بَدُرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَيَّدَى  
وَبَدَتْ مَحَاسِنُهَا التَّيْبِي . . . تَخْفَى وَكَانَ الْأَمْرُ جِدًّا<sup>(١)</sup>

ذكر الشيخ البيت شاهداً على أنه من المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ

وهي " القطع والاستئناف " . قال :

" ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ " القطع والاستئناف " يبدأون

بذكر الرجل، ويقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاماً

آخر، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ<sup>(٢)</sup> .

• كان عمرو بن معدى كرب شاعراً وفارساً مقدّماً، ولشعوره بهذه الشجاعة والقدرة أخذ يفتخر بها، فذكر أنه نازل كعباً وهي قبيلة من ولد الحارث بن مذحج، ونهدا وهي قبيلة من قضاة، ثم قطع الحديث، وانتقل إلى جزء آخر من المعنى هو بقلبه أوثق، وينفسه أشد، فاستأنف الحديث عن شجاعتهم وعدتهم وعنادهم، وأنهم قوم إذا لبسوا الحديد والدروع واليلب تشبهوا بالنمر في أفعالهم فسي الحرب، أو أنّ الحلق والقِدَّ تختلف ألوانها اختلاف لون النمر، وقد رأى المرزوقي أنّ المعنى الأول أجود قال :

=== الصّلاية ، ويقال رجل ماعزّ ومِعزّ / المصدر السابق : ١٧٧/١ .

(١) البيت الثاني والثالث في : الوساطة : ٣٤٣ ، التمثيل والمحاضرة :

٦٥ ، والبيت الثاني في الحماسة البصرية : ١ / ٥ ، والبيت

الرابع والخامس والتاسع والعاشر مع بيتين آخرين في لباب الآداب :

٢٠٤ ، والبيت التاسع والعاشر في الخصائص لابن جني من غير عزو،

وانظر الأبيات : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ١٧٤ - ١٧٨ ،

والتبريزي : ١ / ٩٠ - ٩٣ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١١٣ ، خفاجي : ١٧٩ ، شاکر : ١٤٧ .

\* ويروى " خُلِقًا وَقَدًّا " ويكون انتصاب خُلِقًا على التمييز أي تشبهاً بالنيّر في أخلاقهم وخلقهم ، ودلّ على الخلق قوله قَدًّا ، ومعنى الرواية الأولى أنهم إذا لبسوا الحديد ، والدُّروع واليَلب تشبهاً بالنيّر فسي أفعالهم في الحرب ، ويجوز أن يريد بتنتروا تلوّنوا بألوان النمر لطمول ثباتهم ، وملازمتهم الحديد ، وحينئذ يصحّ أن يكون انتصاب خُلِقًا على التمييز ، والمعنى الأول أجود (١)

ورأى الدكتور محمد أبو موسى أن الحذف وقع في مقطع جديد من مقاطع المعنى ، فقد ذكر في البيت الأول كعباً ونهداً من غير إشارة إلى ما هم عليه من العُدّة والقوة ثم استأنف حديثاً آخر أو جزءاً جديداً من المعنى فذكر عدّتهم وبنى هذا الاستئناف على الحذف لقوة الدلالة عليه ؛ ولأنه مناسب لقوة الانفعال بهـذا الجزء من المعنى ، فالإحساس بالفروسية يعظّم حين تكون الملاقاة مع عدو موفور العُدّة عظيم الأقدار ، وحين يقوى التأثير بالمعنى ، ويعظم الإحساس به يكون السياق سياق إيجاز وتطهير مادام ليس هناك ما يدعو إلى النص على شيء معين وإبرازه (٢)

وكذلك رأى الدكتور أبو موسى أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين البيتين ، وسيقاق القصيدة ، وعلّة الحذف ، فموسيقى البيت موسيقى وثابة تصف روح الشاعر المستفزة المتحمسة ، وهذه الأنغام السريعة تحتاج إلى التركيز الشديد . قال :

\* وهكذا يمضي الشاعر مصوراً قيم الفروسية في تصورها العربي الدقيق ، وهذه الموسيقى الوثابة ، تصف هذه الروح المستفزة ، وتتسع في بعض مراحلها إلى الفلسفة التي تبتدو هادئة في تحليل الجمال ، وهذه الأنغام السريعة يقتضيان تركيز العبارة أشد التركيز ؛ لأن ذكر ما يمدل عليه السياق ، والحال هذه عائق يعوق تدفق النغم ، ويجبس اندفاع الروح (٣)

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١٢٦/١ .

(٢) خصائص التراكيب : ١٢١-١٢٢ .

(٣) المرجع السابق : ١٢٢ .



## الشاهد الثالث والثمانون :- ( \* ) ( الوافر )

هَمْ حَلَّوْا مِنْ الشَّرَفِ الْمَعْلَى <sup>(١)</sup> . . . وَمِنْ حَسَبِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاؤُوا <sup>(٢)</sup>  
 بِنَاءِ تَكَارِيمٍ وَأَسَاةٍ كَلِّمِ <sup>(٣)</sup> . . . لِمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشِّفَاءُ <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup>

- ( \* ) الدلائل ، رضا : ١١٣-١١٤ ، خفاجي : ١٨٠ ، شاكر : ١٤٨ .
- ( ١ ) رواية زهر الآداب : " حازوا " .
- ( ٢ ) الْمَعْلَى : يعني المرفَّع إلى أبعد الغايات ، وأقصى النهايات ، ويجوز أن يكون أراد القَدْحَ الْمَعْلَى ؛ لأنه أشرف القَدَاح ، وأكثرها أنصباة ، فجعله مثلاً لأرفع المدارج وأسنَى المراتب . / انظر : شرح الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٦٥٩ ، التبريزي : ٤ / ٩٦ .
- ( ٣ ) رواية زهر الآداب : " ومن كرم " .
- ( ٤ ) أَسَاة : الأُسَاةُ الأَطْبَاءُ الواحد : آسٍ . / انظر : المرزوقي : ٤ / ١٦٥٩ .
- ( ٥ ) الْكَلْمُ : الْجَرْحُ / معاني أبيات الحماسة : ٢٢٠ .
- ( ٦ ) الْكَلْبُ : - داء الكلب - وهو أن يعض الكَلْبُ الرَّجُلَ فينبح نبح الكلب . / معاني أبيات الحماسة : ٢٢٠ .
- ( ٧ ) انظر البيتين في :-  
 الحماسة - ت عسيلان - : ٢ / ٣١٠ ، الحيوان : ٢ / ٥ ، المعاني الكبير : ١ / ٢٤٣ ، الاشتقاق : ٢١ ، المؤتلف والمختلف : ٦٢ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٣٣ ، معاني أبيات الحماسة : ٢٢٠ ، الحماسية ( ٧٣٤ ) ، ديوان المعاني : ١ / ٤٣ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٦٥٨-١٦٥٩ ، أمالي المرتضى : ١ / ٢٥٩ ، زهر الآداب : ٢ / ٥٥٢ ، سبط اللآلي : ١ / ٢٧٠ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٩٦ ، الحماسة البصرية : ١ / ١٥٤ ، نهاية الأرب : ٣ / ١٨٧ ، أنوار الربيع : ٦ / ١١٢ ، الإيضاح : ١ / ١١٣ ، ذكره في " تعريف المسند إليه " ، شرح أبيات الإيضاح :- فيض الله :-
- ١٢ ب .

والبيتان ذكرهما الشيخ من غير عزو ، وهما على الأرجح ، (١) لأبي البرج  
القاسم بن حنبل المري (٢) يمدح بهما زفر بن هاشم بن سنان (٣).

(١) ذكر الجاحظ البيت الثاني من بيتي الشاهد مع ثلاثة أبيات آخر ونسبها  
إلى بعض المرّيين ، ولعله قصد به أبا البرج القاسم بن حنبل المري .  
وذكر الآمدي والبصري البيت الثاني فقط مع أبيات آخر ، وكذلك ذكر  
الخوازمي " شرح أبيات الإيضاح " البيت الثاني فقط مع بيت آخر  
قبله ، ونسبها إلى أبي البرج المري ، وزاد البصري أنها تروى  
أيضا لمرّة الجعدي .

وذكر النويري البيت الأول فقط مع أبيات آخر منسوبا لأبي البرج أيضا ،  
وذكر المرزباني والمرزوقي والتبريزي البيتين مع عدة أبيات آخر ، ونسبها  
كذلك لأبي البرج .

وذكر في المعاني الكبير ، ومعاني أبيات الحماسة البيت الثاني فقط  
من بيتي الشاهد من غير عزو .

وذكر ابن دريد الشطر الثاني من البيت الثاني من غير عزو أيضا ،  
وذكر المرتضى في أماليه البيت الأول من بيتي الشاهد ، وذكر أن محمد بن يحيى  
الصولي قد أشده ، ونسب البيت الثاني إلى أمية بن أبي الصلت ، وهو في  
ديوانه : ١٧ برواية :

بِنَاةٌ مَكَايِمٍ وَأَسَاةٌ كَلَمٍ . . . دِمَاءٌ وَهَمٌّ مِّنَ الْكَلَمِ الشَّقَاةُ  
وفي سمط اللآلي ذكر البيت الثاني منسوبا للحطيئة ، وهو غير موجود  
في ديوانه . وذكر الميمني في تعليقه أن هذه النسبة خطأ ، ولعلها زيادة  
من أحد النساخ .

(٢) هو أبو البرج المري ثم السهبي ، سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان  
ابن يغيث ، واسم أبي البرج القاسم بن حنبل ، وأضاف الحصري لقب  
" المدني " ، وهو شاعر إسلامي كما قال صاحب القاموس المحيط / انظر  
ترجمته في : المؤلف والمختلف : ٦٢ ، معجم الشعراء : ٣٣٣ ، شرح  
ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٦٥٨ ، شرح الحماسة للتبريزي :

٤ / ٩٦-٩٧ ، القاموس : " برج " :

(٣) لم أقف على ترجمة له .

وبينا الشاهد من قصيدة أولها :-

(١) أَرَى الْخِلَانَ بَعْدَ أَبِي حُبَيْبٍ (١) . وَحَجْرٍ فِي جَنَابِهِمْ جَفَاءُ

وقبل بيت الشاهد :

(٢) مِّنَ الْبَيْضِ الْوَجُوهَ بَنِي سِنَانٍ . لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمْ أَضَاءُ

(٣) لَهُمْ شَمْسُ النَّهَارِ إِذَا اسْتَنْطَلت . وَتَوَرَّ مَا يُغَيِّمُهُ الْعَمَاءُ

(٤) - (٥) ويعدهما الشاهد ويعدده :

(٦) فَأَنَا بَيْنَكُمْ إِنْ عَدَّ بَيْتٌ . فَطَالَ السَّمْكُ وَاتَّسَعَ الْغِنَاءُ

(٧) وَأَنَا أَسْءُ فَعَلَى قَدِيمٍ . مِّنَ الْعَارِيِّ إِنْ ذُكِرَ الْبِنَاءُ

(٨) فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ . وَمَكْرَمَةٍ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ (٢)

موضع الشاهد قوله "بِنَاءُ مَكَارِمٍ وَأَسَاءَةُ كَلْمٍ" حيث حذف المبتدأ، والأصل :

هَمُ بِنَاءُ مَكَارِمٍ وَهَمُ أَسَاءَةُ كَلْمٍ .

والشاهد من أبيات المدح الجياد ، فقد بلغ الشاعر فيه غايته ، وأصاب فيه

سماه ، فقد جعل المدوح في أعلى درجات الشرف ، فكان الشرف والحسب له

مراتب ، وهم قد تربّعوا في أعلاها ، واحتلوا أشرفها ، فلا يدانيهم فيها أحد ،

وهذا قمة المدح .

(١) ويروى : أَبِي حَبِيبٍ .

(٢) هذه الأبيات بكاملها موجودة في معجم الشعراء للمرزباني : ٣٣٣ ،

وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٦٥٨ - ١٦٥٩ ، وشرح

ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٩٦ - ٩٧ مع اختلاف بسيط في

رواية البيت الأخير ففيها :

" دَنَتْ لَكُمْ " بدل لهم .

والبيت الأول والثاني والثالث في الحيوان مع اختلاف في رواية البيت

الأول فجاء فيه :

أَرَى الْخِلَانَ بَعْدَ أَبِي عَمِيرٍ . بِحَجْرٍ فِي لِقَائِهِمْ جَفَاءُ .

ويعد أن أضفى عليهم هذه الصفة ، وألبسهم هذا الشرف قطع الكلام ، وانتقل إلى معنى آخر وثيق الصلة بالمعنى الأول ، فاستأنف ، وحذف المبتدأ ، وكان الصفات التي سيذكرها من خصوصياتهم ، وأن الذهن يخطئهم بل سينصرف اليهم تلقائياً .

فمن سر الحذف هنا ما سماه المتأخرون العدول إلى أقوى الدليلين اللذين هما العقل واللفظ وأقواهما هو العقل (١) .

وللدكتور أبني موسى كلام في بيان سر الحذف قال فيه :

" قال بناء مكارم وأراد هم بناء مكارم ، والحذف كما ترى واقع في مقطع من مقاطع المعنى ، يوضح ما ذكره في البيت الأول مجعلاً ، وهو شرفهم وتكثيهم ، فذكر أنهم ببناء مكارم هكذا بإطلاقهم المستغرق مكارم الجود ، والنجدة والشجاعة والقوة إلى آخر ما تحمله العبارة ، ثم هم أساة كَلِّم ، فهم يملكون من الشدة والحكمة ما يأسون به الجراح ، وكان الشاعر أراد أن يبرز تميز هذا الجزء من المعنى بقطعه عن سابقه ، وحذف المسند إليه وهو وسيلته في ذلك ، لأنه لو ذكره لقال هم فيكون رابطاً واضحاً وقوياً بسين البيتين فيفوت غرض الشاعر ، والكلام وإن كان على تقديره إلا أن إسقاطه من اللفظ يفيد هذا الغرض (٢) .

=== والبيت الأول والثاني والثالث والثامن في المؤتلف والمختطف مع اختلاف بسيط في البيت الأول فورد فيه : " بِحِجْرٍ بَدَلٌ " و"حِجْرٌ" والبيت الثاني والثامن في أمالي المرتضى ، والبيت الثاني والثامن في زهر الآداب ، والبيت الأول والثاني والثالث والثامن في الحماسة البصرية ، مع اختلاف بسيط في رواية البيت الثالث ففيه :

" هَمَّ شَمْسُ النَّهَارِ " .

والبيت الثاني والثالث والثامن في نهاية الأرب .

(١) انظر: الإيضاح : ١٠٩ ، شرح التلخيص : ١ / ٢٢٥-٢٢٦ .

(٢) خصائص التراكيب : ١٢٣

واستشهد القزويني بالبيت الأول في تعريف المسند إليه بالإضمار لكـ  
المسند إليه مذكوراً، أو في حكم المذكور لقريظة، لأن المقام مقام الغيبة<sup>(١)</sup>.

الشاهد الرابع والثمانون :- (\* ) ( الطويل )

رَأَيْتُ عَلَى مَايَسِي عَمِيلَةً فَاشْتَكَيْتُ . . . إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسْرَكَمَا جَهْرٌ  
غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ مَقْبِلًا<sup>(٢)</sup> . . . لَهُ سَيِّئِيَاءٌ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصْرِ<sup>(٥)</sup>  
أورد هما الشيخ من غير عزو، وهما لأُسَيْدِ بْنِ عِنَقَاءِ الْفَزَارِيِّ<sup>(٦)</sup> من قصيدة قالها في

(١) الإيضاح : ١ / ١١٣ .  
(\*) العلائق ، رضا : ١١٤ ، خفاجي : ١٨٠ ، شاكر : ١٤٨ .  
(٢) رواية الصحاح ، والمؤتلف ، والمتع ، واللسان :  
" غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ "

وجاء في اللسان أن أبا ريش اعترض على رواية "بالحُسن" : " قال ابن بري :  
وحكى علي بن حمزة أن أبا ريش قال : لا يروى بيت ابن عنقاة الفزاري :  
" غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ يَا فَعَا "  
إلا أعي البصيرة ؛ لأن الحسن مولود ، وإنما هو :  
" رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ يَا فَعَا "

قال : حكاه أبو ريش عن أبي زيد " / اللسان " سوم : ١٢ / ٣١٣ .  
(٣) رواية الصحاح ، والمؤتلف ، واللسان : " يَا فَعَا " .

(٤) روى البيت في اللسان برواية : " سَيِّئِيَاءٌ " ، ورواية " سِيَاءٌ " والسُّوْمَةُ  
والسَّيْمَةُ ، والسَّيْنَاءُ ، والسَّمِيَاءُ : العلامة له سيمياء لا تشق على البصر  
أي يفرح به من ينظر إليه / اللسان : " سوم " .

(٥) انظر البيتين في :-

الصحاح : " سوم " : ٥ / ١٩٥٦ ، الأمالي لأبي علي القاسمي :  
١ / ٢٣٧ ، المؤتلف والمختلف : ١٥٩ ، المتع في صنعة

الشعر : ٢٣٨ ، لسان العرب : " سوم " : ١٢ / ٣١٣ .  
(٦) سماه المرزباني سويد بن عنقاة الفزاري ، وهو أكبر أهل زمانه وأشد هم  
عارضه ولساناً ، طال عمره ، وتكبه دهره ، واختلت حالته ، فأكرمه عميلة ،

ذكر له في اللسان خمسة أبيات منها بيت الشاهد . / انظر :

مدح عَمِيْلَةَ الْفَزَّارِيِّ ، حين رأى عَمِيْلَةَ حاله وقد نكبه الدهر ، فأعانه وواساه ،  
 وقصة ذلك أن عَمِيْلَةَ رأى يوماً أَسِيْدًا ، وهو في حال سوء ، فسأله قائلاً : يا عم  
 ما أشارك إلى ما أرى من حالك ؟ فقال بخل مثلك يماله ، ووضوني وجهي عسن  
 مسألة الناس ، فقال : والله لئن بقيت إلى غد لأغيرنَّ ما أرى من حالك ، فرجع  
 ابن عنقاء إلى داره ، وهو بين رجاء وبأس ، فلما كان السحر سمع رُغَاءَ الْإِبِلِ ،  
 ورُغَاءَ الشاة ، وصهيل الخيل ، ولجَّب الأموال ، وأخبر بأن عَمِيْلَةَ ساق إليه ماله ،  
 فقسم المال بينهما شطرين ، فأنشأ أسيد يقول :

رَأَيْتَنِي عَلَى مَا بِي عَمِيْلَةَ فَاشْتَكَيْتَنِي . . . . . وعده :

دَعَانِي فَاسَانِي وَلَوْضَنَّ لَمْ أَلَمْ . . . عَلَى حِينٍ لَا بَدُّ وَوِرَجِي وَلَا حَضْرُ

فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا وَأَثْنَيْتُ فَعَلِمَهُ . . . وَأَوْفَاكَ مَا أَثْلَيْتُ مِنْ ذَمِّ أَوْ شَكَرَهُ

وَلَمَّا رَأَى الْمَجْدَ اسْتَعْمِرَتْ شِيَابُهُ . . . تَرَدَّى رِدَاءً سَابِغَ الذَّلِيلِ وَأَتَكَرَّزُ

غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ مُقْبِلًا . . . لَهُ سِينِيَاءٌ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عَطَّقَتْ فَوْقَ نَحْرِهِ . . . وَفِي أَنْفِهِ الشُّعْرَى وَفِي خَدِّهِ الْقَمَرُ

إِذَا قِيلَتِ الْعَوْرَاءُ أَغْضَى كَأَنَّه . . . ذَلِيلٌ بِلَا ذُلٍّ وَلَوْ شَاءَ لَا نَتَصَّرُ (١)

موضع الشاهد قوله : " غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ مُقْبِلًا " والشاهد فيه كسابقه

وهو حذف العبتدأ ، والأصل " هُوَ غَلَامٌ " ، ولعل سر الحذف هو كون المسدوح

معروفا عقلاً فمن العبت ذكره إلى جانب وقوع القطع عند أهم جزء في المعنى .

فقد كان لصنيع المسدوح أبلغ الأثر في إحساس الشاعر وإثارة أنفعاله ، فوصفه

قبل بيت الشاهد بأنه ماجد ، وأن صفة المجد صفة ملازمة له ، وأصيلة في خلائقه ،

===== أمالي الغالي : ١ / ٢٣٧ ، المؤتلف والمختلف : ١٥٩ ، لسان

العرب : " عرر " " عور " " خصص " " سم " " حوا " ، معجم

الشعراء في لسان العرب : ٤٩ - ٣١١ .

(١) انظر الأبيات والقصة في :

الأمالي للغالي : ١ / ٢٣٧ ، المستع في صنعة الشعر : ٢٣٨ .

فهو ليس كمن يدعي المجد ، وهو تعبير رائع عن تغاير حال المدوح عن غيره  
 ممن يدعي المجد ؛ ولشدة شعور الشاعر بفضله هذا المدوح وتأثره بموقفه النبيل  
 قطع الكلام ، وانتقل إلى أهم جزء في المعنى ، وأبلغ صفة أراد الشاعر وضعه بها .  
 وفي بناء الاستئناف على قوله " غلام " تنبيه للسامع ولفت لنظره إلى أنه غلام  
 يافع بلغ مبلغ الرجال بفضله وجوده ، وتوجيه للعقول والأذهان إلى تلك الخصلة  
 التي رماه الله بها ، فعلمة الخير فيه لا يخطئها أحد ؛ لأنها ظاهرة ، قرسي  
 الله له بالخير كأنه إصابة أحدثت فيه علامة قوية لا يمكن نزعها ، وعلامات النجابة  
 والإحسان مرسومة على وجهه ، وكأنها أبت أن تحبس في داخله ، ففاضت على  
 خلقه ، وخلقته .

على أن كلمة " غلام " لم يرضها الحجاج حين وصفته بها ليلى الأخيلية ،

فقالت :

( ١ )  
 إِذَا وَرَدَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً . . . تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِبِهَا فَشَافَاهَا  
 ( ٢ )  
 شَافَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْمَقَامِ الَّذِي يَبْهَاهَا . . . غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ ثَنَاهَا  
 ( ٣ )  
 ( ٤ )  
 فقال لها : لا تقولي " غلام " ، وقولي " همام " .

ومن العجيب في الأبيات أن يوصف رجل بمثل هذه الأوصاف له سيمياء . . .  
 كأن الشرا عُلقت فوق نحره . . . وفي أنفه الشعري . . . وفي خده القسور .  
 فهي إننا تقال في الفتيات الجميلات ، أو المرء .  
 والمدح الجيد في قوله : " إِذَا قِيلَتِ الْعَوْرَاءُ . . . " .

( ١ ) رواية أمالي القالي : " إِذَا هَبَطَ " .

( ٢ ) رواية أمالي القالي : " الْعُضَالُ " .

( ٣ ) رواية أمالي القالي : " سَقَاهَا " .

( ٤ ) الكامل للمبرد - مكتبة المعارف - : ١ / ١٧٩ .

أمالي القالي : " إِذَا هَبَطَ " .

الشاهد الخامس والثمانون :- ( \* ) ( الطويل )

إِذَا ذَكَرَ آبْنَا الْعَنْبَرِيَّةَ لَمْ تَضِقْ <sup>(١)</sup> . . . ذِرَاعِي وَالْقِي بِأَسْتِهِ مَنْ أَفَاخِرُ  
هَلَالَانَ حَمَلَانَ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ . . . مِنَ الثَّقَلِ مَا لَا تَسْتَطِيعُ الْأُبَاعِرُ <sup>(٢)</sup>

البيتان أورد هما الشيخ من غير نسبة ، وهما بيتان لاثالث لهما ، يُنسبان

لِمَوْسَى بْنِ جَابِرِ الْحَنْفِيِّ <sup>(٣)</sup> .

( \* ) الدلائل ، رضا : ١١٤ ، خفاجي : ١٨٠ ، شاكر : ١٤٨-١٤٩ .

( ١ ) هما مِرَادَسٌ وَعَامِرٌ آبْنَا شَمَّاسِ بْنِ لَآئِيٍّ مِنْ بَنِي أَنْفِ النَّاقَةِ أُمُّهُمَا مَسْنُ  
بَنِي الْعَنْبَرِ ، وهما خَالَا مَوْسَى بْنِ جَابِرِ الْحَنْفِيِّ ، وذكر المرزوقي

في شرحه أنهما من آباءه . / شرح الحماسة للمرزوقي : ٣٦٩ / ١ .

شرح الحماسة للتبريزي : ١ / ١٩١ .

( ٢ ) انظر البيتين في :-

الحماسة ( ت - عسيلان ) : ١ / ٢١٤ رقم ( ١٢٨ ) ، معاني أبيات الحماسة

٢١٦ " الحماسية " ١٢٨ " في الملحق المنقول من كتاب " إصلاح ماغلط فيه

أبو عبيد النمري " للغدجاني - ذكر البيت الثالث فقط - .

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ٣٦٩ ، رقم الحماسية ( ١٢٦ ) ،

شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ١٩١ .

( ٣ ) هو موسى بن جابر بن أرقم بن سلمة بن عبيد الحنفي اليمامي نصراني

جاهلي يلقب بأزريق اليمامة ، ويعرف بأبن ليلى ، وهي أمه ، وهو شاعر

كثير الشعر ، ويلقب أيضا بأبن الفرعة وهي أمه ، وذكر التبريزي أن أبا

العلاء قال : موسى منقول من العبرانية ، ولم أعلم أن في العرب من سمي

موسى زمان الجاهلية ، وإنما حدث هذا في الإسلام لما نزل القرآن

وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء على سبيل التبرك .

وكانه أراد أن يقول أنه شاعر إسلامي ، وذكر البكري في ذيل السمت أنه

شاعر مخضرم / انظر ترجمته : في :-

العقبة والبررة " نوادر المخطوطات " : ٢ / ٣٦٦ ، ذيل الأمالي والنوادر

٧١ ، المؤتلف والمختلف : ١٦٥ ، معجم الشعراء للمزباني : ٣٧٦ ، شرح

ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ٣٦٣-٣٧٤ ، حماسة ابن الشجري : ٢٢ ، شرح

=====



وموضع الشاهد قوله : " هلالان " والأصل " هما هلالان " .

يفتخر موسى بن جابر بأخواله أشد افتخاراً ، فإذا مرّ ذكرهما وجد طرق الفخر متسعة وممهدة

أمامهما لهما من مناقب وأمجاد وسؤدد ، فقوله : " لم تضق ذراعي " أي لم تعجزنسي

مقالات الفخر ، ولم يضق بي المقام في الفخر والمباهاة ، وأمام مناقبهما وشرفهما

يعجز كل من يحاول مضاهاتهما . فقوله : " وألقى باسته من أفاخر " أي قعد

وجلس وسكت وأنكسرت حدته ، وأنطفأت حميته ، وهو من التعابير المستعملة في

مقام المعجز والهزيمة ، من باب الكناية .

وعد أن أثبت لهما الفخر ، وأنه لا يدانيتها فيه أحد قطع الكلام ، واستأنف

معنى جديداً وثيق الصلة بالسياق ، وهو أهم جزء فيه لذا أتى به مباشرة ، فحذف

المبتدأ ونى عليه الاستئناف ، وفي هذا تنبيه للأذهان إلى ما يقصده الشاعر ، فأعلن

أنهما هلالان ظاهران للعيان لا يخفى صنيعهما ، ففي وقت الشتاء حين ينضب

معين الأجواد ، وتقضب أيادي الكرام ، في هذا الوقت يتلأأ نجمهما ويظهر جودهما

فهما يحملان فيه أعباءً ثقالاً ، وتبعات عظاماً كتبعات الجود والكرم ، وتبعات النجدة ،

وتبعات المجد والسيادة مالا تستطيع الإبل حمله لو أنه جسّم ، وألقى عليها لتحمله .

قال النسري :-

" هذان الرجلان يحملان من أعباء المغام ، وأثقال الصنائع مالو أنسه

يوزن لم تستطع حمله الإبل ، وهي أثقل الحيوان حملاً ، وأكثره صبراً "

وقال المرزوقي :

==== ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ١٨٩ ، التذكرة السعدية : ٦٨-١٤٣ ،

الأعلام : ٣٢٠ / ٧ ، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين : ٣٥٤ ،

معجم شعراء اللسان : ٤١٥ ، ذيل السمط : ٣٥ .

( ١ ) معاني أبيات الحماسة : ٢٦١ ، الحماسية ( ١٢٨ ) الطلق .

هما في الاشتهار واعتلاء الشأن ، واستضاءة الناس بنورهما ، والانتفاع  
بمكانهما بمنزلة هلالين ، ويتكلفان عند كلَّ جَدْبٍ ومَحَلٍ من الأثقال  
والأعباء ، مآلوصارت أجراماً لعجز عن النهوض بها وتحملها البعيران ،  
فإن قيل : إذا كان قصدُه في تحمل الأثقال إلى قرى الضيف ، ونحسر  
الجزور ، وقسمتها في التيسر والصبر على المؤن ، والنهوض بالكلف ، فكيف  
قال حمّالان من الثقل ما لا يستطيع الأباعر ؟ وكيف مثَّل ما يتقل على القلوب  
من الغرامات والحقوق ، بالأوقار التي تثقل على الظهور ؟ قلت : إننا  
نريد أن تلك المؤن والتكاليف التي يلتزمها ، ويسعى بها وفيها لوجسَّمت  
ثم حيلت ، وكانت الجمال لا تستقلَّ بيها ، ولا تقوى عليها ، فهذا وجهه ،  
ويجوز أن يكون لَمَّا قال حمّالان في كل شتوة من الثقل جمل لِفَقَه ، لا يستطيع  
الأباعر ، إذ كانت الجمال وأشباهها هي التي لحمل الأثقال خُلِقَت  
وبها اشتهرت ، وليكون في اللفظ توافق مع الأمن من عارض الالتباس (١)  
وقد علق أبو العلاء على قول النمري بأنه جائز ، ولكنه بعيد ، والأولى حمل  
الكلام على ماكثر . قال :-

قد تأول النمري له معنى قد يجوز مثله ، ولكنه بعيد وإنما ينبغي أن  
يحمل الشيء على ماكثر ، وذلك أنه ذهب إلى أن هذين السد وحسين  
يحملان من قرى الأضياف ، ومن نحر الإبل ما لا يستطيع الأباعر أي أنها  
لا تقوى عليه لأنه يهلكها ، وهذا مجانس قولهم بنو فلان ظلّامون للجزر  
قال ابن مقبل :

(٢)  
عَادَ الأَذِلَّةَ فِي دَارٍ وَكَانَ بِهَا . : خُرْسُ الشَّقَاشِقِ ظَلَامُونَ لِلْجَزْرِ (٣)  
أي يعقرونها كثيراً ، فكان ذلك ظلم لها .

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ٣٦٩ - ٣٧٠ .  
(٢) خرس الشقائق : البعير الكثير الهدر / اللسان " شقق " : ١٠ / ١٨٥ .  
(٣) ديوانه : ٨١

ونحو منه قول الآخر :

قَتِيلَانِ لَا تَتَكَبَّرُ عَلَيْهِمَا . : إِذَا شَبِعَتْ مِنْ قَوْمٍ وَأَفَانِي

أَي كَانَا يَعْقِرَانَهَا فَلَمَّا قَتِلَا لَمْ تَبْكْ عَلَيْهِمَا .

فلا تعد لمن عما ذكره أبو العلاء إلى غيره (١)

الشاهد السادس والثمانون : ( \* ) ( الطويل )

أَلَا لَأَفْتَى بَعْدَ ابْنِ نَاشِرَةِ الْفَتَى . : وَلَا عُرْفٌ إِلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَدْبَرَ  
فَتَى حَنْظَلِي مَا تَزَالُ رِكَابُ سُهُ . : تَجَوَّدَ بِمَعْرُوفٍ وَتَنَكَّرَ مَنَكِسَرَا (٩)

( ١ ) شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١٩١/١ - ١٩٢ .

( \* ) الدلائل ، رضا : ١١٤ ، خفاجي : ( ١٨١ ) ، شاکر : ١٤٩ .

( ٢ ) قوله : " لافتي " و " لاعرف " حذف منهما الخبر ، كأنه قال : لافتي في الدنيا

بعد ذهابه ، ولا عرف موجود بعد تولي عرفه ، ويجوز تنوين لافتي ولا عرف ،

فيكون في موضع الرفع بالابتداء ، قال التبريزي : " حذف الخبر من قوله

لافتي ولا عرف جسيماً كأنه قال : لافتي في الدنيا بعد ذهابه ، ولا عرف

موجود بعد تولي عرفه ، ولك أن تتون لافتي ، وأن الأول أشرف في المعنى

وأبلغ ، فيكون في موضع الرفع بالابتداء ، وكذلك لا عرف ترفعه وتنونسه ،

ولكنك تلغي حركة الهزة من إلا وهي كسره على التنوين ، والفصل بين

الرفع والنصب أن النصب يفيد الاستفراق كأنه نفى قليل الجنس وكثيره

إن كان جواب هل من فتى ، وهل من عرف والرفع لا يكون فيه الاستفراق

بكونه جواباً ، وهل عرف لا يمتنع أن يكون السؤال عن واحد من الجنس ، ويكسون

الجواب عن حده . / انظر :

شرح الحماسة للتبريزي : ٢٢ / ٣ .

( ٣ ) ابن ناشرة : هو عبد الله بن ناشرة ، أحد بني عامر بن زيد مائة بن

تيم ، وكان غلب على سجستان أيام ابن الزبير ، وتغير الذي

أسلموه ، وقتله عبد العزيز بن عبد الله بن عامر وقد مدحه الفرزدق ورثاه . /

انظر ترجمته وبعض أخباره في : ديوان الفرزدق : - دار بيروت - :

١ / ٢١٦ ، المتسع في صنعة الشعر : ٢٥٨ .

=====

=====

.....

(٤) رواية البيان والتبيين والأشباه والنظائر (٢ - ٢٢٠) والممتع في  
صنعة الشعر :

" وَلَا خَيْرَ إِلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَدْبَرَ "

وورد في الأشباه والنظائر : (٢ / ١٣١) رواية أخرى :

" وَلَا مَجْدَ إِلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَدْبَرَ "

(٥) أجاز التبريزي نصب " فتى " على المدح والاختصاص، فيكون المحذوف هنا  
الفعل لا المبتدأ، فينتفي موضع الشاهد .

(٦) نسبة إلى حنظلة الأكرمين، وهو حنظلة بن مالك بن زيد مناة من تميم

جدّ جاهلي، بنوه عدة بطون منهم " بنو الظليم " واسمه مرة " وبنو قيس،

وبنو عمرو، وبنو يربوع . / انظر ترجمته :

سبائك الذهب : ٩٣ ، الأعلام : ٢٨٧/٢ .

(٧) رواية الأشباه والنظائر : (٢ / ١٣١) :

" فَتَى حَنْظَلِي مَا تَرَالُ يَمِينُهُ "

(٨) رواية الأشباه والنظائر : (٢ - ١٣١) :

" تعرف معروفًا . "

(٩) ذكر في البيان والتبيين البيت الأول من بيتي الشاهد مع أبيات أخرى-

سترد فيما بعد، وفي الأشباه والنظائر عند نسبتها لأبي خزابة ذكر

البيت الأول فقط مع ثانٍ له غير بيت الشاهد الثاني .

وكذلك في الممتع في صنعة الشعر ذكر البيت الأول من الشاهد مع ثلاثة

أبيات أخرى دون ذكر البيت الثاني من الشاهد . وذكر بيتا الشاهد مع

بيت آخر في الأشباه والنظائر - عند نسبتها للجربعي - ، وكذلك في

الحماسة للتبريزي / نظر :

البيان والتبيين : ٣ / ٣٢٩ ، الأشباه والنظائر : ٢ / ٢١٦ -

٢٢٠-١٣١ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣ / ٢٢ ، الممتع في

صنعة الشعر : ٢٥٩ .

ذكرهما الشيخ من غير نسبة ، وهما لأبي حَزَابَةَ<sup>(١)</sup> .

وموضع الشاهد قوله : " فتى حنظلي " حيث حذف المبتدأ ، والأصل : " هو

فتى " .

والأبيات كما ذكرت في البيان والتبيين :

أَلَا لَفَتِي بَعْدَ آبِنِ نَاشِرَةِ الْفَتَى . : وَلَا خَيْرَ إِلَّا قَدَّ تَوَلَّى وَأَدْبَرَا<sup>(٢)</sup>

وَكَانَ حَصَادًا لِلْمَنَايَا أَزْدَ رَعْنَتَهُ<sup>(٣)</sup> . : فَهَلَّا تَرَكَنَ النَّبْتَ مَا كَانَ أَخْضَرَا

لَحَا<sup>(٤)</sup> اللَّهُ قَوْمًا أَسْلَمُواكَ وَرَفَعُوا . : عَنَّا جَسِجٌ<sup>(٥)</sup> أَعْطَتْهَا تَيْبُنَكَ ضَمْرَا

(١) نسب الشاهد لأبي حزابة في البيان والتبيين ، وفي موضع من الأشباه والنظائر ،

ونسب في موضع آخر منه لمسعود بن مالك الجرمي .

وورد من غير نسبة في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، والمتع في صنعة الشعر .

وأبو حزابة : هو الوليد بن حنيفة ، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن

مالك بن زيد مائة بن تميم ، شاعر من شعراء الدولة الأموية بدوي حضر

وسكن البصرة ، ثم اكتتب في الديوان ، وُضِرَ عليه البعث إلى سجستان ،

فكان بها مدة ، وعاد إلى البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على

عبد الملك ، وأظنه قُتل معه ، وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث

اللسان هجاءً / أنظر ترجمته في :

الأغاني : ٢٢ / ٢٦٠ .

(٢) ورد في الأشباه والنظائر بعد هذا البيت بيت الشاهد الثاني - برواية

" ماتزال يمينه " -

(٣) ازدرعنه : زرعه / اللسان : " زرع " : ٨ / ١٤١ .

(٤) لَحَاهُ اللَّهُ لَحِيًّا أَي قَبَّحَهُ وَلَعَنَهُ / اللسان " لحا " : ١٥ / ٢٤٢ .

(٥) العناجيج مفرداً مُعْجُوجٌ ، وهو الرائع من الأبل . / انظر :

معجم مقاييس اللغة : " عنج " : ٤ / ١٥٢ .

أَمَا كَانَ فِيهِمْ فَارِسٌ ذُو حَفِيظَةٍ <sup>(١)</sup> . . . تَبْرَى الْمَوْتِ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ أَعْدَرَا  
يَكْرُكَمَا كَرَّ الْكَلْبِيُّ <sup>(٢)</sup> بَعْدَ مَا <sup>(٣)</sup> . . . رَأَى الْمَوْتَ تَحْدُوهُ الْأَيْسَةُ أَقْتَرَا  
فَكَرَّ عَلَيْهِ الْوَرْدُ <sup>(٤)</sup> يَدْمَى لِبَانَتِهِ <sup>(٥)</sup> . . . وَمَا كَرَّ إِلَّا رَهْبَةً أَنْ يُعَيَّرَا

ولعل من أسرار الحذف في البيت ضيق المقام .

فقد كان لابن ناشرة مكانة عظيمة ، ومحبة خالصة في نفس الشاعر ، فحسين علم بمقتله اعتصر الألم فؤاده ، فسالت الكلمات تسجل خطراته ، فأبن ناشرة فنتي لا يخلفه أحد بعد زهايه ، فالعرف قد ارتحل من الدنيا برحيل عرفه ، وكأنسه لا يستطيع أحد أن يؤدي حق العرف إلا هو .

وترى نفس الشاعر لشدة حزنها حائرة مضطربة تبحث عن كلمة تلون بها ، فخرجت كلمة " فتى " كزفرة تروّج عن تلك النفس الضائعة ، وهذه الزفرة وإن كانت تحمل كل معاني الأسى والحزن على ذلك الفتى النادر الوجود إلا أن في تغسني الشاعر بها ما يطرب روحه ، ويخفف حدة حزنه ، فلو أنه قال : " هو فتى " لظال النفس وظال معه الحزن ، وفات مراد الشاعر ، فالنفس الحزينة لا تقوى على الإطالة والتكرار .

ووجدت النفس في هذه الكلمة انطلاقة تعبر عن كل ما يدور فيها ، فأخذت تدعو على هؤلاء القوم الذين أسلموه للموت ، وأخذت تلوم فرسانهم وتتهمهم بسوء الحفيظة وقلة مراعاة الحرمة .

( ١ ) الحفيظة : الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب / اللسان " حفظ " : ٤٤٢ / ٧ .

( ٢ ) الكلبى : هو عثمان بن عبد الله أحد بني عبيد قتل معه . / انظر :  
المتع في صنعة الشعر : ٢٥٩ .

( ٣ ) رواية المتع في صنعة الشعر :

يَكْرُكَمَا كَرَّ الْكَلْبِيُّ صِهْرَهُ . . . وَمَا كَرَّ إِلَّا ضَيْقَةً أَنْ يُعَيَّرَا

( ٤ ) الْوَرْدُ : الأسد / اللسان : " ورد " : ٤٥٦ / ٣ .

( ٥ ) اللَّبَانُ : الصدر / اللسان " لبن " : ٣٧٦ / ١٣ .